الكامل في اللغة والأدب

لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد

حقق أصوله وعلق عليه

محمد أبو الفضل إبراهيم

المجلد الثالث

دار الفكر العربي







الكامل

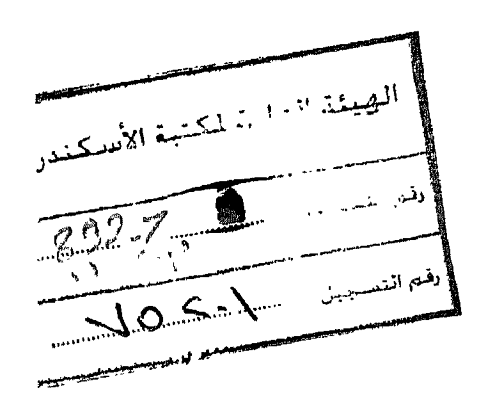
في

اللغة والأدب

لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد

عارضه بأصوله وعلق عليه

محمد أبو الفضل إبراهيم



الجزء الثالث

الطبعة الثالثة

١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد ـ مدينة نصر ـ القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ ـ فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٩٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

بـاب[1]

قال أبو العباس: وهذا باب اشترطنـا أن نخْرُجَ فيه من حزْن إلى سَهْلٍ ومن جدٍّ إلى هزْل. ليـستريحَ إليه القارئ. ويَـدْفعَ عن مُسْتمعِـه الملالَ. ونحنُ ذاكرون ذلك إن شاء الله.

[لبكر بن النطاح يمدح مالك بن على الخزاعى]

قال بَكْرُ بن النَّطاح فى كَلِمة يمدحُ فيها[2] مالك بن علىّ الخُزَاعِىّ:

عَرضتُ عليهَـا ما أرادت من المُنَى ... لتَرْضَى. فقالتْ قُمْ فجئْنَا بكوْكَب

فــقلتُ لهـا هذا التَّــعَنُّـتُ كلُّهُ ... كمن يَتَشَهى لحـم عَنقاءَ مُغْرِبِ[3]

فلو أننِى أَصْبَـحتُ فى جُودِ مالكٍ ... وعِــزّته مــا نَالَ ذلك مَطْـلَبى[4]

فَـتًى شَـقـيتْ أمـوالهُ بسمـاحِـه ... كمـا شَقِيَتْ قَيْسٌ بأسـيافِ تَغْلب

[للخليع يمدح عاصما الغسانى]

وقال الخَليع[5] فى كلمةٍ له[6] يمدح بها عاصما الغَسَّانىّ:

أقـولُ ونفـسِى بـين شـوقٍ وحَسْـرَةٍ ... وقد شَخَصتْ عينى ودَمْعِى على خَدِّى[7] بة

أريحـى بقَــتْـلٍ مَنْ تَركتِ فُــؤَادَهُ ... بِلَحْـظتِــه بينَ التَــأسُّفِ والجـهْـدِ

---

(١) هذا العنوان ثابت فى الأصل. س، وهو ساقط من ر.

(٢) ر: «مدح». وما أثبته عن الأصل. س.

(٣) قال فى اللسان: «العنقـاء: طائر ضخم ليس بالعقاب. وقيل: العنقاء المغـرب. كلمة لا أصل لها، يقال إنها طائر عظيم لا ترى إلا فى الدهور. ثم كـثر ذلك حتى سموا الداهـية عنقاء مغربا ومـغربة». مادة ـ عنق.

(٤) فى س. هذا البيت قبل سابقه.

(٥) الخليع لقب الحسين بن الضحاك. أحد شعراء الدولة العباسية.

(٦) كلمة «له» ساقطة من ر.

(٧) شخصت عينى: ارتفع جفناها من كثرة السهاد.

فقالت: عـذابٌ بالهوى[١] قبل مـيتَةٍ ... وموتٌ إذا أَقْرَحْتَ قلبكَ من بعْدِى[٢]

لقـد فَطَنَتْ للجَـوْرِ فَطْنَةَ عـاصِمٍ ... لِصُنْعِ الأيادِى الغُـرِّ فى طَلَبِ الحمْـدِ

سأشْـكوكِ فى الأشْعَـارَ غيـرَ مُقَـصِّرٍ ... إلى عاصِمٍ ذى المكُرمَـاتِ وذى المَجْدِ

لعلَّ فـتَى غَـسَّـانَ يجـمعُ بيننا ... فَتـأْمَنَ نفسى مـنكمُ لَوْعَـةَ الصَّـدِّ

[لأبى العتاهية فى العتاب]

وقال إسماعيل بن القاسم[٣]:

إن السَّـلاَم وإنّ الْبِـشْـرَ من رَجُلٍ ... فى مِـثْلِ ما أَنْـتَ فيـه ليس يكفـينى

هذا زمـانٌ أَلَحَّ الـناسُ فـيـه على ... زَهْوِ الملـوكِ وأَخْـلاقِ المسـاكـينِ

أمَـا علمتَ جـزاكَ الله صـالحـةً ... عنِّى وزادكَ خـيـرًا يـابْنَ يَقْطِـينِ

أنِّى أريدكَ لـلدنيـا وعـاجِلِـهـا ... ولا أريـدكَ يـومَ الدِّيـنِ لِـلـدِّيـنِ

[ليزيد بن محمد بمدح إسحاق بن إبراهيم]

وقال يَزيدُ بن محمد [بن المُهَلَّبِ][٤] المهَلبىُّ فى كلمة يمدحُ بها إسحاق بن إبراهيم:

إنْ أَكنْ مُـهْـدِيًا لكَ الشـعـرَ[٥] إنّـى ... لاَبنُ بيـتٍ تُهْـدَى له الأشـعـارُ

غـيـرَ أَنـى أراكَ من أهل بَـيْتٍ ... مـا على الحُـرِّ - أَنْ يسُـودُوهُ - عـارُ

* * *

وقال فى كلمة أخرى له[٦]:

وإذا جُـدِدْتَ فـكلُّ شـىءٍ نافـعٌ ... وإذا حُـدِدتَ فكلُّ شىءٍ ضـائرُ[٧]

وإذا أتـاكَ مُـهَلَّبىٌّ فـى الوغـى ... والسـيفُ فى يده فـنِعْمَ النَّـاصِـرُ

(١) ر: «فى الهوى». وما أثبته عن الأصل. س.

(٢) يقال: قرح قلب الرجل من الحزن وأقرحه غيره.

(٣) هو المكنى أبا العتاهية.

(٤) من س.

(٥) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «المدح».

(٦) كلمة «له» ساقطة من ر. س.

(٧) حددت: منعت، يقال: حده عن الأمر يحده حدا. منعه عنه خيرا كان أم شرا. وجددت. أى رزقت الجد. وهو الحظ.

[في مقتل مصعب بن الزبير]

وقـال عبـدُ الله بن الزُّبَيْـر لما أتَاه قتلَ مُصْعَب بن الزبيـر: أشَهدَهُ المهَلبُ بن أبى صُفْـرَةَ؟ قالوا: لا. كان المُهَلَّب فى وجُـوه الخَوارج. قال: أفَـشَهدَهُ عَـبَّادُ بن الحُصيْن الحَبَطىُّ؟ قالوا: لا. قال: أفَشَـهِدَهُ عبدُ الله بن خازمٍ السُّلَمِىّ؟ قالوا: لا. فَتَمَثَّلَ عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ.

فـقلتُ لهـا عِـيثـى جَعـارِ وجَـرِّرِى ... بلحْمِ امرئٍ لم يَشهَـدِ اليومَ ناصِرُهُ[1]

جَعَارِ: اسمٌ من أسمـاء الضَّبُع. وهى صفةٌ غالبةٌ؛ لأنه يقـال لها: جاعِرَة. فهذا فى بابه كَفَـسَاقِ. ولَكَاعِ. وحَلاَقِ. للمَنِيَّةِ. وقد فَسَّرنا هذا البابَ مُـسْتَقْصًى على وجوهه الأربعة.

[ابنة جارية همام بن مرة]

ويُرْوَى أن ابنةَ جاريةٍ لِهَمَّامِ بن مُرَّةَ بن ذُهْلِ بن شَيْبَان قالتْ له يومًا:

أَهَمَّـــــامُ بن مُـــــرَّة حَـنَّ قَلْـبِى ... إلى الـلاَّئى يَـكُنَّ مَـعَ الرجـــالِ

فقال: يا فَسَاقِ! أردت صفيحةً[2] ماضية. فقالتْ:

أَهَمَّـــــامُ بن مُـــــرَّة حَـنَّ قَلْـبِى ... إلَى صلْعـــاءَ مُـشْـرِقـةِ الـقَـذَالِ[3]

فقال: يا فَجارِ! أردت بَيْضَةَ حصينةً[4]. فقالتْ:

أَهَمَّـــــامُ بن مُـــــرَّة حَـنَّ قَلْـبِى ... إلى أيـرٍ أسُـــدُّ به مَـــبَـــالِى

قال: فقتلها.

[من أخبار سعيد بن سلم الباهلى وما قيل فيه من الشعر]

قال أبو العباس: قال أبو الشَّمَقْـمَقِ ـ وهو مَرْوَانُ بن محمد، وزَعَم التَّوَّزىُّ عن أبى عُبَيدةَ قال: أبو الشَّمَـقْمَقِ ومنصورُ بن زياد ويَحْيى بن سُلَيْمٍ الكاتِبُ. مِن

---

(١) من أبيات الكتاب ٢: ٣٨؛ وينسب إلى النابغة الجعدى.

(٢) الصفيحة: واحدة الصفائح، وهى السيوف العريضة.

(٣) القذال فى الأصل: جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس.

(٤) البيضة من الحديد. تلبس على الرأس تقيه السلاح.

أهل خراسانَ. من بُخاريَّة عُبَيْد الله بن زياد. وكان أبو الشمقمق ربَّما لَحَنَ، ويَهْزِلُ كثيرًا ويُجِدُّ. فيكثُرُ صوابُهُ - قال يمدحُ مالكَ بْنَ عَلِيٍّ الخُزاعيَّ ويَذُمُّ سَعيدَ ابن سَلْمٍ الباهليَّ:

قد مَررْنا بمالكٍ فوجَدْنا … هُ جوادًا إلى المكارمِ يَنْمِي[1]

ما يبالي أتاهُ ضَيفٌ مُخِفٌّ … أم أتاهُ يأجُوجُ مِنْ خَلْفِ رَدْمِ[2]

فارْتَحلنا إلى سَعيدِ بنِ سَلْمٍ … فإذا ضَيْفُه من الجوعِ يَرْمِي[3]

وإذا خبزُهُ عليه « سَيكْفِيكَهُمُ اللهُ » ما بَدَا ضوءُ نَجْمِ

وإذا خاتمُ النبي سُلَيْمَا … نَ بن داوُدَ قد عَلاهُ بخَتْمِ

فارتَحَلْنَا منْ عِنْدِ هذا بِحَمْدِ … وارتَحَلْنَا مِنْ عِنْدِ هذا بِذَمِّ

* * *

وقال عبدُ الصمد بنُ المعَذَّل يرثي سَعيدَ بن سَلْمٍ:

كَمْ يتيمٍ جَبَرتَهُ بعدَ يُتْمٍ … وفَقيرٍ نَعَشْتَهُ بعدَ عُدْمٍ[4]

كُلَّما عَضَّتِ الحوادثُ نادَى … رضِيَ اللهُ عن سَعيدِ بنِ سَلْمٍ

* * *

وقال سعيدُ بن سَلْمٍ: عَرَضَ لي أعرابيٌّ فمدَحَني فَبَلَغ[5]. فقال:

أَلاَ قلْ لساري الليلِ لا تَخْشَ ضَلَّةً … سعيدُ بن سَلْمٍ ضَوءُ كلِّ بلاَدِ

لنا سَيِّدٌ أَرْبَى على كلِّ سَيِّدِ … جَوادٌ حَثَا في وَجهِ كلِّ جَوَادِ[6]

قال: فتأخَّرتُ عن برِّه قليلا. فهجاني فَبَلَغ[7]. فقال:

لِكلِّ أخي مَدْحٍ ثوابٌ يُعِدُّهُ … وليس لِمَدْحِ الباهليِّ ثَوَابُ

مَدَحْتُ ابنَ سَلْمٍ والمَديحُ مَهَزَّةٌ … فكانَ كَصَفْوَانٍ عليه تُرابُ[8]

(١) ر: «كريمًا». وما أثبته عن الأصل. س. (٢) ر: «أم اتقه». أثبته عن الأصل. س.

(٣) ر: «فانتهينا». (٤) ر: «كم صغير». (٥) س: «أبلغ».

(٦) أي حثا التراب في وجوه الأجواد؛ وذلك كناية عن تقصيرهم.

(٧) س: «أبلغ». (٨) الصفوان: الحجر الأملس.

وقال أبو الشّمَقْمَق:

قـال لِي الناسُ زُرْ سَعِـيدَ بن سَلْم ... قلـتُ للناسِ لا أَزُورُ سَـعِيـدَاَ

وأَمِيـرِى فَتَى خُزَاعَـةَ بالـبَصْـ ... ـرَةِ قـد عَمَّـهـا سمـاحًـا وجُـودَاَ

ولَنِعْـمَ الْفَـتَى سَعِـيـدٌ ولكنْ ... مـالكٌ أَكْـرَمُ البَـرِيَّةِ عُـودا

فقـال سعيدٌ: لَوددتُ أنه لم يكنْ ذَكَـرنِى مع مالك، و [أنه][1] أَخَذَ مِنِّى أُمْنِيَّتَهُ.

* * *

وقال أبو الشمقمق أيضا:

هيـهـاتَ تَضْـرِبُ فى حَـدِيدٍ بارد ... إن كنتَ تَطْـمَعُ فى نوالِ سـعِـيـدِ

والله لو ملَكَ الـبـحـار بأَسْـرِها[2] ... وأتاهُ سَـلْمٌ فـى زمـانِ مُـدُود

يَبْـغِـيـهِ منهـا شَـرْبَةً لِطُهُـورِه ... لأَبَى وقـال: تَيَـمَّـمَنْ بصَـعِـيـدِ

* * *

ومثْلهُ قولُ الآخرِ:

لو أَنَّ قَـصْـرَكَ يابْنَ يوسـفَ كُلَّهُ ... إِبَرٌ يَضِـيق بـهـا فَـضَـاءُ الْـمَنْزِلِ

وأتاكَ يوسُـفُ يَسْـتَـعِـيـرُكَ إبْرَةً ... لِيَـخِـيطَ قَـدَّ قَـمِـيـصِـهِ لم تَفْـعَلِ

* * *

وقال مُسْلمُ بن الوَليد:

دُيونُكَ لا يُقْـضَى الزَّمـانَ خَرِيـمُهـا ... وبُخْلُكَ بُـخْلُ البـاهِلِيِّ سَـعِـيـدِ

سَعِـيـدُ بن سَلْمٍ أَلأَمُ النـاسِ كُلِّهِمْ ... ومـا قَـومُـهُ من لـؤمـه ببـعِـيـدِ[3]

يزيـدُ له فـضـلٌ ولكنَّ مَـزْيدًا ... تَدَارَكَ مِـنَّا مَـجْـدَهُ يَـزِيد

خـزَيمَـةَ لا بَأْسٌ بهِ غـيـرَ أنهُ ... لَمَطْبَـخِـهِ قُـفْلٌ وبابُ حَـدِيدِ

(1) تكملة من س.

(2) س: «لو ملك البحور».

(3) ر: «من نجله». وما أثبته عن الأصل. س.

وقال عبدُ الصمد بن المعذَّل، يرثي عمرَو بن سعيدٍ، وكان عمرٌو هَلَك بُعَيْدَ[1] سَعيدٍ بيسير:

رُزِينا أبا عَمْرٍو فقلنا: لنا عَمْرٌو ... سيَكْفيكَ ضَوْءُ البَدْرِ غَيْبُوبَةَ البَدْرِ

وكانَ أبو عمرو معُارًا حَياتَهُ[2] ... بعمرٍو فلمَّا ماتَ ماتَ أبو عَمْرو

* * *

وقال أميرُ المؤمنين الرشيدُ يومًا لسعيد بن سَلْمٍ: يا سَعيدُ مَنْ بَيْتُ قَيسٍ فى الجاهلية؟ قال: يا أميرَ المؤمنين، بنو فَزارَةَ، قال: فَمَنْ بيتُهم فى الإسلام؟ قال: يا أمير المؤمنين، الشريفُ[3] مَنْ شَرَّفْتُمُوه، قال: صدقتَ أنتَ وقومُكَ.

* * *

وحدثنى علىُّ بن القاسم بن علىّ بن سليمان الهاشمىُّ، قال: حدثنى رجلٌ من أهل مكَّة، قال: رأيت فى منامى سعيدَ بن سَلْمٍ فى[4] فى حياته و [فى][5]. نعْمَته، وكثرة عَدَدِ ولَده، وحُسْنِ مذهبه، وكمال مُرُوءَته، فقلتُ فى نفسى: مَا أَجَلَّ ما أُعْطِيَهُ سَعيدَ بن سَلَمٍ! فقال لى قائلٌ: وما ذَخَره الله له فى الآخرةِ أكثرُ.

* * *

وكان سعيدٌ إذا استَقْبَلَ السَّنةَ التى يستقبل[6] فيها عدَدَ سنيه أعتقَ نَسَمة وتصدَّقَ بعشَرَة آلاف درهمٍ، فقِيل لمدينيٍّ: إنَّ سعيدَ بن سَلْم اشترى نفسَه من ربه[7] بعشرة آلاف درهمٍ، فقال: إذًا لا يَبيعه.

[مما قالته العرب فى ذم باهلة]

وقال أحمدُ بن يوسفَ الكاتبُ لولدِ سعيد:

أبنِى سعيدٍ إنّكمْ من مَعْشَرٍ ... لا يَعْرفونَ كرامةَ الأضيافِ

(١) ر: «وهلك عمرو بعد». وما أثبته عن الأصل. س.

(٢) ر: «حياته». بفتح التاء.

(٣) كلمة الشريف ساقطة من ر.

(٤) ر: «أريت سعيد بن سلم فى النوم».

(٥) تكلمة من ر. س.

(٦) ر: «يستأنف». وما أثبته عن الأصل. س.

(٧) كذا فى الأصل، س وفى ر: «إن سعيدا يشترى نفسه....».

قَــومٌ لبــاهلَةَ بنِ يَعْــصُــرَ إنْ هُمُ نُســبـوا حَـسِـبْـتَـهُـمُ لعبـدِ مناف
قَـرنُوا الغَـدَاءَ إلـى العَـشـاءِ وقَـرَّبوا زَادًا لَعَــــمْــــرُ أبـيكَ ليس بـكاف
وكَــأَنَّـنى لـمَّــا حَطَطْتُ إليــهمُ رَحْلـى نَزَلْـتُ بأَبْرَقِ الـعَــزَّاف[1]
بَيْـنَا كَــذاكَ أتاهمُ كُـبَــرَاؤُهُمْ يَلْحُـونَ فى الـتـبـذير والإسْـراف

وأنشدنى المازنىُّ:

سَـلِ اللهَ ذَا المَنِّ مِـن فَــضْلِـه ولا تــســألـنّ أبـا واثـلـه
فــمــا ســألَ اللهَ عــبــدٌ له فــخــابَ ولوْ كــان من باهِـلَهْ

***

[قال أبو الحسن: وزادنى بعضُ أصحابنا:

تَرى البــاهِلىَّ عـلى خُـبْــزِهِ إذا رَامَــــــهُ آكـلٌ آكِـلَـهُ]

وأنشدنى رجل[2] من عبد القَيْس:

أبـاهِلَ يَـنْبَــحُنى كلـبُكُـم وأســدُكُـمُ ككلاَبِ الـعَــرَبْ
ولو قــيلَ للـكلب يـا باهِلــى عَـوَى الكلبُ من لُؤْم هذا النَّسَبْ

***

وحدثنى علىُّ بن القاسم قـال: حدثنى أبو قلاَبَةَ الجُرْمىُّ قال: حـجـجنا مَرَّة مع أبى جَزْءِ بن عَمرو بن سعيد، قال: وكُنَّا فى ذُرَاه[3]. وهو إذ ذاكَ بَهِىٌّ وضِىٌّ، فجلسنا فى المسجـد الحرام إلى أقوامٍ[4] من بنى الحارث بن كَـعْبٍ، لم نَرَ أفْصَحَ منهم، فرَأَوْا هيئَةَ أبى جَزْءٍ وإعظَامَنَا إيَّاه مع جماله، فقال قائلٌ منهم له: أمِنْ أهل بيت الخليـفة أنتَ؟ قـال: لا، ولكن رجلٌ من العَـرب، قال: ممن الرجلُ؟ قـال: رجلٌ[5] من مُضَرَ، قال: أعْرَضَ ثَوبُ الـمُلْـبسِ! من أيِّها عافاك اللهُ؟ قال: رجلٌ

(١) العزاف. بتشديد الزاى: جبل من جبال الدهناء.
(٢) ر: «وأنشد أبوالعباس لرجل». وما أثبته عن الأصل، س.
(٣) ذراه: كنفه. (٤) ر: «قوم».
(٥) ساقطة من ر.

من قيسٍ، قال: أينَ يُرادُ بكَ، صِرْ إلى فصيلتكَ التي تُؤْويكَ! قال: رجلٌ من بنى سعد بن قيسٍ، قـال: اللهم غَفْرًا! من أَيِّهَا عافاكَ الله؟ قـال رجل من بنى يَعْصُرَ، قال: منْ أيها؟ قال: رجلٌ من باهلَةَ، قال: قُمْ عَـنَّا! قال أبو قلابةَ: فأقبلتُ على الحارثىِّ فـقلتُ: أتعرفُ هذا؟ قال: هذا ذكـرَ أنه باهلىٌّ، قال[1] فقلتُ: هذا أميرٌ ابنُ أميرِ ابنُ أميرِ . . . قال: حتى عَدَدتُ خمسةً.

هذا أبو جَزْءٍ أميـرٌ، بنُ عمرو ـ وكان أمـيرا ـ بنُ سعيدٍ ـ وكـان أميرا ـ بن سَلْمٍ ـ وكان أميرا ـ بن قتيبةَ ـ وكان أميرا.

فقـال الحـارثـىُّ: الأمـيرُ أَعْظَـمُ أم الخليـفةُ؟ فقلـتُ: بَـلِ[2] الخليفةُ. قال: أفا الخليـفةُ أعظم أم النَّبىُّ؟ قلتُ: بَـلِ النبىُّ . قال: والله لو عَدَدتَ له فـى النبوّةِ أضعـافَ ما عـددتَ له فى الإمْرةِ[3]، ثم كان باهليًّـا ما عَبَـأَ اللهُ به شيئـا. قال: فكادَتْ نفسُ أبى جَزْءٍ تفيض[4]. فقلتُ له[5]: انْهَضْ بنا، فإنَّ هؤلاء أسوأُ الناسِ أدبا[6].

* * *

[قال أبو الحسن: يقالُ للرجلِ إذا سُئِل عن شىء فـأجابَ عن غيرِه «أعْرَضَ ثوبُ الـمُلْبِسِ» أى أَبْدَى غيرَ ما يُرَادُ منه].

* * *

وحُـدِّثتُ أَنْ أعرابيًّـا لقى رجلا مـن الحاجِّ. فـقال له: ممن الرجلُ؟ قـال: باهلىٌّ، قال: أُعيذك بالله من ذلك. قال: إى والله. وأنا مع ذلك مولى لهم.

فأقبل الأعرابىُّ يقبِّلُ يديه ويتمسَّحُ به، قال له الرجلُ: ولِمَ تفعلُ ذاك؟ قال: لأنى أثقُ بأنّ اللهَ عزّ وجلّ لم يبْتَلِكَ بهذا فى الدنيا إلاَّ وأنتَ من أهلِ الجنة.

[فى مجلس قتيبة بن مسلم الباهلى]

ويَزعمُ الرواة[7] أن قُتيبَةَ بن مُـسْلمٍ لما فَتحَ سَمَرْقَنْدَ أَفْضَى[8]. إلى أثاثٍ لم

(١) ساقطة من ر.
(٢) ساقطة من ر.
(٣) ر: «الإمارة».
(٤) ر: «تخرج».
(٥) ساقطة من ر.
(٦) ر: «آدابا».
(٧) ر: «الرقاشى».
(٨) يريد اتسع وسار عريضا.

يُرَ مثلهُ، وإلى آلات لم يُرَ مثلها[1]. فأرادَ أن يُرِىَ الناسَ عظيمَ ما فَتحَ اللهُ عليه، ويُعَرِّفَهم أقدارَ القـوم الذين ظَهَرَ عليهم. فأمَرَ بدارٍ ففـرِشَتْ، وفى صَحْنها قُدُورٌ تُرْتَقَى بالسَّلالم. فـإذا بالحُضَيْن بن المنذر بن الحارث بن وَعْلَةَ الرَّقَـاشيّ قد أقبلَ، والناسُ جُلُوسٌ على مراتبهم، والحُضَيْنَ شيخٌ كبيرٌ، فلما رآه عبدُ الله بن مسلم قال لقُتيبةَ: ائذنْ لـى فى معاتَبته. قال: لا تُرِدْهُ فإنه خبـيثُ الجواب، فأبى عبدُ الله إلاَّ أن يأذنَ له ـ وكان عـبدُ الله يُضَعَّفُ، وكان قـد تَسَوَّرَ حائطًا إلى امـرأة قبلَ ذاك ـ فأقبلَ على الحُضَيْن [بن المنذر][2]. فقال: أمِنَ الباب دخلـتَ يا أبا ساسان؟ قال: أجَلْ أسَنَّ عمُّكَ عن تَسَوُّر الحيطان، قال: أرأيتَ هذه القدورَ؟ قال: هى أعظمُ من ألاّ تُرَى، قال: ما أحْـسبُ بكرَ بنَ وائلٍ رأى مثلَها! قـال: أجَلْ، ولا عَيْلانَ، لو كان رآها سُمِّىَ شَبْعانَ، ولم يُسَمَّ عَيْـلانَ، قال لَهُ عبدُ الله: يا أبا ساسان، أتَعْرِفُ الذى يقولُ:

عَــزَلْنـا وأمَّـرْنَا وبكْـرُ بن وائلٍ ... تَجُـرُّ خُصَـاها تَبْـتَغِى من تُحَـالِف

قال: أعْرِفَه، وأعرفُ الذى يقولُ:

وخَـيْـبَـةَ مَنْ يَخِـيـبُ على غَنِىٍّ ... وباهِلَـة بن يَعْـصُـرَ والرِّكَـاب

يريدُ يا خَيْبَةَ من يخيب . قال: أفتعرفُ الذى يقولُ:

كَأنَّ فِـقَاحَ الأزْدِ حَوْلَ ابن مِـسْمَعٍ ... إذا عَـرِقَت أفْـواهُ بَكْر بن وائِل[3]

قال: نعم[4]. وأعرفُ الذى يقولُ:

قـومٌ قُـتَـيْـبَـةُ أُمُّـهُمْ وأبوهُمُ ... لـولا قُتَيْبَةُ أصْـبحـوا فى مَجْـهَلِ

قال: أما الشعـرُ فأراكَ تَرْويه، فهل[5] تقرأُ من القرآن شيـئا؟ قال: أقرأُ منه الأكثر الأطْيَبَ: ﴿هَلْ أَتى عَلَى الإِنْسَان حينٌ منَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُوراً﴾[6]. قال[7]: فأغْضَبَه. فقال: واللهِ لقد بـلغَنى أنَّ امرأةَ الحُضَيْنِ حُمِلَتْ إليه وهى حُبْلَى

(١) ر: «لم يسمع بمثلها». (٢) من س.

(٣) ر: «وقد عرقت».

(٤) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «أعرف هذا».

(٥) ر: «ولكن هل تقرأ من القرآن شيئا».

(٦) سورة الإنسان آية: ١ .

(٧) كلمة «قال» ساقطة من الأصل.

من غيره. قال: فما تحرَّكَ الشَّيخُ عن هَيْئَته الأُولَى، ثم قال على رِسْلِه: وما يكونُ! تَلِدُ غلامًا على فِرَاشي فيقالُ: فلانُ بن الحُضَيْنِ. كما يقالُ: عبدُ الله ابنُ مسلمٍ. فأقبلَ قتيبة على عبد الله فقال: لا يُبْعِدِ اللهُ غيرَكَ.

[قال أبو العباس[1]]: الحُضَيْنُ[2] بن المنذر بن الحارث بن وَعْلَةَ. وكان الحضينُ بيده لواءُ عليّ بن أبي طالبٍ رحمه الله على ربيعةَ، وله يقولُ القائلُ:

لِمَنْ رايةٌ سَوْداءُ يَخْفِقُ ظِلُّها   إذَا قيلَ قَدِّمْها حُضَينُ تَقدَّمَا

[للأعشى يمدح هوذة بن علي]

وللحارث بن وَعْلَةَ يقولُ الأعشَى - وكان قَصَدَهُ فلم يَحْمَدْهُ. فعَرج[3] عنه إلى هَوْذَةَ بن عَلِيٍّ ذي التَّاج. وهوذة من بني حَنِيفَةَ بن لُجَيم بن صَعْب بن عَلِيّ ابن بَكْرِ بن وائلٍ، والحارثُ بن وعْلَةَ من بني رَقَاش، وهي امرأةٌ، وأَبوهم مالكُ ابن شَيْبَانَ بن ذُهْل بن ثَعْلَبَةَ بن عُكابَةَ بن صَعْب بن عَلِيّ بن بكرِ بن وائل. فقال الأعشَى يَذْكر الحارثَ بن وَعْلة وهَوذة بن عليٍّ:

أَتَيْتُ حُرَيْثًا زائرًا عن جَنابَةٍ   فكانَ حُرَيْثٌ عن عَطائِيَ جامِدَا

إذَا ما رَأَى ذا حاجَةٍ فكأَنَّما   يرَى أَسَدًا في بيتِه وأَساوِدَا

لَعَمْرُكَ ما أَشْبَهْتَ وَعْلَةَ في النَّدَى   شَمائلَه ولا أَبَاه المُجالِدَا

وإِنَّ امْرأً قد زُرْتُه قبلَ هذه   بجَوٍّ لَخَيْرٌ منك نَفْسًا ووالِدَا

تَضَيَّفْتُه يوما فقَرَّبَ مَجْلِسي   وأَصْفَدَني على الزَّمانَةِ قائِدَا

وأَمْتَعني على العَشَا بوَليدَةٍ   فأُبْتُ بخير منك يا هَوْذَ حامِدَا

فتى لو يباري الشَّمسَ أَلْقَتْ قِناعَها   أو القَمَرَ السَّارِي لأَلْقَى المَقالِدَا

يَرَى جَمْعَ ما دُونَ الثلاثين قُصْرةً   ويَعْدُو على جمعِ الثلاثينَ واحِدَا

وهي كلمةٌ.

---

(١) من س.   (٢) ر: «هذا الحضين».

(٣) ر: «وعرج».

قوله: «أتيتُ حُرَيْثًا» يريدُ الحارث. تصغيرُه عَلى لفظه[١]: حُوَيْرِثٌ.

وهذا التصغيرُ الآخَرُ يقال له تصغيرُ التَّرْخِيمِ، وهو أن تَحْذفَ الزوائدَ من الاسم ثم تصغِّر حروفَه الأصليةَ. فتقولَ في تصغير أحمدَ: حُمْيد لأنه من الحَمد. وفي الحارث: حُرَيْثٌ، لأنه من الْحَرْث. وفي غَضْبَانَ: غُضَيْب، لأنه من الغَضَب، لأن الألف والنونَ زائدتان، وكذلك ذواتُ الأربعة، تقول في تصغير «قنْديلٍ» على لفظه «قُنيْدِيل». فإن صَغَّرتَه مرَخَّمًا حَذفْتَ اليَاءَ فقلتَ: «قُنَيْدِل»، فعلى هذا مَجْرَى الباب.

وقوله: «عن جَنَابَة»، يقولُ: عن غُرْبَة وبُعْد. يقالُ: هُمْ نِعْم الحيُّ لجارِهم جار الجنَابَة. أي الغُرْبة. يقال: رجلٌ جُنُبٌ، ورجلٌ جانب، أي غريبٌ، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾[٢]. وقال الْحُطَيْئةُ:

والله مَا مَعْشَرٌ لامُوا امرًأ جُنُبًا ... في آل لأيِ بن شَمَّاسٍ بأكْيَاس

وقال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ:

فَلا تَحْرِمَنِّي نَائلا عن جَنَابَةٍ ... فإنِّي امْرُؤٌ وَسْطَ القِبَابِ غَرِيبُ

فمن قال للواحد: جُنُبٌ قال للجميع: أجْنَابٌ، كقولك: عُنُقٌ وأعناقٌ، وطُنُبٌ وأطنابٌ. ومن قال للواحد: جَانِب، قال للجميع: جُنَّابٌ. كقولك: راكبٌ ورُكَّابٌ، وضاربٌ وضرَّاب. قالت الْخَنْساءُ:

ابْكِي أخَاكِ لأيتَامٍ وأرْمَلةٍ ... وابْكِي أخَاكِ إذا جَاوَرْتِ أجْنَابا

وإن كان من الْجَنَابَة التي تُصيب الرجلَ قلتَ: رجلٌ جُنُبٌ، ورجلان جُنُبٌ وكذلك المرأةُ والجميعُ، وقد تجوزُ وليس بالوجْه. رجُلان جنبان، وامرأةٌ جُنُبَةٌ، وقومٌ أجْنَابٌ.

وقوله:

* يَرَى أسدًا في بيته وأساودا *

---

(١) س: «على اللفظ». (٢) سورة النساء: آية ٣٦.

يريد جَمْع أسْوَدَ سالخ، وأسودْ هاهنا نعتٌ، ولكنّه غالبٌ، فلذلك جَرَى هاهنا مَجْرى الأسماء، لأنه يَدُلُّ على الْحَيَّة، و «أفعل»، إذا كان نعتًا بنفسه فجمعهُ: «فُعْلٌ»، نحو: أَحْمَر وحُمْر، وأَسْوَدَ وسُود، وإذا كان نعتًا فأُجْرِيَ مُجْرَى الأسماء فجمعُه: «أفاعل» نحو أَسَاوِد، وأَجَادِلَ، وأَدَاهِمَ، إذا أردت القَيْد، لأنَّهُ نعتٌ غالبٌ يَجْرِي مَجْرَى الأسماء، وإن أردتَ أَدْهَمَ - الذى هو نعتٌ محضٌ - قلتَ: دُهْمٌ، قال الأشهَبُ بن رُمَيْلَة:

أُسُودُ شَرًى لاَقتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا على حَرْدٍ دمَاءَ الأساوِدِ

فأجراه مجرى الأسماء. نحو: الأصاغِر، والأكابر، والأحامد.

وقوله:

لَعَمْرك ما أشبَهْتَ وعلَةَ فى النَّدى شمائله ....

فإنه جعل: «شمائلَه»، بدلا من: «وَعْلَةَ»، والتَّقْديرُ: ما أَشْبَهْتَ شمائلَ وعْلَة.

والبدلُ على أربعة أضرب:

فواحد منها أن يُبْدَلَ أحدُ الاسْمَيْن من الآخر إذا رجعَا إلى واحد. ولا يُبَالي أَمَعْرِفتَيْن كانا أم معرفةٍ ونكرة، وتقولُ: مررت بأخيك زيد، لأنَّ «زيدًا» هو الأخُ، وكذلك: مررتُ برجلٍ عبد الله، فهذا واحدٌ.

وآخرُ أن يُبْدَلَ بعضُ الشيء منه. نحو: ضربتُ زيدا رأسَهُ، لمَّا قلتَ: ضربتُ زيدًا، أردتَ أن تُبيِّنَ موضعَ الضرب منه.

فمثْلُ الأوَّل قولُ الله تباك وتعالى: ﴿اهْدنا الصِّرَاطَ الْمستَقيمَ * صرَاطَ الذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيهِمْ﴾[1]. وَقولُه: ﴿وإنَّكَ لتَهْدَى إلى صرَاط مستَقيمٍ * صرَاط الله﴾[2]. و ﴿لَنَسْفَعًا بالنَّاصيَة * ناصيَة كَاذبَة خاطئة﴾[3].

ومثْلُ البدَل الثاني قوله: ﴿ولله عَلى الناسِ حِجُّ الْبَيْت مَن استَطاعَ إلَيْه سَبيلا﴾[4].

(١) سورة الفاتحة ٦، ٧ .
(٢) سورى الشورى ٥٢، ٥٣ .
(٣) سورة العلق ١٥، ١٦ .
(٤) سورة آل عمران ٩٧ .

مَنْ، فى موضع خفض، لأنها بدلٌ من«الناس»، ومـثْلُه، إلا أنه أُعيدَ حرفُ الخَفْض: ﴿قال الملأُ الّذينَ استكْبَرْوا منْ قومه للّذينَ استُضْعفُوا لمَنْ آمَنَ منهُمْ﴾[1].

والبدَل الثالث مـثْلُ ما ذكرنا فى البيت، أبْدَل: «شمـائله» منه. وهى غيرُه، لاشتمال المعنى عليها، ونظيُر ذلك: أَسْأَلُكَ عن زيد أَمْره. لأَن السؤالَ عن الأَمْر. وتقـولُ على هذا: سُلب زيدٌ ثوبه، فالثـوبُ غيـرُهُ، ولكن به وقعَ السَّلْبُ. كـما وقعت المسألَة عن خبرِ زيد، ونظيرُ ذلك من القرآن: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهرِ الْحَرَامِ قتَال فيه﴾[2]. لأنَّ المسألَةً إنما كانت عن القتال: هل يكون فى الشهر الحرام؟ وقال الشاعر [وهو الأخْطَلُ][3]:

إنَّ السُّيُـوفَ غـدُوَّها ورَوَاحَـهـا تَرَكَتْ هَوَازنَ مثْلَ قَـرْنِ الأعْضَبِ[4]

وبدَلٌ رابعٌ. لا يكونُ مثْـلُه فى القرآن ولا فى الشِّعْـر، وهو أن يَغْلَطَ المتكلِّمُ فيستدرك[5] غَلَطَهُ، أو يَنْسَى فيذْكُـرَ فيرجعَ إلى حقيقة مـا يَقْصدُ له، وذلك قوله: مررتُ بالمسجد دارِ زيد، أراد أن يقولَ: مـررتُ بدار زيد، فإمَّا نَسيَ، وَإمَّا غلطَ، فاستَدْرَكَ فوضَعَ الذى قَصدَ له فى موضع الذى غَلطَ فيه.

وقوله: «بجَوٍّ» فهى قصبةُ اليمَامَة.

وقوله: «تَضَـيَّفْـتُه يومًـا»: إنما هو «تَفَعَّلْتُـهُ»، من الضِّيـافة. يقـال: ضفْتُ الرجلَ، أىْ نزلتُ به، وأَضافَنى، أى أَنْزَلَنى.

وقوله: «وأَصْـفدَنى»: يقـولُ: أعطانى، وهو الإصْـفَادُ، والصَّـفَدُ الاسمُ، والإصْفَادُ المصدرُ، قال النابغةَ:

* فلم أعرِّضْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بالصَّفَدِ *

ويقـال: صَفَـدت الرجلَ فهـو مَصْـفُودٌ، من القـيْد، ولا يقـال فى القيـد أصفدت، ولكن صفَدْتُهُ صفْدًا، واسمُ القيْد الصَّفَدُ، قال اللّه جلَّ وعزَّ: ﴿مُقرَّنين فى الأصفاد﴾[6]. كقولك: جَمَلٌ وأَجْمَالٌ، وصَنَمٌ وأَصْنَامٌ.

---

(1) سورة الأعراف ٧٥ .
(2) سورة البقرة ٢١٧ .
(3) من س .
(4) الأعضب: الكبش المكسور القرن.
(5) ر: «فيدرك».
(6) سورة ص ٣٨ .

وقوله: «فتى لو يبارى الشمسَ»، يقول: يُعارض، يقالُ: انْبَرَى لى فلان، أى اعترضَ [لى[1]] فى هذا المعنى، وفلانٌ يُبَارى الرِّيحَ، منْ هذا، أى يعارضُ الريح بجُوده، فهذا غير مهموز. فأمَّا: بَارَأْتُ الكَرِىَّ فهو مهموز، لأنَّه من أَبْرَأَنى وأبرأتُه. ويقال: بَرَأَ فلانٌ من مَرضه، وبَرِئَ يافتَى؛ والمصدرُ منهما البُرْء فاعلمْ، وبرَيْتُ القلمَ غيرُ مهموز. واللهُ البارئ المصَوِّرُ. ويقال: ما بَرَأَ اللهُ مثلَ فلان، مهموز، وقولك: «البَرِيَّةُ»، أصلُه من الهمز، ويُخْتارُ فيه تخفيفُ الهمز، ولفظ التخفيف والبدل واحد، وكذلك يُخْتارُ فى «النَّبىِّ» التخفيفُ، وَمَن جعلَ التخفيفَ لازمًا قال فى جمعه: أنبياء، كما يُفْعَلُ بذوات الياء والواو، وتقول: وَصىٌّ وأوصياءُ، وتقىٌّ وأتقياءُ، وشقىٌّ وأشقياءُ. ومَن هَمزَ الواحدَ قال فى الجمع: نُبَآء، لأنه غيرُ مُعْتَلٍّ، كما تقول: حكيمٌ وحكماءُ، وعليمٌ وعلماءُ وأنبياءُ لغة القرآنِ والرسولِ ﷺ . وقال العباسُ بن مرداس السُّلَمىُّ:

يا خاتَم النّبَآءِ إنكَ مُرسَلٌ ... بالحقِّ كلُّ هُدَى السَّبيل هُدَاكا[2]

وقوله:

* أو القَمَر السَّارى لألْقَى المَقَالدَا *

إنما سكّن[3] الياءَ ضرورةً، وإنما جازَ ذلك لأنَّ هذه الياءَ تَسْكُنُ فى الرفع والخَفْض، فإذا احتاجَ الشاعرُ إلى إسكانها فى النصب قاسَ هذه الحركةَ على الحركتين: الضَّمَّة والكَسرة الساقطتين؛ فشبَّهَها بهما، فَجَعَلَها كالألف التى فى: «مثنى» التى هى على هيئةٍ واحدة فى جميع الإعراب، قال النابغة:

رَدَّتْ عليه أقاصيه ولبَّدَهُ ... ضَرْبُ الوَليدَةِ يا مِسْحاةُ فى الثأدِ[4]

فأسْكنَ الياء فى: «أقاصيه». وقال رُؤْبةُ:

كأنَّ أيديهنَّ بالقَاعِ القَرِقْ[5] ... أيْدى جَوَارٍ يَتَعَاطين الوَرِقْ[6]

(١) تكملة من س.

(٢) س: «كل هدى السماء».

(٣) ر: «فأسكن». (٤) الثأد: الثرى.

(٥) القاع والقاعة ما انبسط من الأرض. والقرق: القاع لا حجارة فيه.

(٦) من زيادات ر. «والورق هو ورق الشجر، يضرب بالعصا فيتناثر فتلتقطه الجوارى بسرعة لعطف الإبل وغيرها».

وقال:

* سَوَّى مَسَاحِيهِنَّ تقْطيط الحُقَق[1] *

[ويُروَى: «تقطيطَ»، بالنصب، وهو أجودُ، لأن بعدَه:

* تفْليلُ مَا قارَعْنَ مِنْ سُمْر الطُّرَقَ *

والطُّرَقُ: جمع طُرْقة][2].

وقال آخرُ:

كَفَى بالنَّأى من أسماء كافِ ... وليس لِحُبِّها ما عِشْتُ شافِ

وأما قوله:

وأمْتَعَنِى على العَشَا بوليدةٍ ... فأبْتُ بخيرٍ منك يا هَوْذَ حَامِدا

فإنه كان يتحدّث عنه. ثم أقبل عليه يخاطبه، وترك تلك المُخاطبة.

والعرب تتْرُك مخاطبةَ الغائب إلى مخاطبة الشاهد، ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب. قال الله جلَّ وعزَّ: **﴿حتَّى إذَا كُنتُمْ فى الفُلْك وجَرَيْنَ بهمْ بريح طَيِّبة﴾**[3]. كانت المخاطبةُ للأُمَّة، ثم صُرفت[4] إلى النبى ﷺ إخْبَارًا عنهم. وقال عَنْتَرةُ:

شَطَّتْ مَزَارُ العاشِقِينَ فَأَصبحت ... عَسِرًا عَلَىَّ طِلابُكِ ابنَةَ مَخْرَمِ

فكان يحدِّث[5] عنها ثم خاطبها. ومثلُ ذلك قول جرير:

وتَرَى العَواذلَ يَبْتَدِرْنَ مَلامَتِى ... فإذا أرَدْنَ سِوى هَواكِ عُصِينَا

وقال الآخر:

فدى لك والدى وسراة قومى ... وما لى إنه منه أتانى

وهذا كثيرٌ جداً.

---

(1) المساحى هنا: الحوافر، على التشبيه.

(2) ما بين العلامتين من زيادات ر. وتفليل: تكسير. ما قارعن: ما ضربن بها. والطرق: حجارة طارقة بعضها فوق بعض.

(3) سورة يونس ٢٢.

(4) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «انصرفت».

(5) ر: «يتحدث».

وقوله :

* يَرَى جَمْعَ ما دون الثلاثين قَصْرَةً *

أى قليلا . من الاقتصار . ويُرْوَى : «ويَغدو» . و «يَعْدُو» جميعًا .

[من أخبار هوذة بن على]

وكان هَوْذةُ بـن علىٍّ ذا قَدر عـالٍ، وكان[1] له خَرَزاتٌ تنْظَمُ فـتُجْعَلُ على رأسه . تَشَبُّهًا بالملوك .

وحـدثنى التَّوَّزىُّ عن أبى عُـبَيْـدةَ . قال : مـا تَتَّوجَ مَـعَدِّىٌّ قَطُّ، إنما كـانت التيجانُ لليمَن، قال : فسألْتُه عن قول الأعشى لهَوذة[2] .

مَنْ يَرَ هَوَذَةَ يَسْـجُدْ غـيـرَ مُتَّـئِب ... إذا تَعَـمَّمَ فـوقَ التاجِ أو وَضَـعَـا

قال : إنما كانت خَرَزَاتٌ تُنْظَمُ له[3] .

* * *

وكتبَ رسولُ الله ﷺ . إلى هوذةَ . كما كَتَبَ إلى الملوك .

وكانت بنو حَنيفةَ بن لُجَيْم أصحابَ اليمامة، ويقولُ بعض النسَّابين :

إنَّ عُبَيْدَ بن حنيفةَ كان أَتَى اليمامـةَ وهى صَحْراءُ، فاخْتَطَّهَا، فجَعل يَرْكُض حوالَيْهَا برمحه فى الأرض على مـا أصاب من النخلِ، وأنهم أكلوا ما أصابوا تحتَه من التَّمر، فلمـا طَلَعَ لهم التَّمرُ بَعدُ لم يهـتَدُوا لصُعُودِ النَّخْل، فـأقبلوا يَجُدُّونَه، حتى فَكَّرُوا فأعَدُّوا له السَّلالم، فلما عَمرَت اليمامَةُ جَعَلت العربُ تَنْجعُهمْ لموضع التمـر فيُجَاورُونَ العَـزيزَ منهم، وكان يقالُ لمن دخلهـا من هؤلاء : السَّوَاقط ؛ ممن كانوا .

* * *

ويقالُ إن اليمامة والبَحْـرَيْن والقَرْيَتَيْنِ ومواضعَ هناك كانت لطَسْم وجَديس، والخبرُ فى ذلك مشهورٌ بزَرْقاءِ اليمَامة، وقد ذكر ذلك الأعشى فى قوله :

---

(١) ر . «وكانت» . (٢) ساقطة من ر .

(٣) ذكر ابن الأثير أن كسرى أنو شروان لما دخل عليه هودة بن على أعجب به . فدعا بعقد من در فعقد على رأسه، ومن ثم سمى هوذة ذا التاج . نقله الموصفى .

[مـا نَظَـرَتْ ذاتُ أَشْـفَـارٍ كَنَظْـرَتِهـا ... حَقًّـا كما نطَقَ الذِّئبىّ إذْ سَجـعَا](١)

قـالتْ أرَى رَجُـلا في كَـفِّـه كَـتِفٌ ... أ يَخْـصِفُ الـنعلَ لَهْـفِى أَيَّة صَـنَعَـا

وكَـذَّبُوها بِمـا قـالت فَـصَبَّـحَهُمْ ... ذو آل غَسَّانَ يُزْجِى الموتَ والشَّرَعَا(٢)

* * *

وحدثنى التَّوَّزىُّ عن أبي عُبيدةَ والأَصْمَعِى عن أبى عَمْرو قال: قال لى رجلٌ من أهل القريتين: أُصِبْتُ هاهنا دَراهمَ، وَزْنُ الدرهم ستة دراهمَ وأربعة دَوانيقَ، من بقايا طَسْمٍ وجَدِيسَ، فخفتُ السلطانَ فأَخفيتُها.

وقد ذكر ذلك زهَيْرٌ فى قوله:

عَهِدى بهم يومَ بـاب القريتين وقد ... زالَ الهمَاليجُ بالـفرُسْان واللُّجُمِ(٣)

فـاَسـتبـدلتْ بعـدَنا دَارًا يَمَـانِيَـةً ... تَرْعَى الخَرِيفَ فأَدْنى دَارِها ظَلَمُ(٤)

[لجرير يهجو بنى حنيفة]

وقال جرير يهجو بنى حنيفة:

هَجَـانِىَ الناسُ م الأحْـيَـاء كُلهم ... حتى حنَيـفة تَفْسُو فى مَنَاحِـيهَا(٥)

أصحـابُ بخلٍ وحيطان ومَـزْرَعَة ... سيُـوفهمْ خُشُبٌ فـيها مَـسَاحِـيهَا

دَلَّتْ وأعطتْ يدًا للسِّلْم صـاغرةً ... منْ بعد مـا كاد سيفُ الله يُفْنيـها

صارت حنيـفـةُ أثـلاثًا فَـثُلْثُـهُمُ ... أَضْحَوْا عَـبِيدًا وثلْثٌ من مَوَالِـيهَا

قوله: «مَنَاحِيـهَا»، المَنْحَاةُ: مَقَامُ السَّانيةِ على الحوض، والحائطُ: البستان وقوله:

---

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر. والذئبى هو سطيح الكاهن؛ وهو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن عدى؛ وكان ضعيفا منبسطا لا يقدر أن يقعد (من شرح ديوان الأعشى ٧٤).

(٢) الشرع: الأوتار. واحده شرعة.

(٣) ر. «عهد بها»، وما أثبته رواية الديوان ١٥٠، والأصل، س. وباب القريتين، التى فى طريق مكة؛ وهى قرية كانت لطسم وجديس. والهماليج: جمع الهملاج؛ وهى الدالة فى سيرها سرعة ويخترة؛ يريد بها هنا الإبل.

(٤) يمانية: ناحية اليمن. وظلم: اسم جبل.

(٥) زيادات ر: «تعبر بنو حنيفة بالفسو؛ لأن بلادهم بلاد نحل، فيأكلون ويحدث فى أجوافهم الرياح والقراقير».

* مِنْ بعد ما كاد سيفُ اللهِ يُفْنيها *

يعنى خالدَ بن الوليـد بن المغيرة بن عبد الله بن عـمر بن مخزوم فى وقـعته بمسيْلمَةَ الكذَّاب. وللنَّسَّابينَ بعد هذا قولٌ مُنْكَرٌ.

* * *

وقال جَرير:

أبَنِى حَنيـفَـةَ نَهْنِهُـوا سُفَـهَـاءَكُمْ ... إنى أخـاف عليكُمُ أن أغْـضَبَـا[1]

أبنى حـنيـفـةَ إننى إن أهْـجُكُمْ ... أَدَعِ اليـمَـامَـةَ لا تُوَارِى أَرْنَبَـا

[لعمارة بن عقيل يهجو بنى حنفية]

وقال عُمَارَة بنُ عقيل:

بَلْ أيُّهَـا الراكبُ الماضـى لطيَّـتـه ... بَلِّغ حنيـفـةَ وانْشـرْ فـيـهمُ الخَـبـرا

أكـان مَـسْلَمـةُ الـكذّابُ قـالَ لكم ... لن تُدْركُوا المَجْد حتى تُغضبُوا مُضَرا

مَهْـلا حنيفـةُ إنَّ الحربَ إنْ طَرَحَتْ ... عليكمُ بَرْكَـهَـا أسْـرعتُم الـضَّجَـرا

البَرْكُ: الصَّـدْرُ، إذا فتحت الباءَ ذَكَّـرْتَ، وإن أردتَ التأنيثَ كسـرتَ الباءَ، قلتَ: بِرْكة، قال الجَعْدِىُّ:

ولوْحَـا ذِرَاعَـيْن فى بِرْكَـةٍ ... إلى جُـؤْجُـؤ رَهِلِ المَنْكِبِ[2]

* * *

وزَعم الأصمعىُّ أن زيادًا كان يُقال له: أشْعَرُ بَرْكا لأنه كان أشْعَرَ الصَّدْر.

وغيرُ الأصمعىّ زعم[3] أن هـذا كان يقال للوليد بن عُـقْبَة بن أبى مُعَيْطِ بن أبى عَمْرو بن أُمَيَّةَ.

---

(١) نهنهوا سفهاءكم: كفوهم وازجروهم.

(٢) الجؤجؤ: الصدر، أو مجتمع رءوس عظام الصدر، والمنكب: مجتمع العضد والكتف. ورهله: استرخاؤه من السمن.

(٣) كذا فى الأصل س، وفى ر «يزعم».

[من أخبار الوليد بن عقبة وشعره]

وذكروا أن عَدِىَّ بن حاتم بن عبد الله الطائىّ قال يومًا: ألاَ تَعْجَبُونَ لهذا، أَشْعَرُ بَرْكًا! يُوَلَّى مثلَ هذا المصر! والله ما يُحْسِنُ أَنْ يَقْضِىَ فى تمرتين. فبلغ ذلك الوليد فقال على المِنْبَر: أنشد اللهَ رجلا سمّانى أشعر بركا إلا قام! فقامَ عدىُّ بن حاتمٍ فقال: أيها الأميرُ، إن الذى يقومُ فيقولُ: أنا سميتُكَ أَشْعَرَ بَرْكًا لَجرىءٌ، فقال: اجلس يا أبا طَرِيفٍ؟ فقد بَرَّأَكَ اللهُ منها. فجلسَ وهو يقولُ: واللهِ ما بَرَّأَنى اللهُ منها.

* * *

وكانت أمُّ الوليد بن عُقْبَةَ أُمَّ عثمان بن عَفَّانَ رحمهما الله ، وهى أَروَى بنتُ كُرَيْز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بْن عبد مناف. وأُمُّها البَيْضَاءُ بنت عبد المُطَّلب بن هاشم، ومن ثمَّ قال الوليد لعلىّ بن أبىٍ طالب رحمه الله: أنا أَلْقَى رسولَ الله ﷺ بأُمِّى من حيثُ تَلْقَاه بأبيك.

وكان يقال للبَيْضَاء بنت عبد المطلب: قُبَّةُ الديبَاجِ. واسمها أُمُّ حكِيمٍ، ولذلك قيل لعثمان وللوليد[1] يابن أَرْوَى، وَيا بنَ أُمِّ حكيم .

* * *

وقال الوليد لبنى هاشمٍ لهذا النَّسب[2] حين قُتلَ عثمان رحمه الله:

بنى هاشمٍ رُدُّوا سلاَحَ ابنِ أُختكمْ ... ولا تُنْهِبُوهُ لا تحلُّ مَنَاهِبُهْ
بنى هاشمٍ كيفَ الهَوَادَةُ بيننا ... وعندَ علىٍّ درْعُهُ ونَجَائبُهْ
هُمُ قَتلوه كَىْ يكونوا مكانَه ... كما غَدَرَتْ يومًا بكسْرَى مرَازِبُهْ

وهذا القول باطلٌ. وكان عُرْوة بن الزبير إذا ذَكر مقْتَلَ عثمان يقولُ: كان علىٌّ أَتْقَى لله مِن أن يقتل عثمان[3]. وكان عثمانُ أَتْقَى لله مِن أن يقتله على[4].

(١) كذا فى الأصل س. وفى ر «أو للوليد».
(٢) كذا فى الأصل س. وفى ر. «السبب».
(٣) ر. «من أن يعين فى قتل عثمان».
(٤) ر. «من أن يعين فى قتل».

وقال الوليدُ بن عُقْبَةَ:

أَلاَ إنَّ خَيْرَ النَّاسِ بعد ثلاثة ... قَتيلُ التّجيبىّ الذى جاء من مصر[1]
ومـا لِىَ لا أَبْكِى وتَبكِى أقاربى ... وقد حُجِبَتْ عنا فُصولُ أبى عَمْرو!

[لليلى الأخيلية ترثى عثمان بن عفان]

وقالت لَيْلَى الأخْيَلِيَّةُ، أنشدنيه الرِّيَاشىُّ عن الأصْمعىِّ:

أَبَعْدَ عثمان تَرْجُو الخيرَ أُمَّتُه ... وكانَ آمَنَ مَنْ يمشى على ساقِ
خَليفة الله أعطاهُمْ وخَوَّلَهمْ ... ما كان من ذَهبٍ جَمٍّ وأوراقِ
فلا تُكَذِّبْ بِوعد الله وارْضَ به ... ولا تُوَكَّلْ على شىءٍ بإشْفاقِ
ولا تقولنْ لِشَىْءٍ: سوف أفْعَلُه ... قد قدَّرَ اللهُ ما كلُّ امرئٍ لاقِ

[لآخر يرثيه أيضا]

وقال الآخرُ:

أَلاَ قُلْ لقَومٍ شاربى كأسِ عَلْقَمٍ ... بقَتْلِ إمامٍ بالمدينة مُحْرِمِ
قتَلْتُمْ أمين الله فى غير ردَّة ... ولا حَدَّ إحْصانٍ ولاَ قَتْلِ مُسْلِم
تَعَالَوْا فَفَاتُونا فإن كان قَتْلُه ... لواحدة منها يَحِلُّ لكم دَمى[2]
وإلاَّ فأعظمْ بالذى قد أتيتُمْ ... ومَنْ يأتِ ما لم يَرْضَهُ اللهُ يَظْلِمِ
فلا يَهْنِئَنَّ الشامتين مُصابُهُ ... فحَظُّهُمُ من قتله حَرْبُ جُرْهُمِ[3]

* * *

وأنشدنى الرِّياشىُّ عن الأصمعىِّ:

[قال أبو الحسن: هذا الشعر لابن الغريرة الضبى:]

لعَمْرُ أبيكَ فلا تَذْهَلَنْ ... لقد ذَهَبَ الخَيْرُ إلا قليلا
وقد فتن الناسُ فى دينهمْ ... وخلَّى ابنُ عَفَّانَ شرًّا طويلا

---

(١) ر: «التجوبى» صوابه فى الأصل. س منسوب إلى تجيب. قبيلة.

(٢) فماتونا، فحاكمونا، وفى ر «فحل»، على الفعل الماضى، وما أثبته عن الأصل.

(٣) نقل المرصفى عن الطبرى أن الشعر لحنات بن يزيد المجاشعى عم الفرزدق.

ومثله قول الراعي:

قتَلوا ابنَ عَفَّانَ الخليفةَ مُحْرِمًا ... وَدَعَا فلم أرَ مثلَهُ مَخْذولا
فتَفَرَّقَتْ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ عَصَاهُمْ ... شِقَقًا وأصبح سَيْفُهم مسلولا[1]

قوله: «مُحْرِمًا» يريد في الشهرِ الحرام، وكان قُتلَ في أيَّام التشريق. رحمه الله.

[لأيمن بن خريم يرثيه أيضا]

وقال أَيْمن بن خُرَيْم بن فاتك الأسَدِيُّ. وكانت له صحبةٌ:

تفَاقدَ الذَّابحُو عثمان ضاحيَةً[2] ... أيَّ قتيلِ حَرام ذُبِّحوا ذَبَحوا
ضَحَّوْا بعثمانَ في الشهر الحرام ولم ... يخْشَوْا على مطمح الكفِّ الذى طَمَحُوا
فأيَّ سُنَّة جَوْرٍ سنَّ أوَّلُهم ... وبابِ جَوْرٍ على سُلْطانهم فَتَحُوا
ماذا أرادوا أضَلَّ اللهُ سَعْيَهُمُ ... منْ سَفْحِ ذاك الدَّم الزَّاكى الَّذى سَفَحُوا
فاسْتَوْرَدَتْهُمْ سُيوفُ المسلمِين على ... ظِمْءٍ كما يسْتَوْرِدُ النَّضَحَ[3]
إنَّ الذين تَوَلَّوا قتله سَفَهًا ... لَقُوا[4] أَثَامًا وخُسْرَانًا فما رَبِحُوا

الظِّمْءُ: ما بين الشَّرْبَتَيْن، وقولُه: «ضَحَّوا بعثمان»: إنما أصله فُعِلَ في الضُّحَى، قال زهير:

ضَحَّوْا قليلا على كُثْبَانِ أسْنُمَة ... وَمنهم بالقَسُومِيَّاتِ معتَرَكِ[5]

أى نزلوه ضُحًى. ويقال: بيَّتوا ذاك. أى فعلوه ليلا. قال الله جل وعز: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾[6]. وأنشد أبو عبيدة:

---

(١) شققا: جمع شقة، بالكسر، وهي الشطبة.

(٢) ضاحية: علانية.

(٣) استوردتهم: من استورد الماء؛ أى ورده، يريد درات سيوفهم دم عثمان على عطشها.

(٤) رواية الديوان ١٦٥:

* وعَرَّسُوا ساعة في كُثْبِ أَسْنُمَةٍ *

وما أورده المبرد، هي رواية الأصمعي أسنمة: موضع بعينه. كذلك القسوميات، مواضع، والمعترك المزدحم

(٦) سورة النساء ١٠٨

أَتَوْني فلم أَرْضَ ما بَيَّتُوا وكانوا أَتَوْني بأَمرٍ نُكَرْ
لأُنكِحَ أَيِّمَهُم مُنْذِرًا وهل يُنكِحُ العبدَ حُرٌّ لِحُرّ!

وقوله:

* من سَفْح ذاكَ الدمِ الزاكي الذي سَفَحُوا *

أي في صَبِّ ذاك الدم، يقال: سَفَحْتُ دَمَهُ وسَفَكْتُ دَمَهُ، قال اللهُ تعالى: ﴿إلاَّ أَنْ يكونَ مَيْتة أَوْ دمًا مسْفُوحًا﴾[1].

وقوله: «على تمام ظِمْءٍ» فهذا مَثَلٌ، وأصلُ الظِّمْءِ: أن تشربَ الإبل يومًا ثم تُغَبَّ يومًا لا تَرِدُ الماء، فما بين الشَّرْبتين ظِمْءٌ، فيكونُ الظِّمْءُ يومين، فيقال له: الرِّبْعُ، كما يقال في الحُمَّى، لأنهم يعتدُّونَ بيومَيْ شَرْبها. والخِمْسُ: أن تَظْمأَ ثلاثةَ أيامٍ، والنَّضَحُ: الحوْضُ.

والأثام: الهلاكُ، قال الله عزَّ ذكْرُه: ﴿وَمَن يفْعَلْ ذَلكَ يَلْقَ أثامًا﴾ ثم فسَّرَ فقال: ﴿يضاعَفْ لَه العذابُ يومَ القيامَةِ ويَخْلُدْ فيه مُهانًا﴾[2]. فجزم «يُضاعفْ» لأنه بدلٌ من قوله: «يلْقَ أثامًا» إذْ كان إيَّاه في المعنى، وأنشدني أبو عبيدة:

جزَى اللهُ ابنَ عُرْوَةَ إذ لَحِقْنَا عُقُوقًا والعُقُوق من الأثام

وقوله: «على مطْمَح الكَفِّ» يقول: على رَفْعِها وإبعادها، يقال: طَمَحَ بَصَرُه، إذا ارتفع فأبْعَدَ النَّظرَ، قال امرؤ القيس:

لقد طَمَحَ الطمَّاحُ من بُعْدِ أرْضِه لِيُلْبِسَني من دَائه ما تَلَبَّسَا

(١) سورة الأنعام ١٤٥

(٢) سورة الفرقان ٦٨ ، ٦٩ .

بـابـ

فى التَّشْبيـه

قال أبو العبـاس: وهذا بابٌ طريفٌ نَصل به هذا البابَ الجـامعَ الذى ذكرناه وهو بعضُ ما مرَّ للعرب من التشبيه المُصيب، وللمحدثين[1] بعدهم.

* * *

فأَحْسنُ ما جاء بإجماع الرُّواة ـ: ما مَرَّ لامرئ القيس فى كلامٍ مختصر، أى بيتٍ واحد، من تشبيه شيء فى حالَتين مختلفتين[2] بشيئين مختلفين، وهو قوله:

كـأنَّ قـلوبَ الطَّيــرِ رَطبًـا ويابـسًـا ... لَدى وَكْرِهَا العُنّابُ والْحَـشفُ البَالى[3]

فهذا مـفهومُ المعنَى، فإن اعتـرضَ معترضٌ فـقال: فهَلاَّ فَصَلَ فـقال: كأنه رطبًا الْعُـنابُ وكأنه يابسا الحـشَفُ! قيل له: العـربىُّ الفصـيحُ الفَطِنُ اللَّقِنُ يَرْمى بالقولِ مفـهومًا، ويَرَى ما بعد ذلك من التكرير عِيًّـا، قال الله جل وعزَّ، وله المثلُ الأعلَى: ﴿**وَمِنْ رَحْـمَـته جَـعَل لكُم الليلَ وَالـنَّهَارَ لتَسكُنُوا فـيـه ولِتَـبْتَـغُـوا مِنْ فَضْله**﴾[4]، علَمًا بأن المخاطَبِينَ يعلمون[5] وقتَ السُّكون ووقتَ الاكتساب.

* * *

ومنْ تمثيلِ امرئ القيس العجيب قوله:

كأنَّ عُـيونَ الوَحْش حَـولَ خِبَـائنَا ... وأَرْحُلِنَا الجَـزْعُ الـذى لم يثـقَّبِ[6]

ومن ذلك قوله:

إذا ما الثُّـريَّا فى السمـاءِ تعرَّضَتْ ... تَعَـرُّضَ أَثْنَاءِ الْـوِشَـاحِ المفـصَّلِ[7]

---

(١) ر: «والمحدثين»: وما أثبته عن الأصل، س. (٢) ساقطة من ر.

(٣) الحـشف البـالى: ردىء النمر؛ قـال شـارح الديوان ٣٨: «وإنما خص قلوب الطيـر جـاءت بقلوبهـا إلى أفراخها».

(٤) سورة القصص ٢٣. (٥) ر «يعرفون».

(٦) الجزع: خرز فـيه بياض وسـواد. شبه عيـون الوحش لما فيهن من السـواد والـبياض بالخرز. وجعلـه غير مثقب؛ لأن ذلك أصفى له وأتم لحسنه.

(٧) تعرضت: أى أرتك عـرضها. أى ناحيـتها، والوشاح المفـصل. الذى جعل بين كل حرزتين فـيه لؤلؤة. والأثناء: جمع ثنى.

وقد أَكْثَرُوا فى الثُّرَيَّا[١]. فلم يأتُوا بمن يقــاربُ هذا المعنى، ولا بما يقــاربُ سُهولةَ هذه الألفاظ.

* * *

ومن أعجب التشبيه قولُ النابغة:

فــإنَّكَ كــالليل الَّذِى هُوَ مُـدْرِكِى وإِنْ خلْتُ أَنَّ المُـنْتَـأَى عـنك واسِعُ

وقوله:

خَطاطيفُ حُجْـنٌ فى حِبَالٍ مَتينةٍ تُمَـــدُّ بِـهــــــا أيْـدٍ إلىَّ نَـوَازِعُ[٢]

وقوله:

فــإنــكَ شــمسٌ والملوكُ كـــواكبٌ إذا طَلَعَتْ لــم يَبْـدُ منهنَّ كـــوكبُ

* * *

ومن عجيب التشبيه قولُ ذى الرُّمَّةِ:

ورَدْتُ اعْـتِـسَافًـا والثـرَيَّا كـأنهـا على قِـمَّةِ الرأس ابنُ مَاءٍ مُـحَلِّقِ[٣]

وقوله:

فــجــاءَت بنَسْجِ العَنكبـوتِ كـأنَّه على عـصَوَيْهـا سَابِرىٌّ مُـشَبْـرُقِ[٤]

وتأويله[٥] أنه يَصِفُ مــاءً قديمًا لا عَهْـدَ له بالورَّادِ[٦]. فقد اصـفرَّ واسْوَدَّ، فقال:

وماء قديم العــهد بالناس[٧] آجن كأن الدِّبا مــاء الغضــا فيــه تبصق[٨]

---

(١) ر: «وقد أكثر الناس فى الثريا».

(٢) الخطاطيف: جمع خطاف، وهو حـديدة معقوفة الرأس. ونوازع: جـواذب، يقول: ولك خطاطيف أُجَرُّ بها إليك. فليس عنك مهرب.

(٣) الاعتساف: السير على غير هدى، وابن الماء: طير من الطيور محلق على مرتفع (من شرح ديوانه ٤٠١).

(٤) العصوان: عرقوبا الدلو، والعرقويان: خشبتان.

(٥) ر: «وتأويل هذا». (٦) ر: «بالواردة».

(٧) ر: «قديم العهد بالإنس»، وما أثبته هو رواية الديوان والأصل: س.

(٨) آجن، متغير الطعم واللون. والدبا. الجراد. والغضا: شجر له هدب إذا أكلته الإبل اشتكت بطونها.

وقد أجاد عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ الْفَحْلُ فى وصف الماء الآجن، حيث يقول:

إذا وَرَدَتْ مـاءً كَـأَنَّ جِـمَـامَـهُ من الأَجْنِ حِنَّـاءٌ مَـعًـا وصَـبِيبُ

فقال ذو الرُّمَّة في وصف هذا الماء، فَقَرنَ بتغيُّره بُعْدَ مَطْلبه. فقال:

فـأَدْلَى غُـلاَمِي دَلْوَهُ يَبْـتَـغِي بهـا شـفـاءَ الصَّـدَى والَلَّـيلُ أَدْهَمُ أَبْلَقُ

يريدُ أَنَّ الفجرَ قد نَجَمَ فيـه، فجاءَتْ - يعنى الدَّلْوَ - بنَسجِ العنكبوت. كأنه عَلَى عَـصَوَيْـها سَـابرىٌّ مُـشَبْـرَقُ. والسـأَّبرِى: الرقَّيق مُـن الثيـاب والدروع[1]. والمشبرق: الممزق. وأنشد أبو زيد:

لهَـوْنا بسرْبَالِ الشَّـبَابِ مُـلاوَةً[2] فـأصبَحَ سِـرُبالُ الشَّـباب شـبارِقًـا

* * *

ومن التشبه العجيب قولُ ذى الرُّمَّة فى صفة الظليم:

شَخْتُ الجِـرازة مثْلُ البـيت سائِرُهُ مِن المسـوح خِدَبٌ شَـوقَبٌ خَـشِبُ

الشَّخْتُ: الضَّـئِيلُ اليابسُ الضَعِـيفُ. الجُزارةُ القوَائم. وقوله: «مِـثْلِ البيتِ سائرُه مِن الْمسوحِ». يعنى إذا مدَّ جَنَاحَيْه. وَإنما أخَذه من قول علقمة بن عَبَدَةَ:

صَـعْلُ كـأنَّ جَنَاحَـيْه وجُـؤْجُـؤَهُ بيتٌ أَطافتْ به خَـرقْـاءُ مَـهْـجُـومُ

الصَّعْلُ: الـصغيـرُ الرأسِ. الخَرْقـاءُ التى لا تُحسِن شـيئًا. فـهى تُفْسِـدُ ما عرَضتْ له. قال الحُطَيْئَة:

هُم صَنَعُـوا لِجَـارهِمُ ولـيـستْ يَدُ الخـرقــاءِ مِـثلَ يَدِ الـصَّنَاعِ

والمهجومُ: المـهدُوم، وفى الخبر أنه لما قُتِـل بِسْطامُ بن قَيْس لم يبْقَ بيتٌ فى بكر بن وَائـلٍ إلاَ هُجِم، أى هُدِمَ، والْخِـدَبُّ: الـضَّـخمُ. والشَّـوقَـبُ الطويلُ. والخِشْب: الذى ليس بَلينٌ على مَنْ نزل به.

* * *

ومن التشبيه الْمصِيبِ قوله فى صفة رَوْضَةٍ:

---

(١) قال صاحب اللسان: «الدروع السابرية منسوبة إلى سابور». واستشهد ببيت ذى الرمة.

(٢) الملاوة: الحين من الدهر.

قَـرْحَـاءُ حَوَّاءُ أَشْـرَاطِيَّـةٌ وَكَـفَتْ فِـيهـا الذِّهابُ وَحَـفَّتْـهـا البرَاعِـيمُ

قَرْحَاءُ: يريدُ الأنْوَاءَ. وقوله: «حَوَّاءُ» يقول: تضرب إلى السَّوَاد لشدة ريها وخُضْرَتها، وكـذلك قال المفسرون[1] في قـول الله جلَّ وعـزَّ: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾[2]. تَضربان إلى الدهمة، لشدة خُضْرَتهمَا وريِّهما.

وقوله: «أشْـراطيَّةٌ» ليس مما قَصَـدْنَا له، ولكنه ممَّا يَجْرِي فنفسّـره. ومعناه: أنَّهَا مُطِرَتْ بنْوءِ الشَّرَطَيْن[3].

وحدثني الزِّياديُّ قال: سـمعتُ الأصمعيَّ - وسُئِل بحَضْـرَتي، أو سألتُه عن قوله: «أشراطيـةٌ» - فقال: باسْتـه واسْت عرْسه! وذاكَ أَنَّ الأصمعـيَّ كان لا يُنْشدُ ولا يُفَسِّـر ما كـان فيـه ذكْرُ الأنْوَاء، لقَـول رسول الله ﷺ: «إذَا ذُكرَت الـنجُومُ فأَمْسكُوا». لأنَّ الْخَـبَرَ فيَ هذا بعينه. «مُطِرْنَا بنَوْء كذا وكذا»، وكـانَ لا يُفَسِّرُ ولا يُنْشدُ شعرًا فيـه هجاءٌ. وكان لا يفسِّرُ شعرًا يوافقُ تفسيـرُه شيئًا من القرآنِ، هكذا يقولُ أصحابه، وسُئِلَ عن قول الشَّماخِ:

طَوَى ظمْأَها في بَيْضَة القيظ[4] بعدَما جَـرَى في عِنَانِ الشِّعْـرَيَيْنَ الأمَاعِـز[5]

فَأَبَى أن يفسرَ «في عنانِ الشِّعْرَيَيْن».

قوله[6]: «الذِّهَابُ[7]» فهي الأمْطَـارُ اللَّيِّنَةُ الدَّائمـةُ، ويقالُ: إنها أَنْجَعُ المطرِ في النَّبْت، وكذلك العهادُ، وأَنْشَدَ الأصمعيُّ:

أمـيـــرٌ عَمَّ بالنَّعْــمَــاء حــتى كَـأَنَّ الأرْضَ جَلَّـلَهـا العِـهُـاد[8]

والبَرَاعِيمُ؛ واحدها[9] بُرْعـومَة، وهي أكمـةُ الرَّوْض قبلَ أن تـتَفَتَّقَ. يـقال

(١) ر: «وكذا المفسرون يقولون».
(٢) سورة الرحمن ٦٤ .
(٣) الشرطان: مثنى شرط بالتحريك وهي من الحمل قرناه.
(٤) ر: «بيضة الصيف».
(٥) طوى ظمأها: فقطع بها مقدار ظمئهـا في السير. والظمء: ما بين الشربتين؛ يريد أنه سار بها فلم يوردها الماء، وبيضة القيظ: شدته. وقوله: «جرى في عنان الشعرين الأماعز» جعل للشعريين الصور والغميصاء ـ وهما كوكبان يطلعان في القيظ ـ عناناه طرفـاه محيطان برأس الأماعز، وهي الأمكنة الغليظة (من رغبة الآمل).
(٦) ر «وأما قوله».
(٧) الذهاب: جمع ذهبة.
(٨) جمع عهدة.
(٩) ر: «واحدتها».

لواحدها: كُمٌّ[1]. وكمامٌ، فمن قال: كِـمَامٌ، فجمعه أكِمَّةٌ، مـثلُ صمامٍ وأَصِمَّة، وزمامٍ وأزِمَّة، ومن قال: كِمٌّ، فالجماع أكمامٌ، قال الله عزَّ وَجلَّ: ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأكمامِ﴾[2].

* * *

ومن ذلك قولُ الآخَر، أحسبُه تَوْبَةَ بن الحُمَيِّر:

[قال أبو الحسن: يقالُ إنه لمجنونِ بنى عامرٍ، وهو الصواب]:

كَـأنّ القلبَ لَيْلَـةَ قـيلَ يُغْـدَى ... بلـيْلَى العـامـرِيَّـة أو يُرَاحُ[3]

قَطاةٌ عَـزَّهـا شَـرَكٌ فـبـاتَتْ ... تجـاذبـه وقـد عَـلِقَ الجنَاحُ

[لهـا فَـرْخَـان قَـد غَلقـا بوكْـر ... فَـعُـشُّـهُـمـا تُـصَـفِّـقـهُ الرِّياحُ[4]

فـلا بـالليلِ نَـالتْ مَـا تُـرَجِّى ... ولا بالصبحِ كـان لهـا بَراحُ][5]

وقد قال الشعراءُ قبله فلم يبلغوا هذا المقدارَ.

وقال الشَّيْبَانىُّ[6] للحَجَّاج:

هَلا بَرَزْتَ إلى غَـزَالَةَ فى الوَغَى ... بل كَـان قَلْـبُك فى جَنَاحَـىْ طائر

فهذا يجوز أن يكونَ فى الخفَقانِ وفى الذهابِ ألبَتَةَ.

* * *

ومن التشبيه المحمودِ قول الشاعرِ:

طَلِـيقُ الله لـم يَمْـنُنْ عـليـه ... أبو داوُدَ وابـنُ أبى كـثـيـرِ

ولا الحـجَّـاجُ عَـيْنَىْ بِنتِ مـاءٍ[7] ... تقَلِّبُ طَـرْفَـهـا حَـذَرَ الصُّـقـورِ

وهذا غاية في صفة الجبانِ.

---

(١) الكم: وعاء الطلع وغطاء النور. (٢) سورة الرحمن ١١ .

(٣) ر: «تعالجه»، وفى نهاية الأبيات. و«يروى: «تجاذبه»، فهذا غاية الاضطراب».

(٤) غلقا: من الغلق. وهو الحبس.

(٥) البيتان الواقعان بين العلامتين من زيادات ر .

(٦) هو عمران بن حطان.

(٧) بنت الماء: ما يصاد من طير الماء إذا نظرت إلى صقر قلبت عينها حذرا منه.

ونَصَبَ «عَيْنَىْ بنت ماء» على الذّمِّ، وتأويلُه: إنه إذا قـال: «جاءنى عبدُ الله الفاسقُ الخبيثُ» فليس يقَوله[1] إلا وقد عَرفـهُ بالفسق والخبث[2]. فَنَصْبَه «أعنى» وما أشبَـهه من الأفعال، نحـو «أَذْكُر»، وهذا أبلغُ فى الذمِّ، أن يُقيمَ الصفـةَ مقامَ الاسم، وكذلك المدحُ. وقولُ الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْمقيمينَ الصَّلاَةَ﴾ بعد قوله: ﴿لكنِ الرَّاسخـونَ فى العلْم منْهُمْ﴾[3]. إنما هو عـلى هذاَ. ومَنْ زعـم أنه أرادَ: «ومنَ المقيمينَ الصَّلاَة» فمخـطئٌ فى قول البصريين، لأنهم لا يَعْطفون الظاهر على المضمـرِ المخفُوض، ومَن أجـازه من غيرهم فـعلى قبحٍ، كالضـرورَة. والقرآنُ إنما يحمل على أشـرف المذاهب. وقرأ حـمزَة: ﴿الَّذى تَسَاءلُـونَ بهِ والأَرْحَامِ﴾[4]. وهذا مما لا يجوزُ عندنا إلا أن يُضْطَرَّ إليه شاعرٌ، كما قال:

فـاليومَ قَـرَّبْتَ تَهْجُـونا وتشْتِـمُنَا فاذْهَب فـما بِك والأيَّام مِـن عَجَبِ

وقرأ عيـسى بن عُمر: ﴿وامْرَأَتُهُ حَـمَّالَةَ الْحَطَب﴾[5]. أرادَ: وامـرأتُهُ في جِيدهَا حَبْلٌ منْ مَـسَد، فنصبَ «حَمَّالَةَ» على الذَّم. ومَن قالَ إنَّ «امـرأتُهُ» مرتفعةٌ بقوله: ﴿سَيَصْلَى ناراً ذَاتَ لَهَب﴾ : فهو يجـوزُ. وليس بالوجه أن يُعْطَفَ المظْهَرُ المرفوعُ عـلى المضمـرِ حتى تؤكِّـدَهَ، نحو: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَـقَـاتلاَ﴾[6]. و: ﴿اسْكُـنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَـنَّةَ﴾[7]. فأمَّـا قولُه: ﴿لَوْ شَـاءَ الله مَـاَ أَشْـرَكْنا وَلا آبَاؤُنَا﴾[8]. فإنه لـمَّـا طَالَ الكلامُ وزيدتْ[9] فيـه «لا» احتَمـلَ الحذَفَ وهذا على قبحه جائزٌ فى الكلام[10]. أعنى: ذهبتُ وزيدٌ، وأَذْهَبُ وعمرو، قال جَرير:

وَرَجَـا الأُخَيْطِلُ مِـن سَفَـاهَةِ رَأْيِه مـــا لـم يكُـنْ وأبٌ له لِـيَنَـالا

وقال ابنُ أَبى ربيعة :

قلت إذْ أقْـبَلَـتْ وَزُهْرٌ تَهَـادَى كَنِعَـاجِ المَلا تَعَـسَّـفْنَ رَمْـلا[11]

(1) ر: «يقول» .
(2) ر: «بالخبث والفسق».
(3) سورة النساء ١٦٢ .
(4) سورة النساء ١ .
(5) سورة المسد ٤ .
(6) سورة المائدة ٢١ .
(7) سورة البقرة ٣٥ .
(8) سورة الأنعام ١٤٨ .
(9) ر: «وزادت»، وما أثبته عن الأصل، س .
(10) لفظ «فى الكلام» ساقط من ر .
(11) الملا: الفلاة .

ومما يُنصبُ على الذمِّ قولُ النابغة الذُّبْيَانِّي[1]:

لَعَمْرِي وما عَمْرِي عليَّ بِهَيِّنٍ ... لقد نَطَقَتْ بُطَلا عليَّ الأَقَارِعُ[1]

أقَارِعَ عَوْفٍ لا أُحَاوِلُ غيرَها ... وُجُوهَ قُرودٍ تَبْتَغِي مَنْ تُجَادِعُ[2]

وقال عُرْوَةَ بن الوَرْدِ العَبْسيُّ:

سَقَوْنِي الخَمرَ ثم تَكَنَّفُونِي ... عُدَاةَ اللهِ مِن كَذِبٍ وزورِ

والعربُ تُنْشِدُ قولَ حاتمٍ الطائيِّ رفعًا ونصبًا :

إن كنْتِ كارهةً مَعيشَتَنا ... هَاتَا فَحُلِّي في بَنِي بَدْرِ

الضاربين، لَدَى أَعِنَّتِهِم ... والطاعنينَ وخَيْلُهُمْ تَجْرِي

وإنما خَفَضُوهما على النعت، وربّما رفَعوهما على القطعِ والابتداء.

وكذلك قولُ الْخِرنِقِ بنتِ هَفَّانَ الْقَيْسِية، من بني قَيْسِ بن ثَعْلَب:

لا يَبْعَدَنْ قَوْمِي الذين هُمُ ... سُمُّ العُداةِ وآفَةُ الْجُزْرِ

النَّازِلِينَ بكلِّ مُعْتَرَكٍ ... والطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الأُزْرِ

وكل ما كان مِن هذا فعلَى هذا الوجه[4].

وإن لم يُرِدْ مَدْحًا ولا ذَمًّا قد استَقَرَّ له فَوَجْهُهُ النعتُ. وقرأ بعضُ القرَّاءِ: ﴿فتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنَ الْخَالقينَ﴾[5].

وأكثرُ ما تُنشِد العربُ بيتَ ذي الرُّمَّة نصبًا، لأنَّه لمَّا ذكر ما يَحِنُّ إليه ويصبُو إلى قُرْبه أشَادَ بذِكْر ما قد كان يَبْغِي، فقال:

ديارَ مَيَّةَ إذْ مَيٌّ تُسَاعِفُنَا ... ولا يَرَى مِثْلَهَا عُجْمٌ ولاَ عَرَبُ

وفي هذه القصيدة من التشبيهِ المُصِيبِ قولُه:

---

(١) ساقط من ر .

(٢) البطل : ضد الحق. والأقارع: هم بنو قريع بن عوف بن كعب.

(٣) تجادع: تشاتم، وفي ر: «تخادع».

(٤) كذا في الأصل. س ، وفي ر: «فعلى هذا أكثر إنشاده».

(٥) سورة المؤمنون ١٤ .

بَيْضَاءُ في دَعَجٍ، صَفْرَاءُ في نَعَجٍ   كأنها فِضَّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ[1]

وفيها من التشبيه المصيب قولُه[2]:

تَشْكُو الخِشَاشَ ومَجْرَى النَّسْعَتَيْنِ كما   أَنَّ المريضُ إلى عُوَّادِهِ الوَصِبُ[3]

والخشاشُ[4]: ما كان في عَظْمِ الأنف، وما كانَ في المَارِنِ فهو بُرَةٌ، يقال: أَبْرَيْت الناقَةَ، فهي مُبْرَاةٌ، قال الشَّماخُ ـ وهذا من التشبيه العجيب:

فَقَرَّبْتُ مُبْرَاةً تخالُ ضُلُوعَها   من الماسِخِيَّاتِ القِسِيَّ المُؤطَّرا[5]

ومَاسِخة، من نصرٍ[6] بن الأزْدِ، وإليهم تنسب[7] القِسِيُّ الماسِخِيَّة.

وأحسنُ ما قيل في صفة الضلوع واشتباكها قولُ الراعي:

وكأنما انتطَحَتْ على أثْبَاجِها   فُدُرٌ بِشَابَةَ قد يَمَّمْنَ وُعُولا[8]

الفَادِرُ: المسنُّ من الوُعول.

وذو الرُّمَّة أخذ ذلك من المُثَقَّب العبديّ، قال المثقّب[9]:

إذا ما قُمْتُ أَرْحَلُها بِلَيْلٍ   تَأَوَّهُ آهَةَ الرجلِ الحَزِينِ

* * *

ومن التشبيه المستحسنِ قولُ عَلْقَمَةَ بن عَبَدَةَ:

كأنَّ إبريقَهم ظَبْيٌ على شَرَفٍ   مُفَدَّمٌ بسَبَا الكَتَّانِ مَلْثُومُ[10]

فهذا حسن جدا.

* * *

(١) الدعج: سواد العين. والنعج: البياض الخالص. ورواية الديوان ٥: «كحلاء في برج»؛ والبرج: سعة في بياض العين.   (٢) ساقطة من ر.

(٣) النسعة والنسع: سير مضفور يجعل زماما للبعير وغيره، وأن من الأنين.

(٤) ر: «الخشاش» بحذف الواو.

(٥) أصل الإطر: عطف الشيء تقبض على أحد طرفيه فتعوجه. وفي ر: «الموترا»، والموتر: المشدود.

(٦) ر: «نصر من الأزد».   (٧) ر: «نسبت».

(٨) الأثباج: جمع ثبج، وهو معظم الظهر. وفيه محاني الضلوع. وشابة: جبل بعينه. يَمَّمْنَ: قصدن، وخفف في البيت للشعر   (٩) ر: «أخذ ذلك المعنى من قول المثقب العبدي».

(١٠) الشرف: ما ارتفع من الأرض وأشرف على ما حوله. مفدم: مغطى بالفدام، وهو من وصف الإبريق. وسبا الكتان، يريد سبائب الكتان؛ والسبائب: جمع سبيبة؛ وهي شقة بيضاء. ملثوم؛ من اللثام؛ وهو ما يوضع على الفم؛ واستعاره للإبريق.

وقال أبـو الهِنْدِى، وهو عبـدُ المؤمنِ بن عبـد القُدُّوسِ بن شَـبَثٍ بن ربْعِيٍّ الرِّيَاحِيُّ، مِن بنى رِيَاحِ بن يَرْبُوعٍ. وكان شَبَثٌ سَيِّدَ بنى يربُوعٍ بالكوفة:

مُـفَـدَّمَـةٌ قَـزًّا كـأنّ رِقـابَـهـا ... رِقـابُ بَنَاتِ الماء أَفـزعَـهـا الرَّعْـدُ

[من أخبار أبى الهندى]

وكان أبو الهندىِّ قد غَلَبَ عليه الشرابُ، على كرم مَنْصِبِه، وشرف أسْرَتِهِ، حتى كاد يُبْطِلهُ.

وكان عَجِـيبَ الجوابِ، فجلس إليه رجلٌ مَـرَّةً يُعْرَفُ ببرزينِ المناقـير، وكان أبوه صُلِبَ فى خرَابة، والخـرَابة عندهم: سَرقُ الإبل خاصَّةً. فـأقبلَ يُعَرِّضُ لأبى الهِنْدىِّ بالشراب، فلما أكْثَرَ عليه قال أبو الهندى: أحدهم يَرَى القَذاةَ فى عين أخيه ولا يَرَى الجِذْعَ فى إست أبيه.

وفى الخِرَابَة يقول الراجزُ:

والخَـــاربُ اللِّصُّ يُحِبُّ الخَـــاربا ... وتلك قُـــربى مِـــثلَ أَنْ تُنَـاسِـبَـــا

أن تُشْبِهَ الضرائبُ الضَّرَائبَا(١)

وقال الآخر:

إيتِ الطريـقَ واجْـتَنبْ أَرْمَـــامَـا ... إنَّ بهـــا أكْـــتلَ أو رَزامـــا(٢)

خُوَيْرِبَيْنِ يَنْقُفَانِ الهَامَا(٣)

[زاد أبو الحسن: * لم يَتْرُكا لِمُسْلِم طَعَامَا *]

نَصَبَ «خُوَيْرِبَيْن» علـى «أعْنِى» لا يكون غيرُ ذلك، لأنه إنما أَثْبَتَ أحـدَهما بقوله: «أو».

---

(١) الضرائب: جمع ضريبة، وهى السجية والطبيعة.

(٢) أرمام جبل بعينه، وأكتل ورزام: لصان من لصوص البادية.

(٣) نقف الهامة: شجها حتى يخرج الدماغ.

ومَرَّ نصرُ بن سَيَّار الليثىُّ بأبى الهندى وهو يَميلُ سُكْرًا، فقال له: أَفْسَدْتَ شرفَك! فقال أبو الهندىِّ: لو لم أُفْسِد شرفى لم تكنْ أنتَ والىَ خراسانَ.

وحَجَّ به نصرُ بن سَيَّار مرة، فلما ورد الحَرَمَ قال له نصرٌ: إنك بفناء بيت الله ومَحَلِّ حرمه[1] فَدَعْ لى الشرابَ حتى يَنْفِر الناسُ، واحْتَكِمْ علىَّ، فَفَعَلَ. فلما كان يومُ النَّفرِ أخذ الشرابَ فوضعَه بين يديه. وأقبل يشرب ويبكى، ويقول:

رَضِيع مدامٍ فارَقَ الرَّاحَ رُوحُه ... فَظل عليها مُسْتَهِلَّ المَدَامِعِ
أَدِيرَا علىَّ الكأسَ إنى فقدتُها ... كما فَقَدَ المفطُومُ دَرَّ المَرَاضِعِ

وكان يَشْرَبُ مع قيس بن أبي الوَلِيد الكِنانىِّ، وكان أبو الوليد ناسكًا فاسْتَعْدَى عليه وعلى ابنه، فَهَربا منه. وقال أبو الهندى:

قلْ للسَّرِىِّ أَبى قيس: أَتُوعِدُنا ... ودارنا أصبحتْ من داركم صَدَدَا[1]
أبا الوليد أَمَا والله لَو عَمِلَتْ ... فيكَ الشمولُ لما حَرَّمْتَها أبدا
ولا نَسِيتَ حُمَيَّاها ولذَّتَها ... ولا عَدَلْتَ بها مالا ولا وَلَدَا

* * *

ثم نرجعُ إلى التشبيه، وربما عَرَضَ الشىء والمقصودُ غيره، فيذكر للفائدةِ تقع فيه، ثم يُعادُ إلى أصلِ الباب.

قال أبو العباس: وقال عُرْوَةُ بن حزَامٍ العُذْرىُّ:

كأنَّ قطاةً عُلِّقَتْ بجناحِها ... على كَبِدِى من شِدَّةِ الخفَقَانِ

ويقال: إن المرأةَ إذا كانت مُبْغضَةً لزوجها، فآية ذلك أن تكون عند قرْبه منها مُرْتَدَّةَ النَّظر عنه كأنما تنظر إلى إنسان وراء[2]، وإذا كانت محبَّة له لا تُقْلِعُ عن النظر إليه، وإذا نَهَضَ نظرت من وَرائه إلى شخصه حتى يَزُولَ عنها، فقال رجلٌ: أردتُ أن أعلمَ كيف حالى عند امرأتى، فالتفتُّ وقد نهَضْت من بين يديها فإذا هى تُكَلِّح[3] فى قفاىَ.

---

(١) ر: «ومحمل «وفوده».
(٢) داركم صددا؛ منصوب على الظرفية؛ أى قريبة.
(٣) ر «من ورائه»؛ وما أثبته عن الأصل.
(٤) التكليح: التكشير فى عبوس.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال الفَرَزْدَقُ فى هذا المعنى، والنَّوَارُ تخاصمهُ عند عبد الله بن الزُّبَيْر بن العوام:

فَدُونَكَها يابنَ الزُّبَيْرِ فإنّها ... مُولَّعةٌ يُوهى الحجارةَ قِيلُهَا
إذا جَلَسَت عند الإمامِ كأنما[1] ... تَرَى رُفْقَةً مِنْ خَلْفِها تَسْتَحِيلها

قوله: «مُولَّعَة». يقول: كأنها[2] مُولَّعَةٌ بالنظر مرة هاهنا ومرّة هاهنا.

وقوله: «تَرَى رُفقةً يقال: رِفْقَةٌ ورُفْقَةٌ. ومعنى «تَسْتَحِيلُها» تَتَبَيَّنُ حالاتِها، قال حُمَيْدُ بن ثَوْر:

إذا خرجت تَسْتَحِيلُ الشُّخُوصَ[3] ... من الخوفِ تَسْمَعُ ما لا ترَى[4]

* * *

ومن عجيب التشبيه قولُ جريرٍ بما يُكْنَى عن ذكره:

ترَى الصِّبْيَانَ عاكِفةً عليها ... كعَنْفَقَةِ الفَرَزْدَقِ حينَ شَابا[5]

ويقالُ: إن الفرزدقَ حين أَنْشدَ النصفَ الأولَ ضرب بيده إلى عنفقته توَقُّعًا لعَجُزِ البيتِ.

ومن التشبيه الحَسَنِ قولُ جرير فى صفة[6] الخيل:

يَشْتَفْنَ للنَّظرِ البَعِيد كأنما ... إرْنانُها بِبَوَائنِ الأشْطَانِ

قوله: «يَشْتَفْنَ» و «يَتَشَوَّفنَ» فى معنى واحد. وقوله: «كأنما إرْنَانُها ببَوائن الأشْطَان»، أراد شدة صَهِيلها. يقول: كأنما يَصْهَلْنَ فى آبارٍ واسعةٍ تَبِينُ أشطانُهَا عنَ نواحيها.

ونظيرُ ذلك قولُ النابغة الجَعْدِيِّ:

وَيصْهَلُ فى مثلِ جَوْفِ الطَّوِيِّ ... صَهِيلا يُبَيِّن للمعْرب

(١) ر: «كأنها»؛ وما أثبته عن الأصل؛ س.
(٢) ساقطة من ر.
(٣) كذا فى الأصل س؛ وفى ر: «مروعة تستحيل الشحوص» وهى رواية الديوان ٤٧ .
(٤) وفى زيادات طبعة المرصفى: قوله: «مروعة» يقول: كل شىء يدنينى من الظفر بها يروعها وينفرها.
(٥) العنفقة. ما بين الذقن وطرف الشفة السفلى من الشعر.
(٦) قال المرصفى: «هذا خطأ؛ صوابه قول الفرزدق يهجو جريرا ويمدح بنى تغلب، وهو فى ديوانه ٨٨٢ .

المُعْرِب: العالمُ بالخيلِ العِرَاب.

* * *

ومن حَسَنِ التشبيه قولُ عَنْتَرة:

غَادَرْن نَضْلَةَ فى مَعْرَكٍ يَجُرُّ الأسِنَّةَ كالمُحْتَطِبْ[1]

يقول: طُعِنَ وغُودِرَتِ الرِّماحُ فيه، فَظَلَّ يَجُرُّها، كأنه حاملُ حطبٍ.

* * *

ومن التبشبيه المتجاوز المُفْرِط قولُ الخَنْسَاء:

وإنَّ صَخْرًا لتَأْتَمُّ الهُدَاةُ به كأنه عَلَمٌ فى رأسِهِ نارُ

فَجَعَلت المهتَدِى يأتَمُّ به، وجعلتْه كنار فى رأْسِ عَلَمٍ، والعَلم: الجبلُ، قال جريرٌ:

* إذا قَطَعْن عَلَمًا بَدا عَلَمْ *

وقال الله جلَّ ثناؤه: ﴿وله الجَوَار المنشآتُ فى البَحْرِ كالأعْلام﴾[2].

ومن هذا الضرب من التشبيه قولُ العَجَّاج:

* تَقَضِّىَ البازِى إذا البَازِى كَسَرْ *

والتَّقَضِّى: الانقضاض. وإنما أراد سرعتَها، والعربُ تُبْدلُ كَثيرًا الياءَ من أحد التَّضْعِيفَيْن، فيقولون: تَظَنَّيْتُ والأصلُ: «تظَنَّنْتُ»، لأنه «تَفَعَّلْتُ» من الظَّنِّ، وكذلكَ: تَقَضَّيْتُ؛ من الانقضاض، أى تقَضَّضْتُ، وكذلك تسَرَّيْتُ، ومثل هذا كثيرٌ.

[من تشبيهات المحدثين]

ومن تشبيه المحدثين المسْتَطْرَف قولُ بَشَّار:

كأنَّ فُؤادَهُ كُرَةٌ تَنَزَّى حِذارَ البَيْنِ إنْ نَفَعَ الْحِذارُ

---

(١) الضمير فى «غادرن» يعود إلى الخيل ولم يجر لها ذكر. ونضلة بن الأشتر قتله ورد بن حابس العبسى؛ قال المرصفى.

(٢) سورة الرحمن ٢٤ .

[يُرَوِّعُــــهُ السِّــرَارُ بكــلِّ أمْــر   مـخَافـةَ أن يكونَ به السِّـرَارُ][1]

وفى هذه القصيدة:

جَفَتْ عـينى عن التَّغْمـيض حتى   كـأنَّ جُـفُـونَها عنهـا قـصَارُ
أقـــولُ وليْلَـتى تَـزدَادُ طولا !   أمـــا لِلَّـيلِ بعـــدَهُـمُ نَهَـــارُ

* * *

وقال الحسن بن هانئ فى صفة الخمر:

فـإذا مـــا لَمَسْـتَـهـــا فَـهَــبـاءٌ   تَمْنعُ اللَّمْـسَ مـا يُبـيحُ الْعُـيـونَا
درسَ الدَّهْرُ مــا تَجَـسَّـمَ منهــا   وتَبَـــقَّـى لُبَـــابَـهَـــا المكنـونا
فــهىَ بِكْـرٌ كـأنـهـا كلُّ شىء   يتَـــمَـنَّى مُـــخَـيَّـــرُ أن يـكونَا
فى كُـــؤوسٍ كـــأنهـنَّ نجـومٌ   جـــارياتٌ بُرُوجُـــهـــا أيدينَا
طالعـــات مع السُّــقـــاةِ علــينا   فـإذا مـــا غَـربْـنَ يَغْـربْنَ فِـــينَا

فهذه قطعة من التشبيهِ غايةٌ، على سُخَفِ كلامِ المُحْدَثِينَ.

* * *

وقال الحنفىُّ: وهو إسحاق بن خَلَف ـ فى صفةِ السيف:

أَلقـى بجـــانـب خَـــصْـــرِه   أمْـضَـى منَ الأجَلِ المتـــاحِ[2]
وكــــأنما دَرَّ الـهَـــــبَـــــا   ءَ علـيــــه أنـفـــاسُ الـرِّيَاح

* * *

وقال مُسْلم بن الوليد الأنصارىُّ فى مدحه يَزِيد بن مزْيَد:

يمْضى المَنَايَـا كـمـا تمضى أسنَّتُـه   كأن فى سَرْجِهِ بَـدرًا وضِرْغامًا[3]

* * *

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر: والسرار: آخر ليلة من الشهر. وهى التى يستتر فيها القمر ويختفى.

(٢) ر: «فكأنما» وما أثبته عن الأصل.

(٣) ر: «تمضى»، وما أثبته عن الأصل.

وقال دِعْبلُ بن علىٍّ فى صفة المصلوب[1]:

لم أرَ صَفًّا مثلَ صَفِّ الزُّطِّ تسْعين منهمْ صُلِبوا فى خَطِّ[2]
من كلِّ عالٍ جِذْعُه بالشطِّ كأنه فى جِذْعِه المشتطِّ[3]
أخو نُعاسٍ جَدَّ فى التَّمطِّى قد خامَرَ النَّوْمَ ولم يَغطِّ[4]

* * *

وقال يَزيدُ المُهَلَّبىُّ فى مثله[5]:

قامَ ولمَّا يَسْتَعِنْ بساقِهِ آلفَ مَشْواهُ على فِراقِهِ

* كأنما يضحك فى أشداقه *

أراد بياضَ الشريط فى فيه.

* * *

وقال أعرابىٌّ فى صفةِ مصلوب، وهو الأخْطَل:

[قال أبو الحسن: الأخطلُ الذى يعنى رجلٌ مُحْدَثٌ من أهل البصرة، ويعرفُ بالأخَيْطلِ، ويُلَقبُ بِبَرْقوقَا، وذكر أبو الحسن أن أبا العباس كان يُدَلِّسُ به].

كأنَّه عاشقٌ قد مَدّ صفْحتَه يومَ الفراقِ إلى توديع مُرْتحلِ
أو قائمٌ من نُعاسٍ فيه لُوثُته مُواصِلٌ لتَمَطِّيه من الكَسَلِ[6]

[وقال مسلمُ بن الوَليد:

وضعته حيث ترتاب الرياح به وتحسد الطير فيه أضبع البلد][7]

وقال حَبيبُ بن أوْس [قال أبو الحسن: يعنى به إسحاق بن إبراهيمَ الطاهَرِىَّ]:

---

(١) ر. «مصلوب». (٢) الزط: جيل أسود من السند أو الهند.
(٣) كذا فى الأصل، ويريد بالمشتط الطويل، وفى ر: «المشتط».
(٤) الغطيط صوت نفس النائم.
(٥) فى زيادات ر. «وقال آخر فى صفة مصلوب، وهو يزيد المهلبى»، وما أثبته من الأصل.
(٦) اللوثة. الاسترخاء والبطء. (٧) ما بين العلامتين من زيادات.

قـد قَلَّصَتْ شَفَـتاهُ من حَـفيظتـه ... فَخيلَ من شدَّة التقليص مُبْتَسما(١)

وقال أيضًا في رجل يَنْسُبُه إلى الدَّعْوَة(٢):

وتَنَقُّلٌ من مَـعْـشَـرٍ في مَـعْـشَـرٍ ... فـكـأنَّ أمَّـكَ أوْ أبـاكَ الـزِّئـبـقُ

يقال: زئْبَقٌ، وزئبرٌ، مهموزان، ودرهمٌ مُزَأْبَقٌ، وثوبٌ مُزَأْبَرٌ(٣).

* * *

ومن إفراطِ التشبيه قولُ أبي خِراشٍ الهُذَليِّ يصفُ سرعةَ إبله في العَدْو:

كـأنَّهُم يَـسْـعَـوْنَ في إثْـرِ طائرٍ ... خَفيف المَشاشِ عَظْمُهُ غيرُ ذي نَحْضِ

يُبـادِرُ جُنْـحَ الليلِ فـهـو مـهـابِذٌ ... يحُثُّ الجنـاحَ بالتـبـسُّطِ والـقـبْضِ

وقـال أوْسُ بن حَـجَر [قـال أبو الحسن: أهلُ الكوفـة يَرْوُنهـا لعَبـيـدِ بن الأبْرصِ]:

كأنَّ ريقَـتَهَا بعـدَ الكرَى اغْتـبَقَتْ ... من مـاء أدْكَنَ في الحانوت نضَّـاحِ

أو من مُـعـتَّـقَـةٍ ورْهَاءَ نَشْـوَتُهـا ... أو من أنابِيـبِ رُمَّـان وتفَّـاحِ(٤)

وقال ابنُ عَبْدَلٍ يهْجو رجلا بالْبَخر:

نَكَـهْتَ عليَّ نَـكْهَـةَ أخْـدَرِيٍّ ... شَـتِـيمٍ شـابكِ الأنيَـابِ وَرْدِ(٥)

وفي هذا الشِّعْر:

فـمـا يَدْنُو إلـى فـيـه ذُبابٌ ... ولو طُلِـيتْ مَـشـافِـرُهُ بِـقَنْدِ(٦)

يَرَيْنَ حَـلاوةً ويَـخَـفْن مَـوْتًا ... وَشِـيكًا إنْ هَمَـمْنَ لـه بِوِرْدِ

---

(١) التقليص: التقبض. وفي ر: «من شدة التعبس».

(٢) في زيادات ر: «وهو إسحاق بن إبراهيم الطاهري» ودفعها المرصفي، وقال: هو عتبة بن أبي عاصم؛ وكان قد ضمهما مجلس لم يتكلم فيه حتى انصرف أبو تمام؛ فأخذ يتشدق بهجائه، فبلغ أبا تمام؛ فقال كلمة منها هذا البيت.

(٣) الزئير: ما يعلو الثوب الجديد مثل ما يعلو الخز.

(٤) الاغتباق: شرب العشي. والأدكن: ما تعلوه الدكنة؛ وهي لون بين الحمرة والسواد أراد به الزق. والورهاء: الريح التي في هبوبها خرق وعجرفة. والنشوة: الرائحة الطيبة.

(٥) النكهة: ريح الفم. والأخدري من وصف الحمار الوحشي.

(٦) القند: عسل قصب السكر.

الذُّبابُ: الواحد من الذِّبَّان، وأدنى العَدَدَ فيه أذِبَّةٌ، والكثير فى الذِّبَّان، ولكنه ذكر واحدًا ثم خَبَّرَ عن سائر الجنس، والأسدُ أَنتنُ السِّباعِ فمًا، كما أن الصَّقْرَ أَنْتَنُ الطير فمًا.

قال بعضُ المحدَثين فى رجل يهجوه، والمَهْجُوّ داود بن بكر، وكان وَلِىَ الأهْوازَ وفارسَ، والشعرُ لأبى الشَّمَقْمَق:

وله لحيةُ تَيْس ... وله منْقارُ نَسْر
وله نَكْهَةُ لَيْث ... خالَطَتْ نكْهَةَ صَقْرِ

وقال عبد الرحمن بن أبى عبد الرحمن بن عائشة:

من يكن إبْطَه كآباطِ ذا الخَلْقِ فإبطاىَ فى عِدَاد الفِقاحِ[1]
لِىَ إبْطانِ يرْميانِ جَليسى ... بشبيه السُّلاحِ[2] أو بالسُّلاح
فكأنِّى من نَتْن هذا وهذا ... جالسٌ بين مُصْعبٍ وصُباح

يعنى مُصْعَبَ بن عبد الله الزُّبَيْرىَّ، وصباحَ بن خاقانَ المنْقَرىّ. وكانا جليسين لا يكادان يفترقان، وصديقَين مُتَوَاصلَين، لا يكادان يتصارَمَانِ. فَحُدِّثْتُ أنّ أحمدَ بن هشامٍ لقيهما يومًا، فقال: أمَا سمعتما ما قال فيكما هذا؟ يعنى إسحاق بن المَوْصلىّ، فقالا: ما قال فينا إلا خيرًا، قال: قال:

لامَ فيها مُصْعَبٌ وصُبَاحٌ ... فعصَينا مُصعبًا وصُباحا
وأبينَا غيرَ سَعْى إليها ... فاسْتَرَحنا منهما واستراحا

قالا: ما قال إلا خيرًا، ولكنَّ[3] المكروهَ ما قال فيك، إذْ يقول:

وصافيةٍ تُعْشِى العُيونَ رَقيقةٍ ... رَهينة عامٍ فى الدِّنَان وعامِ
أدرنَا بها الكَأسَ الرَّوِيَّةَ مَوْهِنًا ... من الليل حتى انجابَ كلُّ ظلام[4]
فما ذَرَّ قرن الشمس حتى كأنَّنا ... من العِىِّ نحكِى أحْمَدَ بنَ هِشام

* * *

(١) الفقاح: جمع فقحة. وهى حلقة الدبر.
(٢) السُّلاح: العذرة.
(٣) ساقطة من ر.
(٤) الموهن: نحو نصف الليل.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واعلمْ أن للتشبيه حَدًّا؛ لأن الأشياء[1] تَشَابَه من وجوه، وتبايَنُ من وجوه؛ فإنما يُنْظَرُ إلى التشبيه من أين وقع[2]، فإذا شُبِّه الوجْه بالشمسِ والقمر[3] فإنما يُرَادُ به[3] الضِّيـاءُ والرَّوْنقُ، ولا يُرادُ به[3] العظَمُ والإحْـرَاقُ. قـال اللهُ جل وعـز: ﴿كأنَّهُنَّ بَيْضٌ مكْنُونٌ﴾[4]، والعربُ تُشبِّـهُ النساءَ ببيْضِ النَّعَام، تـريدُ نقَاءَه ورقّة لونه[5]، قال الراعى:

كـأنَّ بَيْضَ نعَـامٍ فى مَـلاحِفِـهـا إذا اجْـتبلاهُنَّ قَـيْظٌ لَيلُهُ وَمِـدُ[6]

وَقيلَ للأوْسيَّة ـ وهى امرأَةٌ حكيمةٌ فى[7] العرب ـ بحضرة عمر بن الخطاب رحمه الله: أىُّ مَنْظَرَ أحسن؟ فقالت: قُصُورٌ بِيضٌ، فى حدَائق خُضْر، فأنشدَ عمرُ ابن الخطاب لِعدى بن زيد:

كَـدُمَى العَـاجِ فى المَحـاريب أَو كالبَيْضِ فى الرَّوْض زَهْرُهُ مُـسْتَنِيرُ

وقال آخرٌ:

كالبَيْضِ فى الأدْحى يَلمعُ بالضُّحى[8] فـالحُـسْنُ حُـسْنٌ والـنَّعـيمُ نعـيم

وقال جريرٌ:

ما استَوْصَفَ الناسُ من شَىْءٍ يَروقُهُم[9] إلا رَأَوْا أمَّ نُوحٍ فـوقَ مـا وصَـفُـوا

كـأنهـا مَـزْنَةٌ غَـرَّاءُ رائحـةٌ أو دُرَّةٌ ما يُوَارِى ضوءها الصدف[10]

المُزْنة: السحابة البيـضاءُ خاصة، وجمعُهـا مُزْنٌ، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿أَأَنْتُم أَنْزَلْتمـوهُ منَ المُزْنِ﴾[11]، فالمرأةُ تُشَبَّهُ بالسـحابة لتَـهاديها وسُـهولة مـرِّها، قال الأعْشَى:

---

(١) ر: «فالأشياء»، وما أثبته عن الأصل.

(٢) ر: «من حيث وقع». (٣) ساقطة من ر.

(٤) سورة الصافات ٤٩ . (٥) ر: «ونعمة لونه».

(٦) الملاحف: الأغطية، والومد: ندى يجىء فى صميم الحر؛ من قبل البحر مع سكون الريح.

(٧) كذا فى الأصل، وفى ر، س: «من العرب».

(٨) الأدحى: مبيض النعام تدحوه برجلها، ثم تبيض فيه.

(٩) ر: «عن شىء بروقهم»، وما أثبته عن الأصل، س.

(١٠) ر: «لا يوارى لونها» . (١١) سورة الواقعة ٦٩ .

كـأنَّ مشْـيَتَـهـا من بيتِ جارتهـا ... مَـرُّ السَّحـابةِ لا رَيثٌ ولا عـجلُ

الرَّيْثُ: الإبطاءُ، فهذا ما تَلْحَـقُه العَيْنُ منها، فأما الْخفَّةُ فـهى كأسرعِ مارٍّ، وإنْ خفى ذلك على البصر، قال الله جل وعز: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مرَّ السحاب﴾(١).

* * *

والعرب تُشَبِّـهُ المرأةَ بالشمس، والقمر، والغـصن، والكثيب(٢). والغَزال، والبقرةِ الوحشيَّةِ، والسحابةِ البـيضاء، والدُّرَّة، والبَيْضَة، وإنما تَقْصد من كل شيء إلى شيء.

قال ذو الرُّمَّة:

ومَـيَّـةُ أَحْسَنُ الثَّـقَلَيْن جـيـدا(٣) ... وسـالفَـة وأحْـسَنُهُم قَـذالا(٤)

فلم أرَ مِـثْلَهَـا نَظَرا وعـينًا ... ولا أمَّ الغَـزال ولا الـغـزالاَ

تريكَ بيـاضَ غُـرَّتهـا ووَجْـهًـا ... كَـقَـرْن الشَّـمْسِ أفـتَقَ ثم زالاَ

أصـابَ خَـصاصَـةً فـبَدَا كليـلا ... كـلاَ وانْغَلَّ سـائرُه انْغـلالاَ(٦)

الجيدُ: العُنُق، والسالفة: ناحيةُ العُنُق، والقَذالاَن: ناحيتَا القفَا من الرأس.

وقوله: «أفْتقَ ثم زَالا»، يقال: أَفتقَ السـحابُ، إذا انكشفَ انكشافةً فكانت منه(٧) فُرْجَةٌ يسيـرةٌ بين السحابتين. تقول العرب: دامَ علينا الغَـيْمُ ثم أفتقْنا، وإذا نُظر إلى الشمس والقمر من فتْقِ السحاب فهو أحسنُ ما يكونُ وأشدُّه استنارةً.

وقوله: «كلاَ» يريدُ فى سرعةِ ما بدا ثم غاب.

---

(١) سورة النمل ٨٨ .

(٢) كلمة «الكثيب»، ساقطة من ر، وهى فى الأصل، س.

(٣) الديوان: «خدا».

(٤) الديوان: «وأحسنه».

(٥) الديوان: «تريك بياض لبتها».

(٦) أصاب قرن الشمس خصاصة، أى تقف السحاب فبدا منها كليلا، أى ضعيفا؛ ليس مبين الضوء، وانغل: دخل، والانغلال: الدخول، يقول: دخل فى الحساب. (من شرح الديوان).

(٧) ر. «صعه» وما أثبته عن الأصل، س.

وقال الله عز وجل: ﴿كأنَّهُنَّ اليَاقوتُ والمَرْجَانُ﴾[1]. وقال تبارك وتعالى: ﴿كأمْثَال اللُّؤلؤ المَكْنُون﴾[2].

والمكنونُ: المَصُونُ، يقال: كنَنْتُ الشيءَ، إذا صُنْتَه. وأكْنَنتُه، إذا أخفيتَه، فهذا المعروف، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أوْ أكْنَنْتمْ فى أنفسكمْ﴾[3]. وقد يقالُ: كَنَنْتُهُ، أخفيتُه.

وقد قال جريرٌ فى يَزيدَ بن عبد المِلك، وأمُّه عاتكة بنتُ يزيد بن معاوية بن أبى سُفْيان:

الحَزْمُ والجودْ والإيمانْ قد نزلوا على يَزيدَ أمين الله فاحْتَلَفُوا[4]
ضَخمُ الدَّسيعَةِ والإيمان، غُرَّتُه كالبَدْرِ ليلةَ كادَ الشهرُ يَنتَصِفُ[5]

وقال ذو الرُّمَّة:

فياظَبْيَةَ الوعْسَاء بَيْنَ جُلاجلٍ وبَيْنَ النَّقا آأنْت أمْ أمُّ سَالم[6]

وقال ابنُ أبى ربيعةَ:

أبْصَرْتُها ليلة ونِسْوتُها يَمْشينَ بين المقَامِ والحَجَرِ
يرْفُلْنَ فى الرَّيطِ والمُرُوط كما تمشِى الهُوَيْنَى سوَاكِنُ البَقَرِ[7]

فهذه تشبيهاتٌ غَريبات مفهومةٌ.

وقال أبو عبد الرحمن العطوى[8]:

قد رأينا الغزال والغُصْنَ والنَّجْمَيْنِ شمْسَ الضُّحى وبدْرَ الظلاَم
فوَحَقِّ البَيَانِ يَعْضُدُه البُرْ هان فى مَاقِطٍ ألَدَّ الخصَام

(١) سورة الرحمن ٥٨. (٢) سورة الواقعة ٢٣.
(٣) سورة البقرة ٢٣٥.
(٤) احتلفوا، بالحاء المهملة، من الحلف، أى تحالفوا، وفى س: «اختلفوا» تصحيف.
(٥) الدسيعة: العطية. سميت دسيعة لدفع المعطى إياها مرة واحدة كما يدفع البعير جربه دفعة واحدة.
(٦) الوعساء: الأرض اللينة، وجلاجل: جبل بعينه.
(٧) الريط: جمع ريطة؛ وهى الملاءة غير ذات لعفين كلها نسيج واحد. والمروط: جمع مرط، وهو كساء من صوف أو كتان.
(٨) س: وقال أحد الشعراء المكلمين المحدثين.

مـا رَأَيْنَا سوَى الحـبيـبة شـيْئَـا[١] ... جَــمع الحُــسْـنَ كُلّه فى نِـظام

فهى تجْرِى مَجْرَى الأصَالة فى الرَّأ ... ى ومجـرَى الأرْواحِ فى الأجـسام

البـرهان: الحـجـةُ، قـال الله عـز وجل: ﴿قُلْ هَـاتُوا بُـرْهَانكـم إنْ كنـتم صَادقين﴾[٢]. أى حججكم. والمَاقطُ: موضعُ الحرب، فضربه مَثَلا لموضع المناظرة والمحَاجَّـة. والألد: الشديدُ الخصـومة، قال الله تبـارك وتعالى: ﴿وتُنْذرَ به قـوْمًا لُدًّا﴾[٣]. وقال: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الخصَام﴾[٤].

* * *

وقالت لَيْلَى الأَخْيَلِيَّة[٥]:

كـأنَّ فَـتَى الفـتْـيَـان تـوبةَ لم يُنِخْ ... بنجْــد ولم يَـطْلُعْ مع المتَــغـِّــور

ولم يَقْـدَعِ الخَـصْـمَ الألدَّ ويملأ الـ ... ـجِفَانَ سَدِيفًا يومَ نكْباءَ صَرْصَرِ[٦]

السَّديفُ: شقَقُ السنام.

[الرياح ومواقعها]

والنَّكْباءُ: الريحُ بين الرِّيحين، لأن الرياحَ أربعٌ، ومـا بين كلّ ريحين نكباءُ، فهى ثمان فى المعنى.

فما بين مَطْـلعِ سُهَيْل إلى مَطْلعِ الفجـرِ جَنوبٌ، وإنما تأتى الجنوبُ من قِبَلِ اليَمَنِ، قال جرير:

وحَـبَّـذَا نَفَـحـاتٌ مـن يَمـانِيَـة ... تأتيك من جـبل الرَّيَّانِ أَحْيـانا[٧]

وإذا هبَّتْ من تِلْقاء الفَجْرِ فهى الصَّبَا تقابلُ القِبْلَةَ، فالعرب تسميها القَبُولَ، قال الشاعر[٨]:

إذ قلتُ هذا حِينَ أَسْلُو يَهيـجُنى ... نَسيمُ الصَّبا من حيثُ يطَّلع الفجْرُ

---

(١) ر: «سوى المليحة».

(٢) سورة البقرة ١١٠.

(٣) سورة مريم ٩٧.

(٤) سورة البقرة ٢٠٤.

(٥) من كلمة ترثى بها توبة بن الحمير.

(٦) لم يقدع: لم يكف.

(٧) الريان: جبل من بلاد طيئ؛ وفى ر. «من قبل الريان».

(٨) هو أبو صخر الهذلى.

وإذ أتَتْ من قبل الشَّامِ فهى شَمَالٌ، قال الفرَزْدَقُ:

مُسْتَقْبِلين شَمَالَ الشَّامِ نَضرِبُنا ... بحَاصِب كنَديفِ القطْنِ مَنثورِ

* وهى تقابلُ الجنوب، وكذلك قال امرؤ القيس:

فَتُوضِحَ فالمِقْرَاةِ لم يَعفُ رَسْمُهَا ... لِمَا نَسَجَتْها من جَنوبٍ وشَمْأَلِ

وإذا جاءت من دُبُر البيت الحرامِ فهى الدَّبُورُ، وهى تهُبُّ بشدة، والعربُ تسميها مَحْوَةَ. عن أبى زيد، لأنها تمحو السحابَ. ومَحْوَةُ معرفةٌ لا تنصرفُ، فأما الأصمعىُّ فَزعمَ أن «مَحْوَةً» من أسماء الشَّمال. وأنشدَا جميعًا:

قد بكَرَتْ مَحْوَةُ بالعجَاجِ ... فَدَمَّرَتْ بَقِيَّةَ الرَّجَاجِ

الرَّجَاجُ: حاشيةُ الإبلِ وضِعافُها. وقال الأعْشَى:

لهَا زَجَلٌ كَحَفِيفِ الحَصا ... د صَادَفَ بالليلِ رِيحًا دَبورا

* * *

ولهذه الرياح أسماءٌ كثيرةٌ، وأحكامٌ فى العربية، لأن بعضَهم يجعلها نعوتًا، وبعضَهم يجعلُها أسماءً، وكذلك مَصادرُها تحتاجُ إلى الشرح والتفسيرِ، ونحن ذاكرون ذلك فى عَقِبِ هذا الباب، إن شاء اللهُ.

يقالُ: جَنَبَت الرِّيحُ جُنُوبًا، وشَمَلَتْ شمُولاً، ودَبَرَتْ دُبُورًا، وصَبَتْ صُبُوًّا، وسَمَّتْ سُمُومًا، وحَرَّتْ حُرُورًا، مضموماتُ الأوائل.

فإذا أردتَ الأسماءَ فتحتَ أوائلها، فقلتَ: جَنُوبٌ، وشَمولٌ، وسَمومٌ، ودَبُورٌ، وحَرُورٌ.

ولم يأتِ من المصادر شيءٌ مفتوحُ الأول، إلا أشياءُ يسيرةٌ، قالوا: توضَّأتُ وَضُوءًا حسنًا، وتطهرت طَهُورًا، وأُولِعْتُ بشىء وَلُوعًا، وإنَّ عليه لقبُولا، ووقَدَتِ النارُ وَقُودًا، وأكثرُهم يجعلُ الوَقودَ الحطبَ، والوُقُودَ المصدرَ.

ويقال: الشِّمالُ، على لغاتٍ ست، يقال: شَمَالٌ، وشَأْمَل، وشمالٌ، وشمَلٌ، وشَمْلٌ، وشَامَلٌ، غير مهموزٍ.

ويقال للشّمال: الجِرْبِيَاءُ، قال ابن أَحْمَرَ:

بجَوٍّ مِن قَسًّا ذَفِرِ الخُزَامَى ... تَدَاعَى الجِرْبِيَاءُ بهِ الحَنِينَا[1]

ويقال للجَنُوبِ: الأَزْيَبُ.

ويقال للصَّبَا: القَبُول، وبعضهم يجعلُه للجنُوب، وهو في الصَّبا أشهرُ، بل هو القولُ الصحيحُ والإيرُ، والهِيرُ، والأَيِّرُ، والهَيِّرُ، قال الشاعر:

* مَطَاعِيمُ أَيْسَارٌ إذا الهِيرُ هَبَّت *

فهذا يدلُّ على أنه الصَّبا، وذاك أنهم إنما يَتَمَدَّحُونَ بالإطْعَامِ في المشتاة[2] وشدَّةِ الزمان، كما قال طَرَفَةُ:

نحنُ في المَشْتَاة نَدْعُو الجفَلَى ... لا تَرَى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ

الجَفَلَى: العامَّةُ، والنَقَرى: الخاصَّةُ، والآدبُ: صاحب المأدُبة، يقال: مَأْدَبَةٌ ومَأْدُبَةٌ للدَّعْوَة، وفي الحديث: «إنَّ القرآنَ مَأْدُبَةُ الله».

قال أهلُ العلمِ: معناه مَدْعاةُ الله، وليس من الأدَب. وأكثرُ المفسرين قالوا القولَ الأولَ، وكلاهما في العربية جائز ويدل على القول الأول قولُ رسول الله ﷺ: «أنا الجَفْنةُ الغَرَّاءُ»، أي التي يجتمعُ الناسُ عليها ويُدْعَوْنَ إليها، ويقال في الدَّعوة: أَدَبَهُ يَأْدُبُه أَدْبًا، إذا دعاه، قال الشاعرُ:

وما أَصْبَحَ الضَّحَّاكُ إلا كخالعٍ ... عَصَانا فأَرْسَلْنَا المَنِيَّةَ تَأْدُبُهْ

* * *

وقولُنا في الرياح: إنها تكونُ أَسْماءً ونُعُوتًا نُفَسِّره إن شاء اللهُ.

يقولُ أكثرُ العرب: هذه ريحٌ جَنُوبٌ، وريحٌ شَمَالٌ، وريحٌ دَبُور، فتجعلُ جَنُوبًا، وشَمَالا، ودَبُورًا، وسائرَ الرياحِ نُعُوتًا قال الأعشى:

لها زَجَلٌ كحفيفِ الحَصَا ... دِ صادَفَ بالليْلِ ريحًا دَبُورًا

---

(١) قسا: موضع بالعالية، وذفر، من ذفر الطيب، وهو اشتداد رائحته، والخزامى: نوع من العشب، طويل العيدان، صغير الورق

(٢) ر. «المشتى».

وقال زهيرٌ:

مكَلَلٌ بأُصُولِ النَّبْتِ تَنْسِجُه ... ريحٌ شَمالٌ لضاحِي مائِهِ حُبُكُ[1]

وقال جريرٌ:

* ريحٌ خَرِيقٌ شَمَالٌ أو يَمانِيَةٌ *

فهذا يكونَ على النعت أجود، لأنه أوضحه بـ «يمانية»، ولا تكون اليمانية إلا نعتًا، لأنها منسوبةٌ، فأما الحريق فهى الشَّديدةُ من كل ريحٍ. قال حُمَيْدُ بن ثور:

بمثْوى حَرَامٍ والمطِيُّ كأنه ... قنًا مُسْنَدٌ هَبَّتْ لَهنَّ حَرِيق

والبَليلُ: الباردة من كل ريح[2]. وأصلُ ذلك الشمالُ.

[لجرير فى بنى مجاشع]

قال جريرٌ يُعَيِّرُ بنى مجاشعٍ بخذلانهم الزُّبَيْرَ بن العوَّام فى كلمةٍ يقول فيها:

إنى تُذَكِّرُنى الزُّبيرَ حَمَامةٌ ... تَدْعُو بأعْلَى الأيكَتَيْنِ هَدِيلا

يالهْفَ نفسى إذْ يَغَرُّكَ حَبْلُهُمْ ... هَلا اتَّخَذْتَ على القُيُون كَفِيلاَ

قالت قريش ما أذلَّ مُجَاشعًا ... جارًا وأكْرَمَ ذا القتيل قَتِيلاَ!

أفَبَعْدَ مَتْرَكِكُمْ خَليلَ مُحَمَّد ... ترجو القُيُونُ مع الرسول سَبِيلاَ!

أفَتَى النَّدَى وفَتى الطعان غَرَرْتُم ... وأخَا الشَّمال إذا تَهُبُّ بَلِيلا

ويُروَى أن أحَيْحَةَ بن الجلاَحِ الأنصاريَّ ـ وكان يُبَخَّلُ ـ كان[3] إذا هَبَّتِ الصَّبا طَلَعَ من أُطمه[4] فنظرَ إلى ناحية هُبُوبها، ثم يقولُ لها: هُبِّى هُبُوبَك، فقد أعددتُ لك ثلثمائة وستين صاعًا من عَجْوَة، أدْفَعُ إلى الوليد منها خمسَ تَمَرات، فَيرُدُّ علىَّ منها ثلاثًا ـ أى لصلابتها ـ بعد جهْد مَا يلوك منها اثنتين.

---

(١) مكلل: محاط، وضاحى مائه: ظاهره، وحبك: جمع حبيكة؛ وهى الطريقة، يصف ماء أحاط به النبت، وقد ضربته الريح فأظهرت فيه تكسرا.

(٢) ر. «الرياح».

(٣) ساقطة من ر.

(٤) الأطم: الحصن يبنى بالحجارة.

[من أخبار لبيد بن ربيعة]

وكان لَـبيد بن رَبـيعةَ بـن مالك بن جـعفر بن كـلاَب شريفًـا فى الجاهلـية والإسـلام قد نَذَرَ ألاّ تَهـبَّ الصَّبَـا إلاَّ نَحَـرَ وأطْعَمَ حـتى تَنقْضـىَ. فهـبت فى الإسلام[1] وهو بالكوفة مُقْترٌ مُمْلقٌ، فعلم بـذلك الوليدُ بن عقْبَةَ بن أبى مُعَيْط بن أبى عمرو بن أميَّةَ بن عـبد شمس بن عبد مناف ـ وكان وَاليَهَا لعـثمانَ بن عفَّان، وكان أخاه لأمِّه، وأُمُّهُما أَرْوَى بنت[2] كُرَيْز بن حبيب بن ربيعةَ بن عبد شمس[3]. وأمُّ أرْوَى البيـضـاء بنت عبد المطلب ـ فـخطب الناسَ وقال: إنكم قد عـرفتم نَذْرَ أبى عَقيل، وما وكَّد على نفسه، فـأَعينوا أخاكم، ثم نزل فبعث إليه بمائة ناقة[4]. وبَعَث الناسُ، فقضى نَذْرَه، ففى ذلك تقول ابنةُ لَبيد:

إذا هَبـتْ رياح أبى عَـقِـيل ... دَعَـونا عِنْدَ هبَّـتِـهـا الوَليـدا[5]

* * *

(١) ر: «بالإسلام».

(٢) ر : «ابنة».

(٣) حاشية الأصل: «غلط أبو العباس بتقديم حبيب وتأخير ربيعة».

(٤) زيادات ر: «وأبيات يقول فيها:

أرَى الجَـزَّارَ تُشْـحـذُ مُـدْيـتَـاهُ ... إذا هَبَّتْ رياح أبى عَـقـيل

طويل البـاع أبيـض جـعـفـرىٌّ ... كـريم المجـد كـالسـيـف الصـقـيل

وفى ابـنُ الجـعـفـرىِّ بما لَـدَيْه ... علـى العِـلاَتِ والمال القـليـل

فلما أتتـه قال: جزى الله الأمير خـيرا. قد عرف الأمـير أنى لا أقول شعرا، ولكن اخـرجى يابنية. فخرجت خماسية، فقال لها: أجيبى الأمير، فأقبلت وأدبرت.

(٥) بعده فى زيادات ر :

طويل البـاع أبيـض عَبْـشـمـيًّـا ... أعـان عـلى مُـرُوءتـه لبـيـدا

بأمـثـال الـهـضـاب كـأنَّ ركْـبـا ... عليـهـا من بنى حـام قـعـودا

أبا وهـب جـزاك الله خـيـرًا ... نحـرناها وأطعـمنا الثـريدا

فـعُـدْ إن الكريم له مـعـادٌ ... وَظنى بـابن أروى أن يعـودا

فقال لها لبيد: أحسنت يا بنية. لولا أنك سألت . فقالت: إن الملوك لا يستحى من مسألتهم. فقال لها: يابنية، وأنت فى هذا أشعر».

ومَنْ جَعَلَ الشَّمالَ والجنوبَ أسماءً لم يصْرِفْهَا إذا سُمِّيَ بشيء منها رجلٌ؛ لأنك إذا سميتَ رجلا مذكرًا باسم مؤنَّث على أربعة أحرف فصاعدًا لا علامةَ للتأنيث فيه لم تَصْرِفْهُ في المعرفة، وصرفته في النكرة، نحوَ عَنَاق، وأَتان، وعقرب. وإن كان نعتًا انصرفَ، لأنك إذا سميتَ رجلا مذكرًا بنعت مؤنث لا علامةَ فيه صرفتَه لأنه مذكَّرٌ نُعِتَ به المؤنَث. نحو حائِض. وطالقٌ. ومُتئِم. ومُرْضِع.

وإذا ذكرنا من الباب شيئا فما لم نذكره منه فعلى مَجْرَاه ومِنْهاجِه، قال الشاعر، فجعلَ ما وصَفْنا أسماءً:

حالتْ وحيل بها وغَيَّرَ آيَّهَا ... طول البلَى تَجْرِى به الرِّيحَان(١)

ريحُ الشَّمَال مع الجنوب وتارَةً ... رِهَمُ الرَّبيع وصائبُ التَّهتَانِ(٢)

وقد أنشدوا بيتَ زُهَيْر:

* رِيحُ الجَنَوب لِضَاحِى مَائِهِ حُبُكُ *

وَقولُنا: لاَ عَلاَمَةَ فيه للتأنيث لتَعْرِفَ كيف حُكم علاماتِ التأنيث لأنَّ ذلك إنما يكونُ على ضربَيْن:

فما كانت فيه ألفُ التأنيث مقصورةً أو ممدودة فغير منصرف فى مَعْرِفة ولا نكرة. لمذكَّر كان أو مؤنث. فالمقصور نحوُ حُبْلَى وسكْرَى، ومَا أشبه ذلك. والممدودُ نحوُ حمراءَ، وصفراءَ، وصحراءَ، وما أشبه ذلك.

فإن كانت ممدودة لغيرِ التأنيث انصرف إذا كان لمذكر فى المعرفة والنكرة، زائدًا كان أو أصليًّا، فالأصليُّ نحو سَقَاء، وغذاء، وحذاء، ورداء - والزائدة نحو علْبَاء، وحرْباء، وقوباء، يافتى، ومَن قالَ: قُوَباءٌ يافتىً - أَنَّثَ ولَم يصْرِف. لأن الأوىَ مُلْحَقَةٌ، وهذه للتَّأنيث، فأَمَّا الألفُ المقصورة التى لغير التأنيث، فإن كانت أصليةً انصرفتْ فى المذكر، ، نحو مَلْهًى، ومَغْزًى، ومُشْتَرًى.

وإن كانت زائدة لغير التأنيث انصرفتْ فى النكرة. ولم تنصرف فى المعرفة، نحو أَرْطَى، وعَلْقَى، فيمن جعل الواحدة عَلْقاةً.

---

(١) حالت: أتى عليها حول. حيل بها: . أى أحيلت عما كانت عليه. والآى: جمع آية.

(٢) الرهم. جمع رهمة. وهو المطر الضعيف.

وأمَّا ما كـانت فيه هاءُ التأنيث فـهومنصرفٌ فى النكرة، وغيـرُ منصرف فى المعرفة، لمذكَّر كان أو مؤنَّث، عربيًّا كانٍ أو أعجميًّا.

فهـذه جملة هذا البـابِ، فأمَّا قـياسُه وشـرحُه فـقد أتينا عليـه فى الكتاب (المقْتَضَب).

* * *

ويقال[١] فى أكْثر الكلام: هَبَّتْ جَنوبًا، وهبَّتْ شَمالا، فُيستَغْنَى[٢] عن ذكر الريح، وهذا مما يؤكد أنها نعوتٌ، لأن الحَالَ إنما بَابُها أن تقعَ فيما يكون وصفًا[٣]. قال جريرٌ:

هَبَّتْ شَمَـالا فذكْرِى مـا ذكرتُكُم ... عند الصَّـفاة إلـى شرْقىِّ حَـوْرانَا

وقال الآخرُ:

فــأىُّ حىٍّ إذا هَـبَّت شـــآمِــيَـــة ... واسْتَدْفـأَ الكلْبُ بالمأسُور ذى الذئَب

المأسُورُ، يعنى قَتَبًا[٤]. وإنما الأَسْرُ الشّـدُّ بالقدّ[٥] حتى يُحْكَـم، وإنما قيل الأسيرْ منْ ذا. لأنَه كان يُشَدُّ بالقدِّ. ثم قـالت العربَ لكلِّ مّحكم شديد أسير[٦]. قال الله تبارك وتعالى: ﴿نحنُ خَلَقْنَاهُم وَشَدَدْنا أَسْرَهم﴾[٧].

وقولُه: «ذى الذأَب» يعنى الفضولَ التى وسَّعَتْه وأَسْبَغَتْه. يُقالُ: غَبِيطٌ مُذَأَبٌ أى ذو ذِئَبٍ. أى مُوَسَّعٌ، والغَبيطُ: مرْكَبٌ من مَرَاكب النساء.

[لأوس بن حجر]

وقال أوْسُ بن حَـجَر فى شـدة البرد وغَلَبَـة الشمـال يَرْثى فَضَـالةَ بن كلْدة الأسَدى:

وَالحـافظ النـاسَ فى قَـحُـوطَ إذا ... لم يُـرسُلوا تحتَ عـــائذ ربعَـــا
وَعَـزَّتِ الـشَّـمْـألُ الرِّيـاحَ وقـد ... أَمْـسَى كَمِـيعُ الفـتـاة ملتَّـفْعَـا[٨]

---

(١) ر «تقول».
(٢) ر: «فتستغنى».
(٣) ر «تعتا».
(٤) القتب: رحل على قدر السنام.
(٥) القد سير يقد من حلد غير مدبوغ.
(٦) ر: «شديد الأسر».
(٧) سورة الإنسان ٢٨
(٨) الكميع. الصجيع.

وكانت الكـاعبُ المَنَعَّمة الحسـ ... ـنـاءُ فى زادِ أهلهـا سُـبُـعَـا

تحوط، وقَحُوط، وكَحْل، وحَجْرَة: أسـماءٌ للسَّنة المجْدبَة. والعائذ: الحديثة النِّتاج، فتنْحَرَ أولادها فى السَّنة المُجْدبَة إبقاءً على ألْبانها وشحومها. والرُّبَعُ الذى يُنْتج فى الربيع. والهبع: الذى يُنْتج فى الصيف. يقالُ: ما لهُ هُبَعٌ ولا رُبَعٌ. وإنما سمى: هبَعًا. لأن الرُّبَعَ أسنٌّ منه فيمشى مع أمهاته[1]. ولا يلحقهنَّ الهُبَعُ إلا باجتهادٍ فيستعينُ بعنقه فى المشى، يقالُ إذا فعل ذلك: هَبَع يهْبَعُ.

* * *

ويقال للريح الشمال: مؤْوبة ومُسْع، قال الهُذَلِىُّ:

قـد حـال دونَ دَريسـيْـه مُـؤَوِّبَةٌ ... نِسْعٌ لهـا بِعضاهِ الأرض تَـهْزِيرُ[2]

الدَّريسَان: ثوبان خَلَقَان. ومُؤَوِّبَةُ، مُفَعِّلَةٌ، من التأويب، وهو سَيْرُ النهار لا تعريجَ فيه. قالَ أبـو عبيدة: هو سير النهار، والإسآد: سيـرُ الليل لا تعريس فيه، وأنشدَ لسَلاَمَة بن جَندَل:

يومـان يوم مَـقـامـات وأنديةٍ ... ويومُ سَيـر إلـى الأعـداء تأويب

وإنما يعنى ريحًا، وقوله: نسْعٌ: أى شَمَالٌ. والعضَاهُ: شجر ضـخام[3]، فبـعض العرب يقول للواحـدة: عضَاهَةٌ، وللجمـيع: عَضَاهٌ. على وزن دجـاجة ودَجاجٍ، وبعضهم يقول للواحدة: عضَةٌ، فيـقول فى الجمع عِضَيَاتٌ. وعِضَهاتٌ. فتكون من الواو ومن الهاء قال الشاعرُ:

هـذا طريـق يَـأزمُ المآزمـا ... وَعِـضَـوَاتٌ تقَطعُ اللهَـازمـا[4]

ونظيرُ عِـضَة سَنَةٌ؛ على أن الساقط الهاء فى قـول بعض العرب، والواو فى قول بعـضهم، تقـول فى جمـعهـا سنوات، وسانيتُ الرّجـل. وبعضهـم يقول: سنهات. وأكرينه مسانهة.

(١) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «أمهاتها».
(٢) للمتنخل. ديوان الهذليين: ١٦ .
(٣) ر: «شجرة ضخمة».
(٤) المآزم: جمع مأزم؛ وهو الطريق بين جبلين، واللهازم: جمع لهزمة وهى ما تحت الأذن من أعلى اللحيين.

وهذا الحرفُ في القرآن يُقْرَأ على ضروب فمن قرأ: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ وانْظُرْ﴾(١). فوصلَ بالهاء - فهو مأخوذٌ من: سانَهْتُ. التي هي سُنَيْهة ومَن جعله من الواو قال في الوصل: ﴿لم يتَسَنَّ وانْظُرْ﴾(٢). فإذا وقفَ قال: ﴿لم يتَسَنَّهْ﴾ فكانت الهاءُ زائدة لبيان الحركة. بمنزلة الهاء في قوله: ﴿فبهُدَاهم اقْتَده﴾(٣) و ﴿كتَابيَهْ﴾(٤). و ﴿حسَابيَهْ﴾(٦). والمعنى واحدٌ. وتأويله: لَمْ تُغَيِّرْهُ السِّنون، ومن لَم يَقْصِدْ إلى السَّنَة، قال: لم يتأسَّنْ. والآسِنُ: المتغيِّر، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿فيها أنهارٌ من ماء غير آسِنٍ﴾(٧). ويقال: أَسِنٌ في هذا المعنى، كما يقال: رجل حَاذِرٌ وحَذِرٌ.

* * *

ويقال للرِّيح الجَنُوب: النُّعَامَى، قال أبو ذُؤَيْب:

مَرَتْهُ النُّعَامى فلم يَعْتَرِفْ ... خِلاَفُ النُّعَامَى من الشَّأْمِ ريحَا

ومعنى «مَرَتْه» استَدَرَّتْه، وفي الحديث: «ما هَبَّت الريحُ الجَنوبُ إلا أَسالَ اللهُ بهَا وَاديًا».

وقال رجلٌ يمدحُ رجلا:

فَتى خُلِقَتْ أخلاقُه مُطمئنةً ... له نفَحاتٌ ريحُهُنَّ جَنوبُ

يريدُ أن الجنوبَ تأتي بالمطر والندى.

والعربُ تكرَهُ الدَّبُورَ، وفي الحديث أنَّ رسول الله ﷺ قال: «نُصِرْتُ بالصَّبا، وأهْلكَتْ عادٌ بالدَّبُور».

وقَلَّمَا يكون بالدَّبور المطَرُ، لأنّها تُجَفِّل السحابَ، ويكونُ فيها الرَّهَجُ والغَبَرَة. ولا تهُبُّ إلا أقلَّ ذاك إلا بشدة. فتكادُ تَقْلَعُ البيوتَ وتأتي على الزُّروع.

[لرجل في الهجاء]

وقال رجلٌ يهجو رجلا:

---

(١) ر: «في قول بعضهم».

(٢) سورة البقرة ٢٥٩

(٢) سورة الأنعام ٩٠ .

(٣) سورة الحاقة ١٩ .

(٥) سورة الحاقة ٢٠ .

(٦) سورة محمد ١٥ .

لو كنت ريحًا كانت الدَّبُورَا ... أو كنتَ غَيْمًا لم تكُنْ مطيرَا
أو كنتَ ماءً لم تكونْ طهورًا ... أو كنتَ مُخًّا كنتَ مُخًّا رِيرَا

* أو كنتَ بَرْدًا كنتَ زَمْهَرِيرًا *

الرِّيرُ: المخُّ الرقيق، يقال: مُخٌّ رَيرٌ ورَارٌ، فى معنًى واحد، وقال السُّلَيْكُ:

* يَصيدُكَ قافلا والمُخُّ رارُ *

وقال آخرُ:

لو كنت ماء لم تكن بعذب ... أو كنت سيفا كنت غير عضب
أو كنت لحما كنت لحم كلب ... أو كنت عيرا كنت غير ندب(1)

[السليك يرثي فرسه]

فأمَا قولُ السُّلَيْك فإنه يرثى فرسَه. وكان يقال له النَّحَّامُ، فقال:

كأنَّ قوائمَ النَّحَّامِ لَمَّا ... تحَمَّلَ صُحْبتى أُصُلا محَارُ
على قَرْمَاءَ عاليةٌ شَوَاهُ ... كأن بياضَ غُرَّته خمَارُ
وما يُدْرِيكَ ما فقْرى إليه ... إذا ما القومُ وَلَّوا أو أغاروا
ويُحْضِرُ فوق جُهْدِ الحُضْرِ نصًّا ... يَصِيدُكَ قافلا والمخُّ رَارُ

قوله:

* كأن قوائم النحَّامِ لمَّا *

المحارة: الصَّدَفَة. يريدُ المَلاَسَة، وأنه قد ارتفعتْ قوائمُه للموت. والأصلُ: جمع أَصيل، والأصيلُ العَشِيُّ، يقال: أصيلٌ وأصُلٌ، مثل: قضيب وقَضُب، وجمع أصُل آصالٌ. وهو جمعُ الجمع، وتقديره: عُنُق وأَعْنَاق. وطُنُبٌ وأطنابٌ. ويقال فى جمع أصيلة أصائل، مثلُ خَليفة وخَلائف. قال الأعْشَى:

* ولا بأَحْسَنَ منها إذْ دَنا الأصُلُ(2) *

---

(1) الندب: الخفيف السريع.

(2) وصدره. * يوما بأطيب منها نشر رائحة *

وقال أبو ذؤَيْب :

لعَـمْرِى لأنَت َالبـيتُ أُكْـرِمُ أَهْلَه وأَقـعُـدُ فى أَفْـيَـائه بـالأصـائل

وقَرْمـاءُ. ممدودةٌ: اسم موضع. وشَـوَاهُ: قوائمه. وقـد فسـرناه قبلَ هذا. وقوله: «ولَّـوْا أو أغارُوا» إذا طَلَبُـوا أو هَرَبوا. وقوله: «يَصِيدُك» أى يَصِيدُ لك يقال: صدْتُكَ ظَبْيًا. قال الله عز وجل: ﴿وإذا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[1]. أى كالُـوا لهم، أو وَزَنُوا لهم. يقال: كلْتك ووَزَنْتك. لأنـه قد قال تعـالى أوَّلا: ﴿إذا اكْتَالُوا على الناس يَسْتَوْفُونَ﴾[2].

فـأما مـا جاء فى الحـديث من قول رسـول الله ﷺ عند الهُبُـوب: «اللهمَّ اجْعَلْهـا رياحًا وَلا تجْعَلْهـا ريحًا»، فإن الـعربَ تقولُ: لا تَلْقحُ السـحابُ إلا من رياحٍ. وتصـديقُ ذلك قـول الله عـز وجل: ﴿اللهُ الذى يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحابًا﴾[3]. وقول النبى ﷺ: «إذا هَبَّتْ بَحْرِيَّةً ثم تذاءَبَتْ» قال الشاعر:

* تَسُحُّ إذا تذاءَبَتِ الرِّياحُ *

يقول: إذا تقابلت: يقـال: تذاءَبَتِ الرياحُ، وتَناوَحَتْ، أى تقابلتْ، وتَنَاوَحَ الشجرُ، إذا قابلَ بعضه بَعْضًا، وإنما سميت النائحة نائحةً لأنها تُقابِلُ صاحبتَها.

فإذا خَلَصت الريحُ عندهم دَبُورًا فهى من جنس البَوار، وإذا خَلَصَت شَمالا شَتْويَّة فـهى من آيات الجدْب. ومن ثمَّ تقولُ العربُ: فلا يُطْعِمُ فى الشَّـمال، كما تقولُ: يطْعِم فى الْمحل: قال أَوْسُ بن حَجَر: «وعزَّت الشَّمْألُ الرِّياح» أى غَلَبَتْها، فكانت أقوى منهـا، فلم تَدَعْ لها موضعًـا وقوله: ﴿وعَزَّنى فى الْخطَاب﴾[4] أى غلبنى فى المخاطبة والخصومة، ومن أمثالِ العربِ: «من عَزَّ بزَّ» وتأويلُه: من غَلَبَ استلب[5]. قالت الخنْساء:

كَـأنْ لم يكونوا حِـمَى يُتَّـقَى إذِ النـاسُ إذْ ذاكَ مَنْ عـزَّ بَزَّا

[بين غنوى وفزارى]

قال أبو العـباس : وحدثنى عمْـرو بن بحرِ الجاحظُ قـال: رأيتُ رجلا من غَنِىٍّ يُفاخِرُ رجلا من بنى فَزَارَةَ. ثمَّ أَحدَ بَنِى بدْرِ بن عمرو، وكان الغَنَوى متمكنًا

(١) سورة المطففين ٣ . (٢) سورة المطففين ٢ .
(٣) سورة الروم ٤٨ . (٤) سورة ص ٢٣ . (٥) ر «سلب» .

من لسانه؛ وكان الفزارىُّ بكيئًا[1]. فقال[2] الغنوىُّ: ماؤُنا من بين الرَّقَمِ إلى كذا. وهم جيرانُنا فيه، فنحن أقصرُ منهم رشاءً، وأعذبُ منهم ماءً، لَنَا رِيفُ السُّهُول ومعاقِلُ الجبال، وأرضُهم سَبِخَةٌ، ومياهُهم أَمْلاحٌ، وأَرْشِيَتُهم طِوَال، والعربُ[3]. من عَزَّبَزَّ. فبِعِزِّنا ما تَخَيَّرنا عليهم، وبِذُلِّهِمْ ما رَضُوا مِنّا[4] بالضَّيْمِ.

وقوله: «كان الفزارىُّ بكيئًا» يقول: غيرَ قادرٍ على الكلام، وأصلُ ذلك في الحَلَبِ، يقالُ: ناقة غَزِيرةٌ وناقةٌ بكىءٌ، وهى ضدُّ الغزيرة، أى قليلةُ اللبن، ودَهِينٌ وصِمْرِد. فى معنى، يقالُ: بكَأَت الشاة والناقة، وبكؤت. قال الشاعرُ:

فإذا ما حَارَدتُ أو بَكُؤَتْ ... فُضَّ عن خاتَمِ أُخرَى طِينُهَا[5]

وقال سَلاَمة بنُ جَنْدل:

يقولُ: مَحْبِسُها أَدْنى لِمرْتَعِها ... ولو تَدَاعى بِبُكْءٍ كلُّ مَحْلوب[6]

يقولُ: إنْ نَحْبِس الإبلَ على ضرٍّ ونقاتلْ عنها فهو أَدْنى بأن تَعزَّ فتَرْتَعَ فيما تَسْتَقْبل، وإن ذهبتَ أَلبانُها، لأنا إنْ أَطَرَدْناها[7]. وهَرَبْنَا طمِعَ فينا واسْتُذْلِلنا، ويقال فى الكلامِ: رجلٌ عَيِىٌّ بَكِىٌّ.

وقال أبو العباس: وهذا الغنوىُّ: إذا قابل[8] بقبيلته آلَ بَدْرٍ فقد أَعظَمَ الفِرْيَةَ، وبلغ فى البُهْتِ، وأَشْمَتَ العَدُوَّ بجمْهُور قيْس، وصارَ بهم إلى قول[9] الأَخْطل:

وقد سَرَّنى من قَيْسِ عَيْلانَ أننى ... رأيتُ بنى العَجلانِ سادوا بنى بَدْرِ

(١) ر: «بكيا». وما أثبته عن الأصل.

(٢) ر: «قال» وما أثبته عن الأصل.

(٣) ر: «والعرب عن عز بز»، س: «والعرب إذ ذاك من عزَّ بزَّ»، وما أثبته عن الأصل.

(٤) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «عنا».

(٥) هو عدى بن زيد؛ وقبله:

ولنا باطية مملوءة ... جونة يتبعها برزينها

البرزين: إناء يتخذ من قشر الطلع، والحرد داء فى القوائم؛ إذا مشى البعير نفض قوائمه، فضرب بهن الأرض كثيرا، وانظر اللسان ٤ : ١٢٣ . ١٨ : ١٩٦ .

(٦) ر: «وإن تداعى».

(٧) أطردناها: أمرنا بطردها. وفى ر: «طردناها».

(٨) ر «حاول». (٩) ر «إلى ما قال».

وكان زيادٌ يقولُ - وهو الغايةُ فى السياسة - أوصيكم بثلاثة: العالم[1]، والشريف، والشَّيْخ. فوالله لا أوتى بوَضيعٍ سَبَّ شريفًا، أو شابٍّ وَثَبَ بشيخ، أو جاهلٍ امتهن[2] عالمًا إلا عاقبتُ وبالغْتُ.

[لعمارة بن عقيل يهجو بنى أسد]

وقال عُمارة لبنَى أَسَد بن خُزَيْمةَ:

يأيُّها السَّائلى عَمْدًا لأُخْبِرَهُ ... بذات نفسى وأَيْدى الله فوقَ يَدى
إنْ تَسْتَقِمْ أَسَدٌ تَرْشَدْ وإن شَغَبَتْ ... فَلا يَلُمْ لائمٌ إلاَّ بَنى أَسَد
إنى رأيتكمُ يعْصَى كبيرُكُمُ ... وتكنَعونَ إلى ذى الفَجْرَة النَّكد[3]
فباعدَ الله كلَّ البُعْد داركُم ... ولا شفاكمْ من الأضْغان والحَسد

فرأى عصيانهم الكبيرَ من أقبح العيب، وأدَلَّه على ضِغْن بعضهم لبَعض. وحَسَد[4] بعضَهم بعضًا. والوضيعُ يَنْقَلبُ إلى الشَّريف؛ لأنه يَرَى مُقَاولته فَخرا، والاجتراء عليه ربْحًا. كما أن مُقاولة الشريف للّئيم ذُلٌّ وَضَعَة. قال الشاعرُ:

إذا أنتَ قَاوَلْتَ اللَّئيمَ فإنما ... يكونُ عليك الفضل حين تُقاولُهْ[5]
ولستَ كمن يَرْضَى بما غيْرُهُ الرِّضَا ... ويمسح رأس الذِّئْب والذّئبُ آكلُهْ

وسَنُشْبِع هذا المعنى إن شاء الله.

وفى هذا الشعر بيتٌ يُقَدَّمُ فى باب الفَتْك. وهو:

فلا تَقْرَبَنْ أَمْرَ الصَّريمة بامْرِئٍ ... إذا رام أَمْرًا عَوَّقَتهَ عواذُله
[وقل للفؤادِ إنْ تُرَى بكَ نَزْوةٌ ... من الرَّوْعِ أَفْرِخْ أكْثُر الرَّوع باطلهْ][6]

الصَّريمة: العَزِيمة.

* * *

(١) ر: «بالعالم». (٢) ر: «امتحن».
(٣) تكنعون: تخضعون، والفجرة: الفجور، والنكد: اللئيم.
(٤) ر: «وحسد» بسكون السين؛ والصحيح ما أثبته عن الأصل.
(٥) ر: «يكون عليك العتب».
(٦) ما بين العلامتين من زيادات ر. وأفرخ: أى أخرج روعك وفزعك.

وقد امتنَعَ قوم من الجواب تَنَبُّلا، ومواضعُهم تُنْبِئُ عن ذلك، وامتنع قومٌ عِيًّا بلا اعتلال. وامتـنع قومٌ عَجْزاً[١]. واعتلُّوا بكرهة السَّـفَه، وبعضُهم مُعْـتَلٌّ برفعة نفسه[٢] عَن خصـمـه، وبعضُهم كان يَسُـبُّهُ الرجلُ الرَّكيكُ من العَـشيرة فيُـعْرِضُ عنه[٣] ويَسُبُّ سـيِّـدَ قومـه، وكانت الجـاهلـيةُ ربما فـعلته بِقَى الـذُّحُول[٤]. قال الراجزُ:

إنَّ بَجِـيـــلا كلَّـمَـــا هَجـــانى ... مِـلْتُ عـلـى الأغـطش أو أَبَـان
أو طَلْحـةِ الخَيـرِ فَتَى الـفتْـيَـان ... أَولاكَ قَـــومٌ شَـأنُهُـمْ كَـشَـــانِى
مـا نلْت مَن أعـراضِـهم كَـفـانِى ... وإن سكَتُّ عــرَفُــوا إِحْـســانِى

وقال أحدُ المحْدَثينَ:

إنّى إذا هَرَّ كَلبُ الْـحَى قلتْ له: ... اسلِمْ. ورَبكَ مَخْـنُوقٌ على الجِرَرِ

قوله: «اسْلَمْ» فاستأنف بألف الوصل؛ لأن النصفَ الأول موقوفٌ عليه.

قال الشاعرُ:

ولا يبُـادرُ فى الشّـتـاء وليـدنا[٥] ... القِــدْرَ يُنْزلهـا بغــيـر جِــعَــالِ

الجِعَالُ: الذى تنْزَل[٦] به البُرْمَة، وربما تُوقِّيَتْ به حرارتها.

قال الراجز:

لا نَـسَبَ الـيـــــــومَ ولا خُلَّـةٌ ... اتَّـسَعَ الخَــــــرقُ علـى الراقِـعِ

وهذا كثير غيرُ مَعيب.

* * *

وفى مثل اختيار النبيل لتكافؤ الأغراض[٧] قول الأخطل:

---

(١) ر: «عجزوا». وما أثبته عن الأصل. س.
(٢) ر. س: «برفعة نفسه»، وهذه رواية الأصل.
(٣) كلمة « عنه » ساقطة من ر .
(٤) الذحول: «جمع ذحل» وهو الثأر.
(٥) ر: «وليدها».
(٦) ر: «الذى بوضع فيه البرمة». وما أثبته عن الأصل. س.
(٧) ر: «لتتكافأ» . وما أثبته عن الأصل . س .

شَفَى النَّفسَ قَتْلَى منْ سُلَيْمٍ وعامرٍ ... ولم يَشفِها قَتْلى غَنِيٍّ ولاجَسْرِ
ولا جُشَمٍ شَرِّ القبائلِ إنها ... كبَيْضِ القَطا ليسوا بسُودٍ ولا حُمْرِ
ولَوْ ببَنِي ذُبْيانَ بُلَّتْ رِماحُنا ... لَقَرَّتْ بهمْ عينِى وباءَ بهمْ وتْرِى

* * *

وقال رجلٌ من المحْدَثِينَ. وهو حمْدانُ بن أَبانَ اللاحقيُّ:

أَلَيْسَ من الكبائرِ أنَّ وَغْدًا ... لآلِ مُعَذَّلٍ يهجو سَدُوسَا
هجا عرْضًا لهمْ غَضًّا جَديدًا ... وأهْدَفَ عِرْضَ والدِه اللَّبِيسَا

* * *

وقال آخر:

اللُّؤْمُ أَكْرَمُ من وَبْرٍ ووالدِه ... واللؤْم أكرم من وَبرٍ ومَا وَلَدَا
قَوْمٌ إذا جَرَّ جانى قومِهمْ أمِنُوا ... من لؤم أحْسابهمْ أن يُقتلُوا قَوَدَا
اللُّؤْم داءٌ لوَبْرٍ يُقْتَلونَ به ... لا يُقْتلون بداءٍ غيرِه أبَدا[1]

* * *

وقال رجل من المحْدَثِينَ[2]:

أمَّا الهِجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ ... والمدْحُ عنك كما عَلِمْتَ جَليلُ
فاذهبْ فأنت طليق[3] عِرْضِكَ إنَّه ... عِرْضٌ عَزَزْتَ به وأَنتَ ذَلِيلُ

* * *

وقال آخرُ:

نُبِّئْتُ كلبًا هاب رَمْيِى له ... يَنْبَحُنى من موضعٍ نائى
لَوْ كنتَ من شيءٍ هَجَوْناكَ أَو ... لَوْ بِنْتَ لِلسَّامع والرائى
فعدِّ عن شتمى فإنى امرُؤٌ ... حَلَّمنى قِلَّةُ أكفائى

---

(١) ر: «اللؤم».

(٢) ر: «وقال أحد المحدثين»؛ وفى الزيادات: «هو دعبل».

(٣) ز: «عقيق عرضك».

وقال آخر[١]:

فلــو أني بُلـيتُ بهـــاشـــميٍّ ... خــؤولتــه بنو عَـبْـــد المَدَانِ
صَــبَـرْتُ عــلى عِـداوتــهِ ولكنْ ... تَعــالَيْ فــانظـرى بمن ابتــلانى

* * *

[من أخبار ذوى الحلم]

ووقف رجل عليه مُقَطَّعَاتٌ على الأحْنَف بن قَيْسٍ يسبُّهُ ـ وكـان عَمرُو بن الأهْتَمِ جعل له ألفَ درهم علـى أن يُسَفِّهَ الأحنفَ ـ فجـعل لا يألو أن يسبّه سـبًّا يُغْضب، والأحنفُ مُـطْرِقٌ لا يكلمه[٢]. فلمـا رآه لا يكلمـه أقـبلَ الرجلُ يعضُّ إبهامه[٣] ويقولُ: يا سَوْأَتاه! والله ما يمنعه من جوابى إلا هوانى عليه!

* * *

وفعَل ذلك آخرُ. فأمسكَ عنه الأحنفُ، فأكثرَ الرجل، إلى أن أراد الأحنفُ القيامَ للغَداء؛ فـأقبل على الرجل، فقال له: يا هذا! إن غَداءَنَا قـد حضرَ فانْهَضْ بنا إليه إن شئْتَ، فإنكَ مُذُ اليوم تحْدُر بحمل ثِفَال.

والثِّفَالُ من الإبل: البطِيءُ الثقيلُ الَّذى لا يكادُ ينْبَعث.

* * *

وعُدَّتْ على الأحنف سَـقْطةٌ في هذا الباب، وهو أن عـمرَو بن الأَهْتَم دَسَّ إليه رجلا ليسفهه، فقال له: يا أبا بَحْرٍ[٤]، ما كان أبوك فى قومه؟ قال: كان من أوسطهم، لم يسدْهُم، ولم يتخلَّفْ عنهم، فرجع إليه ثانية، ففطنَ الأحنفُ أنه من قبل عمرو. فقال: ما كان مالُ أبيك؟ فقال: كانت له صِرْمَة[٥] يمنح منها ويقرى، ولم يك أَهْتمَ سلاحًا[٦].

* * *

(١) زيادات ر: «هو دعيل».
(٢) لفظ «لا يكلمه» ساقط من ر.
(٣) ر: «إيهامه». (٤) ر: «أبا بحر».
(٥) الصرمة: القطعة من الإبل لم تبلغ السنين.
(٦) السلاح. كثير السلح. يعرض بأبى عمرو.

وجُعِلَ لرجل ألفُ درهم على أن يسألَ عمرَو بن العاص عن أُمِّه ـ ولم تكن في موضعٍ مَرْضِيٍّ [إنما كانت من عَنَزَة، ثم من بنى جلاَّنَ][1] ـ فأتاه الرجل، وهو بمصرَ أميرًا عليها. فقال: أردت أن أعرفَ أمَّ الأمير، فقال: نعم، كانت [امرأة][1]، من عَنَزَةَ. ثم من بنى جلاَّن. تُسَمَّى لَيْلى وتلقَّبُ النابغة، اذهَب فخذ[2] مَا جُعِل لك.

* * *

وقال له مرةً المنذر بن الجارود: أى رجل أنتَ لولا أمُّك! قال: فإنى أحمدُ اللهَ إليك، إنى فكَّرْتُ فيها[3] البارحةَ. فأقبلتُ أنقُلُها فى قبائلِ العرب. فما خطَرَتْ لى عبدُ القيس ببال[4].

* * *

ودخل عمرو مكةَ فرأى قومًا من قريش قد جلسوا حَلْقَةً، فلما رأوه رَمَوْهُ بأبصارهم، فعَدل إليهم فقال: أَحْسَبُكُم كنتم فى شىء من ذكرى! قالوا: أجَل. كنا نمثل[5] بينك وبين أخيك هشام أيُّكما أفضل؟ فقال عمرٌو: إنَّ لهشام علىَّ أربعةً: أمُّه ابنة هشام بن المغيرة، وأمِّى مَنْ قد عَرَفتم، وكان أحبَّ إلى أبيه منى، وقد عرفتم معرفة الوالدِ بالولدِ، وأسلمَ قبلى، واستُشْهِدَ وبَقيتُ.

* * *

قال أبو العباس: وقد أكثر الناس فى الباب الذى ذكرناه، وإنما نذكُر من الشىْء وجوهه ونوادرَه.

قال رجلٌ لرجل من آل الزبير كلامًا أقْذَعَ له فيه. فأعرضَ الزبيرىُّ عنه. ثم دار كلامٌ فسبَّ الزبيرىُّ علىَّ بن الحسين. فأعرضَ عنه. فقال له الرجل الزبيرى: ما يمنعك من جوابى؟ فقال على: ما منعكَ من جواب الرجل!

* * *

---

(١) تكملة من الأصل. س.

(٢) ر: «وخذ».

(٣) ر. «فى هذا».

(٤) ر: «على بال».

(٥) ر «نميل».

وقد رُوى قولُ القائل: لو قلتَ واحدة لسمعتَ عشرًا. فقال له: ولكنك لو قلتَ عشرًا ما سمعتَ واحدة.

وقال الشاعرُ:

ولقد أَمُرُّ على اللئيم يسُبّنى فأجوزُ ثُمَّ أقولُ لا يَعْنينى

* * *

وقال رجلٌ لرجلٍ ـ وسَبَّه فلم يلتفتْ إليه ـ: إياك أَعنى. فقال له الرجلُ: وعنكَ أُعْرِض.

* * *

فأما قولُ الشَّعْبىِّ للرجلِ ما قال فمنْ غَيْرِ هذا الباب، وإنما مَخْرَجُه الدِّيانةُ. وذاك أن رجلا سبَّ الشعبىَّ بأمور قبيحة نسبه إليها. فقال له[1] الشعبىُّ: إن كنتَ كاذبًا فغفر اللهُ لك. وإن كنتَ صادقًا فغفَر اللهُ لى.

* * *

وقال أبو العباس: قال رجلٌ لأبى بكر الصديق رحمه اللهُ: لأَسُبَّنَّكَ سَبًّا يَدخلُ معك قبرَك. فقال: معكَ واللهِ يدخلُ لا معى.

* * *

[ويُحَدِّثُ ابنُ عائشة عن أبيه: أن رجلا من أهل الشام دخل المدينةَ. فقال: رأيت رجلا على بغلةٍ لم أرَ أحسنَ وجهًا ولا أحسنَ لِباسًا ولا أفْرَهَ مَرْكبًا منه. فسألت عنه. فقيل لىَ: الحسنُ بن على بن أبى طالب. فامتلأتُ له بُغْضًا. فَصِرْتُ إليه. فقلتُ: أأنت ابنُ أبى طالب؟ فقال: أنا ابنُ ابنه. فقلتُ له: فيك وبك وبأبيك. أسُبُّهما. فقال: أحُسبك غريبًا! قلتُ: أَجَلْ. فقال: إن لنا منزلا واسعًا، ومعونَةً على الحاجة ومالا نُوَاسِى منه. فانطلقتُ وما أَجِدُ على وجهِ الأرض أَحبَّ إلىَّ منه][2].

* * *

---

(١) ساقطة من ر. (٢) ما بين العلامتين من زيادات ر.

قال أبو العباس: ويتصل بهذا الباب ذِكْرُ من رغِبَ برجلٍ عن إرثِ رجلٍ لا يُشَاكله. وولاية رجلٍ لا يشابهُه. قال الشاعرُ[1]:

بكتْ دار بِشْرٍ شَجْوَها أنْ تبدَّلَتْ ... هلالَ بن قَعْقَاع ببِشْرِ بن غالب

ومـا هيَ إلا كالعروس تنقَّلتْ ... على رَغمها من هاشمٍ فى محارب[2]

[للفرزدق حين ولى ابن هبيرة العراق]

وقال الفرزدقُ حين وَلِى العِراقَ عمرُ بن هُبَيْرَةَ الفزاريُّ بَعقِب مَسْلَمة بن عبد الملك[3]:

راحتْ بَمسْلَمَةَ البغالُ عُشَيَّةً[4] ... فارْعَىْ فزارةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ!

ولقد علمتُ إذا فزارة أمِّرتْ[5] ... أنْ سوفَ يطمَعُ فى الإمارة أَشْجَع[6]

فأرى الأمور تنكرتْ أعلامُهَا[7] ... حتى أمَيَّة عن فزارةَ تُنْزَعَ

عزل ابنُ بِشْرٍ وابنُ عمرو قبلَه ... وأخو هراةَ لمثلها يَتَوَقَّعُ

فلما وَلِى خالدُ بن عبد الله القَسْرىُّ على عُمَر بن هُبَيْرَة. قال رجلٌ[8] من بنى أسد يجيب الفرزدق:

عجبَ الفرزدقُ من فَزارة أن رأى ... عنها أُمَيَّة بالمشارق تُنْزَعَ

(١) هو إسماعيل بن عمار بن عيينة الأسدى؛ نسبه أبو تمام إليه فى الحماسة ص ١٥١٣ ـ بشرح المرزوقى.

(٢) قال المرزوقى: شجوها. انتصب على أنه مفعول به. والشاعر يفضل بشرا على هلال؛ يقول: إن الدار التى كان يستوطنها بشر لما رحل عنها وصار فيها بدلا منه هلال ـ بكت وتحسرت. وحق لها ذلك؛ فما هى فى استبدالها إلا كعروس زوجت من بنى هاشم ثم انتقلت إلى محارب. ومحارب: قبيلة فيها ضعة وخمول.

(٣) ديوانه ٥٠٨: «حين عزل عبد الملك بن بشر بن مروان عن البصرة وسعيد بن عمرو بن الحارث بن الحكم ابن أبى العاص عن الكوفة. وسار مسلمة من العراق إلى الشام، وولى العراق عمر بن هبيرة الفزارى». مع اختلاف فى ترتيب الأبيات.

(٤) الديوان:

* ومَضَتْ لِمَسْلَمَةَ الرِّكابُ مُوَدَّعا *

(٥) الديوان: «لئن فزارة أمرت».

(٦) ر «يطمع».

(٧) الديوان:

* إنَّ القيامَةَ قدْ دَنَتْ أشْرَاطُها *

(٨) نسبها المرصفى إلى إسماعيل بن عمار الأسدى.

فَلقد رأى عجبًا وأُحدثَ بعدَه ... أمرٌ تَضجُّ له القلوبُ وتَفْزَعُ
بكَت المنابرُ من فَزارة شَجْوَهَا ... فاليومَ من قسْرٍ تَذُوبُ وتجزَعَ
وملوكُ خنْدفَ أَسْلَمونَا للعدَى[1] ... لله دَرُّ ملوكنا ما تَصْنَعُ!
كانوا كتَاركة بَنيها جانبًا ... سَفهًا وغيرَهُمُ تَصُونُ وترْضِعُ

[للفرزدق أيضا فى هجاء عمرو بن هبيرة]

قال أبو العباس: وكان الفرزدقُ هَجَّاءً لعمرَ بن هُبَيْرَة عند ولايته العراقَ، وفى ذلك يقول ليزيدَ بن عبد الملك:

أميرَ المؤمنينَ وأنت بَرٌّ ... أمينٌ لستَ بالطَّبَع الحريص
أأَطْعَمْتَ العراقَ ورافدَيْه ... فزاريًّا أحَذَّ يد القميص[2]
تَفَيْهَقَ بالعراق أبو المُثنَّى ... وعَلَّم قومَهُ أكْلَ الخَبيص
ولم يَك قبلَها راعِي مَخَاضٍ ... ليأمَنه على وَرِكَيْ قلوص

قوله: «لست بالطَّبع الْحريص». فالطبع: الشديد الطمع الذى لا يفهمُ لشدة طمعه. وإنما أخذ هذا من طبع السيف، يقال: طَبَعَ السيفُ، يا فتى! وهو سيفٌ طبعٌ، إذا ركبه الصَّدَأ حتَّى يُغَطِّيَ عليه. والمَثلُ من هذا فى الذى طبع على قلبه إنما هو تغطيةٌ وحجابٌ. يقُال: طَبَع الله على قلب فلان. كما قال جلَّ وعزَّ: ﴿خَتَمَ اللهُ على قُلوبهم وَعَلى سَمْعهم﴾. هذا الوقف. ثم قال: ﴿وَعَلَى أَبصارهْم غشَاوَةٌ﴾[3] وكذلك: رينَ عَلَى قلبه، وغينَ على قلبه؛ فالرَّيْنُ يكونُ من أشياءَ تَألَفُ عليه فتغطيه. قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿كلا بل رَان علَى قُلوبهم مَا كانُوا يكْسبُون﴾[4]. وأما «غينَ على قلبه». فهى غِشاوةٌ تعتَريه. والغَيْنَةُ: القطعة من الشجرِ الملتفِّ تُغَطى ما تحتهَا، قال الشاعر:

كأنِّى بَيْنَ خافِيَتَىْ عُقَابٍ ... أصابَ حَمامةً فى يومِ غَيْنِ[5]

(١) ر: «ذللتنا للعدى».
(٢) ر: «أأطمعت». وما أثبته عن الأصل. س.
(٣) سورة البقرة ٧ . وفى ر. «طبع الله على قلوبهم». وهو مخالف للتلاوة.
(٤) سوة المطففين ١٤ .
(٥) نسبه المرصفى إلى رجل من تغلب يصف فرسا. وذكر قبله.

وقالَ بعضُهم: أرادَ فى التفاف من الظُّلْمة. وقال آخرونَ: أراد فى يوم غيم. فأبدل من الميم نونًا. لاجتماع الميم والنون فى الغُنَّة. كما يقالُ للحيَّة: أيْمٌ. وأَيْنٌ. واستجازت الشعراءُ أن تَجْمعَ الميم والنونَ فى القوافى. لما ذكرتُ لك من اجتماعهما فى الغُنَّة. قال الراجز:

بُنىّ إن البِرَّ شىءٌ هَيِّنْ ... الْمَنْطِقُ اللَّيِّنُ والطُّعَيِّمُ

وقال آخرُ[1]:

ما تَنْقِمُ الحربُ العَوَانُ مِنِّى ... بازلُ عامَيْن حديثٌ سِنِّى[2]

* لمِثْلِ هذا ولَدتْنى أمِّى *

والعِرَاقَان: البصرة والكوفة. والرَّافِدَان: دِجْلةُ والفراتُ.

وقوله: «أَحَذَّ يدِ القميص»، الأحَذ: الخفيفُ. قال طَرَفَة:

* وأَتْلَعُ نهَّاضٌ أحَذ: مُلَمْلَمُ *[3].

وإنما نَسَبه بالخفة فى يده إلى السرقة[4].

وقوله: «تَفهَّقَ»، أى امتلأ مالا[5]. يقال: بئر تَفْهَقُ. وغَدير يَفْهَقُ، إذا امتلأ ماءً. قال الراجزُ:

لا ذَنْبَ لِي قد قلتُ للقومِ استَقُوا ... والقَوْمُ فى عُرْض غَديرٍ يَفْهَقُ

وقال الأعشى فى مدحه المحلق بن حنتم أحد بنى أبى بكر بن كلاب:

نفَى الذَّمَّ عن رَهْطِ المَحلَّقِ جَفْنَةٌ ... كجابِيَةِ الشيخِ العِرَاقِىَ تَفْهقُ

= فداءٌ خالتى وفِدًا صديقى ... وأهْلى كلُّهم لِبَنى قُعَيْن
فأنتَ حَبَوْتَنى بعنانِ طِرْف ... شديد الشَّدِّ ذى بذل وَصَوْن

(١) نقل المرصفى عن ابن سيده. أنه أبو جهل بن هشام.

(٢) البازل من الإبل: ما استكمل السنة الثامنة. وطعن فى التاسعة. فإذا جاوز البزول قيل بازل عام أو عامين؛ وكذلك ما زاد؛ فإذا قيل ذلك للرجل فإنه يراد استكمال شبابه. قاله المرصفى.

(٣) رواية البيت بتمامه. كما فى ديوانه (٥٦ ـ مجموعة العقد الثمين).

وأرْوَعُ نباضٌ أحَدُّ مُلَمْلَمٌ ... كمِرْداةِ صَخْرٍ مِنْ صَفِيحٍ مُصَمَّدِ

(٤) ر: «السرق». (٥) ر: «ماء».

هكذا فى رواية أبى عُبيدة.

وقوله:

ولم يَك قبْلَها راعِي مَخاضٍ ... لِيَأْمَنَهُ على وَرِكَيْ قَلوص

كانت بنو فَزارَةَ تُرمَى بِغشيانِ الإِبل. ولذلك قال ابنُ دَارَةَ:

لا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خلَوْتَ به ... على قُلوصِكَ واكتُبْها بأَسْيَارِ

[للفرزدق أيضا فى حبس عمر بن هبيرة]

فلما عزل ابن هبيرة وحبسه خالد بن عبد الله القسرى قال الفرزدق:

لعمرى لئن نابتْ فَزَارَةَ نَوْبَةٌ ... لَمِنْ حَدَثِ الأيامِ تَحبِسُها قَسْرُ
لقد حَبَس القَسْرىُّ فى سجن واسط ... فتًى شَيْظَمِيًّا ما يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ
فَتى لم تربِّبهُ النصارَى ولم يكنْ ... غِذاءً له لحمُ الخنازيرِ والخَمْرُ

قوله: (١فتى شيظميا١) . الشَّيْظمىُّ : الطويلُ. قال ذو الرُّمَّة:

إذا ما رَمَينا رَمْيَةً فى مفَازَةٍ ... عَرَاقِيبَها بالشَّيْظَمِيِّ المواشكِ(٢)

يريدُ حاديًا يَسُوقُها، وقوله: «ما يُنَهْنِهُهُ الزَّجرُ». يقول: ما يُحَرِّكه.

وقوله: «فَتى لم تُرَبِّبْهُ النصارى» يُنَبِّه به على أمِّ خالد، وكانت نصرانيةً روميَّة، وكان أبوه استَلَبها فى يوم عيد للرُّوم، فأَوْلدها خالدًا وأَسَدًا، ولذلك يقولُ الفرزدقُ:

ألا قطَعَ الرحمنُ ظهرَ مَطيَّة ... أتتْنا تَهادى من دِمَشقَ بخالد
وكيفَ يَؤُمُّ الناسَ مَنْ كانت امُّهُ ... تَدينُ بأَنَّ اللهَ ليس بواحد!
بَنى بيعَةً فيها النَّصارَى لأمِّه ... ويَهْدِمُ من كُفْر مَنارَ المَساجِدِ

وقال:

عليكَ أميرَ المؤمنين بخالد ... وأصحابه لا طَهَّر اللهُ خالدَا
بَنَى بيعةً فيها الصَّليبُ لأمِّه ... ويَهْدِمُ مِن بُغْضِ الصلاةِ المساجدَا

(١ ـ ١) ساقط من ر .

(٢) ديوانه ٤٢٦ . والمواشك: السريع.

وكان سببُ هَدم خالد مَنار المساجد حتى حَطها عن دُورِ الناس أنه بلغه شـ
لرجلٍ من الموالى. موالى الأنصار. وهو :

لَيــتنى فى الْمُــؤَذِّنينَ حَـيَــاتى , إنهم يُبْـصِـرونَ مَـنْ فى السُّطوح
فَـيُشِــيـرونَ أو تُشـيــرُ إليـهم بالـهَـــــوى كـلُّ ذات دَلٍّ مَلِـيح

فحطها عن دُور الناس. ويُرْوَى عنه فيما رُوِىَ من عتُوِّه أنهُ استُعْفِىَ من بـ
بناها لأمِّه. فقال للإ مِنَ المسلمين: قَبحَ اللهُ دينهم، إن كان شَرًّا من دينكم!.

* * *

[للفرزدق عند هروبه من سجن ابن هبيرة]

وقال الفرزدقُ لابن هُـبَيْرَةَ حين[1] نُقِبَ له السـجنُ وهرب، فسـار[2] فـ
الأرض هو وابنه حتى نَفَذَا[3]:

لَمَّـا رأيتَ الأرضَ قـد سُــدَّ ظهُـرها ولم يَبْقَ إلا بـطنَهـا لـك مَـخْـرَ-
دعَــوْتَ الذى ناداه يونُسُ بـعـدَ مـا ثوَى فى ثلاث مُـظْلمـات فَـفـرَّ-
فأصبحتَ تحتَ الأرض قد سرتَ سيرةً ومـا سار سـارٍ مثـلها حين أدْلَجَـ
خـــرجتَ ولم يَـمْنُنْ علـيكَ طَلاَقَـةً سوى رَبَد التَّقْريبِ من نَسْلِ أعْوَجَ

فقـال ابنُ هُبَيرة: مـا رأيتُ أشرفَ من الفـرزدق! هجانى أميـرًا. ومد-
أسيرًا.

قـولُه: «حـيثْ أَدْلَجَــا». تقـولُ: أَدْلجْتُ، إذا سـرتَ فى[6] أول اللـ
وادَّلجْتُ، إذا سرتَ من آخره فى السَّحر. قال زُهَيْرٌ:

---

(١) ر: « حيث » .
(٢) ر: «وسار».
(٣) وانظر أيضا خبر هذه الأبيات بتفصيل أوسع فى الديوان ١٤١ .
(٤) ر: «حيث أدلجا». وهذه رواية الأصل والديوان.
(٥) ر: الديوان: «من آل أعوجا».
(٦) ر: «من».

بَكَرْنَ بُكوراً وادّلَجن بسُحْرَةٍ فُهنَّ لِوَادى الرَّسِّ كالْيدِ للفَم

وأَعْوَجُ فرسٌ كان لِغَنِىٍّ، وقالوا: كان لبنى كلاب. ولا يُنْكَرُ هذا. لأن خبيبة[1] بنت ريَاح الغَنَوِيَّة ولدَتْ بنى جعفر بن كلاب. فلعله أن يكونَ صارَ إلى بنى جعفر بن كلاب من غَنِىٍّ.

والعربُ تَنْسُبُ الخَيْلَ الجِيادَ إلى أعْوجَ، وإلى الوَجيه، ولاحِق. والغراب. واليَحْموم. وما أشبهَ هذه الخيلَ من المتقدمات. قال زَيْدُ الخَيْل:

جَلَبْنَا الخيلَ من أجأ وسَلمى تخبُّ نَزَائعًا خَبَبَ الذئاب[2]
جلَبْنَا كلّ طِرْفٍ أعْوَجِىٍّ وسَلْهَبَةٍ كخافِيَةِ العُقَاب[3]

* * *

ثم نرجعُ إلى التشبيه المصيب؛ قال امرؤُ القيس فى طول الليل:

كأنَّ الثُّريَّا عُلِّقَتْ فى مَصَامِها بأمْرَاس كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدلِ

فهذا فى ثَبات الليل وإقامته. والمصَامُ: المقَامُ. وقيل للممسك عن الطعام: صائم، لثباته على ذلك، ويقال: صامَ النهارُ إذا قامت الشمسُ. قال امرؤُ الفيس:

فَدَعْها وسل الهمَّ عنك بِجَسْرةٍ ذَمُولٍ إذا صامَ النهارُ وهَجَّرا

وقال النابغة:

خَيْلٌ صيامٌ وخَيْلٌ غيرُ صائمةٍ تحت العَجَاج وخيلٌ تَعْلُكُ اللُّجَما

والأمراسُ: جمع مَرَس. وهو الحبلُ. قال أبو زُبَيْدٍ يرثى غلامهَ ويذكر تعرضه للحرب[4]:

إمَّا تُقَارَنْ بكَ الرّماحُ فلا أَبكِيكَ إلا لِلدَّلْوِ والمرَس[5]

* * *

(١) ر: « حبيبة ». وما أثبته عن الأصل.

(٢) النزائع: جمع نزيعة، وهى التى تنزع إلى وطنها وتحن إليه.

(٣) السلهبة، والسلهب أيضا الفرس الطويل.

(٤) ر: «وتعرض للحرب فقتل».

(٥) ر: «إما تعلق». وما أثبته رواية الأصل. س

وقال فى ثَبات الليل:

فيَـالَكَ من لـيلٍ كـأنّ نُجـومَـهُ بكل مُـغـارِ الفَتْلِ شُـدَّت بيَـذْبُلِ

المُغارُ: الشديدُ الفَتْلِ. يقال: أَغَـرْتُ الحبلَ. إذا شددتَ فتْله. ويَذْبُلِ: جبلٌ بعينه.

* * *

وقال أيضًا :

كـأنَّ أبـانًا فى أفـانـين وَدْقـه كـبـيـر أناسٍ فى بجَـادٍ مُـزمَّل

أبانٌ جبل. وهما أبانَان: أبانٌ الأسْوَد. وأبانٌ الأبيض، قال المُهَلْهِلُ[1] ـ وكان نزَلَ فى آخرِ حـربِهم ـ حربَ البَسوسِ ـ فى جَنْب بنِ عَمـرو بن عُلَةَ بن جَلْد بن مالك، وهو مَذْحجٌ. وجَنْبٌ حَىٌّ من أحيائهم وَضيعٌ ـ فخُطِبَت ابنتُه ومُهِرَت أَدَمًا فلم يقدر على الامتناع، فزوَّجَها، وقال:

أنْكَحَـهـا فَـقْـدُها الأراقِم فى جَنْبٍ وكـان الْـحِـبـاءُ من أَدَم[2]

لو بِأَبـانَيْنِ جـاءَ يخطُبُـهـا ضُـرِّجَ مـا أَنْفُ خـاطبٍ بدَمِ

وقوله: «فى أفـانين ودقه» يريد ضروبا من ودقـه. والودق: المطر. قال الله تبارك وتعالى: ﴿**فترى الودق يخرج من خلاله**﴾[3].

وقال عامر بن جوين الطائى :

فَـلا مُـزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَـهـا ولا أرضَ أَبْقـلَ إبْقـالـهـا

وقوله:

* كَبِيرُ أُناَس فى بجَاد مُزَمَّلِ *

يريدُ مُزَمَّـلا بثيابه. قال الله تبـارك وتعالى: ﴿**يأَيُّها المُزَّمِّـلُ * قُم اللَّيلَ إِ قليلا**﴾[4]. وهو المُتَزَمِّـل. بثـيابه[5] والتـاء مـدغمـةٌ فـى الـزاى. وإنما وَصَـفَ

(١) ر : «مهلهل».

(٢) الأراقم : قبائل من تغلب؛ ويريد بالحباء هنا المهر. والأدم: الجلد.

(٣) سورة النور ٤٣ . (٤) سورة المزمل ١ ، ٢ .

(٥) ساقطة من ر .

امرؤُ القيس الغيثَ. فقال قومٌ: أراد أنَّ المطر قد حَنَّقَ الجبلَ فصار له كاللباس على الشيخ المتزَمِّل.

وقال آخرون: إنما أراد ما كساه المطَرُ من خُضرة النبت. وكلاهما حَسَنٌ، وذَكر الوَدْق لأن تلك الخضرة من عمله.

* * *

وقال الراجزُ يصفُ غيْمًا:

أقْبَلَ فى المسْتَنِّ من رَبابِهِ   أَسْنِمَةُ الآمال فى سَحابِهِ

أراد أنّ ذلك السحابَ يُنْبتُ ما تأكله الإبل، فتصيرُ شُحومُها فى أسنمتها.

والرَّبابُ سحابٌ دُوَيْنَ المُعْظَم من السحاب، قال المازنىُّ[1]:

كأنَّ الربابُ دُوَينَ السَّحَابِ   نَعامٌ يُعَلَّقُ بالأرْجُلِ

وقوله جل وعزَّ: ﴿**إنِّى أرانى أعْصِرُ خَمرًا**﴾[2] أى أعصرُ عِنبًا فيصيرُ إلى هذه الحال.

* * *

وقال زُهَيرٌ:

كأنَّ فُتَاتَ العِهْنِ فى كل مَنزِلٍ   نَزَلْنَ به حَبُّ الفَنَا لم يُحَطَّمِ

الفَنا: شجرٌ بعينه، يُثْمِرُ ثمرًا أَحمرَ ثم يتفرَّقُ فى هيئة النَّبِق الصّغار. فهذا من أحسن التشبيه. وإنما وصفَ ما يسقُطُ من أَنماطِهِنَّ إذا نَزلْنَ.

والْعِهْنُ: الصُّوف المُلَوَّن فى قول أكثر أَهل اللغة. وأما الأصمعىُّ فقال: كلُّ صوف عِهنٌ. وكذلك قال أهلُ اللغة: الحنْتَمُ الخَزَفُ الأخضرُ. وقال الأصمعىُّ: كلُّ خَزَفٍ حنتمٌ. قال القُرَشِىُّ[3]:

مَنْ مُبْلغُ الحسْناءِ أنَّ حَليلَها   بمَيْسَانَ يُسْقَى فى زُجاجٍ وحَنْتَمِ

---

(١) نقل المرصفى من الأغانى أنه زهير بن عروة بن جلهمة.

(٢) سورة يوسف ٣٦ .

(٣) نسبه المرصفى إلى النعمان بن عدى بن نضلة.

وقال جريرٌ :

ما فـى مَقامِ ديار تَـغْلِبَ مَسْـجدٌ　　　وبهــــــا كنـائِسُ حَـنْتـمٍ ودِنان

* * *

والتشبيهُ جـار كثيرٌ فى كلام العربِ، حتى لو قالَ قـائلٌ: هو أكثر كلامِهِمْ، لم يُبْعِدْ.

قـال الله عـز وجلَّ وله المَثَلُ الأعْلَى: ﴿الزُّجاجَةُ كـأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾(١). وقال: ﴿طَلْعُهـا كأَنَّهُ رُءوسُ الشَّـياطين﴾(٢). وقد اعـترضَ معتـرضٌ من الجهلة المُلْحدين، فى هذه الآية. فـقال: إنما يَمَثَّلُ الغائبُ بالحاضـرِ، ورءوس الشياطين لم نَرَها، فكيف يَقَعُ التمثيلُ بها!

وهؤلاء فى هذا القـول كما قـال الله جلَّ وعزَّ: ﴿بل كَذَّبْوا بمَا لـم يُحيطُوا بعلْمـه ولَمَّـا يَأتهمْ تأويلُهُ﴾(٣). وهذه الآيةُ قـد جاء تفـسـيرها على ضـربين(٤). أحدَهمَا أن شجرًا يقال له الأَسْتَنُ(٥). منكَرُ الصورة يقالُ لثمره: رءوس الشياطين، وهو الذى ذكره النابغةُ فى قوله:

* تَحِيدُ مِن أَسْتَن سُودٍ أسَافِلُهُ *(٦).

وزعم الأصمعىُّ أن هذا الشجَر يسمى الصَّوْمَ.

والقولُ الآخرُ ـ وهو الذى يَسْـبقُ إلى القلب ـ أن الله جَلَّ ذكُره شَنَّعَ صورة الشياطِين في قُلوب العبادِ. فكان(٧) ذلك أبلغَ من المعايَنة، ثم مَثَّلَ هذه الشجرةَ بما تَنْفُرِ منه كلُّ نفس.

---

(١) سورة النور ٣٥ .　(٢) سورة الصافات ٦٥ .　(٣) سورة يونس ٣٩ .

(٤) ر : «فى ضربين». وما أثبته عن الأصل. س.

(٥) نقل المرصفى عن أبى حنيفة الدينورى أنالأستن شجر يفشـو فى منابته ويكثر، إذا نظر إليه الناظر من بعيد شبهه بشخوص الناس.

(٦) بقيته :

* مثل الإماء الغوادى تحمل الحزما *

(٧) ر «وكان».

[حديث أبي النجم العجلي مع هشام بن عبد الملك]

قـال أبو العبـاس: وحُدِّثْتُ في إسنادٍ مـتصـل أن أبا النَّجْمِ العِجْليَّ أنشـدَ هشاما[1]:

* والشمسُ قد صارتْ كَعَيْنِ الأحْوَلِ *

لما ذهبَ به الرَّوِيُّ عن الـفكر في عين هشـام، فـأغضـبَـه، فـأمَـرَ بطرده. فطُرِد[2]. فأقَلَ أبو النَّجم رَجْعتُهُ. فكان[3] يأوى المسجد[4]، فأَرِقَ هشامٌ[5] ذات لَيلة فقال لحاجبه: أبْغِني رجلا عَرَبيًّا فصيحًا يـحادثُني ويُنْشدُني. فَطَلَبَ له ما طَلَبَ، فوَقَفَ على أبي النَّجم، فَـأَتى. فلما دُخِل به إليه قال: أين تكون منـذُ أقصيناكَ؟ قال: بـحيثُ ألفـتْني رُسُلُكَ، قال: فـمَن كان أبا مَـثْوَاكَ؟ قـال: رَجُلين: كَلْبـيًّا وتَغْلَبيـًّا. أتَغدَّى عند أحدهما. وأتعـشيَّ عند الآخرِ. فقـال له: مالَكَ مِنَ الوَلَد؟ قال: ابنتان. قال: أزَوَّجتَـهما؟ قال: زوَّجتُ إحداهما. قال: فيم أوصَـيْتَها؟ قال: قلتُ لها ليلةَ أهْدَيْتُها:

سُـبِّي الحـمـاةَ وابْهَـتي عليـهَـا	وإنَّ أبَتْ فـازْدَلفي إلـيـهَـا
ثم اقْـرَعِي بالوُدِّ مـرْفَـقـيـهْـا[6]	وجَـدِّدي الْحلْـفَ به عليـهَـا

* لاَ تُخْبرى الدهرَ بذاكَ ابْنَيْهَا *

قال: أفأوصيتَهَا بغيرِ هذا؟ قال: نَعم، قلت:

أَوْصَـيْتُ من بَـرَّةَ قلبًـا حُـرًّا	بالكَلْـب خـيـرًا والحـمـاة شـرًّا
لا تَسْـأَمِي نَـهكا لهـا وضَـرًّا	والحَيَّ عُـمِّـيـهـمْ بشَـرٍّ طُرًّا
وإن كَـسَـوكِ ذهـبًـا ودُرًّا	حـتى يَرَوْا حُلْـوَ الحـيـاة مُـرًّا

---

(١) ر: «هشام بن عبد الملك». من أرجوزته التي مطلعها.

* الْحَمْدُ لله الْعَلِيِّ الأجْلَلِ *

(٢) ساقطة من ر .

(٣) ر: «وكان».

(٤) ر: «المساجد».

(٥) ر: «أرق هشام ليلة».

(٦) الود : الوتد .

قــال هشــامٌ : مــا هكذا أوْصَى بعــقــوبُ ولــدَه، قــال أبو النجم: ولا أنا كيعقــوبَ، ولا بنتى كولده. قال: فما حالُ الأخــرى؟ قال: قد دَرَجَتْ بين بيوت الحيِّ، وتنفعنا[1] فى الرسالة والحاجة. قال: فما قلتَ فيها؟ قال: قلتُ:

كــأنَّ ظَلامَــةَ أختَ شَــيبــانْ   يَتــيــمــةٌ ووالــداهَا حَــيَّــانْ

الرأسُ قَــمْلٌ كلــه وصـئْــبَــانْ   وليس فــى الرِّجْلَيْن إلا خَــيْطَانْ

* فَهْيَ التى يُذْعر منها الشيطانْ *

قال: فــقال هشــام: يا غلام[2]، ما فــعلتِ الدنانير المخــتومة الــتى أمرتُك بقبــضها؟ قال: ها هى عندى، ووزنُهــا خمسمــائة. قال: فادفعْــها إلى أبى النجم ليجعلهَا فى رِجْلَىْ[3] ظَلاَّمةَ مكانَ الخَيْطَيْن، أفلا تراهُ قال:

* فهْيَ التى يُذْعَرُ منها الشيطانْ *

وإن لم يَرَه. لما قرَّرَ فى القلوب من نكارَته وشَناعَته! وقال آخرُ :

وفى البَــقْلِ إن لم يَدْفَعِ الله شَــرَّهُ   شَيَاطين يَعْــدُو بَعْضُهُنَّ على بعض

وزعَم أهلُ اللغة أنَّ كلَّ متمردٍ من جنٍّ أو إنس أو سَبُع[4] أو حية[4] يقال له شيطانٌ. وأن قــوله: «تَشَيْطَنَ» إنما معــناه تخَبَّثَ وتَنكَّر. وقد قــال الله جل وعزَّ: ﴿شَيَاطِينَ الإِنْسِ والجنِّ﴾[5]. قال الراجز:

أبْصَــرتُهــا تَلْــتَهم الثُّــعْبــانَا   شــيــطانةٌ تَزَوَّجَــتْ شــيطــانًا

وقال امرؤُ القيس :

أتوعِــدُنى والمشْــرَفِىُّ مُضَــاجِــعى   ومَــسْنُونَةٌ زُرْقٌ كــأنيــابِ أَغْــوَالِ!

والغولُ: لم يَخْبرْ صادقٌ قطٌّ أنه رآها.

* * *

ثم نرجعُ إلى تفسير شعر أبى النجم[6]:

---

(١) ر : «ونعتنا» .   (٢) ر : «الحاجيه».

(٣) ر : «رجل».   (٤) ساقطة من ر .

(٥) سورة الأنعام ١١٢ .   (٦) ر : «وأقول أبى النجم».

قوله: * سُبِّي الحماةَ وابْهَتِي عليها *

إنما يريد: ابهَتِيها، فوضَعَ «ابهتي» في موضع «اكْذبي» فمن ثَمَّ وصلَها بـ «على».

والذي يُستعملُ في صلَةَ الفعل اللام، لأنها لام الإضافة، تقول: «لزيد ضربتُ» و «لعمرو أكرمتُ» والمعنى: عمرًا أكْرَمتُ، وإنما[1] تقديرُه: إكرامي لعَمْرو. وضربي لزيد. فأجْرَى الفعلَ مُجْرَى المصدر، وأحسنُ ما يكون ذلك إذا تقدَّمَ المفعول. لأن الفعل إنما يجيء وقد عَملَت اللامُ. كما قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾[2]. وإن أُخِّرَ المفعولَ فهو عربي[3] حسنٌ. والقرآنُ محيطٌ بجميع[4] اللغات الفصيحة، قال الله جل وعزَّ: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾[5] والنحويون يقولون في قوله جل ثناؤه: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾[6]: إنما هو: رَدِفَكُمْ. وقال كُثَيِّرٌ:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

وحروفُ الخفض يُبْدلُ بعضها من بعض، إذا وقع الحرفان في معنًى في بعض المواضع، قال الله جل ذكره: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[7]، أي «عَلَى» ولكنَّ الجذوعَ إذا أحاطت دخلتْ «في». لأنها للوعاء. يقال: «فلانٌ في النَّخْل». أي قد أحاطَ به. قال الشاعر[8]:

هُمُ صَلَبُوا العَبْديَّ في جذْعِ نخلة فلا عَطَسَت شَيْبانُ إلا بأَجْدَعَا

وقال الله جل وعز: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾[9] أي عليه. وقال تبارك وتعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[10]، أي: بأمرِ الله. وقال ابنُ الطَّثْرِيَّة:

---

(1) ر: «فإنما».
(2) سورة يوسف ٤٣.
(3) ر: «فعربي».
(4) ر: «بكل».
(5) سورة الزمر ١٢.
(6) سورة النحل ٧٢.
(7) سورة طه ٧١.
(8) هو سويد بن أبي كاهل. اللسان ٤: ٢٦٧. وبأجدع. أي بأنف أجدع.
(9) سورة الطور ٣٨.
(10) سورة الرعد ١١.

غَدَتْ مِنْ عليه تَنْـفُضُ الطَّلَّ بعدَمَا ... رأتْ حاجبَ الشمسِ اسْتَوَى فَتَرَفعَا

وقال الآخرُ :

غَدتْ مِن عليه بعدَمَـا تَمَّ خمْسُها ... تَصِلُّ وعن قَيْضٍ بزيَزاءِ مَـجْهَلِ[1]

أى من عنده.

وقال العامرى[2]:

إذا رضِـيتْ علىَّ بنو قُـشَـيْـر ... لعـمـر اللهِ أعـجـبنـى رضَـاها

وهذا كثيرٌ جداًّ .

وقوله : * وَإنْ أَبَتْ فازدَلِفى إلَيْهَا *

يقول: تقرَبى، ومن ذا سُمَّيت المزْدلفةُ، قال العَجَّاج:

نَاج طَـواهُ الأيْنُ ممَّا وجَـفـا ... طَىَّ اللَّـيـالى زُلَفًـا فَـزُلُفـا

* سَمَاوَةَ الهلالِ حتى احْقَوْقَفَا *

يقال[3]: زُلُفةٌ وزُلَفٌ. كقولك: غُرْفةٌ وغُرَفٌ.

وقوله: * بالكلب خيرًا والحماة شَرًّا *

كلامٌ مَعيبُ عندَ النحويـين، وبعضُهم لا يُجيزه؛ وذلك لأنه[4] عَطَفَ على عاملَين. على الباء[5] وعلى الفـعل. ومنْ قال هذا قال: ضـربتُ زيدا فى الدار، والحُجْرة عمرًا.

قال أبو العـباس: وكان أبو الحسن الأخـفشُ يراهُ ويقرأُ: ﴿**واخْتَلاف اللَّيْل وَالنَّهَار وَمَا أَنْزل اللهُ مِنَ السَّمـاء من رزْق فأَحْيَا به الأرْضَ بَعْد مَوْتها وتَصْريف**

---

(١) لمراحم العقيلى فى وصف القطا، اللسان ١٣ : ٤٠٦ . وقال فى شرحه: «قال ابن السكيت فى قوله: «من عليه»: من فوقه. يعنى من فوق الفرخ. ومعنى: «تصل»، أى هى يابسة من العطش»

(٢) حاشية الأصل: «هو القحيف العقيلى».

(٣) ر: «تقول».

(٤) ر: «وذاك أنه».

(٥) ر. «بالماء».

الرِّيَاحِ آيَاتٌ﴾[1]. فعطف على «إنَّ» وعلى «فى» وقال عدىُّ بن زيد:

أَكُلَّ امْـرِئٍ تَحْـسِـبِـينَ أَمْـرَأً ... ونـارٍ تَوَقَّـدُ بالـلـيل نَـارًا

فعطفَ على «كلّ» وعلى الفعل.

وأما قوله:

* غَدَتْ مِنْ عليه بعد ما تمَ خِمْسُهَا *

فالخِـمْسُ: ظِمءُ من أَظْمَائهـا، وهو أن تَرِدَ ثم تُغِبَّ ثلاثا. ثم تَرِد. فـيُبْـتَدُّ بيَوْمَىْ وِرْدِها مع ظِمْئِها. فيقال: خِمْسٌ، والرِّبع كحُمَّى الرِّبْعِ.

وقوله: «تَصِلُّ» أى تَسْمَعُ لأجوافها صَلِيلا من يُبْس العطَش، يقال: المسمار يَصِلُّ فى الباب إذا أُكْرِهَ فيه. قال جريرٌ يخاطبُ الزُّبَيْرَ بمَرْثِيَته فى هجَائه الفرزدق:

لو كنتَ حين غُـرِرْتَ بَـيْنَ بُيُـوتنَا ... لَسَمِـعْتَ من وَقْعِ الحَدِيدِ صَـلِيلا

ويقال للحمار: الْمصَلْصِل. إذا أخرج صوتَه من جوفه حادًّا خفيًّا.

قال الأعْشَى:

عَنْتَـريس تَعْـدُو إذا حُـرِّكَ السَّـوْ ... طُ كـعَـدْوِ المصَـلْصِلِ الجَـوَّالِ[2]

وقال المفسـرون فى قوله عز و جل: ﴿منْ صَلْصَالٍ منْ حَـمَأٍ مَسْنُونٍ﴾[3]. قالوا[4]: هو الطين الذى قد جَفَّ، فـإذا قَرَعَهُ شىءٌ كان له صَلِيلٌ. وتفـسيرُ ذلك عند العربِ التِّقْنُ[5] الذى يَذهب عنه الماءُ فى الغدران فيَتَشَقَّقُ ثم يَيْبَسُ.

والقَيْض: قشرُ البيضة[6] الأعلى، والذى يَلْبَسُ البيضـةَ فيكونُ ما بينها وبين قشرها الأعلى. يقال له: الغِرْقِىءُ. يقال: ثوبٌ كأنه غِرْقِىءُ البيض[7].

والزِّيزَاءُ: ما ارتفعَ من الأرض: وهو ممدودٌ منصرفٌ فى المعرفة والنكرة، إذا كان لمذكر. كالـعِلْباء والحِرْباء، وسنذكر هذا فى غير هذا الموضع مُـفَسَّرًا، على أنَّا قد استقصيناه فى الكتابِ (المقْتَضَب).

---

(١) سورة الجاثية ٥ . بنصب «آيات». وهى قراءة حمزة والكسائى والباقون بالرفع وانظر الكشاف ٤ : ٢٢٥.

(٢) ديوانه ٨ قال فى شرحه: «عنتريس: صلبة قوية، أخذه بالعرندسة. إذا أخذه بالجفاء والغلظ، والمصلصل: الصافى الصوت: قال: وليس هذا بالوصف الجيد».

(٣) سورة الحجر ٢٦ .

(٤) ر : «قال».

(٥) التقن: اسم للطين الذى يذهب عنه الماء.

(٦) ر: «البيض».

(٧) ر: «بيض».

والمَجْهَلُ: الصحراء التى يُجْهَلُ فيها، فلا يُهتَدى لسَبيلها.

ويقال للشىء إذا غَبَّ وتغيرت رائحتُه. صَلَّ وأَصَلَّ. فهوَ صالٌّ ومُصَلٌّ ويقال: نَتَنَ وأنْتن. ويقال: خَمَّ وأخَمَّ. وذاك إذا كان مستورًا حتى يَفْسُدَ. ويقال إذا عَتَقَ اللحم فتغير: خَنِزَ وخزِنَ. وبيتُ طَرَفَة أحسنُ ما يُنْشَدُ:

ثم لا يَخْنُزُ فينا لَحْمُها ... إنما يَخْنز لَحْمُ المدَّخِرْ

ويقال لربِّ البيت وربَّة البيت اللَّذَين ينزل بهما الضَّيفُ: هى أُمُّ مَثْوَاهُ. وهو أبو مَثْوَاهُ. وأنشد أبو عُبيدةَ:

مِن أُمِّ مَثْوَى كريم قد نزلْتُ بها ... إنَّ الكريم على عِلاتِهِ يسعُ

وفى كتاب الله جل وعزَّ: ﴿أَكْرِمى مَثْواهُ﴾ معناه عند العربِ إضافتُه.

* * *

ومن التشبيه المطردِ على أَلْسِنَةِ العربِ ما ذكروا فى سَيرِ الناقةِ وحركة قوائمها، قال الراجزُ:

كأنهـا ليلة غب الأزرق ... وقد مددنا باعها للسُّوَّق

* خَرْقاء بين السُّلَّمَيْن تَرْتَقى *

قوله: «ليلة غبَّ الأزرَق»، إنما يعنى موضعًا، وأَحْسِبُه ماءً، لأنهم يقولون: نَطْفةٌ زَرقاءُ. وهى الصافيةُ، قال زهير:

فلمَّا وَرَدْنَا الماءَ زُرْقًا جمامُهُ ... وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضِر المُتَخَيِّمِ(١)

وقال آخرُ:

فألْقَتْ عصا التَّسْيَار عنها وخَيَّمَتْ ... بأَرْجاءِ عَذبِ الماءِ زُرْقٍ مُحافِرُ

وقوله:

وقد مددنا باعها للسُّوَّق

(١) ديوانه ١٣ : الجمام: ما اجتمع من الماء الواحدة جم وجمة، وضعن. أى أقمن، والحاضر. الذين حضروا الماء. والمتخيم. المقيم (من شرح الديوان).

يقول: استفرغنا ما عندَها فى[1] السَّير. يقال: تَبَّوعَتْ وانْبَاعَتْ، إذا مدَّتْ باعَها.

وقوله: خرْقاءُ بين السُّلَّمَيْن تَرْتقى

يقول: لكثرةِ حركة الخرقاء وقلة حذْقِها بالصُّعود.

وقال الآخرُ:

كـأنَّهـا نائحـةٌ تَفَـجَّع   تَبْكِى بشجوٍ وسِواهَا الموجع[2]

* * *

وقال الشَّماخُ:

كـأنَّ ذرَاعَـيْـهـا ذراعـا مُـدلَّة   بُعيْدَ السِّبـاب حاولَتَ أُنْ تَعَـذَّرَا[3]
من البيضِ أعطـافًا إذَا اتَّصلَتْ دَعَتْ   فرَاش بن غَـنْمٍ أو لَقيطَ بَن يَعـمَرَا[4]
بهـا شَـرَقٌ منْ زَعْـفَـرَان وَعَنْبَـر   أطارتْ من الحسْنِ الرِّداءَ المُحَبَّـرا[5]
تقـولُ وَقـد بَلَّ الـدُّمـوعُ خِمـارَهَا   أَبَى عِـفَّتى ومَنْصِـبِى أن أُعَـيَّـرا
كـأنَّ بذفْـرَاها مَنَاديـلَ فَـارَقَتْ   أكُفَّ رجـال يَعْـصـرُونَ الصَّنَوْبَرَا
كـأنَّ ابْنَ آوَى مُـوثَقٌ تَحتَ غَرْضِـهـا   إذا هو لـم يكْلِـمْ بِنَابَيْـه ظَفَّـرَا

شَبَّـه يديها بيدَىْ مُـدلَّة بجمال ومنـصب قد سابَّتْ وأقـبلتْ تعتذر وتشـير بيديها. فَوصَفَ جمالَهَا الذى به تُدلُّ؛ وَمَنْصِبَهَا المتصلَ بمن ذَكَرَتْهُ.

وقوله:

* أطارتْ من الحسن الرداء المحَّبرا *

---

(١) ر: «من السير».   (٢) ر: «لشجو».

(٣) ديوانه ٢٩. قال فى شرح الديوان: شبـه ذراعيها وهى تتذرع فى سيرها بـذراعى امرأة مدلة على أهلها ببراءة ساحتها وقوله: «بعيد السباب». أى فى عقب المسابة قامت تعتذر إلى الناس».

(٤) قال فى شـرح الديوان: «البيض: جـمع بيضاء. وهى نقـية العرض من الـدنس. والأعطاف: الجوانب واتصلت: انتسبت؛ وفراس: رجل عزيز. بالفتح. وهو ابن تغلب. ولقيط بن يعمر رجل أيضا عزيز. و «أو» بمعنى الواو. أى أنها شريفة النسب. فهى لا تقصر عن نفى ما رميت به».

(٥) الديوان: «لها شرق». والشـرق: الضمخ. وأطارت: رمت. والمحبر: المزين. أى أنها مدلة بجـمالها فلا تختمر فتستر شيئا عن الناظر؛ لأنها تبتهج بكل ما فى وجهها ورأسها. (من شرح الديوان).

يقول: هى مُدِلَّةٌ بجمالها. فلا تَختَمِر فَتستُرَ شيئا عن الناظر. لأنها تَبْتَهج بكل ما فى وجهها ورأسها.

وقد كَشَفَ هذا المعنى عمر بن أبى ربيعةَ المخزومىُّ حيثُ يقولُ:

فلما تَوَاقَفْنا وسَلَّمْت أقبلتْ وجُوهٌ زَهاها الحُسْن أن تَتَقَنَّعَا
تَبَالَهْنَ بالعِرْفان لمَّا عَرَفْنَنى وقلْنَ امرؤٌ باغٍ أكَلَّ فأَوْضَعَا
وقرَّبن أسبابَ الهوَى لمقَتَّلٍ يَقيسُ ذرَاعًا كلَّما قِسْن إصْبَعَا
[فقلتُ لِمُطْرِيهنَّ ويحَكَ إنما ضَرَرْتَ فهل تَسْطِيعُ نَفعَاً فتَنفعَاً](١)

قوله:

كأَنَّ بذفْرَاها مناديل فارقتْ أَكُفَّ رحالٍ يعْصِرُونَ الصَّنَوْبَرَا(٢)

يقول: لسَوَاد الذِّفْرَى. وهذا من كرمها. قال أَوْسُ بن حَجَرٍ:

كَأَنَّ كُحَيْلا مُعْقَدًا أَو عَنِيَّةً على رَجْعِ ذِفْراها مِنَ اللِّيتِ واكِفُ(٣)

وهذا معنَى يُسألُ عنه لأن اللِّيتْين صفحتَا العنُق. والذِّفْرَى فى أعلى القفا، فكيف يكفُ على الذفْرى مِن اللِيت! والمعنى إنما هو كأنَّ كُحَيْلا مُعْقَدًا أو عَنيَّةً واكفٌ على رجْعِ ذِفْرَاها.

وقوله: «من الليت» كقولك: كموضع دجْلة من بغدادَ، إنما هو للحَدِّ بينهما، لا أنه وَكَفَ من شيءٍ على شيءٍ.

وأما قوله:

كأنَّ ابنَ آوَى مُوثَقٌ تحْتَ غَرْضِها إذا هو لم يَكْلِمْ بنابيْهِ ظَفَّرَا(٤)

يقول: ليستْ تَسْتَقرُّ. فكأنَّ ابنَ آوَى يَكْلِمُهَا بنَابَيْهِ أو يَخْلِبها بظُفْره. فهى لا تستقرُّ. وقال أوس بن حَجَرٍ:

---

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر.

(٢) الذفرى: من نصف المقذ إلى أصول الأذنين. وفارقت: قاربت. ويعصرون الصنوبر: يستخرجون ما فيه. (من شرح الديوان).

(٣) زيادات ر «الكحيل: القطران. والعنية: ضرب منه».

(٤) موثق: مكتوف. ويكلم: يجرح. وظفر: أصابها بأظافيره.

كـأنَّ هراًّ جَنِيبًا تحتَ غَـرْضَـتِهـا ... والْتَفَّ دِيكٌ برجليـهـا وخنزيرُ[1]

والغَرْضُ والغُرْضَةُ واحدٌ. وهو حزَام الرَّحْلِ.

* * *

وقال آخرُ:

كـأنَّ ذراعـيـهـا ذراعـا بَذِيَّة ... مُفَجَّعَـة لاقَتْ خَلائِلَ عن عَفْرِ[2]

سَمِعْنَ لَها واستفرغَتْ فى حديثها ... فلا شىءَ يَفْرِى باليـدَيْنِ كما تَفرِى

[قال أبو العبـاس: أنشدنيهما عبدُ الصـمد بن الْمعَذَّل. وأنشدنيـه سعيدُ بن سَلْم][3]. ولو قيل إن هذا من أبلغ مـا قيل فى هذا الوصف ما كان ذلك بـعيدًا. وَصَفَها بأنها بَذِيَّةٌ وقد فُجِعَتْ بما أَسْـمعَتْ ونيل منها؛ ولقِيَتْ خلائلها بعدَ زمان. وتلك الشكوى كامنة فيها. وأصْغَيْنَ لها فتسمّعن[4].

والفَرْىُ: الشَّقُّ. يقال: فَرَى أَوْدَاجه، أى قَطَعَ، وفَرَيْتُ الأديم. وإذا قلتَ: أفرَيْتُ. فمعناه أصلحتُ. وقولُ الحـجَّاج: إنى واللهِ ما أهَمُّ إلا مَضَيْتُ ولا أَخْلُق إلا فَرَيْتُ. يقول: إذا قَدَّرْتُ قطعتُ. يقال: فَرَيْتُ القِـرْبة والمزادةَ، فهما مفْرِيتَّان، قال ذو الرمة[5]:

* كأنه مِن كُلَى مَفرِيَّة سَرَبُ *

* * *

وقال امرؤُ القيس :

كأنَّ الحَـصَى مِن خلفهـا وأمامـها ... إذا نَجَلَتْه رِجْـلُها حَذْفُ أَعْـسَرَا[6]

---

(١) ر: «ديك بحقوبها».

(٢) الخلائل: جمع خليلة؛ وهن اللائى أصفين الود.

(٣) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٤) ر : «إليها يتسمعن».

(٥) ديوانه ؛ وصدره :

* ما بالُ عينك منْهَا الماءَ يَنْسَكِبُ *

والكلى: جمع كلية؛ وهى رقـعة تكون فى أصل عروة المزادة. ومفرية: مقطـوعة، وسرب: سائل. (من شرح الديوان).

(٦) ديوانه ٦٤ ؛ قال فى شرحه: «يقـول: إذا سارت فرقت الحصى إلى كل جهة لشدة سيرهـا، وشبه فعلها ذلك برمى الأعسـر؛ وهو الذى يرمى برجله اليـسرى. وحصـه لأن رميه لا يذهب مـستـمكا. وكذلك الحصى إذا رمت الناقة به. ومعنى «نجلته» فرقته ورمت به. والخذف: بالحصى ونحوها؛ فإن كان بالعصا وشبهها فهو الحذف. بالحاء غير معجمة.

كـأنَّ صَـليلَ المَرْو حينَ تُـشـدُّهُ صَليلُ زُيُوفٍ يُنْتَـقَـدْن بعَـبْقَـرَا[١]

قولـه: «خَذْفُ أعـسرَا» يريد أنه يذهب على غـير قـصدٍ. وقـوله: «صَليلُ زُيُوف» يقال: إن الزائف[٢] شَديدُ الصوت صَافيه.

* * *

وقال آخر:

كـأنَّ يَدَيْهـا يَدَا مـاتح[٣] أتـى يـوم وِرْد لِـغِـبِّ زرَودا
يخـافُ الـعِـقـابَ وفى نفـسِـه إذا هـو أنْهَـلَ ألاّ يَـعُـودا

يقول: هذا السـاقى يخافُ العقابَ إن قَـصَّرَ، ولا عَوْدَةَ له إليه ثانيـةً، فهو يستسقى[٤] سقية فى مرة واحدة.

* * *

وقد أكثروا فى هذا. فمن الإفراطِ فى السرعة قولُ ذى الرُّمَّة:

كـأنَّه كـوكَبٌ فـى إثْرِ عِـفْـرِيَةٍ مُـسَوَّمٌ فى سَـوادِ الليل مُنْقَـضِبُ

يقال: عِـفْرِيتٌ وعِفْرِيَةٌ فى مـعنًى واحد. والتاء فى «عـفريتٌ» زائدةٌ. وهو ملحقٌ بـ «قنديل». يقال: فلانٌ [عِـفْرِيَةٌ زِبْنِيَةٌ، والزِّبْنِيَة: المُنكَر، وجمـعه زَبَانِيَةٌ. وأصله من الحركة. يقال: زَبَنه، إذا دَفَعَهُ، ويقال][٥]: عِفْرِيَة نِفْرِيَةٌ، على التوكيد. [وعِفْريتٌ نِفْريتٌ. ويقال: عِفَارِيةٌ، ولم يُتْبَعْ بِنُفَارِية][٦].

* * *

ومن الإفراط قولُ الحُطَيْئَة:

---

(١) قال فى شـرح الديوان؛ «شبـه صوت الحجـارة إذا رمت بها ووقوع بعـضها على بـعض بصوت الدراهم الزيوف؛ إذا انتقدها الصيرف وقلبها. والزيوف: الرديئة. واحدها زائف وزيف. وإنما خصها لأن صوتها أشد من صـوت غيرها لكثرة نحـاسها. والصليل: الصوت. والمرو. الحـجارة. ومعنى «تشده» تـفرقه. وعبقر: موضع باليمن. وكانت دراهمه زيوفا».

(٢) ر «الزيف».

(٣) الماتح. المستقى بالدلو من أعلى البئر. وزرود: اسم رمال بطريق الحاج من الكوفة.

(٤) ر: «فهى تستقى».

(٥) ما بين العلامتين من زيادات نسخة ر.

(٦) ما بين العلامتين من زيادات ر.

وإن نَظَرَتْ يومًا بمؤْخِرِ عينِها ... إلى عَلَمٍ بالغَوْرِ قالت له ابْعَدِ

ومن الإفراط قوله :

بأرضٍ تَرَى فَرْخَ الحُبارَى كأنه ... بها راكبٌ مُوفٍ على ظهر قَرْدَدِ[1]

ومن ذلك قوله :

وكادَتْ على الأطْواءِ أطْواء ضَارجٍ ... تساقِطنى والرَّحْلَ مِن صوتِ هُدْهُدِ

وقال آخر :

مَروحٌ برجليها إذا هى هَجَّرتْ ... ويمنعُها مِن أن تَطِيرَ زمامُها

وقال الشَّمَّاخُ :

مَرْوحٌ تَغْتَلى فى البِيدِ حَرْفٌ ... تَكاد تَطيرُ مِن رَأْيِ القَطيع

وكذلك الأعرابىُّ الذى يقول :

* لو تُرْسَلُ الرِّيحْ لَجِئْنَا قبلَها *

وقد مضى خبَرُه .

وأَمْلَحُ ما قيل فى هذا المعنى وأجْوَده قولُ امرئ القيسِ :

وقدْ أَغْتَدِي والطير فى وكُناتِها ... بمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابِدِ هَيْكَلِ

فجعله للوحش كالقَيْد.

* * *

وحُدِّثْتُ أن رجلا نظر إلى ظبية تَرُودُ فقال له أعرابىٌّ: أتحبُّ أن تكون لك؟ قال: نعم، قال: فأعطنى أربعَ دراهمَ حتى أردَّها إليك. ففعل. فخرجَ يَمْحَصُ[2] فى إثْرِها. فَجدَّتْ وجَدَّ، حتى أخذ بقَرْنَيْها. فجاء بها وهو يقولُ:

وَهْيَ على البُعْدِ تُلَوِّى خَدَّها ... تُرِيغُ شَدِّى وأُرِيغُ شَدَّهَا

* كيف تَرَى عَدْوَ غلامٍ رَدَّهَا *

---

(١) القردد : ما غلظ من الأرض .

(٢) يقال: محص الظبى فى عدوه يمحص محصا: أسرع وعدا عدوا شديدا، وفى ر · «يفحص» .

قال أبو العباس: ومن حُلوِ التشبيه وقريبِه، وصريحِ الكلامِ وبليغه[١] قولُ ذى الرُّمَّة:

ورَمْلٍ كأوراكِ العَذارَى قطعتُه ... وقد جلَّلَتْه المُظْلماتُ الحنادِسُ[٢]

الحِنْدسُ: اشتداد الظُّلمَة، وهو توكيدٌ لها، يقال: ليلٌ حِنْدِسٌ. وليلٌ أَلْيَلُ. كما يقال: ليلٌ[٣] مُظْلِمٌ.

* * *

وقال الشَّماخُ فى صفة الفَرَس:

مُفِجُّ الحَوَامِى عن نُسُور كأنَّها ... نَوَى القَسْبِ تَرَّتْ عن جَرِيمٍ مُلَجْلَج

قولُه: «مُفِجُّ الحوامى» يريد مُفَرِّقُ الحوامى. فالحوامى: نواحى الحافر. والنسُورُ. واحدُها نسْرٌ. وهى نُكْتَةٌ فى داخل الحافر. ويُحْمَدُ الفرسَ إذا صَلُبَ ذلك منه، ولذلك شُبِّهَ بنَوَى القَسْب[٤]. وتَرَّتْ: سقطتْ. والجَرِيمُ: المَصْرُومُ. والمُلجْلَجُ: الذى قد لُجْلِجَ مَضْغًا فى الفمِ ثم قُذِفَ لصلابته.

وقوله: «مُفِجٌّ» ليس يريدُ الذى هو شديدُ التَّفرقة. ولكن الانفصال عن النَّسْر. فإنه إن اتَّسَعَ واستوى أسفلُه فذلك الرَّحَحُ[٥]. وهو مذمومٌ فى الخيل. وكذلك إن ضاق وصَغُرَ قيل له: مُضْطَرٌّ. وكان عيبًا قبيحًا. قال حُمَيْدٌ الأرْقَطُ:

لا رحح فيها ولا اضطرار ... ولم يقلب أرضها البيطار[٦]

[* ولا لِحَبْلَيْه بها حَبَارُ *]

الحبار: الأثَر][٧]. ويروى: «ولم يقلم[٨]». وتأويل ذلك: أن حوافَرها

---

(١) ساقطة من ر.

(٢) يقول: هذا الرمل حقف كأوراك العدارى. جللته: لبسته. الحنادس. الليالى المظلمة. والحندس: الظلام. (من شرح الديوان).

(٣) ر «وليل أليل مظلم». س: «وليل أليل. وهويم. كما يقال: ليل مظلم». وما أثبته عن الأصل.

(٤) القسب: التمر اليابس يتفتت فى الفم. ونواه أصلب النوى.

(٥) الرحح: انبساط الحافر فى رقة.

(٦) ر: «ولم يقلم»

(٧) ما بين العلامتين من زيادات ر.

(٨) ، «ولم يقلب».

لا تَتَشَعَّثْ فيقلِّمها البَيْطار. لأنها إذا كانت كذلك ذهبَ منها شيءٌ بعدَ شيء فمَحقَها. وقال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَة:

لا في شظاهَا ولا أَرْساغِها عَنَتٌ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ولا السَّنابِكُ أفناهن تَّقليم[1]

وإنما يُحْمَدُ الحافرُ المُقَعَّبُ. وهو الذي هَيْئَتهُ كهيئة القَعْبِ. وإن كان كذلك قيلَ: حافرٌ وأَبٌ[2]. قال ابن الخَرِع[3]:

لها حافرٌ مثل قَعْبِ الوَليد ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ يَتَّخِذُ الفَأرُ فيه مَغَارَا

يريدُ: لو دخل الفأرُ فيه لَصَلَحَ. كقول القائل: فأتى بَجفنَةٍ يقْعدُ عليها عَشرةٌ. أي لو قعَد عليها عشرة لصَلَحَ. وقال الراجزُ:

* وأَبٌ حَمَتْ نُسُورُه الأَوْقارَا *

[يقال: حافرٌ مَوْقُورٌ. وهو أن يُصيبَه داءٌ يشبهُ الرَّهْصَةَ][4] وفي كلِّ حافرٍ حاميَتان. وهما حرفاهُ مِنْ[5] عَنْ يمين وشمال. ومُقَدَّمُه السُّنْبُكُ. ومؤُخَّره الدابِرَةُ.

ومثل قوله: «عن جَريم ملجج» قولُ عَلْقَمَة بن عَبَدَة:

سُلاَّءَةٌ كَعَصَا النَهْدِيِّ غُلَّ بها ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ذُو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قُرَّانَ مَعْجُومُ[6]

شَبَّهها بالشَّوكة من شوكِ النخل؛ لأن الفرسَ الأنثى يُحْمَدُ منها أن يدقَّ صدرُها ثم ينخرط على امتلاء إلى مؤخَّرها. والحَمَامُ يُحْمَد منهنَّ أَن يَعْرُضَ الصَّدْرُ ثم ينخرط إلى ذنبه ضُموراً. فيقال في صفته: كأنه جلَمٌ.

وقوله: «كعَصَا النَّهدىّ». يريدُ في الصلابة. كما قال:

* وكلُّ كُمَيْتٍ كالهِرَاوة صِلدِم *

وقوله: «ذو فيْئةٍ من نَوى قُرَّان» يقول: ذو رَجْعة. يقول: مَضَغْته الإبلُ فلم

---

(١) رواية المفضليات ٤٠٣: «ولا أرساغها عتب»؛ والعتب: العيب. والشظى: عظم لاصق بالركبة. والسنابك: مقاديم الحوافر؛ يقول: هي وافية السنبك لم تأكله الأرض.

(٢) حافر وأب: صلب قوى.

(٣) هو عوف بن عطية بن الخرع. من بني تيم من عبد مناة.

(٤) ما بين العلامتين تكملة من س وزيادات ر.

(٥) ساقطة من ر.

(٦) السلاءة: شوكة النخل.

تَكْسِرْه ثم بَعَرَتْهُ صَحَاحًا. ومعجومٌ: ممضُوغٌ. يقـال: عَجَمْتُه أعْجُمه عَجْمًا[1] إذا مضغـتهَ. فالعَجمُ، ويقـال للنَّوى من كلّ شيء: العَجَمُ، متـحرِّكُ الجيم[2]. قال الأعشى:

* وجُذعانُها كلَقيطِ العَجَمْ *

وقال النابغةُ :

وظلَّ يَعْـجُمُ أَعلى الرَّوْق مُنْقَـبِضًـا فى حَالِك اللَّوْن صَـدْق غيرِ ذى أوَدِ

ومثلُ البيت الأول قولُ عُقْبة بن سبقٍ العَنَزيّ :

لهُ بَـيْنَ حَـــواشـــيـــه نُسُــــورٌ كَنَوَى الـقَـــسْبِ

فهذا تشبيه مقاربٌ جداً .

* * *

ومن التشبيه الحسن قولُ الشاعرِ[3]:

كـأَنَّ المَـتْنَ والشَّـرْخَيْن منه خـلافَ النّصْلِ سِيطَ به مَشِـيجُ

يريدُ سهـمًا رُمِيَ به فأَنفذَ الرَّمِـيَّةَ وقد اتصَلَ به دمُهـا. والمتن: متن السهـم وشَرْخُ كلِّ شيء: حَـدُّه. فأَرادَ شَرْخَي الفوق. وهمـا حرفاه. والمَشِيجُ: اخـتلا، الدَّم بالنُّطْفَة. هذا أصلُه. قال الشماخ:

طَوَتْ أَحْـشَـاءَ مُـرْتِجَـةٍ لوَقْتٍ على مَـشْجٍ سُـلالَتُـه مَـهِينُ

وقال الله جـل وعز: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نبتَليه﴾[4]. وفي الحديث: «اقتلا مَسَّان المشركين واستَبْقُوا شَرْخَهُمْ»[5]. أى الشَّبَابَ، لأن الشرْخَ الحَـدُّ. قال حسّ ابن ثابت:

---

(١) ساقطة من ر . وهى فى الأصل . س .   (٢) ر : «العين» وهما بمعنى .

(٣) فى زيادات ر : «هو الشماخ». والبيت ليس فى ديوانه؛ وهو لـعمر بن الداخل الهذلى؛ ديوان الهـذا ٣ : ١٠٤ ، وروايته :

كـأن الـريش والفـوقين مـنه خـلاف النصل سـيط به مـشـيح

وهو أيضا بهذه الرواية فى ١٢ : ١٩٥ من غير نسبة

(٤) سورة الإنسان

(٥) اورده ابن الأثير فى النهاية ٢ : ٢١٠ . وقـال فى شرحه: «أراد بالشـيوخ الرجال، المسّان هو هل ا والقوة على القتال . ولم يرد الهرمى والشرخ الصغار الذين لم يدركوا»

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعَرِ الأسْودَ ما لم يُعاصَ كانَ جنُونًا

قال أبو العباس: وأنشدنا عمرو بن مرزوق. قال: أنشدنا شعْبَة. قال: أنشدنا سمراً بن حرب فى هذا الحديث:

إنَّ شرْخ الشباب تألفُه الْبِيضُ وشيْبُ القذالِ شيءٌ زهيد

فأما قولُ الشَّنْفَرى:

كأنَّ لها فى الأرض نسْيًا تَقُصُّهُ على أمِّها وإنْ تُحدِّثْكَ تَبْلتِ

فإنما أرادَ شدَّةَ استحيائها. يقول: لا تَرْفعُ رأسَها، كأنها تُطلبُ شيئًا فى الأرض.

والنِّسيُ على ضربين: أحدُهما ما تقادم عَهْدُهُ حتى يُنْسى. والآخر ما أضلّهُ أهلهُ فيُطْلبُ ويُطمعُ فيه. وتَقصُّهُ: تَتَّبعُهُ. قال الله جل وعز: ﴿**وقالتْ لأخْته قُصِّيه**﴾[1] أى اتّبعِى أثَرَهُ؛ والأمّ: القصد.

وقولُه: «وإن تُحَدِّثك تَبْلتِ»: تَقْطَعُ الحديثَ لاستحيائها.

وأنْشدَ بشَّارُ بن بُرْد الأعمى قولَ كُثيِّر:

ألا إنما لَيْلَى عَصَا خَيْزُرانةٍ إذا غَمَزُوها بالأكُفِّ تلينُ[2]

قال: فقال: لله أبو صَخْرٍ! جلعها عصا. ثم يَعْتَذرُ لها! والله لو جعلَها عصًا من مُخٍّ[3] أو زُبْدٍ لكان قد هَجَّنها بالعَصَا. ألا قال كما قلتُ:

وبَيْضاءِ المحَاجرِ من مَعَدٍّ كأنَّ حديثَها قِطَعُ الجنَانِ
إذا قامتْ لسُبْحتِها تثنَّتْ كأن عِظامَها من خيزَرَانِ[4]

والخيزُرانةُ: كلُّ غُصْنٍ لَيِّنٍ يَتَثَّنى. ويقال للمُرْديِّ: خيزرانةٌ؛ إذا كانَ يتثنى إذا اعْتُمدَ عليه. قال النابغةُ:

(١) سورة القصص ١١ .

(٢) قبله .

وقد جعل الأعداء ينتقصوننا وتطمع فينا ألسن وعيون

(٣) ر : «من مخ» .

(٤) السبحة : صلاة النافلة.

يَظَلُّ من خوفِه المَلاح معتصما[1] بالخَيْزُرانَة بعد الأَيْنِ والنَّجدِ[2]

الأَيْنُ: الإعياءُ. والنَّجَد: العَرَقُ[3].

* * *

وقد عاب بعض الناس قول كُثَيِّر:

فما رَوْضَةٌ بالحَزْن طَيِّبَةُ الثَّرى يَمجُّ النَّدَى جَثْجَاثها وعَرَارُها[4]

بمُنْخَرَق من بَطْن واد كأَنَّما تلاقَتْ به عَطَّارَةٌ وتجارها

بأطْيَبَ من أَرْدَانِ عَزَّةَ مَوْهِنا وقد أوقِدَتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُهَا

وحكى الزُّبيريون أن امرأةً مدينية عَرَضَتْ لكُثَيِّر فقالت: أأَنْتَ القائلُ هذين البيتين؟ قال: نعم. قالت: فَضَّ اللهُ فاكَ! أرأيتَ لو أَنَّ زِنْجيَّةً بخَرَت أردانَها بمَنْدل رَطْب أمَا كانت تطيبُ! ألا قلتَ كما قال سيِّدكَ[5] امرؤ القيس:

أَلم تَرَ أَنِّى كلما جِئْتُ طارِقًا وَجَدْتُ بها طِيبًا وإن لمْ تَطَيَّب[6]

قوله: «جثجاثها وعرارها» الجثجاث: ريحانة طيبة الريح برية؛ من أحرار البقل؛ قال جرير يهجو خالد عينين العبدى:

كم عَمَّة لك يا خُلَيْدُ وخالة خُضْرٌ نَواجِذها من الكُرَّاثِ

نَبَتَتْ بمَنْبِتِه فطابَ لِريحِهَا ونَأَتْ عن القَيْصُومِ والجَثْجَاثِ

وإنما هجاه بالكُرَّاث لأن عبد القيس يسكنون البَحْرَيْن. والكُراثُ من أطعمتَهم. والعامة يُسَمُّونَه الرَّكْلَ والرَّكَّالَ. قال أحدُ العَبْدِيينَ:

ألاَ حَبَذا الإحْسَا وطِيبُ تُرابها ورَكَّالها غَادٍ علينا ورائحُ[7]

---

(١) ر: «معتمدا»؛ وما أثبته رواية الأصل والديوان.

(٢) الملاح: صاحب السفينة. والخيزرانة: السكان؛ وهو ذنب السفينة.

(٣) النجد: العرق والكرب.

(٤) الحزن: موضع لبنى يربوع، فيه رياض كثيرة.

(٥) ساقطه من ر (٦) قبله:

خليلىَّ مُرَّا بى على أمِّ جُنْدَب لنَقْضِى لبانات الفؤاد المعذَّب

وانظر تفصل الخبر فى الأغانى ١٤: ٥٧ طبعة الساسى، والموشح للمرزبانى ١٥١ - ١٥٣.

(٧) الإحساء: مدينة بالبحرين.

وقولُ كُثير: «وعَرَارُها» فالعَرَارُ البَهارُ البَرّىُّ. وهو حَسَنُ الصُّفْرَةِ طيِّب الرِّيحِ. قال الأعشَى:

بيضاءُ ضَحْوَتَها وصَفْـ ـراء العَشيَّة كالعَرَارَه[1]

وقولُه: «مَوْهنًا» يريد بعدَ هدْى من الليل[2]. يقالُ: أتَانَا بعد هدِئٍ من الليلِ. وبعد وَهْنٍ من اللَّيْل[3]. أىْ بعدَ دخولنا فى الليل. وأنشدَ أبو زيد:

هَبّتْ تَلومُك بعد وَهْنٍ فى النَّدَى بَسْلٌ عليك ملامتى و عِتابى

والمَنْدَلُ: العُودُ. يقال له: المَنْدَلُ والمَنْدَلِىُّ. قال الشَّاعِرُ[4]:

أَمِنْ زَيْنبَ ذى النَّار قُبَيْل الصبحِ ما تخبُو
إذَا ما خَمَدَتْ يُلْقَى عليها المَنْدَلُ الرَّطْبُ

قال أبو العباس: «ذِى» معناه «ذه» يقال: ذَا عبدُ الله، وذِى أَمَةُ الله. وذهْ أَمَةُ الله. وتهْ أَمَةُ الله. وتَا أَمَةُ الله؛ فإذا قلتَ: هذا عبد الله: فالاسمُ «ذا» و «ها» للتنبيه. وعلى هذا القول[5]: هذى أَمَةُ الله [وهذه أمَةُ الله][6]. وإن شئتَ أسكَنْت فى الوصل فقلتَ: هذه أَمَةُ الله. وإذا قلت: هذهِى أَمَةُ الله. فالياءُ زائدةٌ. لأن هذه الهاءَ لما كانت فى لَفظ المضمر شبَّهوها به فى زيادة الياء، نحوَ: مررتُ بهِى يافتى! ولا[7] يجوزُ أن تَضُمَّ الهاءَ فى «هذه» على قول مَنْ قالَ: مررتُ بهُو. لأَنَّ هاءَ الإضمارِ أصلها الضم. تقولُ: رأيتَهو يافتَى. ورأيتُهُم يافتى! وهذه الهاءُ ليستْ منْ هذه. إنما هى مشبَّهةٌ، وتقولُ: هاته هندٌ. وهاتى هند. وهاتَا هندٌ. على زيادة «ها» للتنبيه. قال جريرٌ:

---

(١) العرار: شجر له نور أصفر قدر شبر؛ وقبله:

يا جارتى ما كنت جاره بانت لتحزننا عفاره
ترضيك من دل ومن حسن مخالطه غراره

وانظر ديوانه ١١١ .

(٢) من الليل. ساقط من ر .

(٣) «من الليل». ساقط من ر .

(٤) ينسب البيتان لعمر بن أبى ربيعة. وهما فى ملحق: ديوانه ٤٧٨ .

(٥) ر : «تقول».

(٦) تكملة من نسخة الأصل .

(٧) ر : «لا يجوز» بدون الواو .

هذى التى جدعت تيما معاطسها ثم اقعدى بعدها ياتيم أو قومى[١]

وقال عِمْرانُ بن حِطَّان:

وليس لِعَيْشِنَا هذا مَهَاهٌ وليست دارُنَا هاتَا بِدَار

قال أبو العباس: النحويون يُثْبِتون الهاءَ فى الوصل فيقولون: مَهَاهٌ. وتقديرُه: «فَعَالٌ». ومعناه اللمْعُ والصَّفَاء[٢]. يقال: وَجْهٌ له مَهَاهٌ يافتى! والأصمعىُّ يقولُ: مَهاة. تقديرُها «حَصَاة». يجعلُ الهاءَ زائدة. وتقديرها فى قوله[٣]: «فَعَلَةٌ» والمَهَاةُ: البِلَّوْرةُ. والمَهَاةُ: البقرة الوحشيةُ. وجمعُها «المَهَا»[٤].

فإذا صغَّرتَ: «ذهْ». قلتَ: تَيًّا. كأنك صغَّرتَ «تَا». ولا تُصَغِّر «ذهْ» على لفظها. لأنك إذا صغَّرتَ «ذَا» قلت: «ذَيَّا». فلو صغَّرتَ «ذى». فقلتَ: «ذَيَّا». لالْتَبَسَ المؤنث بالمذكر. فصغَّرُوا ما يخالف فيه المؤنث المذكَّر.

وهذه المبهمَةُ يخالفُ تصغيرُها تصغير سائر الأسماء. وسنذكر ذلك فى باب نُفْرِدُه له إن شاء الله.

* * *

عاد القولُ إلى التشبيه.

أنشدَتْنى[٥] أمُّ الهَيْثَم فى صفة جَمَلٍ:

كأنَّ صوتَ نابِه بنابِه صَرِيرُ خُطَّافٍ عَلى كُلاَّبِه

أرادتِ الصريفَ. وهو أن يَحُكَّ أحدَ نابَيْه بالآخرِ.

---

(١) يهجو التيم. وقبله:

ما بين تيم وإسماعيل من نسب إلا القرابة بين الزنج والروم
إن ابن تيم لمنسوب لوالده دانى القرابة من حام ويحموم

وانظر ديوانه ٤٨٩ ـ ٤٥٠.

(٢) ر: «والبهاء».

(٣) «فى قوله» ساقط من ر.

(٤) زيادات ر: «حكى يعقوب بن السكيت: «مهاة». من أسماء الشمس. وأنشد:

ثم تجلو الظلام رب رحيم بمهاة ضياؤها منشور

(٥) ر: «وأنشدتنى».

وقوله: «صريرُ خطافٍ على كُلابِهِ» فالخُطَّافُ ما تَدُورُ عليه البَكْرَةُ. والكُلاَّبُ ماوَليه.

وقد قال النابغةُ :

مـقذوفـةٍ بدَخِيسِ النَّحْضِ بازِلُهـا ... له صَـرِيفٌ صَرِيفَ القَـعْوِ بالمَسَـدِ

القعْـوُ: ما تدورُ عليه البَكْرةُ إذا كان من خَـشَب. فإن كان من حديـدٍ فهو خُطَّاف. وإن دارت على حبْلٍ فذلك الحبلُ يسمى الدَّرَكَ.

وقوله: «مقذوفـة» يقول: مَرَمِيَّةٌ باللحم. والدَّخيسُ: الـذى قد رَكِبَ بعضُهُ بعضًـا. والنَّحْضُ: اللَّحْم. وبازلهَا: نابُها. ومـعنى بزَلَ، وفطَرَ. واحدٌ. وهو أن ينشقَّ الناب؛ قال ذو الرُّمَّة:

كـأَنَّ على أنيـابهـا كلَّ سُـدفـةٍ ... صِياحَ البَوَازِى من صَرِيفِ اللَّوائك[1]

ويقولُ: مما تَـلُوكهُ. ويقال فى الغـضَب: تركتُ فلانًا يَصْـرِفُ نابُهُ عليكَ. ويَحْـرُق ويَحْرُقُ. ورأيتُـه يَعَضُّ عليك الأرَّم. قـال زهيـرٌ فى مـدحه حـصْنَ بن حُذَيْفَة[2]:

أَبَى الضَّيْـمَ والنُّعْمانُ يحْـرِق نابُهُ ... عليه فـأَفْضَىَ والسُّيوف مَـعاقِلُهُ[3]

وقال آخرُ :

نُبِّـئْتُ أَحْـمَـاء سُلَيْـمَى أَنَّـمـا ... ظَلُّوا غِـضَـابًا يَعْلُكُونَ الأرَّمَـا

وقال بعضُ النحويين: يعنى الشِّفَاهَ. وقال بعضُهم: يعنى الأصابعَ.

فأما قـولُهم: «عَضَّ على ناجذه» وهو آخرُ الأسنان، فـيكونُ على وجهين: أحدُهما أنه قد احتَنَكَ وبَلَغ، والآخرُ: أن يكونَ للإطْراقِ والتَّشَدُّد.

ويُروى عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه أنه كان يقولُ: إذا لقيتُم القومَ فاجمَعُوا القلوبَ وعَضُّوا على النَّواجِذِ، فإن ذلك يُنْبِى[4] السيوفَ عن الهَامِ.

---

(١) السدفة: بقية من سواد الليل؛ فشبه أنيابه بأصوات البزاة؛ يقال: لاك يلوك؛ إذا مضغ (من شرح ديوانه).

(٢) زيادرات ر : «ابن بدر الفزارى».

(٣) أفضى: سار إلى الفضاء. وقبله :

من مـثل حـصن فى الحـروب ومـثله ... لإنكـار ضـيم أو لأمـر يحـاوله

(٤) ر : «يثنى».

ثم نعود إلى التشبيه.

قال الراجز[1]:

كأنَّها حين بناها البَنّاسُ[2] ... جِنِّيَّةٌ في رأسها أمْراسُ

بها سُكونٌ وبها شِمَاسُ[3] ... يَخرُجُ منها الحَجَرُ الكُبَاسُ

يَمُرُّ لا يحبِسُهُ حَبَّاسُ ... لا نافِذُ الطَّعْنِ ولا تَرّاسُ

يصفُ المَنْجَنيقَ. والأمراسُ: الحبالُ، والواحدُ مَرَس[4]، والكُبَاس: الضخم. قال: هامةٌ كبْساءُ يا فتى؛ ورأسٌ أكبَسُ. والحبَّاسُ: الذى من شأنه أن يَحْبِسَ. يقال: رجلٌ ضاربٌ للذى يضربُ كثيرًا كان منه ذلك أو قليلا، فإذا قلتَ: ضَرَّابٌ وقَتَّالٌ. فإنما يُكثِرُ الفعلَ، ولا يكونُ للقليل.

قال الراجز:

أخْضَرُ مِن مَعْدنٍ ذى قُسَاسِ ... كأنه فى الحَيْدِ ذى الأضْراس

* يُرْمَى به فى البلدِ الدَّهَّاس *

يصفُ معْولا. وذو قُسَاسٍ: مَعدنٌ للحديد الجيِّد. وهو يقْربُ من بلاد بنى أسَد. والحَيْدُ: ما أشرفَ من الجبلِ أو غيرِ ذلك، يقال للطُّنُفِ حَيْدٌ. وهو الذى يسميه أهلُ الحَضَر الإفْريزَ؛ يقالُ: طَنِّفْ حائطَك، ويقال للنَّاتِئ فى وسَط الكَتِف: حَيْدٌ وعَيْرٌ. وكذا الناتئُ فى القَدَم. وقوله: «ذى الأضراس» يريد الموضعَ الضَّرِسَ الخشنَ ذا الحجارة. فيقولُ: هذا المِعْوَلُ لحدَّته يَقعُ فى الخشونة فيَهْدِمُها كما يهدمُ الدَّهَّاسَ. والدهاس: ما لان من الرملِ. قالَ دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ فى يوم حُنَيْنٍ: أينَ مُجْتَلَدُ القوم؟ فقالوا: بأوْطاس[5]. فقال: نِعْمَ مَجَالُ الخيلِ. لا حَزْنٌ ضَرِسٌ[6]. ولا لَيِّنٌ دَهِسٌ!

---

(١) زيادات ر : «هو أبو النجم».

(٢) ر : «تناهى».

(٣) الشماس والشموس. شرود الدابة ونفارها.

(٤) ر : «مرسة».

(٥) أوطاس: موضع فى ديار هوازن.

(٦) الحزن: ما غلظ من الأرض. والضرس: الشديد خشونة.

وقال العَجَّاجُ يصفُ حمارًا :

كـأنَّ فى فـيـه إذا مـا شَـحَـجَا　　　عُـودًا دُوَينَ اللَّهَـوَاتِ مـولَجـا[١]

هذا يصف العَيْرَ[٢] الوحشىَّ الـذىْ قد أسنَّ[٣] تَرَاهُ لا يشتدُّ نهـيقُهُ. وكأنه يعالجه علاجًا. قال الشَّمَّاخ :

إذا رَجَّعَ التَّـعـشـيرَ عَـجًّـا كـأنه　　　بناجذه من خَلْفِ قَـارِحِه شَجِى[٤]

فأما قولُ عَنْتَرَة :

بَرَكَتْ علـى مـاءِ الرِّدَاعِ كـأنَّـمـا　　　بَرَكَتْ على قَـصَبٍ أجشَّ مُهَـضَّم

فإنما يصفُ الناقةَ ويذكر حنينَها. يقال: إنه يخرجُ منها كأشْجَى صوت.

فإنما شَبَّهه بالزَّميـر. وأراد القَصَبَ الذى يُزْمَرُ به. قال الأصمعىُّ: هو الذى يقال له بالفارسية «نَاىْ» قال الراعى يصفُ الحادى :

زجلُ الحُـدَاء كـأنَّ فى حَيْـزُومِـه　　　قَـصَبًا ومـقْنعَـةَ الحنينِ عَـجُـولا

المُقْنِعُ: الرافعُ رأسَـه فى هذا الموضع. ويقـال فى غـيره: الذى يَحُطُّ رأسَـه استخذاءً وندمًا؛ قال الله عز وجل: ﴿مُقْنِعى رُءوسهم﴾[٥]. ومن قال: هو الرافعُ رأسَـه. فتـأويلُه عندنا أنه يتطاولُ فـينظرُ ثم يُطَأْطِئُ رأسَـه. فـهو بَعْـدُ يَرجعُ إلى الإغْضاء والانكسار.

* * *

والبعيـرُ يحـنُّ كأشـد الحنيـن إلى أُلاَّفِـه إذا أُخِـذَ من القطيـع. قال: وأكثرُ ما يَحِنُّ عند العطشِ. قال الشاعر[٦] :

وتفـرَّقُـوا بعـد الجـمـيـعِ لنيَّـة　　　لابُدَّ أن يتـفـرَّقَ الجـيـرانُ

لا تصـبـرُ الإبلُ الجـلادُ تفـرَّقَتْ　　　بعـدَ الجـمـيع ويَصْـبـرُ الإنسـانُ

* * *

(١) الشحيج. صوت البغل والحمار إذا أسن.

(٢) ر : «هذا يوصف به العير». وما أثبته عن الأصل. س .

(٣) ر : «إذا أسن».

(٤) التعشير : نهيق الحمار.

(٥) سورة إبراهيم ٤٣ .

(٦) هو مالك بن الصمصامة الجعدى.

وقال آخرُ :

وهل ريبـةٌ فى أن تَحِنَّ نَجِيبـةٌ ... إلى إلْفِهـا أو أن يَحِنَّ نَجِيب!

وإذا رَجَّعَت الحنينَ كان ذلك أحسن صوتٍ يهتاج له المُفارِقون، كما يهتاجون لنَوْحِ الحمام، ولالْتِيَاح البُرُوقِ.

***

وقال عَوْفُ[1] بن مُحلِّم وسمع نَوْح حمامة:

ألاَ يا حَمَامَ الأَيْك إِلْفُكَ حاضرٌ ... وغُصْنُكَ مَيَّادٌ ففيمَ تنَوُح[2]

أَفِقْ لا تَنُحْ من غيرِ شىء فإننى ... بكيتُ زمانًا والفؤادُ صحيح

وَلُوعًا فَشَطَّتْ غَرْبَةً دارُ زَينبٍ ... فها أنا أبْكى والفؤادُ قَريحُ!

وكلُّ مُطَوَّقَة عند العربِ حمامةٌ. كالدُّبْسِيِّ والقُمْرِيِّ والوَرَشَانِ وما أشبه ذلك؛ قال حُمَيْد بن ثَوْر:

وما هاجَ هذا الشَّوْقَ إلا حمامةٌ ... دَعَتَ سَاقَ حُرٍّ تَرْحَةً وتَرَنُّمَا[3]

إذا شئتُ غَنَّتْنى بأجْزاع بيشَة ... أو النَّخْلِ من تَثْليثَ أو بيَلَمْلَمَا

مُطَوَّقَةٌ خَطْبَاءُ تَسْجَعُ كلَّمَا[4] ... دَنَا الصيفُ وانجالَ الربيعُ فأنْجَمَا

مُحلاَّةُ طَوْق لم يكُن من تميمة ... ولا ضَرْبِ صَوَّاغٍ بكفَّيْه درهَمَا

تَغَنَّتْ على غُصْنٍ عشاءً فلم تَدَعْ ... لنائحةٍ فى شَجْوِها مُتَلَوَّمَا

إذا حَرَّكَتْهُ الرِّيحُ أو مال مَيْلَةً ... تغنَّتْ عليه مائلا ومُقَوَّمَا

عجبتُ لها أنَّى يكونُ غناؤُها ... فَصِيحًا ولم تَفْغَرْ بمنْطِقِهَا فَمَا!

---

(١) قال المرصفى: الشعر لأبى كبير الهذلى. لا لعوف؛ وإنما ذكر لعبد الله بن طاهر العندليب. فالتفت إلى ابن محلم وقال: هل سمعت بأشجى من هذا؟ فقال: لا والله؛ قاتل الله أبا كبير حيث يقول. وذكر الأبيات.

(٢) ر : «ميال». وما أثبته عن الأصل. س.

(٣) من قصيدة طويلة فى ديوانه ١ ـ ٣ مطلعها :

سل الرَّبْعَ أنَّى يَمَّمَتْ أم سالمِ ... وَهَلْ عَادَةٌ للرَّبْعِ أن يتكلَّما!

وترحة : حزنا. وترنما : صوتا لا يفهم.

(٤) الديوان «تصدح».

فلم أر مـثلى شاقَـهُ صوتُ مثلـها ... ولا عَرَبِـيًّا شـاقَهُ صـوتُ أعجَـمَا

وقال ابن الرِّقَاع ، وذكرَ حمامةً :

[قال أبو الحسن الأخفش : الصحيح أنه لنصيب] :

[وممَّا شَـجـانى أننـى كنتُ نائمًـا: ... أُعَلَّـلُ من بَـرْدِ الكَـرَى بالـتَّنَـسُّمِ

إلى أن بكَتْ ورقاءُ فى غُصْنِ أيْكة ... تُرَدِّدُ مَـبْكاها بحـسْنِ التـرنُّم](١)

فلو قَـبْلَ مَـبْكاهَا بكيتُ صَـبَـابَةً ... بليلى(٢) شَفَـيْتُ النفسَ قبلَ التَّنَدُّمِ

ولكنْ بكتْ قـبلِى فهـاجَ لِىَ البُكا ... بُكاها فـقلتُ الفَـضْلُ للمـتـقـدِّمِ

أما قولُ حميد «دعَتْ ساقُ حُرٍّ» فإنما حكى صَوْتَهَا، ويقال للواحد ذكرًا كان أو أنثى: حمامةٌ والجَمعُ الحمامُ، والحماماتُ، فإذا كان ذكرًا قلتَ هذا حمامةٌ، وإذا كـانت أُنثى قلت هذه حمـامةٌ. وكـذلك هذا بَطَّةٌ وهذه بَطَّةٌ. ويقـال بقرةٌ للذكـر والأنثى، ودجاجـةٌ لهما، فـإذا قلتَ: ثَوْرٌ، أو ديكٌ بَيَّنْت الذَّكَرَ، واسـتغنيتَ عن تقديم التذكير.

ويقال للحمامة: تَغَنَّتْ وناحتْ، وذاك أنه صوتٌ حسنٌ غيـرُ مفهومٍ، فيُشَبَّهُ مرةً بهذا ومرةً بهذا، قال قَيْسُ بن مُعاذ :

ولو لم يَشُـقْنى الظاعنونَ لَشَـاقَنى ... حـمـائمُ وُرْقٌ فى الديـار وُقُـوعُ

تَجَاوَبْنَ فاستبْكَيْنَ من كان ذَا هَوًى ... نَوَائِحَ مـا تَجْـرى لهنَّ دمـوعُ

قوله: «والمجَالَ الربيعُ» يقال: «انجالَ عنَّا»، أى أَقْلَعَ، ومثلُ ذلك «أنجَمَ عَنَّا»، وإن قلتَ: «أثجَمَ»، فمـعناه لَزِمَ ووقع، فهو خـلافُ «أَنجَمَ». وإن قلتَ: «انجَابَ» فمعناه انشَق. يقـال: «الْمجْوَبُ» للحديدة التى يُثْقَبُ بها المَسـيبُ. ويقال: «جُبْت البلادَ» أى دخلتُها وطَوَّفْتُهَا. وفى القرآن: ﴿وثَمود الَّذينَ جابَوا الصَّخْرَ بالْوَادِ﴾(٣) أى شَقُّوهُ.

وقوله: «لم يكُن من تَميمةٍ» «التميمة» المعاذةُ. وقد مضى هذا.

---

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٢) ر : «سعدى»، وما أثبته عن الأصل .

(٣) سورة الفجر ٩ .

وقوله: «ومـا تَفْغَرُ بمنطقهـا فَمَا». يقـولُ: لم تَفْتحْ. يقال: «فَغَـرَ فَاه» إذا فَتَحه[1].

وقوله:

* ولا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صوتُ أعجمَا *

يقولُ: لم أَفهم ما قالتْ. ولكنى استحسنتُ صوتَها واستَحْزَنْته. فَحَنَنْتُ له.

ويُرْوَى أن بعضَ الصالحين كـان يسمعُ الفـارسيَّةَ تَنُوحُ ولا يدرى مـا تقولُ، فيُبكيه ذلك ويُرَقِّقه. ويَذْكُرُ به غيرَ ما قَصَدَتْ له.

* * *

قـال أبو العـباس: وحُـدِّثْتُ أن بعض المحْـدَثين[2] سـمع غناءً بخُرَاسـانَ بالفارِسيَّة فلم يَدْر ما هو غيرَ أنه شَوَّقَهُ لشَجَاهُ وحُسْنِه. فقال فى ذلك:

حَـمِـدتُك ليلـةً شَـرُفَتْ وطابَتْ ... أقـام سُـهـادُها ومَـضـى كَـرَاهَا

سَـمِــعتُ بهـا غِنـاءً كـان أَوْبَى ... بأن يَقـتَـادَ نفـسـى من غِـنَاها

الغناء الأولُ الممـدودُ من الصـوت. والذى ذكره بعـدُ فى القـافيـة من المالِ مقصورٌ:

ومُـسْـمِعَـة يَحَـارُ السَـمْعُ فيـهـا ... ولا تصْمـمْه لا يَصْـممَ صداَهاَ[3]

مَـرت أَوتَارَها فَـشَـفَتْ وشَـاقَتْ ... فلو يَـسْطَيعُ حـاسِـدُها فَـدَاهَا

ولـم أفـــهم مـعـــانيـهَـــا ولكنْ ... وَرَتْ كَـبِدى فلم أَجْـهَل شَجَـاهَا

فكنـتُ كـأَنَّـنى أعْـمَى مُـعَنًّى ... بحُبِّ الـغَـانيـاتِ ومـــا يرَاهَا

[وقال عَبْدُ بنى الحسْحاسِ:

وَرَاهُنَّ ربِّى مثل مـا قـد وَرَيْنَنِى ... وأحْمَى على أكـبادهنَّ المكاويا][4]

---

(١) زيادات ر «حكى ثعلب: «فغر فاه» و «فغر نفسه». وكذلك شجى فاه. وشجى نفسه».

(٢) هو أبو تمام.

(٣) قال المرصفى: يدعو لها بطول العمر. والعرب تقول: أصم الله صداه. تريد أهلكه. وإذا مات قالت صم صداه. والصدى: ما تسمعه عقيب صياحك راجع إليك من جبل أو مكان مرتفع.

(٤) ما بين العلامتين من زيادات ر.

قال أبو العباس: والشيءُ يُذْكر بالشيءِ وإن كان دونَه . فَنَجْرِى لاحتواءِ الباب والمعنَى عليهما.

وفى شعرِ حُمَيْد هذا ما هو أحْكَم مما ذكرنا وأوعظُ. وأحْرَى أن يُمثَّل به الأشرافُ. وتُسَوَّدَ به الصُّحُفُ. وهو قولُه:

أرَى بَصرِى قد رَابنى بعدَ صِحَّة ... وحَسْبُكَ داءً أن تَصِحَّ وتَسْلمَا
ولا يَلْبَث العَصْرَانِ يومٌ وليلةٌ ... إذا طَلَبَا أن يُدْرِكَا ما تَيَمَّمَا

ويُروى عن النبى ﷺ أنه قال: « كَفَى بالسَّلامَة داءً » .

* * *

ثم نرجعُ إلى التشبيه.

قال أبو العباس: والعربُ تُشبِّهُ على أربعة أضرُب : فتشبيهٌ مُفْرِطٌ، وتشبيهٌ مُصيبٌ، وتشبيهٌ مُقَارِبٌ، وتشبيهٌ بعيدٌ يحتاجُ إلى التفسير ولا يقوم بنفسه. وهو أخْشَنُ الكلام.

فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للمَخّيِّ: هو كالبَحْر. وللشجَاع: هو كالأسدِ. وللشريف: سما حتى بَلَغَ النجْمَ. ثم زادُوا فوق ذلك. فمن ذاك قولُ بعضهم ـ وهو بكْرُ بنُ النَّطَّاح، يقوله لأبى دُلَف القاسمِ بن عيسى:

له هِمَمٌ لا مُنْتَهَى لكِبارِها ... وهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أجَلُّ من الدَّهْرِ
له راحةٌ لو أن مِعْشارَ جودِها ... على البَرِّ صارَ البَرُّ أنْدَى من البحر
ولو أنَّ خَلْقَ الله فى مَسْك فارسٍ[1] ... وبارزَهُ كان الخَلِىَّ من العُمْرِ

وقد قيل: إن امرأةَ عمْرَانَ بن حطَّانَ قالت له: أمَا زعمتَ أنك لم تكذب فى شعرٍ قَطُّ! قال: أوَ فَعَلْتُ؟ قالت: أنت القائلُ:

فهُناك مَجْزأَة بن ثَوْ ... ر كان أشْجَعَ من أُسامهْ

أفيكونُ رجلٌ أشجعَ من الأسدِ! قال: فقال: أنا رأيتُ مجزأة بن ثور فتح مَدينة، والأسدُ لا يفتحُ مدينة.

* * *

(١) المسك : الجلد .

ومن عجيب التشبيه فى إفراط، غيرَ أنه خَرَجَ فى كلامٍ جيِّد وعنى به رجلٌ جليلٌ، فَخَرج من باب الاحتمال إلى باب الاستحسان، ثم جُعِلَ لجوْدة ألفاظه، وحسن رَصْفه، واستواء نظمه، فى غاية ما يُسْتَحْسَنُ ـ قولُ النابغة يعنى حِصْن بن حُذَيْفَة بن بَدْر بن عَمْرٍو الفَزَارِىّ:

يقولون حِصْنٌ ثم تأبى نفوسُهمْ ... وكيفَ بحِصْنٍ والجبالُ جُنُوحُ[1]
ولم تَلْفظ الموتى القُبورُ ولم تَزُلْ ... نجومُ السماء والأديمُ صحيحُ
فعمَّا قليلٍ ثمَّ جاء نعيُّهُ ... فَظَلَّ نَدِىّ الحىِّ وهو يَنُوحُ

* * *

ومن تشبيههم المتجاوز الجيِّدِ النَّظْم ما قد[2] ذكرناه، وهو قولُ أبى الطَّمَحَانِ القَيْنى:

أضاءتْ لهم أحسابُهم ووجُوهُهُمْ ... دُجَى الليل حتى نَظَّمَ الجزْعَ ثاقِبُهْ[3]

* * *

ويروى عن الأصمعى أنه رأى رجلا يختالُ فى أُزَيِّر[4] فى يوم قُرٍّ فى مِشْيَته، فقال له: ممن أنت يا مَقْرُورُ؟ فقال: أنا ابنُ الوَحيد، أمشى الخَيْزَلى[5]، ويُدْفِئنى حَسَبى.

وقيل لآخرَ فى هذه الحال: أمَا يُوجعُكَ البَرْدُ؟ فقال: بَلى والله، ولكنى أذكُر حَسَبى فأدْفأُ.

وأصوَبُ منهما قولُ العُرْيانِ الذى سُئلَ فى يوم قُرٍّ عمَّا يَجدُ. فقال: ما علىَّ من كبير مؤونة، فقيل[6]: وكيفَ ذلك[7]؟ فقال: دامَ بى العُرْىُ، فاعتَادَ بدنى ما تعتادُه وجوهُكم!

* * *

(١) جنوح: مصدر جنح إليه، إذا مال وسكن. (٢) ساقطة س ر.
(٣) الجزع: ضرب من الخرز؛ وقيل: هو الخرز اليمانى؛ الذى فيه بياض وسواد، تشبه به الأعين.
(٤) الأزير: تصغير إزار؛ قال المرصفى: يريد أنه يختال فى إزار قصير.
(٥) الخيزلى: مشية فيها تبختر وتثاقل وتراجع وتفكك.
(٦) ر «وقيل». (٧) ساقطة من ر.

ومن التشبيهِ القاصد[1] الصحيح قولُ النابغة :

وَعيدُ أبى قابُوسَ فى غير كُنْهه ... أتانى وَدُونى رَاكسٌ فالضَّوَاجعُ[2]
فبتُّ كأنى سَاوَرَتْنى ضَئيلةٌ ... من الرُّقْش فى أنيابها السُّمُّ ناقعُ[3]
يسَهَّدُ من نوم العشاء سَليمُها ... لحلْى النساء فى يَديْه قعاقعُ
تَنَاذَرَها الرَّاقُون من سُوء سُمِّها ... تُطلقُه طَوْراً وطَوْراً تَرَاجعُ[4]

فهذه صفةُ الخائف المهموم. ومثلُ ذلك قول الآخَر[5]:

تَبيتُ الهُمومُ الطارقاتُ يَعُدْنَنى ... كما تعْتَرى الأوْصافُ رأسَ المطَلَّقِ

والمُطَلَّقُ هو الذى ذكره النابغة فى قوله :

* تُطلقه طورًا وطورًا تُرَاجعُ *

وذاك أن المنهوشَ إذا ألحَّ الوجعُ به تارة، وأَمْسكَ عنه تارة، فقد قارب أن يُوأَس من بُرْئه.

وإنما ذكَرَ خوفَه من النعمان وما يَعْتريه من لَوْعَة فى إثر لوعة، والفَتْرَة بينهما، والخائفُ لا ينامُ إلاّ غِرَارًا، فلذلك شبَّهَه بالملْدوغ المُسَهَّدِ.

وقوله :

* لِحَلْى النساءِ فى يديه قَعَاقِعُ *

لأنهم كانوا يُعلقون حُلِيَّ النساء على الملدوغ، يزعمون أن ذلك من أسباب البُرْء، لأنه يسمعُ تَقَعْقُعَهَا فيمنَعُه النوم فلا ينامَ، فَيَدِبُّ السُّمَّ فيه، ويُسَهَّدُ لذلك.

* * *

وقال الآخرُ:

---

(١) القاصد : المستقيم الواضح القريب .

(٢) راكس والضواجع: موضعان فى بلاد غطفان .

(٣) من المساورة؛ وهى المواثبة. والضئيلة: الحية الدقيقة. والرقش: جمع رقشاء؛ وهى الحية التى فيها نقط سود وبيض.

(٤) تناذرها الراقون، أى أنذر بعضهم بعضا ألا يتعرض لها.

(٥) هو شأس بن نهار العبدى .

كأنَّ فجاعَ الأرض وهى عريضةٌ ... على الخائف المطلوب كفَّةُ حابلِ
يُؤْتَى إليه أنَّ كلَّ ثنيَّةٍ ... تَيَمَّمها تَرْمى إليه بقاتلِ[1]

يقال: لكل مستطيل كُفَّةٌ. يقال كُفَّةُ الثوب لحاشيته، وكُفَّةُ الحابلِ، إذا كانت مستطيلةً. ويقال: لكل شىء مستدير كِفَّةٌ. ويقال: ضَعْهُ فى كفَّة الميزان، فهذه جملة هذا. وكِفَّةُ الحابل، يعنى صاحبَ الحَبَالةِ التى يَنْصبُها للصيدِ.

* * *

وأما التشبيه البعيدُ الذى لا يقومُ بنفسه، فكقوله:

بل لو رَأَتْنِى أُخْتُ جيرانِنا ... إذْ أنا فى الدار كأنى حمارْ

فإنما أراد الصحة، فهذا بعيدٌ، لأن السامعَ إنما يستدلُّ عليه بغيره. وقال الله جل وعز، وهذا البَيِّنُ الواضح: ﴿كَمَثَلِ الحمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[2] والسِّفْرُ الكتابُ، وقال: ﴿مثلُ الذينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثمَّ لم يَحْمِلُوهَا كَمثَلِ الحمَارِ﴾[3] فى أنهم قد تعاموا عنها، وأضْرَبُوا عن حدودها وأمْرِها ونَهيِها، حتى صاروا كالحمار الذى يَحْمِلُ الكتب ولا يعلمُ ما فيها.

وهَجَا مروان بن سليمانَ بن يَحْيى بن أبى حَفْصةَ قومًا من رواةِ الشِّعر بأنهم لا يعلمون ما هو، على كثرة استكثارِهِم روايتَه، فقال:

زَواملُ للأشعار لا عِلْمَ عندَهمْ ... بجَيِّدها إلاَّ كعِلْمِ الأباعرِ
لَعَمْرُكَ ما يدْرى البَعِيرُ إذا غَدَا ... بأوساقِهِ أو رَاحَ ما فى الغَرَائِرِ

* * *

والتشبيهُ كما ذكرنا من أكثر كلام الناس. وقد وَقع على أَلْسُنِ الناس من التشبيه المستحسَنِ عندهُم، وعن أصلٍ أخَذوه ـ أن يشبهوا[4] عين المرأة فى الكحل بعين الظبية[5] أو البقرة الوحشيَّة. والأنْفَ بحَدِّ السيف، والفَمَ بالخاتم، والشعر بالعناقيد، والعُنُقَ بإبريق فضة. والساقَ بالجُمَّار[6]. فهذا كلامٌ جارٍ على الألْسُن.

(١) يؤتى إليه. أى يجىء إليه فى وهمه.
(٢) سورة الجمعة ٥.
(٣) الزوامل: جمع زاملة. وهى البعير بحمل المتاع والطعام. والغرائر: جمع الغرارة؛ وهى الأوعية، التى تسمى بالجوالق.
(٤) ر. «أن شبهوا. وما أثبته عن الأصل. س».
(٥) ر: «الظبى».
(٦) الجمارة: شحمة بيضاء فى رأس النخلة وفى س «الجمار».

وقد قال سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم: فرأيتُ رسول الله ﷺ وساقاهُ ناديتان فى غَرْزه كأنهما جمَّارتان، فأرْدَتْه فوقَعْتُ فى مِقْنَب[1]، من خَيْل الأنصار، فقَرَّعُونى بالرِّماح. وقالوا: أين تريدُ؟

وقال كعبُ بن مالك الأنصاريُّ: وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ تَبَلَّجَ وجْهُهُ فصارَ كأنه الْبَدْرُ.

وعينُ الإنسان مشبَّهةٌ بعين الظبى والبقرة فى كلامهم المنثور. وشعرهم المنظومِ، مِنْ جارِى ما تكلمتْ به العربُ، وكَثُرَ فى أشعارها، قال الشاعرُ[2]:

فَعَيْنَاكِ عَيْناها وجيدُكِ جِيدُها ... ولكنَّ عظمَ السَّاقِ منكِ رقيق[3]

[وقال ذو الرُّمَّة :

أَرَى فيكِ مِن خَرْقاء يا ظَبْيَةَ اللِّوى ... مَشابهَ جُنِّبْت اعْتلاَقَ الحبائل

فعيناكِ عَيناها وجيدُكِ جيدها ... ولونُكِ . إلاَّ أنها غَيْرُ عاطلِ][3]

وقال آخر[5] :

فلم تَرَ عينى مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ ... خَرَجْنَ علينا من زقاق ابن واقف

طَلَعْنَ بأعْنَاق الظِّبَاءِ وأعْيُنِ الْـ ... ـجآذرِ وامتَدَّتْ بهنَّ الرَّوادِفُ[6]

ويقالُ للخطيب: كأنَّ لسَانه مِبْرَدٌ. فهذا الجارى فى الكلام، كما يقال للطويل: كأنه رُمْح. ويقال لِلْمُهْتَزِّ للكَرَم: كأنَّه غصنٌ تحت بارِحٍ.

ومن عجيب[7] التشبيه قولُ القائلِ :

لعَيْنُك يومَ البَيْنِ أسْرَعُ واكفًا ... من الفَنَنِ المَمْطُور وهْو مَرُوح[8]

---

(١) المقنب: جماعة الخيل والفرسان.

(٢) هو مجنون بنى عامر. وقبله:

وَيَاشِبْهَ لَيْلَى لوْ تَلَبَّثْت ساعةً ... لعلَّ فؤادى مِنْ جواه يفيقْ

(٣) ر : «دقيق». وما أثبته عن الأصل. س . (٤) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٥) ر : «الآخر». ونسبه المرصفى إلى هدبة بن خشرم العذرى

(٦) فى البيت إقواء . (٧) ر : «من مليح».

(٨) نسبه القالى فى أماليه (١ : ٧٠) . إلى أبى حية النميرى. ورواه: «لعيناك». والفنن: الغصن. وجمعه أفنان.

وذاك أن الغُصْنَ يقعُ المطرُ فى وَرَقةٍ فيصير منها فى مِثْلِ المدَاهِنِ، فإذا هَبَّتْ به الريحُ لم تُلَبِّثْهُ أنْ تقطِّرَه.

[طرائف من تشبيهات المحدثين]

ثم نذكُر بعدَ هذا طرائفَ من تشبيه المُحْدَثين ومَلاَحَاتهم، فقد شرطناه فى أول الباب، إن شاء الله .

قال أبو العباس: ومن أكثرهم تشبيهًا، لاتِّساعه فى القول، وكثرة ثقبه[1]، واتِّساع مذهبه[2] الحسنُ بن هانئ، قال فى مَديحه الفَضْلَ بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك :

وكنَّا إذا ما الحائنُ الجَدِّ غَرَّهُ	سَنَا بَرْقِ غاوٍ أو ضَجيجُ رعَاد
تَرَدَّى له الفضلُ بن يحيى بنِ خالد	بماضِى الظُّبَا أزهاهُ طُولُ نجَاد
أمامَ خميسٍ أرْجُوان كأنهُ	قميصٌ مَحُوكٌ من قنًا وجيَادِ
فما هو إلاَّ الدَّهرُ يأتى بصَرْفِه	على كل منْ يَشْقَى به ويُعَادى

قوله: «الحائنُ الجدِّ» يقال: حانَ الرجلُ إذا دنَا موتُه، ويقال: رجلٌ حائنٌ. والمصدرُ الحَيْن. والجدُّ: الحظُّ، والجدُّ والجَدَّةُ، مفتوحَان، فإذا أردتَ المصدرَ من جَدَدْتُ فى الأمْر، قلتَ: «أجدُّ جداً» مكسورَ الجيم، ويقال: جَدَدْتُ النخلَ أجُدُّه جَدًّا [وجَدَادًا][3] إذا صرَمْتَهُ. ويقال: جَذَذْتُهُ جَذًّا. وتركتُ الشىء جُذَاذًا، إذا قَطَعْتَه قطَعًا. ويُرْوَى هذا البيتُ لجريرٍ على وجهين:

آلُ المهلَّبِ جَذَّ اللهُ دَابرَهمْ أضْحَوْا رَمادًا فلا أصْلٌ ولا طَرَفُ

ويروى «جَدَّ» . وقرأ بعضُ القُرَّاء: ﴿**عَطاءً غَيْرَ مَجْدود**﴾[4] فأما قوله: ﴿**فَجعَلَهُمْ جذاذا**﴾[5] فلم يُقْرأ بغيرِه. ويقالُ: كم جَذاذُ نَخْلكَ. أى كم تَصرَّم منها. ويروى فى قوله الله جل وعز: ﴿**وأنَّه تَعَالى جَدُّ ربِّنَا**﴾[6] عن أنس بن

---

(١) كذا فى س والأصل، وفى ر : «تفننه».

(٢) ر . «مذاهبه».

(٣) تكملة من س .

(٤) سورة هود ١٠٨ .

(٥) سورة الأنبياء ٥٨ .

(٦) سورة الجن ٣ .

مالك: «غَنَى رَبَّنَا». وقرأ سعيدُ بن جبير: «جَدًّا رَبُّنا». [ولو قرأ قارئ «جداً ربُّنا» على معنى: جدٌّ ربِّنا لم يُقْرأ به لتغيُّر الخَطِّ. وكذا قراءةُ سعيدٍ مخالفةٌ الخَطَّ][1].

وهذا الشعر يُنْشَدُ بالكسر:

أجِدَّكَ لم تَغْتَمِضْ لَيْلَةً ... فَتَرْقُدَها مَعَ رُقَّادِهَا

ومثلُه[2]:

أجِدَّكَ لم تَسمَعْ وَصَاةَ محمدٍ ... رسولِ الإلهِ حين أوْصَى وأشْهَدَا

لأن معناه أجِدًّا منك، على التوقيف، وتقديرُه في النصب: «أتجِدُّ جِدًّا»، ويقال: امرأةٌ جَدَّاءُ، إذا كانت لا ثَدْىَ لها، فكأنه قُطِعَ منها، لَأنَّ أَصْلَ الجَدِّ القطعُ، ويقال: بلدةٌ جَدَّاءُ، إذا لم تكن بها مياهٌ. قال الشاعرُ:

وجَدَّاءَ ما يُرْجَى بها ذو هَوَادةٍ ... لِعُرْفٍ وَلاَ يَخْشَى السُّماةَ رَبِيبُها[3]

* * *

[القَرَابةُ والهوادة في المعنى واحدٌ. قال أبو الحسن: «السُّماة» هم الصَّادَةُ نصفَ النهارِ، وروى عن بعض أصحابنا، عن المازنيِّ قال: إنما سُمِّي «سامِيًا» بالمسمَّاة، وهو خُفٌّ يلْبَسُهُ لئلا يَسمَعَ الوحش وَطْأه، وهو عندى من «سَمَا للصيد»].

* * *

يُنْشَدُ هذا البيت:

أَبَى حُبِّى سُلَيْمَى أن يَبِيدَا ... وأَصْبَحَ حبْلُها خلَقًا جَديدًا

يقولُ: أصبَحَ خَلَقًا مقْطوعًا، لأن «جديدًا» في معنى «مَجْدودٍ» أي مقطوع، كما تقولُ: «قتيلٌ ومقتولٌ» و «جَرِيحٌ ومَجْرُوحٌ».

---

(1) ما بين العلامتين زيادة من ر.

(2) زيادات ر: «قول الأعشى». والبيت في ديوانه ١٠٣. وروايته: «نبي الإله».

(3) البيت في الكتاب ١: ٢٩٤: ٢ ١٤٤. ونسبه إلى العنبرى، وروايته.

وجداء ما يرجى بها ذو قرابة ... لعطف وما يخشى السماة ربيبها

إلى العنبرى.

ويقال في غـير هذا المعنى: رجلٌ مَجْـدودٌ. إذا كان ذَا خَطَر وحَظّ[1]، وفي الدعاء «ولا يَنْفَعُ ذَا الجَـدِّ منك الجَدُّ»، أي مَنْ كان له حـظٌّ في دنياه لم يَدْفَعْ ذلك عنه ما يريد الله به. ولو قـال قائلٌ: ولا ينفعُ ذا الجدِّ منكَ الجدُّ ـ يريدُ الاجـتهاد ـ لكان وجهًا.

وقوله: «سَنَـا بَرْق غاو» والسَّنا: من الضِّـياء مقـصورٌ. قـال الله جل وعز: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾[2]. والسَّناءُ: من المجد ممدودٌ، وقال الشاعرُ:

وهم قـــومٌ كـــرام الحَـيِّ طُرًّا ... لهُـم خَـــوَلٌ إذا ذُكِـــرَ السَّـناءُ

وضَربه الحسنُ[3] هاهنا مَثَـلا وجَمَعَ الرَّعْدَ فـقال: رِعادٌ، كـقولك: كَلْبٌ وكِلاَبٌ، وكعْبٌ وكِعابٌ.

وقوله: «بمَاضِي الـظُّبى». ظُبَةُ كلِّ شيءٍ حَدُّهُ، يقال: وخَزَهُ بـظُبَةِ السيفِ، يرادُ بذلك حَدُّ طَرَفِه.

وقوله: «أَزهاهُ طولُ نجَادِ»، النجاد: حَمَائلُ السيف، وأزهاه: رفَعَه وأعْلاهُ، والرجلُ يُمْدَحُ بـالطُّول، فلذلكَ يُذْكَر طولُ حـمائله، قال مَـرْوانُ بن أبي حَفْـصةَ يمدحُ الْمَهدِيَّ:

قَـصُرَتْ حـمائِلُـهُ عليه فـقَلَّصَتْ ... ولقـــد تَأَنَّقَ قَـيْنُهـا فـأطالهَـا

* * *

وقال الحسنُ بن هانئ يمدحُ محمدًا الأمينَ:

سَـبْطُ البَنانِ إذَا احْـتَبَى بنِجَـادِهِ ... غمَـرَ الجماجمَ والـسِّماطُ قِـيامُ[4]

* * *

وقال جريرٌ للفرزدق:

تعـالوا ففـاتونا فـفي الحكم مـقنع ... إلى الغـر من أهل البطاح الأكـارم

فإني لأرضى عبد شمس وما قضت ... وأرضى الطوال البيض من آل هاشـم

---

(١) ر: « أي حظ ». (٢) سورة النور ٤٣.

(٣) يريد الحسن بن هانئ.

(٤) عمر الجماجم. أي فرع القوم وعلاهم بطول قامته.

وقال الآخر :

لما التـقى الصفـان واخـتلف القنا ... نهـالا وأسـبـاب المنايا نهـالهـا

تبـين لى أن القـــمـــاءة ذلة ... وأن أشـداء الرجـال طـوالهـا

وقولُه: «أمَـامَ خَميس»، الخـميسُ هاهنا: الجـيشُ، وكذلك قال رَبِيـئةُ أهلِ خَيْـبَرَ، لَمَّا أطَلَّ رسـولُ الله ﷺ عليهم: محمـدٌ والخميسُ، أى والجـيشُ. وقال الشاعرُ ، وهو طَرَفَةُ:

وأى خـمـيس لا أفـأنا تهـابه ... وأسـيافنا يقطـرن من كبـشه دمـا

أَفأنا: رَدَدْنَا، يقال: أفاءَهُ يُفِيءُ إذا رَدَّ. والأُرْجُوَان: الأحمرُ[1] قال الشاعرُ:

عَـشِيَّـةَ غـادَرَتْ خَـيْلِى حُـمَيْـدًا ... كـأنَّ عليـه حُلَةَ أُرْجُـوَانِ

والجـيـادُ: الخـيلُ. وفى القـرآن : ﴿إِذ عُـرِضَ عَلَيْـهِ بالعَـشِيِّ الصَّـافِنَاتُ الجِيادُ﴾[2].

* * *

ومن تشبيهه[3] الجِّيدِ فى هذا الشعرالذى ذكرنا قوله:

تَرَى الناسَ أفـواجًـا إلى باب داره ... كـأنهـمُ رِجْـلا دبًا وجَـرَاد[4]

فَيَـوْمٌ لإلحاقِ الفـقيـر بذى الغِنَى ... ويومُ رِقـابٍ بُوكِـرَتْ لِحَـصَـادِ

* * *

ومن التبشبيهِ الجيد قوله[5]:

فـكأنـى بما أُزَيِّـنُ منـهـا ... قَـعَـدِىّ يزَيِّن التَّـحْكِيـمـا

وكان سبب هذا الشعـرِ أن الخليفة تَشَدَّدَ عليه فى شربِ الخمـر، وحَبَسه من أجل ذلك حبسًا طويلا، فقال:

---

(١) الأرجوان : صبغ أحمر شديد الحمرة .

(٢) سورة ص ٢١ .

(٣) أى الحسن بن هانئ .

(٤) الدبا : مقصور الجراد قبل أن يطير .

(٥) زيادات ر : «أى الحسن بن هانئ ».

أيُّهـا الرائحَـان بـاللَّوم لُومَـا ... لا أذوقُ المُدامَ إلا شـميمـا
نالَنـي بالملاَم فـيـهـا إمـامٌ ... لا أرَى لي خـلاَفَـهُ مُسْتَقيمـا
فـاصْـرفَـاها إلى سـوايَ فـإنّي ... لسْتُ إلاَّ علَى الحـديث نَـديمَا
كُـبْـرَ حَظِّـي منهـا إذا هي دَارَتْ ... أنْ أراها وأن أشمَّ الـنَّسيـمـا
فـكأنـي بمـا أُزيِّـنُ منهـا ... قَـعَـدىٌّ يزيِّنُ التَّحكيـمـا[1]
لَمْ يُطِقْ حَـمْلهُ السِّلاحَ إلى الحَـرْ ... بِ فَـأوْصَى المـطِيقَ ألاَّ يُقِيـمـا

فهذا المعنى لم يسبقه إليه أحد.

* * *

قال: وحدثت أن العمانى[2] الراجز أنشد الرشيد فى صفة فرس:

كـأنَّ أذْنَيْـه إذا تَـشَـوَّفَـا ... قـادمـةً أو قَلَمًـا مُـحَـرَّفَـا[3]

فعلمَ القومُ كلُّهم أنه قـد لَحنَ، ولم يهتـد منهم أحدٌ لإصلاح البيتِ إلا الرشيدُ. فـإنه قال له: قُلْ: «تَخالُ أُذْنَيْـه إذا تَشَوَّفَا». والراجزُ وإن كان لَـحَنَ فقد أحسنَ التشبيه.

* * *

ويروى أن جـريرًا دخلَ إلى الـوليـدِ وابنُ الرقـاع[4] العـامليُّ عنده يُنْشِـدُهُ القصيدةَ التى يقولُ فيها:

غَلَبَ المَسَـامِيحَ الـوليدُ سَـمَاحَـةً ... وكَفَى قُـرَيْش المعْضِـلاَتِ وَسَادَها

قال جرير: فحسدته على أبيات منها، حتى أنشد فى صفة الظبية:

* تزْجِى أغَنَّ كَأَنَّ إبْرَةَ رَوْقِه *

قال: فـقلتُ فى نفسى: وَقعَ والله، ما يَقْـدِرُ أن يقول أو يُشَبِّـهَ به، قال: فقال:

---

(١) القعدى: من يرى رأى القعد؛ وهم الخوارج الذين يرون القعود والتحكيم ولا يخرجون إلى القتال.
(٢) العمانى: هو محمد بن ذؤيب بن محجن البصرى.
(٣) قادمة: واحدة القوادم؛ وهن أربع ريشات فى مقدم الجناح. واللواتى بعدهن المناكب إلى أسفل الجناح.
(٤) هو الوليد بن عبد الملك، وابن الرقاع هو عدى.

* قَلَما أصَابَ مِنَ الدَّوَاة مِدَادَهَا *

قال: فما قَدَرْتُ حَسَدًا له أن أُقِيمَ حتى انصرفتُ.

* * *

ومن التشبيه[1] الحسن الذى نَستطرِفُه قوله:

تعـــاطيكهَـا كـفٌّ كـأن بَنَانـهَـا إذا اعتَـرَضْتها العَـيْنُ صَفٌّ مَدَارِى

* * *

ومن التشبيه المليح قوله:

وكــــأنَّ سـلمـى إذْ تُوَدِّعُـنَا[2] وقـد اشْـرَأَبَّ الدمّـع أُن يكفَـا[3]
رَشَـــأٌ تَوَاصَـــيْنَ الـقِـيَـــانُ به حـــتى عَـقَـــدنَ بأُذْنه شُنُفَـــا[4]

* * *

وفى هذا الشعرِ من التشبيه[5] الجِّيد قوله[5]:

خَـيِّـــرْ فـؤادَكَ أو سَـتُـخْـبِـرهُ قَـــسَـمًـــا لَيَنْتَـهِـيَنَّ أو حَلَفَـــا
الحبُّ ظـهْــــرٌ أنت راكِــــبُـــهُ فـــإذا صـرَفْتَ عِنَـانَهُ انصَـرَفَـا

* * *

ومن التشبيه الجيد قوله[6]:

إليكَ رَمَتْ بالقَـوم خـوصٌ كـأنما جَمَـاجِمُـها فـوقَ الحجـاجِ قُبُـورُ

* * *

---

(١)ر : «تشبيهه» .

(٢) ر : «كأن سعدى» وما أثبته عن الأصل، س .

(٣) زيادات ر : «يقال: اشرأب لأن يكلمنى» إذا تهيأ لكلامك. واشرأب الدمع، إذا تهيأ للوكف».

(٤) الرشأ: الظبى إذا قوى واشتد، وتواصين، أوصى بعضهم بعضا.

(٥_٥) ساقط من ر .

(٦) من كلمة يمدح بها الخصيب، أمير مصر، وقبله :

ومـازلتَ توليـه النَّصـيـحـةَ يافـعًـا إلى أن بدا فى الـعـارضَـيْـن قـتـيـرُ
إذا غـالـهُ أمْـرٌ فـإمَّـا كَـفَـيْـتَـهُ وإمَّــا عـلـيــه بالـكُفَـــاة تشــيـــرُ

وله أيضًا :

سَأَرْحَلُ مِـن قُـود المَهَـارى شِـمِلَّةً ... مُـسَـخَّرَةً مَـا تَسْتَـحِثُّ بِحَـادِى(١)

معَ الرِّيح ما راحتْ فإن هىَ أَعْصَفَتْ ... نَهُـوزٌ برأسٍ كـالعَـلاَةِ وَهَادِى(٢)

العَلاَة : السِّنْدانُ، قال جريرٌ :

أَيَفْـخَـرُ بالمُحـمَـم قَـيْنُ لَيْلَى ... وَبِالـكِيـر المرَقَّـعِ والعَـلاَةِ

* * *

وقال الحسن بن هانئ فى صفة السفينة :

بُنِيَـتْ على قَـدَرٍ ولاءَمَ بَيْـنَهـا ... طَبَـقَـان من قِـيـرٍ ومن أَلْوَاحِ

فكَأَنَّـهـا والماءُ يَنْطَـحُ صَـدْرَها ... والخَـيـزُرانـةُ فى يـد المَلاَّحِ

جَوْنٌ مـن العِقْبَـان يَبْتَـدر الدُّجَى ... يَهْـوِى بصَـوْت واصْطفـاقِ جَنَاحِ

* * *

وقال فى شـعرٍ آخر ، يصفُ الخـمرَ، ويذكـرُ صفاءَها ورِقَّـتَها، وضـياءها وإشراقَها:

إذا هَبَّ فيـها شاربُ القـومِ خلْتَهُ ... يُقَبِّـل فى داجٍ من اللَّيْل كَوْكَـبا(٣)

* * *

فأما قوله:

بَنيْنَا عَلَى كِـسْرَى سـماءَ مُـدَامَـةٍ ... جَـوَانِبُـهـا مَـحْـفُـوفَـةٌ بنُجـومِ

فلو رُدَّ فى كِسْرَى بنِ ساسانَ رُوحُهُ ... إذًا لاَصْطَـفَـانِى دونَ كـلِّ نديمِ

---

(١) قود المهارى. القود: جمع قوداء، وهى الطويلة الظهر والعتق، والمهرى: المنسوبة إلى مـهرة بن حيدان. أى حى من العرب .

(٢) النهوز، مبالغة من النهز، وهو الدفع .

(٣) قبله .

وقُلْتُ لسـاقيـهـا أَجِـزْهَا فلم يَكنْ ... لِيَـأْبى أمـيـرُ المؤمنين وأشـربا

فـجـوَّزها عنِّى سُـلاَفـا تـرَى لَهَـا ... إلى الأفُقِ الأعلـى شعَـاعَـا مُطَنَّبـا

فإنما كانت صورةُ كسرى فى الإناء وقوله:

جوانبُها محفوفةٌ بنجوم

فإنما يريد ما تَطوَّقَ به من الزَّبَدِ .

* * *

وقد قال فى أخرى :

[أولُ الشعرِ من غير الأمِّ(١) :

وَدَارِ نَدَامَى خَـلَّفُـوهـا وَأَدْلَجُـوا ... بهـا أثرٌ منـهم جـديد ودارسُ

مَسَاحِبُ من جَرِّ الزِّقَاقِ على الثَّرَى ... وأضغـاثُ رَيْحَانٍ جَنِىٌّ ويابسُ

حَبَسْتُ بها صَحْبِى فأَلَّفْتُ شملَهم ... وإنى على أمثال تلك لحابسُ](٢)

أقـمنا بهـا يومـا ويومًا ولـيلة ... ويومًـا له يومُ التَّـرَحُّلِ خـامسُ

تدارُ علينا الرَّاحُ فى عَسْجَدِيَّة ... حَبَتْهـا بأنواع التصـاوير فـارسُ

قرَارَتَها(٣) كسْرَى وفى جَنَبَاتها ... مَهًـا تَدَّرِيهَـا بـالقسى الفـوارس

فَلِلْخَمْرِ مـازرَّت عليه جُيُوبُهـا ... ولِلْمـاء مـا دَارَتْ عليه القَلانِسُ

العسجديةُ: منسوبةٌ إلى العَسْجَد، وهوالذَّهب.

وقال المُثَقَّبُ العَبْدِىُّ :

قـالت ألا تَشْـتَـرى ذاكمُ ... إلاَّ بما شِـئْنا ولـم يُوجَـد

إلاَّ بِبَـدْرَىْ ذهب خـالصٍ ... كلَّ صَـبـاحٍ آخـرَ المُسْنَدِ

مِنْ مَـالِ مَـنْ يَجْنِى ويُجْنَى له ... سبعـون قِنطاراً من العسجدِ

وقـوله: «تَدَّريهـا» أى تَختِـلها. يقـال: دَرَيْتُ الصَّـيْدَ. إذا خَتَلتَه. قـال الأخطلُ:

---

(١) الأم هنا أصل الكتاب .

(٢) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٣) قرارتها : منصوب على الظرفية .

وإن كنت قد أقْصَـدتنى إذْ رَمَيْتِنى   بسهمِك والرامى يصـيدُ وما يَدرى

* * *

وقال الحسن بن هانئ :

مَـا حَطَكَ الواشـونَ من رُتْبَـة   عندى ولا ضَـرَّك مـغـتـابُ[1]

كـأنما أثْـنواْ ولم يَعْـلَمُـوا[2]   علـيكَ عـندى بالـذى عـابُوا

وهذا المعنى عندى مأخـوذٌ من قول النُّعمان بن المُنْذر لحَـجْلِ بن نَضْلَة، وقد ذكر معاويةَ بن شكَل، فقال: أبَيْتَ اللَّعْنَ! إنَّهُ لقَعْوُ الألْيَتَيْنِ، مُقْبَلُ النَّعلين، فحِجُ الفَخِـذَيْن، مَشَّاءٌ بأقْـرَاءٍ، تبَّاعُ إماءٍ، قَـتَّالُ ظبَـاء. فقال النعـمانُ: أردتَ أن تذيمه فَمدَهتَهُ.

قوله: «مُقْبَلُ النعـلين»، يقولُ: لنعله قِبَالٌ. يَنْسُبُهُ إلى التَّـرَفِه. وتباع إماء. وقَتَّالُ ظَبَاء . من ذلك.

والقَعْوُ: ما تَدُورُ فيه البَكرَةُ إذا كان من خشب.

وقوله: «تَذِيمه» مـعناه تذُمُّهُ. يُقالُ: ذَمَّـهُ يَذُمُّهُ ذَمًّا وذَامَهُ يَذِيمُهُ ذَيْمـاً، وذَأَمَهُ يَذْأَمُـهُ ذَأْمـًا. والمعنى واحـد، قـال الله تبـارك وتعـالى: ﴿اخْرُجْ مِـنْهَا مَـذْءُومًا مَدْحُورًا﴾[3]. وقال الحارث بن خالد المخْزُومىُّ لعبد الملك:

صَحِـبْتُك إذ عَيْنى عليـها ترودُها   فلمَّـا انجَلتْ قَطَّعْتُ نفسى أذيمُهـا

وقوله: «فَـمَدَهْتَهُ» يريدُ «مَـدَحْتَهُ». فأبدلَ مـن الحاء هاءً، لِقُـرْب المَخْـرَج، وبنو سَعْد بن زيد مَناة بن تميمٍ كذلك تقولُ. ولخمٌ ومَن قَارَبهَا.

قال رُؤْبة :

لله در الغـانـيـات المُدَّهِ[4]   سَبَّـحْنَ واسْتَرْجَـعْنَ من تألُّهِى[5]

يريد «المُدَّح»، وفى هذه الأرجُوزَة :

---

(١) ر : «ما اغتابوا» . وهذه رواية الأصل .

(٢) ر : «كأنهم» .

(٣) سورة الأعراف ١٨ .

(٤) المده : اللاتى يتمدحن بالجمال .

(٥) استرجعن : قلن . «إنا لله وإنا إليه راجعون» .

* بَرَّاقُ أصْلَادِ الجبين الأَجْلَه[1] *

يريدُ الأجْلَح، والعربُ تقولُ: جَلَحَ الرجُلُ جَلَحًا. وجَلِه يَجْلَهُ جَلَهًا. وجَلِيَ يَجْلَى جلًى، والمعنى واحدٌ، قال العجاجُ:

* مَعَ الجَلاَ ولائحِ القتير *

ومثلُ بيت الحسنِ وكلام النعمانِ قولُ عمرو بن مَعْديكرب:

كأنَّ مُحَرَّشًا فى بيتِ سُعْدَى ... يُعَلُّ بِعَيْبِهَا عِنْدى شَفِيعُ[2]

وفى قصيدةِ الحَسَن هذه:

إن جئت لم تأتِ وإن لمْ أَجِئْ ... جئتَ، فهذا منكَ لى داب!
كأنما أنت ـ وإنْ كنت لا ... تَكْذبُ فى الميعادِ ـ كذَّابُ

وهذا كلام طَريفٌ.

* * *

ومن حَسَنِ تشبيه المحدَثِينَ قولُ بشَّارِ بن بُرْدٍ العقيلى[3]:

وكأنَّ تحتَ لسانها ... هاروتَ يَنْفُثُ فيه سحْرًا[4]
وتَخالُ ما جَمَعَتْ عليه ... بَنَانَهَا ذَهَبًا وعطرًا[4]

وهذا التشبيهُ الجامعُ.

ونظيرهُ فى جمع شيئين لمعنيين ما ذكرتُ لكَ من قول مُسْلمِ بن الوليد:

كأنَّ فى سَرْجِهِ بَدْرًا وَضِرْغامَا

* * *

ومن حَسَن التشبيه من قول المُحْدَثين قولِ عباس بن الأحْنَفِ:

---

(١) أى لا شعر فوق جبينه. تشبيها بالحجر الصلد.

(٢) يعل، من العل، وهو السقية الثانية

(٣) ساقطة من ر.

(٤) قبلهما:

حَوْراءُ إن نَظَرَتْ إلَيْكَ ... سَقَتْكَ بالعينين خمْرَا
وكَأنَّ رَجْعَ حَديثِها ... قِطَعُ الرياض كُسِينَ زَهْرَا

أحْـرَمُ منكـم بما أقـولُ وَقَـدْ ... نالَ به العـاشـقـونَ مَنْ عَشـقُـوا
صِـرْتُ كـأنى ذُبالـةٌ نُصِـبَتْ ... تُضىءُ للنـاسِ وَهْـى تَحْـتَـرَق[1]

فهذا حسنٌ فى هذا جداً .

* * *

ومن حَسَنِ مـا قالوا فى التـشبيـهِ قولُ إسـماعيلَ بن القـاسم أبى العَتـاهيَة للرَّشيـد :

أمينَ الله أمْـنُكَ خَـيْـرُ أَمْنٍ ... عليك مـن التُّـقَى فـيـه لـبَـاسُ
تُسـاسُ من السَّـمـاء بكل فَـضْلٍ ... وأنتَ به تَسُـوسُ كـمـا تُسـاسُ
كـأن الخلْـقَ رُكِّبَ فـيـه رُوحٌ ... له جَـسَـدٌ وأنـت عليـه رَاسُ

وقد أخَذَ هذا المعنى علىُّ بن جَبَلَة. فقال فى مدحه حُـمَيْد بن عبدِ الحميدِ. وزَادَ فى الشرح والترتيب. فقال:

يَرْتُـقُ مـا يَفْـتُـقُ أعـداؤهُ ... ولَيْسَ يَـأسُـو فَـتْـقَـهُ آسى[2]
فـالنـاس جـسمٌ وإمـامُ الـهـدى ... رأسٌ وأنت الـعَـيْنُ فـى الرَّاسِ

والعربُ تَخْتَصرُ فى التشبيه، وربّما أومأتُ به إيماءً، قال أحدُ الرُّجَّاز :

بِتْنـا بِحَسَّـانَ ومِـعْـزَاهُ تَئِطّ[3] ... مـازِلْت أَسْـعَى بيـنهم وأَلْتَـبِطْ[4]
حـتى إذا كـاد الظَّلَامُ يخـتَلِط[5] ... جَاءوا بمَذْقٍ هل رأيتَ الذئبَ قَطْ!

يقول فى لَوْنِ الذئب. واللبَنُ إذا جُـهِدَ[6] وخُلِطَ بالماءِ ضَرَبَ إلى الغـبْرة. وأنشدَ الأصمعىُّ:

وتَشْـرَبُهُ مَخْـضًا وتَسْقِـى عِيالـها ... سَجَـاجا كأقْـرَابِ الثعـالِبِ أوْرَقا

(١) الذبالة : الفتيلة .
(٢) الرتق: ضد الفتق؛ وهو لأم الفتق وإصلاحه.
(٣) تئط : من الأطيط؛ وهو صوت الأمعاء من الجوع.
(٤) الالتباط : العدو والوثوب.
(٥) ر : «كان الظلام». وما أثبته من الأصل. س .
(٦) جهد اللبن : أخرج زبده كله .

السَّجَاج: الرقيق المَذُوق. والقربان: الجَنْبَان. والواحدُ قرْبٌ.

[1]والجَميعُ أقرابٌ[1]، ومن ذلك قول عمر بن الخطاب رحمه الله لرسول الله ﷺ ـ وقد شاورَ فى رجل جَنَى جنايَة، وجاء قومهُ يَشْفَعونَ له، فشَفع له قومٌ آخرون، فقال له عمر: يا رسولَ الله. أرى أن تُوجعَ قُرْبَيْه، فقال القومُ: يا رسول الله، إنَّك لن تَشْتَدَّ على أمَّتكَ بقول عمرَ. فنزل إليه جبريلُ ﷺ فقال له ثلاثا: يا محمدُ، القولُ قولُ عُمرَ، شُدَّ الإسلامَ بعمر. فخرجَ رسول الله ﷺ فضرَبَ الرَّجلَ.

والأوْرَقُ: لونٌ بين الخضْرَة والسَّواد، يقال: جَمَلٌ أَوْرَقُ بَيِّنُ الوُرْقَة، وهو ألأمُ ألوان الإبل عندَ العربِ وأطيبُها لحمًا.

* * *

ومن مَليح التشبيه لِلمُحْدثين[2] قولُ عبد الصَّمد بن المعَذلِ فى صفة العقربِ:

تُبْرِزُ كالْقَرْنَيْن حين تُطْلعُهُ ... تُزْحِلُه مَراً وَمراً تُرْجعُه[3]

فى مثْل صَدْر السِّبْت خَلْقٌ تُفْظعهُ ... أَعْصَلُ خَطَّارٌ تلوح شُنُعُه[4]

أَسْوَدُ كالسَّبَجَة فيه مبْضَعُهْ ... لا تَصنَعُ الرَّقْشَاءُ ما لا يَصْنَعُهْ[5]

وفى هذه الأرجوزة أيضًا:

باتَ بهَا حَيْنُ حُبَيْش يَتْبَعُهْ ... وَبَاتَ جَذْلانَ وَثيراً مَضْجَعُهُ[6]

ذَا سنَة آمنَ مَا يُرَوِّعُه ... حَتى دَنَت منه لحَتْف تزْمعُه

فاظَتْ تَجمُّ سَمَّها وَتجْمَعُهْ ... يا بُؤْس للمُودعه ما يُودعُه[7]

فَشَرعَتْ أمَّ الحمَام إصْبَعُه ... أنحتْ عليه كالشهاب تلْذَعُه[8]

(١-١) ساقط من ر.

(٢) ساقطة من ر.

(٣) تزحله: تنحيه.

(٤) السبت: الجلد المدبوغ. وخلق. مخلوق. يريد ذنبها. تفظعه: تراه فظيعا. أعصل. من العصل، وهو الالتواء فى الشيء. وخطار: كثير الحركة يمينا وشمالا. (من رغبة الآمل).

(٥) السبجة: بردة من صوف فيها سواد وبياض، والرقشاء: الحية فيها نقط سود وبيض.

(٦) حبيش هنا: اسم اللديغ، والحين: الهلاك.، ووثيرا، من الوثارة. وهى لين الفراش.

(٧) فاظت. أحرجت سمها.

(٨) شرعت: دنت.

عَطَّك سربالَ حرير تخلعُهْ ... فكلَّ خلٍّ ظاهرٍ تَفَجُّعُهْ[1]
يَزدادُ من بَغْتِ الحمامِ جَزَعه ... واليأسُ مِن تيسيره تَوَقُّعُه

وكذلك قال يزيدُ بن ضبَّة [أو يزيد بن الصمة[2]] .

[قال أبو الحسن : شك العباس فى أنه لأحدهما . أعنى هذا البيت] .

ولكنَّهم بَانوا ولم أدرِ بَغْتَةً ... وأفظَعُ شيءٍ حينَ يَفجَؤكَ البَغْت[3]

* * *

ومن أحسن التشبيه ومَلِيحِه قولُ رجل يَهْجُو رَجُلا برَثاثةِ الحالِ :

يأتيك فى جُبَّة محرَّقة ... أطْوَلُ أعمارِ مِثْلِها يَوْمُ
وطَيْلَسَانٍ كالآلِ يَلْبَسُهُ ... على قَميصٍ كأنَّهُ غَيمُ

* * *

والتشبيه كثيرٌ، وهو بابٌ كأنه لا آخِرَ له، وإنما ذكرنا منه شيئًا لئلا يخلوَ هذا الكتابُ من شيء من المعانى.

ونختمُ ما ذكرنا من أشعار المحْدَثين ببيتين أو ثلاثة من الشعر الجيِّد. ثم نأخذُ فى غير هذا الباب إن شاء الله . قال طُفَيْلٌ :

تَقريبُه المَرْطَى والجَوْنُ مُعْتَدلٌ ... كأنه سُبَدٌ بالماء مَغْسُولُ

السُّبد: طائرٌ بعينه. وقد قالوا : الخطفة التى توضعُ عند البئر ، وهو بالطائرِ أشبه، وإنما أراد العَرَقَ فى هذا الوقتِ، وخيرُ الخيل ما لم يُسْرِع عَرَقُهُ ولم يُبْطِئ، فإذا جاء فى و قته شَمَلَهُ.

قال الرَّاجزُ :

كأنَّه والطَّرْفُ منه سَامِى ... مُشْتَمِلٌ جاء مِنَ الحمَّامِ

وقال الأعشى :

---

(١) العط شق الثوب وغيره من غير أن يبين.

(٢) تكملة من س ، وفى ر . «أو للعرجم» ، ولعله . «أو للعرجى»

(٣) حاشية الأصل : «فى غيرهذا الموضع إنه لمحمد بن عبد الله بن نمير الثقفى».

يُعَادِى النحُوصَ ومِسْحَلَهَا   وعِفْوَهُمَا قَبْلَ أنْ يَسْتَحِم

النَّحُوص، جِماعُها نحُصٌ، وهى التى لم تَحْمِلْ فى عامها، والمِسْحَلُ: العَيْرُ، والعِفْوُ: الوَلَدُ وجمعُه عِفَاءٌ. فاعلم؛ وهو أَسْعَى له إذا لم يكن لعامه. ويَسْتَحِمُّ: يَعْرَقُ. وفى حديث أمِّ زَرْع: «مضْجَعُه كَمَسَلِّ الشَّطْبَةِ[1] وتكْفيه ذِرَاعُ التجفرَةِ»[2]. ومعناه أنه خَمِيص البطن، وهذا تمْدَحُ به العربُ وتَستحسنه، فأما قولُ مُتَمِّم بن نُوَيْرة:

* فتى غَيْرَ مِبْطان العَشيَّات أَرْوَعَا[3] *

فإنما أرَاد أنه لا يستْعجلُ بالعشاء لانتظاره الضيفَ، كما قال:

وضَيْف إذا أَرقَى طُرُوقًا بَعيرهُ   وعان نَآهُ الغلّ حتى تكَنَّعا[4]

وقالوا فى قول الخنساء:

يُذكّرُنى طُلوعُ الشمسِ صَخْرًا   وأذكُره لكلِّ غُروبِ شمسِ

قالوا: أرادتْ بطلوعِ الشمس وقت الغَارَةِ. وبغروب الشمس وقت الأضْياف.

* * *

وقال رجلٌ لبعض أهله[5]: واللهِ ما أنتَ بعَظيم الرأس فتكون سَيِّدًا، ولا بأرْسَحَ[6] فتكون فارسًا.

وقال رجلٌ من بنى أسدِ لرجل من قَيْس: واللهِ ما فُتِقْتَ فَتْق السَّادَةِ. ولا مُطِلْتَ مَطْلَ الفُرْسانِ.

(١) الشطبة: السعفة التى تشطب من الجريد.

(٢) التجفرة: ما بلغ أربعة أشهر من ولد الشاة.

(٣) المبطان: العظيم البطن من كثرة الأكل. وصدره:

* لَقَدْ كفَّنَ الْمنهالُ تَحْتَ ردائه *

(٤) قال الأصمعى: إذا ضل الرجل أرغى بعيره. أى حمله على الرغاء لتجيبه الإبل برعائها، أو تنبح لرغائه الكلاب فيقصد الحى». والعانى: الأسير، والطروق. الإتيان ليلا. وتكنع الأسير تقبض واجتمع.

(٥) ر. «لابن له».

(٦) الأرسح: قليل لحم المخذين والأليتين.

فهذه كلُّها نعوت قد عُرِفَتْ لقومٍ حتى كأنها سِمَاتٌ لهم. وكانوا يقولون: ينبَغى أن يكون الفارس[1] مُهَفْهَفَ الخَصْرَيْن[2]، مُتَوَقِّدَ العينين، حَمْشَ الذِّراعين[3]. وأنشد الأصمعىُّ:

* كأنما سَاعِدَاه ساعِدَا ذيبِ *

قالوا: ومن نعت السَّيِّد أن يكونَ لحيمًا، ضَخْمَ الهامة، جهيرَ الصَّوْت، إذا خطا أَبْعدَ، وإذا تُؤُمِّلَ مَلأَ العَيْنَ؛ لأنَّ حقَّه أن يكونَ فى صدر مجلس، أو ذِرْوَةِ مِنْبرٍ، أو منفردًا فى مَوْكِب.

وكانوا يقولون فى نعت السيِّد: يملأ العَيْنَ جمالا، والسَّمعَ مَقالا.

* * *

وقال أبو علىٍّ دِعْبل بن على فى رجلٍ نَسَبَهُ إلى السُّؤدَد، بقوله لمعاذ بن جَبَلِ بن سعيدٍ الْحِمْيَرِىِّ، وهو من ولد حُمْيدِ بن عبد الرحمن الفقيهِ:

فإذا جالَسْتَهُ صَدَّرْتَهُ	وتَنحيَّتْ له فى الحاشيهْ[4]
وإذا سَايَرْتَهُ قَدَّمْتَه	وتأَخْرتَ معَ المستأنيَهْ[5]
وإذا ياسَرْتَهُ صَادفتَه	سَلِسَ الخلق سَليمَ الناحيَهْ[6]
وإذا عاسَرْتَهُ صادفتَه	شَرِسَ الرَّأى أبيًّا دَاهيَهْ[7]
فاحْمَدَ الله على صُحبته	واسْأَلِ الرَّحمنَ منه العافيَهْ

وهذا المعنى قد أجمله جريرٌ فى قوله:

بِشْرٌ أبو مَرْوانَ إن عاسَرْتَه	عَسِرٌ وعندَ يَسَاره مَيْسورُ[8]

(١) ر: «ينبغى للفارس أن يكون».
(٢) مهمهف الخصرين: ضامرهما.
(٣) حمش الذراعين. أى دقيقهما.
(٤) حاشية كل شىء طرفه وجانبه.
(٥) المستأنية: المتمهلة البطيئة.
(٦) ياسرته: لاينته وساهلته.
(٧) شرس الرأى: سيئ الخلق.
(٨) هو بشر بن مروان، أخو عبد الملك بن مروان.

بـاب

تجتمعُ فيه طَرَائفُ من حَسَن الكلام، وجيـدِ الشعر، وسائرِ الأمثال، ومأثور الأخبار، إن شاء الله .

[الحجاج بن يوسف والوليد بن عبد الملك]

كان الحجَّاج بن يوسف يَسْتَثْقِل زيادَ بن عمرو العَتَكِىَّ، فلما أَثْنَت الوُفودُ على الحجاجِ عندَ الوليد بن عـبد الملك، والحجاجُ حاضرٌ، قال زيادُ بن عَـمرو: يا أمير المؤمنين، إنّ الحجـاجَ سيفُكَ الذى لا يَنْـبُو، وَسَهْمُـكَ الذى لا يَطيشُ، وخادمُك الذى لا تأخذُه فيك لَوْمَةُ لائمٍ، فلم يكن أَحَدٌ بَعْدُ أَخَفَّ على قلب الحجاج منه.

[لابن قيس الرقيات فى معاتبة المهلب]

ولزيادٍ يقول ابنُ قيس الرُّقَيَّات فى معاتبتهِ المهَلَّبَ بن أبى صُفْرة :

أَبْلِـغَـــا جَـــارىَ المهَلَّبَ عَـنِّى ... كلُّ جـار مُـــفـارقٌ لا مَـــحَـالَهْ
إنَّ جَــــارَاتكَ الـلوَاتى بَـتكْـرِ ... يتَ لتَنْبــيـذ رَجْلهنَّ مــقَـالَهْ(١)
لو تَعَـلَّقْنَ من زياد بن عـــمـــرو ... بحـبَـال لَمَـا ذَمَـــمن حبَــالَهْ
غَلَـبَتْ أُمُّـــــهُ أَبَاهُ عـلـيــــــه ... فَـهـوَ كـالكابُلِىِّ أَشْـبَـهَ خَـالَهْ(٢)
ولقــد غَـــالنى يزيـدُ وكـــانتْ ... فى يَزيـد خـيـــانةٌ ومَـــغَـــاله(٣)
عَـــتكِـىٌّ كـأَنَّـه ضَـــوْءُ بَدْرٍ ... يَحْـــمَـدُ النَاسُ قَـــوْلَه وَفَـعـالَهْ

[نبذ من أقوال الحكماء]

وقال أسماءُ بنُ خارجةَ الفَزَارِىُّ : لا أُشاتُم رجلا، ولا أَرُدُّ سائلا، فإنما هو كريم أَسَدُّ خُلَّتهُ، أو لئيمٌ أَشترى عِرضى منه.

* * *

وقال سَـهْلُ بن هارون : يجب على كل ذى مَقَـالةِ أن يَبْدَأَ بحمـدِ الله قبلَ استفتاحِها، كما بُدِئَ بالنعمةِ قبل استحقاقِها.

(١) تكرت: بلد بين بغداد والموصل .

(٢) قال المرصفى: «يريد أن شهـوة أمه سبقت شهوة أبيه فـسرت أعراقها فيه» فلم يشـبه أباه فى صلابة عوده ونجابته. والكابلى. مسوب إلى كابل؛ وهو ثغور طخارستان، نسبة إلى العجم».

(٣) المغالة : الخيانة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان يقولُ عند التَّعْزِيةِ : التَّهْنِئَـة بآجلِ الثواب أوْلَى منَ التعزيةِ على عاجلِ المصيبةِ .

* * *

وأراد رجلٌ الحجَّ، فأتى شعْبَةَ بن الحجاجِ يُوَدِّعُه، فقال له شعبة: أمَا إنك إنْ لم ترَ الحلْمَ ذُلا، والسَّفَه أنَفًا! سلِمَ لك حَجُّكَ.

وقالَ أوَيْس القرَنىُّ : إنَّ حقوقَ الله لم تَتْرُكْ عند مُسْلِمٍ درْهَمًا .

[لدعبل يذم رجلا]

وقال دِعبلُ بن علىٍّ الخَزاعىُّ يذمُّ رجلا :

رأيتُ أبا عِـمْـرَان يَبْذلُ عِـرْضَـهُ ... وخُبْزُ أبى عمـران في أحْرَزِ الحرز
يحِنُّ إلى جـاراتـهِ بعـد شِـبْـعِـهِ ... وجـاراتُه غَـرْثى تَحِنُّ إلى الخـبـزِ

[لبعض آل المهلب]

وقال آخر(١) :

قَـوْمٌ إذا أكلوا أخْـفَــوْا كـلامَـهُـمُ ... وَاسْتَـوْثَقوا من رِتاجِ الـباب والدار
لا يَقْبِسُ الجارُ منهم فَضْلَ نارِهِمُ(٢) ... ولا تكُفُّ يَدٌ عن حُـرْمـةِ الجـار(٣)

[لرجل من طيئ وكان قتل رجلا من بني أسد]

وقال رجلٌ من طَيِّـئ ، وكان رجلٌ منهم، يقال له زيـدٌ، من وَلَد عُرْوَة بن زَيْدِ الخيْلِ ، قَتَلَ رجلا من بنى أَسَد يقال له زيدٌ، ثم أُقِيدَ به بَعْدُ :

علا زَيْدُنا يوم الْحِمى رأسَ زَيْدكمْ ... بأبْيَضَ مَـصْــقُـول الغـرَار يَمَـانِ
فـإنْ تَقْـتُلُوا زَيْـدًا بَزيدٍ فـإنما ... أَقَـادكُمُ السُّلْطانُ بعــد زَمَــانِ

* * *

(١) نسبه أبو تمام في الحماسة ٤ : ٩٠ إلى بعض آل المهلب. وقال التبريزى فى شرحه: «هو عبد الله بن عبد الرحمن، ولقبه أبو الأنوار».

(٢) القبس : الشعلة من النار ، والقابس: طالب النار .

(٣) زيادات ر : أظن تمامه :

حتى إذا استنبح الأضياف كَلْبهم ... قالوا لأمّهمُ بولى على النار
قامت بأحمرها تبدى مشافره ... كأنه رئةٌ فى كف جزار

والبيت الأول للأخطل ، وروايته فى ديوانه «قوم إذا استنبح...»

[قال أبو الحسن . وأنشدنا غيره :

عَـلا زيدُنا يوم النّقى رَأْسَ زيدكمْ ... بأَبْيَضَ مِن مـاءِ الحـديد يَمَـانِ]

[لشمعل التغلبى حين ضربه عبد الملك بن مروان]

قال : كلم شـمعل التغلبى عـبد الملك كلاما لـم يرضه، فرماه عـبد الملك بالجرز(١) فخدش وهشم ، فقال شمعل :

أَمِنْ جـذْبة بالرِّجْلِ مِنِّى تَباشَـرَتْ ... عُدَاتى، فلا عَـيبٌ علىَّ ولا سُخْرُ

فَـإِنَّ أمـيـر المؤمنين وسَـيْـفَـهُ ... لكالدَّهْر ، لا عارٌ بما فَعَلَ الدَّهْرُ!

* * *

وقال الحجاج بن يوسف : البخل على الطعام أقبح من البرص على الجسد.

* * *

وقال زياد : كـفى بالبـخيل عارا أن اسـمه لم يقـع فى حمد قـط ، وكفى بالجود مجدا أن اسمه لم يقع فى ذم قط .

* * *

وقال آخر :

ألا تَرِيْنَ وقـد قَطَّعْـتنى عَـذلا ... ماذا من الفَضلِ بَيْنَ البُخلِ والجود!

لا يَعْـدَمُ السـائلون الخـيـر أفـعلُه ... إمَّـا نَوالا وإمَّـا حُـسنَ مَـردود

إلا يكُـنْ وَرَقٌ يومًـا أَراحَ بـه ... لِلْخَـابِـطين فـإنى لَـيِّنُ العُـود

قولـه: «إلا يكُنْ وَرَقٌ» يريد المالَ، وضَرَبه مَـثَلا. ويقـال: أتى فلانٌ فـلانا يَخْتَبِطُ ما عندَه. والاخْتبَاطُ: ضربُ الشجرِ لِيَسْقُطَ الورقُ، فجعلَ الخابِطَ الطالبَ، والوَرَقَ المالَ، كما قال زُهَيْرٌ :

وليس مَـانِعَ ذى قُـرْبى ولا رَحِمٍ ... يومًـا ولا مُعْدِمًـا مِن خابـطٍ وَرَقًا

[بخل الحطيئة]

ويُروَى أن ضيفًا نزل بالحُطَيْئة، وهو يَـرْعى غنمًا له ، وفى يده عصًا، فقال

---

(١) الجرز : عمود من حديد .

الضَّيفُ: ياراَعِي الغَنَم [ما عندك؟][1]، فأومأ إليه الحطيئة بعصاه، وقال: عجْرَاءُ من سَلَمٍ[2]، فقال الرجلُ: إنى ضَيْفٌ، فقال الحطيئةُ: للضّيفانِ أَعْدَدُتها!

[متفرقات من شعر دعبل]

وقال دعْبلٌ :

وابنُ عِمْرَانَ يَبْتَغى عَرَبِيًّا ... لَيس يَرْضَى البَنَاتَ لِلأكْفَاء

إنْ بَدَتْ حاجَةٌ له ذكرِ الضَّيـ ... ـفَ ويَنْسَاه عندَ وقتِ الغَدَاءِ

* * *

وقال أيضا :

أضيافُ سالمَ فى خَفْضٍ وفى دَعَة ... وفى شَرَاب ولحمٍ غيرِ ممنوعِ

وَضيْفُ عَمْرو وعَمرو يَسْهَرَان معًا ... عَمْرٌو لِبطْنته والضَّيفُ للجُوع

* * *

وقال أيضا :

ما يرحل الضيف عنى بعد تكرمة ... إلا برفد وتشييع ومعذرة

* * *

وقال أيضا :

لم يُطيقوا أن يَسمعُوا وَسَمِعْنا ... وصَبَرْنا على رَحى الأسْنَانِ

صوت مَضْغ الضُّيوفِ أحسن عندى ... من غِناءِ القِيَانِ بالعِيدانِ

[وقال القرَشىُّ من بنى أمَيَّةَ :

إذا ما وترنَا لم نَنمْ عَنْ تراتنا ... ولم نَكُ أَوْغَالا نقيمُ البَواكيَا[3]

ولكنَّنا نمضى الجيادَ شَوازبا ... فنرمى بها نحو التِّرَات المراميَا[4]

---

(١) تكملة من س .

(٢) العجراء : التى فيها عقد . والسلم : شجر من العضاه .

(٣) وترنا قتل منا قتيل، والترات جمع ترة. وهى النسل، والأوغال: جمع وغل ، وهو النذل الضعيف من الرحال

(٤) النسوارب من الخيل الضوامر .

[لجرير يفتخر و يهجو الأخطل وقومه]

وقال جرير :

إنَّ الذى حـرَمَ الخـلافـة تَغْلـبًـا ... جَـعَلَ النُّبـوةَ والخـلافـةَ فـينَا[1]

مُـضَرٌ أبـى وأبو الملوكِ وَهَلْ لكم ... يا خُـزْرَ تَغْلبَ مـن أب كـأبينا !

هذا ابن عـمِّى فى دِمَشقَ خَليـفةٌ ... لو شِـئْتُ سـاقكمُ إلىَّ قَـطينا[2]

إنَّ الفـرزدقَ إذْ تَحَنَّفَ كـارِها ... أَضْحى لِتَغْلبَ والصَّليبِ خَدِينا[3]

ولقد جَزِعْتَ إلى النصـارَى بَعْدَما ... لَقِىَ الصليبُ مـن العذابِ مُـهِـينا

هَلْ تَشْهَـدُونَ من المشَاعِرِ مَشْـعَرًا ... أو تَسْـمعـون من الأذان أذِينا![4]

* * *

قال أبو العبـاس : حدثنى عُمارةُ بن عقـيلِ بن بلال بن جَرير، قال: لمَّا بلغ الوليد قولُه :

هذا ابن عـمى فى دمَشْقَ خَليـفةٌ ... لو شـئت سـاقكُم إلىَّ قَطـينًا

قال الوليـد : أمَّا واللهِ لو قـال: «لو شاء ساقكم»، لفـعلتُ ذاك به، ولكنه قال: «لو شئتُ» فجعلنى شُرْطيًّا له.

* * *

ويُرْوَى أن بلالا[5] قعد يومًـا ينظرُ بين الخصومِ، ورجل منهم ناحِيًـا يَتَمثَّلُ قولَ الأخطَلِ على غير معْرفة[6]:

وابن المرَاغَـة حـابسٌ أَعْـيَـارهُ ... مَـرْمَى القصـيَّةِ مـا يذَقْنَ بِلالا[7]

---

(١) الخرز : ضيقو الجفون ، يصفهم بأنهم ينظرون بمؤخر عيونهم حقدا وغيظا وعداوة .

(٢) القطين: الخدم والمماليك .

(٣) تحنف : تنسك وتأله .

(٤) الأدين : المؤذن .

(٥) هو بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى القاضى .

(٦) فى هجاء جرير .

(٧) المراغة فى الأصل : الموضع تتمرغ فيه الدواب ،وتقال أيضا للأتان التى لا تمتنع من الفحول. والأعيار: جمع عير ، وهو الحمار، والقصية: الموضع المتنحى البعيد. والبلال. ما بل الحلق من ماء وغيره.

فسـمعه بلالٌ، فلمَّا تَقـدَّمَ مع خصْمه قـال له بلالٌ: أَعدْ عليَّ[1] إنشَادكَ، فَغَمزَه بعضُ الجلساء، فقـال الرجلُ: إني وَالله ما أَدرى مَنْ قالَه، و لا فيمن قيلَ؟ فقال بلالٌ: أَجَلْ، هو أَسْيَرُ منْ ذاك، هلمَّا فَاحْتَجًّا.

* * *

وقال جرير :

مَـررْتُ عَـلى الديارِ فـمـا رَأَيْنَا ... كـــدَارِ بين تَلْـعـــةَ والنَّظِـيمِ

عَـرَفْتُ الْمـنَتـأى وعـرفتُ مـنهـا ... مَطايَا القِـدْرِ كـالْحِـدَأ الجثُـومِ[2]

* * *

وقال آخر :

لقـــد تَبَلَـتْ فُـــؤادكَ إذْ تـولَّتْ ... ولمْ تَخْشَ العُـقوبةَ فى التَّـولِّى[3]

عَـرَفْتُ الدارَ يومَ وقـفتُ فـيـهـا ... بريـحِ المِسْـكِ تَنْـفَحُ فـى المَحَـلِّ

* * *

---

(١) سافطة من ر .

(٢) جثوم جمع جاثمة : من جثم الطائر إذا لصق بالأرض فلم يبرح.

(٣) تبلت فؤادك: أسقمته وأدنفته.

بـاب

من أخبار الخوارج

[في بيعتهم لعبد الله بن وهب الراسبى]

قال أبو العباس: ذَكَر أهلُ العلم من الصُّفْرِيَّة أنَّ الخوارج[1] لَمَّا عَزَموا على البَيْعَة لعبد الله بن وهْب الرَّاسبيِّ من الأزد، تَكَرَّهَ ذلك. فأَبَوْا مَنْ سواه، ولم يُريدُوا غيرَه. فلمَّا رأى ذلك منهم قال: يا قوم، استَبيِتُوا الرأى، أَىْ دَعوه يَغِب[2].

وكان يقول: نعوذ بالله من الرأى الدبرى.

قوله: «استبيتوا الرأى» يقول: دَعوا رأيكم تأتى عليه ليلة ثم تَعَقَّبوه. يقال: بَيَّت فلانٌ كذا كذا، إذا فعله ليلا، وفى القرآن: ﴿إذ يُبيِّتونَ ما لا يَرْضَى من القَوْل﴾[3]، أى أَدَارُوا ذلك بينهم لَيْلا[4]. وأنشدَ أبو عُبيدةَ:

أتونى فلم أَرْضَ ما بَيَّتُوا ... وكانوا أَتَونى بأمرٍ نُكُرْ
لأُنْكِحِ أَيِّمَهُم مُنْذِرًا ... وهل يُنْكِحُ العَبْدَ حُرٌّ لحُرّْ!

والرأىُ الدَّبَرِّىُّ: الذى يَعْرُض[4] بعد وقُوع الشىء، كما قال جريرٌ[5]:

ولا يَعرفونَ الشرَّ حتى يُصيبَهمْ ... ولا يعرفون الأمْرَ إلاَّ تَدَبُّرا

وكان عبدُ الله بن وَهْب ذا رأى وفَهْمٍ، ولسانٍ وشَجاعةٍ، وإنما لجئوا إليْه وخَلَعوا مَعْدَانَ الإيادى، لقول مَعْدانَ:

---

(١) من خرج على الإمام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا. سواء كان الخروج فى أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أم كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة فى كل زمان. والصفرية: طائفة من الخوارج؛ تابعوا زياد بن الأصفر، ويقال لهم: الزيادية أيضا. الملل والنحل للشهرستانى ١: ١٢٣ .

(٢) يغب: أى يبيت.

(٣) سورة انساء ١٠٨ .

(٣) ر: «ليلا بينهم».

(٤) ر: «من بعد».

(٥) فى هجاء الفرزدق وقومه من بنى مجاشع.

سلامٌ على مَنْ بـايَعَ الله شَارِيًا[1]   وليس على الحِـزْب المقـيم سَـلامُ

فبرئت منه الـصُّفْرِيَّةُ، وقالوا: خالفتَ، لأنَّكَ بَـرِئْتَ من القَعَدِ[2] والخوارج في جميع أصنافها تَبرأ من الكاذب . ومن ذي المعصيةِ الظَّاهرةِ .

[شأنهم مع واصل بن عطاء]

وحُدثْتَ أنَّ واصلَ بن عطاء أبا حُذَيفَـةَ أَقْبَلَ في رُفقة ، فأَحَـسُّوا الخوارج، فقال واصـلٌ لأهـل الرّفقة: إنَّ هذا ليس مـن شأنكم، فاعتَـزلُوا ودَعُونـي وإيَّاهـم ـ وكانوا قد أَشْرَفُوا على العَطَب ـ فقالوا: شـأْنَكَ، فَخَرَجَ إليهم، فقالوا: ما أنتَ وأصحابُكَ؟ قال: مشركونَ مُسْتجِـيرونَ، لِيَسْمَعُوا كلام الله، ويفهموا[3] حُدُودَه. فقالوا: قد أَجَرْناكم، قال: فعلِّمُونا، فجعلُوا يعلمونه أحكامهم. وجَعل يقول: قد قبلتُ أنا ومَن معي، قـالوا: فامْضوا مُصاحَبين، فـإنكم إخواننا ! قال: ليس ذلك لكم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وإنْ أحدٌ منَ المشْركينَ استَجَارَكَ فأجره حَتَى يَسْمَعَ كلام الله ثم أَبْلغْهُ مأمَنَهُ**﴾[4]، فأَبْلغُونَا مَأْمَنَنَا. فنظـرَ بعضهم إلى بعض، ثم قالوا: ذاك لكم، فسارُوا بجمعهم[5] حتى بَلَّغُوهم المَأْمَنَ.

[مناظرة عبد الله بن عباس لهم]

وذكر أهلُ العلمِ من غـير وجه أنَّ عليًّـا رضي الله تعالى عنه لما وَجَّـهَ إليهم عبد الله بن عبَّاس رحمة الله عليه، لِيُناظِرَهـم، قال لهم: ما الذي نقَمْتُمْ على أمير المؤمنين؟ قالوا: قد كان للمؤمنين أميرًا، فلمَّا حكَّم في دين الله خرجَ من الإيمان، فليَتُبْ بعدَ إقـراره بالكفر نعد لهُ. فقال ابن عبـاس: ما ينبغي[6] لمؤمنٍ لـم يَشُبْ إيمانَهُ شكٌ أن يُقِرَّ على نفسه بالكفر! قالوا: إنه قـد حكَّمَ، قال: إن الله عزَّ وجلَّ قد أمرَنا بالتحكيم في قتلِ صَيد، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿**يَحْكُمُ به ذَوَا عَدْلٍ منكم**﴾[7]، فكيفَ في إمامة قد أشْكلتْ علَى المسلمين! فـقالوا: إنه قد حُكمَ عليه فلم يَرْضَ، فقال: إنَّ الحكومة كالإمامة، ومتى فَسَق الإمـامُ وَجَبَتْ معصيتُه، وكذلك الحكمان

---

(١) شاريا، أي بائعا نفسه في طاعة الله .

(٢) القعد: طائفة من الخوارج يرون التحكيم حقا؛ غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس.

(٣) ر : «ويعرفوا» .

(٤) سورة التوبة ٦

(٥) ر : «بأجمعهم».

(٦) ر : «لا ينبغي» .

(٧) سورة المائدة ٩٥ .

لَمّا خالفا نُبِذت أقاويلهما فقال بعضُهم لبعض: لا تَجعلوا احتجاجَ قريشٍ حُجَّةً عليكم، فإنَّ هذا من القومِ الذين قال الله عزَّ وجلَّ فيهم: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[1]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾[2].

[الفتوى فيمن أصاب صيدا وهو محرم]

وَالشيْءُ يذْكرُ بالشيء، وجاء في الحديث أن رجلا أعرابيًّا[3] أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: إنى أَصَبْتُ ظَبْيًا وأنا مُحْرِمٌ، فالتفتَ عمرُ إلى عبدالرحمن بن عَوْف، فقال: قل، فقال عبدُ الرحمن: يُهْدى شَاةً، فقال عمرُ: أَهْد شَاة. فقال الأعرابىُّ: والله ما دَرَى أميرُ المؤمنين ما فيها حتى استَفْتى غيرَهُ! فَخفَقَهُ عمرُ رضوان الله عليه بالدرَّة، وقال: أَتَقْتُلُ فى الحرَمِ وتَغْمصُ الفُتْيا! إنَّ الله عز وجلَّ قال: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾[4]، فأنا عمرُ بن الخَطاب، وهذا عبدُ الرحمن بن عوفٍ.

* * *

وفى هذا الحديث ضُروب من الفقه؛ منها ما ذكروا أنَّ عبد الرحمن بن عوف قال أوَّلا، ليكون قولُ الإمام حُكْمًا قاطعًا، ومنها أنه رأى أنَّ الشاةَ مثلُ الظبيَة، كما قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾[4]. وأنه لم يسأله: أَخَطَأً قتلته[5] أم عمْدًا؟ وجعل الأمرينَ واحدًا. ومنها أنه لم يسأله: أقتلت صيدًا قبله وأنتَ مُحْرِمٌ؟ لأنَّ قومًا يقولون: إذا أصابَ ثانية لم يُحْكَم عليه، ولكنَّا نقولُ له[6]: اذهبْ فاتَّقِ الله، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾[7].

[قول قطرى بن الفجاءة لأبى خالد القنانى ورد أبى خالد عليه]

مِنْ طَرِيف أخبار الخوارج قولُ قطَرِيِّ بن الفُجاءَة المازنىّ لأبى خالد القَنَانىِّ - وكان مِن قَعَدِ الخوارجِ:

(١) سورة الزخرف ٥٨ . (٢) سورة مريم ٩٧ .

(٣) نقل المرصفى عن ابن الأثير أنه قبيصة بن هانئ أحد التابعين .

(٤) سورة المائدة ٩٥ .

(٥) ر : «قتله». وما أثبته عن الأصل.

(٦) كلمة «له» ساقطة من ر . (٧) سورة المائدة ٦٥ .

أبا خـالد إنْفـرْ فَـلَسْتَ بخَـالد[1] وَمَا جَـعَلَ الرحمـنُ عذْراً لقـاعد
أتزْعُمُ أنَّ الخَـارجىَّ عـلى الهـدَى وأنتَ مُـقـيمٌ بين لِصٍ وجـاحِـدِ!

فكتبَ إليه أبو خالد :

لقــد زادَ الحــيــاةَ إلىَّ حُــبَّــا بنـاتى، إنهنَّ مـن الضّـعَـاف
أُحــاذُر أنْ يَرَيْنَ الفَــقْـرَ بَعْــدى وأن يَشْـربْنَ رَنْقًـا بعـد صـافِ[2]
وأن يَعْـرَيْن إنْ كُـسىَ الجـوارى فـتنبُو العَـيْنُ عن كُـومٍ عجَـاف[3]
ولولا ذاكَ قــد سَوَّمْتُ مُــهْـرِى وفى الرحـمن لـلضّـعَـفـاء كـاف
[أبانَـا مَنْ لـنا إنْ غِــبْتَ عَـنَّا وصارَ الحىُّ بعدكَ فى اختلافِ][4]!

[من أخبار عمران بن حطان وأشعاره]

هذا خلافُ ما قال عمْرَانُ بن حطانَ، أحـدُ بنى عمرو بن شَيْبان بن ذَهْلِ بن ثعْلَبـةَ بن عُكابَةَ بن صَـعْب بن علىٍّ بن بكْر بن وائلِ، وكـان[5] رَأْسَ القعَـد من الصُفْـرية وخَطيبَهُم وشاعـرَهم، قال: لـمَّا قُـتلَ أبو بلال، وهو مرْدَاس بن أُدَيَّةَ - وهى جدَّتُه. وأبُوهُ حُدَيْر. وهو أحدُ بنى رَبِيعة بن حَنْظَلَةَ بن مالكَ بن زيد مَنَاة بن تميمٍ، قال عِمران بنُ حطان:

لقــد زادَ الحـيــاةَ إلىَّ بُغْـضــا وحُــبَّــا لـلخـروجِ أبـو بلال
أُحَـاذرُ أن أمـوت عـلى فـراشى وأرْجُـو الموتَ تحتَ ذُرَا الـعَـوَالى
ولو أنِّى عَـلمْتُ بأَنَّ حَـتْـفى كَــحَـتْـف أبى بلالِ لـم أبَالِ
فــمنْ يك همَّـهُ الـدنيـا فــإنى لَهَــا واللهِ ربِّ البـيتِ قــالى

وفيه يقولُ:

يا عَـيْنُ بكَى لِمرْدَاسٍ ومَـصْـرَعِـهِ يا رَبَّ مِرْدَاس اجـعَلْنى كـمرداسِ

(١) ر : «يا انفر»، وما أثبته عن الأصل. س .
(٢) الرنق. : الكدر .
(٣) العجاف : جمع عجفاء. وهى الهزيلة التى ذهب سمنها.
(٤) ما بين العلامتين من زيادات ر .
(٥) ر : «وقد كان».

تركْــتنــى هائمًـــا أبكى لِمــرْزئَتى	فى مَنْزِلٍ مُـوحِشٍ من بعـد إيناس
أنكرتُ بَعَدَكَ مَنْ قـد كنتُ أَعْرِفُه	ما الناس بعــدَكَ يا مِرْداسُ بالناسِ
إمَّـــا شَــرِبْتَ بكأس دَارَ أوّلُهـــا	على القرون فذاقُـوا جُرْعةَ الكاسِ
فَكلُّ مَنْ لم يَذقـهَا شاربٌ عَـجلا	منهـا بأنـفـاسِ وردٍ بعـدَ أنْفـاسِ

* * *

وكان من حديث عـمرانَ بن حطّانَ فيما حدثنى العـباسُ بن الفَرجِ الرِّيَاشِىُّ عن محمد بـن سَلام أنه لـمَّا أَطْرَدَهُ الحجاجُ كان ينتـقلُ فى القبائل، فكان إذا نزل فى حىٍّ انْتَسَب نَسَبًا يَقْرُب منه، ففى ذلك يقول:

نَزَلْنَـا فى بَنى سَـــعْـــد بـن زَيد	وفى عَكٍّ وعــامـرِ عَـوبْـثـان[1]
وفى لَخْم وفــى أددِ بن عــمــرو	وفى بَـكْرٍ وحَىّ بـنى العَـــدَان

ثُمَّ أخَـرج حـتـى نزل عند روح بن زنبـاعِ الجُـذامـىّ. وكـان رَوحٌ يَقْـرِى الأضيافَ، و كا مسامرًا لعبد الملك بن مروانَ أثيراً عنده[2]، فانْتَمَى له من الأزْد.

ـ وفى غيـرهذا الحديث أنَّ عبد الملك ذكـر رَوْحا فقال: مَنْ أُعْطى مـثلَ مَا أُعطِىَ أبو زُرْعةَ! أُعْطِىَ فقْهَ أهل الحجَاز وَدَهاءَ أهلِ العراقِ، وطاعة أهلِ الشامِ.

رجع الحديثُ. وكـان رَوحُ بنُ زنباعٍ لا يسمع شـعرًا نادرًا ولا حديثًا غـريبًا عند عبد الملك. فـقال: إن لى جارًا من الأزد ما أسمعُ من أميـر المؤمنين خَبَرًا ولا شعرًا إلا عَرَفَهُ وزاد فيه. فقال: خَبِّـرْنى ببعض أخباره. فَخَبَّرهُ وأنشده. فقال: إن اللغةَ عَدْنانيةٌ. وأنّى لأَحْسبُهُ عـمرانَ بن حِطان؛ حتى تذاكروا ليلة قول عِمران بن حطان يمدحُ ابن مُلْجَم لعنه الله :

يا ضَــرْبةً منْ تَقىٍّ مـا أرادَ بـهـا	إلا لِيَـبْلُغَ من ذى العرش رِضْـوانَا
إنِّى لأذكُـره حـــينًا فَـأحْـسِــبُـهُ	أَوْفَى البَـرِيَّةِ عـند الله مـيـزَانَا[3]

فلم يَدْرِ عبدُ الملك لِمَنْ هو. فرجعَ روحٌ إلى عمرانَ بن حطانَ، فسأله عنه.

(١) فى الأصل : «عوثبان»، وما أثبته عن ر . وهو يوافق ما فى القاموس .
(٢) أثيرا : مكرما .
(٣) زيادات ر : «قلبه الفقيه الطبرى» فقال :

فقال عمرانُ: هذا يقولُه عمرانُ بن حطّانَ، يَمدح به عبد الرحمن بن مُلْجَم، قاتل علي بن أبى طالب، فرجعَ روحٌ إلى عبد الملك فأخبره، فقال له عبدُ الملك: ضَيْفُكَ عمرانُ بن حطّان اذهب فجئنى به، فرجَع إليه، فقال: إن أميرَ المؤمنين قد أحبَّ أن يراكَ، قال عمرانُ: قد أردتُ أن أسألَك ذلك فاستحييتُ منكَ، فامْضِ فإنى بالأثَر، فرجَع روحٌ إلى عبد الملك فأخبره، فقال له[1] عبد الملك: أمَا إنَّك سترجعُ فلا تجدُه! فرجع وقد ارتحلَ عمرانُ، وخَلَّفَ رُقْعَة فيهَا:

ياروْحُ كم من أخى مَثْوَى نزلتُ به — قد ظَنَّ ظَنَّكَ من لَخْمٍ وَغَسَّان
حتى إذا خِفْتُهُ فارَقْتُ منزِلَهُ — من بَعْدِ ما قيلَ عمرانُ بنُ حطَّانَ
قد كنتُ جَارَكَ حَوْلا ما تَرَوِّعُنى — فيه روائعُ من إنْسٍ ومن جان
حتى أردتَ بىَ العُظْمَى فأدركنى — ما أدْرَكَ الناسَ من خوف ابنِ مَرْوَان
فاعْذرْ أخاك ابْنَ زِنْبَاعٍ فإنَّ له — فى النائبات خُطوبًا ذاتَ ألوانَ
ومَا يمان إذا لاقيتُ ذا يَمَن — وإن لَقيتُ مَعَدِّيًّا فَعَدْنانى
لو كنتُ مستغفرًا يومًا لطاغيَة — كنتَ المُقَدَّمَ فى سرِّى وإعْلانى
لكنْ أبَتْ لىَ آياتٌ مُطَهَّرَةٌ — عند الولاية فى طه وَعِمْرَان

ثم ارتحل حتى نزلَ بُزفَرَ بن الحارث الكلابىِّ، أحَد بنى عَمرو بن وهب فانتسبَ له أوْزاعيًّا - وكان عمرانُ يُطيلُ الصلاةَ، وكانَ غلْمانٌ من بنى عامر يضحكونَ منه، فأتاه رجلٌ يومًا ممّن رآه عند رَوحِ بن زنْباعٍ فسَلَّم عليه، فدعاه زُفَر فقال: منْ هذا؟ فقال: رجلٌ من الأزْد، رأيتُهْ ضيفًا لرَوْحِ بن زنباعٍ، فقال له زفَرُ يا هذا، أأزديًّا[2] مرةً وأوْزَاعيا مرةً! إن كنتَ خائفًا أمَنَّاكَ[3]، وإن كنتَ فقيرًا جَبَرْنَاكَ. فلمَا أمْسَى هَرَبَ وخَلَّفَ فى منزله رُقعةً فيها:

= يا ضربةً من شقىٍّ ما أراد بها — إلا ليَهْدم من ذى العَرْش بُنْيانَا
إنى لأذكُرُه يومًا فألعنُه — إيهًا والْعَنْ عِمْران بن حطانا

قال محمد بن أحمد الطبيب يرد على عمران بن حطان:

يا ضَرْبَة منْ غَدُور صار ضَاربُهَا — أشْقَى البرية عنْدَ الله إنْسَانا
إذَا تفكَّرْتُ فيه ظلْتُ ألعنُه — والْعن الكَلْبَ عَمْران بن حطانا

(١) كلمة «له» ساقطة من ر

(٢) ر «أأزديا؟» (٣) ر: «آمناك»

إن التى أصبحت يعيا بها زفر ... أعيت عياء على روح بن زنباع

قال أبو العباس: أنشدنى[1] الرِّياشىُّ:

* أَعْيَا عَيَاهَا على روحِ بن زِنْباع *

ـ وأنكَره كما أنكَرناه، لأنه قَصَرَ الممدود، وذلك فى الشعر جائز، ولا يجوز مَدُّ المقصور ـ

مـا زَالَ يَسـألُنى حَـوْلا لأخْـبِـرَهُ ... والناسُ من بين مَـخْـدوعٍ وخَـدَّاع

حـتـى إذا انقطعتْ عنى وَسَـائلُهُ ... كَفَّ السـؤالَ ولم يُولعْ بـإهْلاعى

فاكـفُفْ كمـا كَفَّ عَنِّى إننى رجَلٌ ... إمَّـا صَـمـيمٌ وإمـا فَـقْـعـةُ القـاعِ

واكفُفْ لسانَكَ عن لوْمى ومسألتى ... مـاذا تُـريدُ إلى شَـيْـخٍ لأوْزاع!

أما الصـلاة ُفإنى لَسْتُ تاركَـها[2] ... كلُّ امْـرِئ للذى يُعْنَى به سـاعى

أَكَـرِمْ بـرَوْحِ بن زِنْبـاعٍ وأُسْـرته ... قـومٌ دَعَـا أَوَّلِيـهم للعـلا داعى

جـاورتُهـم سنة فـيـمـا أُسَـرُّ به ... عِرْضى صحيحٌ ونَوْمى غـيرُ تَهجاع

فـاعْـمَلْ فـإنك مَنْعِىٌّ بواحـدة ... حَسْبُ اللبيب بهذا الشَّيْبِ من ناعى

ثم ارتحل حـتى أتى عُمان. فـوجدهم يُعَظِّمُـونَ أمر أبى بلال ويُظـهرونه، فـأَظهَرَ أمرَه فيهم، فبلغ ذلك الحجَّاجَ، فكتبَ إلى عامل[3] عُمان، فارْتحل عمرانُ هاربًا، حتى أتَى قومًا من الأزْد، فلم يَزَلْ فيهم حتى مات، وفى نزوله بهم يقولُ:

نزَلْنَا بحـمـد الله فى خَـيْـرِ مَنْزِل ... نسَـرُّ بما فـيـه من الإنْسِ والخَـفَـرْ

نزلْنَا بـقـوم يَجْـمَعُ اللهُ شَـمْلَهُمْ ... وليس لهم عُودٌ سوَى المَجْد يُعْتَصَرْ

من الأزْد إنَّ الأَزْدَ أكـرم أُسـرةٍ[4] ... يَمـانيَـةٌ طابـوا إذا نسبَ البَـشَـرْ

فأصـبحتُ فـيهم آمنًا لا كَـمَعْـشَرٍ ... أَتَوْنى فـقالوا من ربَـيعَـةَ أَوْ مضَـرْ

أم الحَىِّ قَـحْطَان؟ فَـتلْكُمْ سَـفَـاهَةٌ ... كمـا قال روح لى وصاحِبُـهُ زفَرْ[5]

وَمَـا مـنهـمـا إلّا يُـسَـرُّ بنسْـبَـةٍ ... تُقَـرِّبنـى منْهُ وَإنْ كـانَ ذَا نَفَـرْ

فَنحْـنُ بَنُو الإسْـلامِ واللهُ وَاحِـدٌ ... وَأَوْلَى عِـبَـادِ الله باللهِ مَـنْ شكَرْ

---

(١) ر: «أنشدنيه».

(٢) ر: «غير تاركها».

(٣) ر: «أهل».

(٤) ر: «معشر».

(٥) ر: «لى روح».

قوله:

* يا روحُ كم مِن أَخِي مَثْوَى نَزَلْتُ به *

قد مَـرَّ تفسيـرُه. يقالُ: هذا أبو مَـثْوَايَ. وللأُنثى: هذه أمُّ مـثْوايَ، ومنزلُ الإضافة[1] وما أَشْبَهَـها المَثْوَى. وكـذلك قال المفـسرون فى قـول الله عز وجل: ﴿أكرمى مَثْوَاهُ﴾[2]، أىْ إضَـافَتَـه. ويقال مِنْ هذا: «ثَوَى يَثْـوى ثويًّا» كقـولك: مَضى يَمْضِى مُضِيًّا، ويقال: ثواءً، ومَضاءً، كما قال الشَّمَّاخُ:

طال الثَّـواءُ علـى رَسْم بِيَـمْـؤُودِ أوْدَى وكلُّ جَـديدٍ مَـرَّةً مُـودِى

وقوله:

* فيه رَوَائعُ مِن إنسٍ ومِن جَانٍ *

الواحدةُ رائعـة، يقال: رَاعَنِى يروعُنى رَوْعًـا، أى أفْزَعَنِى، قـال الله تعالى ذكْره: ﴿فلمَّا ذَهَبَ عن إبراهيمَ الرَّوْعُ﴾[3]. ويكونُ الرائعُ الجميل، يقـال: جَمالٌ رائعٌ، يكون ذلك فى الرجل والفرسِ وغيرهما، وأحْسبُ الأصلَ فيهما واحدًا؛ أنه يُفرِط حتى يَروع، كما قال الله جل ثناؤه: ﴿يَكادُ سَنَا بَرْقه يَذْهَبُ بالأبْصار﴾[4]. للإفراط فى ضيائه. والرائع؛ مهمـوزٌ، وكذلك كلُّ فعل من الثلاثة مِمَّا عينُه واو أو ياءٌ، إذا كانت معتلة ساكنة، تقـولُ: قال يقول، وباع يبيع، وخَافَ يخافُ، وهابَ يهاب، يَعْـتَلُّ اسمُ الفاعل فَيُهْـمزُ موضع العين، نحو قـائل، ، وبائع، وخائف، وصـائب. فإن صَـحَّت العين فى الفعـل صحَّت فى اسم الفـاعل، نحو: عَـوِرَ الرجلُ فهـو عاوِرٌ، وصـيدَ فهـو صايدٌ، والصَّـيَدُ: داءٌ يأخذُ فى الرأس والـعينين والشُّئون. وإنما صحـت فى «عـورَ» و «حَـولَ» و «صَيـدَ» لأنه منقولٌ من «أحْوَل» و «أعْوَر» . وقد أحكمنا تفسيرَ هذا فى الكتاب المُقْتَضب.

وقوله:

بومًـا يمانٍ إذا لاقـيـتُ ذا يَمَنٍ وإن لقـيـتُ مَـعَـدِّيًّا فـعـدْنَانى

(١) ر : «الضيافة» .

(٢) سورة يوسف ٢١ .

(٣) سورة هود ٧٤ .

(٤) سورة النور ٤٣ .

يريد أنا يومًا يمان، ولولا أنَّ الشِّعـر لا يصلحُ بالنصب لكان النصبُ جائزًا، علي معنى أتَنَقَّلُ يَومًـا كذا ويوما كذا. والرفع حـسنٌ جميلٌ. وهذا الشعـرُ يُنْشَدُ نصبًا.

أفِى السلم أعـيـارًا جَـفـاءً وغَلْظَة وفى الحرب أمثالَ النساءِ العوارِكِ![1]

العوارك. هُنَّ الحوائضُ. وكذلك قوله:

أفى الـولائمِ أولادًا لـواحـــدة وفى المحـافـل أولادًا لَعَـلات!

قال: العلاتُ، سُميتْ لأن الواحدة تُعَلُّ بعدَ صاحبتها. وهو من العَلَلِ،وهو الشُّربُ الثـانى. أى يختلفـون ويتحـوَّلون فى هذه الحالاتِ، ومن كـلام العرب: أتميميًّا مرةً وقـيسيًّا أخرى! وكذلك إن لـم تستفهم وأخبـرتَ قلت: تميميا مرةً عَلِمَ الله وقَيْسيًّا أخرى. أى تنتقلُ. ومن ثَـمَّ قال له زُفَرُ بن الحارث: أزديًّا مرةً وأوْزاعيًّا أخرى؟ والرفع على «أنتَ» جَيِّدٌ بالغٌ.

وقولُه:

* لو كنتُ مستغفرًا يومًا لطاغية *

يكون على وجهين: لنفْسِ طاغـية . والآخرُ للمذكَّر . وزاد الهاء للتـوكيد للمبالغة. كـما يقالُ: رجل راويةٌ وعَلامَةٌ ونَسَّابةٌ. وكلاهمـا وَجْهٌ. ويقال: جاءت طاغيـةُ الرُّوم. تريد الجماعـة الطاغية. كـما قال رسـول الله ﷺ: «تَقْتُلك الفتـئةُ الباغِيَةُ».

وقوله: «عندَ الولاية» إذا فـتحتَ فهـو مصدرُ «الوَلِىِّ» وفى القرآن المجـيد: ﴿ما لكُم من وَلايَـتِهم منْ شَىء﴾[2]. والوِلايةُ مكسورةٌ. نحو السِّـياسةَ والرِّياضة والإيالة، وهى الوِلَايةُ. وأصلُهُ من الإصلاحِ. يقال: آلهُ يَؤُولُه أوْلا، إذا أصلَحه. قال عـمرُ بن الخطابِ: قـد ألنَا وَإيلَ علينَا؛ تأويلُ ذلك : قـد ولِينَا ووُلِىَ علينا. وهذه كلمةٌ جامعةٌ. يقول: قد وَلِينَا فَعَلِمنا ما يُصْلِح الوالِىَ، ووُلِىَ علينا فَعلِمنا ما يُصْلِحُ الرَّعِيَّةَ.

---

(١) الأعيار: جمع عير ، وهو الحمار. والبيت من شواهد الكتاب ١ ـ ١٧٢ .

(٢) سورة الأنفال ٧٢ .

وقوله:

* حتى إذا ما انْقَضَتْ منِّى وَسائلُه *

وهى الذَّريعةُ والسَّببُ، يقال: قد تَوَسَّلْتُ إلى فلان، قال رؤْبَةُ بنُ العَجَّاج:

والناس إن فَصلتهم فصائلا ... كل إلينا يبتغى الوسائلا

وقوله: «ولم يُولَعْ بإهْلاعى»، أى بإفزاعى وترويعى، والهَلَعُ من الجُبْنِ عند ملاقاة الأقران. يقال: نعوذ بالله من الهَلَعِ، ويقال: رجلٌ هَلُوعٌ، إذا كان لا يَصْبِرُ على خيرٍ ولا شَرٍّ، حتى يفعلَ فى كل واحد منهما غيرَ الحَقِّ، قال اللهُ عز وجل[1]: **﴿إنَّ الإنسان خُلقَ هَلُوعًا * إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وإذا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعًا﴾**[2]. وقال الشاعرُ:

ولِى قَلْبٌ سقيمٌ ليس يَصْحُو ... ونفسٌ ما تُفِيقُ من الهُلاعِ

وقوله:

* إما صَميمٌ وَإمَّا فَقْعَةُ القَاعِ *

الصميم: الخالصُ من كل شىء، يقال: فلانٌ من صميم قومه، أى من خالصهم. وقال جريرٌ لهشام بن عبد المَلِك:

وتَنْزِلُ من أُمَيَّةَ حيثُ تَلْقَى ... شُئونَ الرأس مُجْتَمعَ الصَّميم

وقوله: «وإمَّا فَقْعَةُ القَاعِ» يقال لمن لا أصلَ له: هو فَقْعة بقَاع، وذلك لأن الفقعةَ لا عُروقَ لها ولا أغصان. والفَقْعَةُ الكمأةُ البيضاءُ، ويقال: حمَامٌ فِقِّيعٌ لبياضه، ومن ذا قولُ الشاعر:

قومٌ إذا نسِبُوا يكونُ أبوهُمُ ... عند المَناسِبِ فُقْعَة فى قَرْقَرِ[3]

وقال بعضُ القرشيين:

إذا ما كنتَ مُتَّخذًا خليلا ... فلا تَجْعَلْ خليلَكَ منْ تَميمِ

بَلَوْتُ صميمَهُمْ والعبد منهم ... فما أدْنَى العَبِيدَ من الصَّميمِ!

---

(١) ر : «وهو أصدق القائلين» . (٢) سورة المعارج ١٩ ـ ٢١ .

(٣) القرقر : الأرض المطمئنة اللينة .

وقوله :

* نسَرُّ بما فيهِ منَ الإنْسِ والخَفَرْ *

فأصل الخَفَرِ شدّةُ الحياءِ، يقال: امرأةٌ خَفِرَةٌ، إذا كـانت مستترةً لاستيحائها، قال ابنُ نُمَيْرٍ الثَّقفيُّ :

تَضَوَّعَ مِسْكًا بطْنُ نَعْمانَ أن مَشَتْ به زينـبٌ في نسْـوَةٍ خَـفِـرات

وقوله :

* منَ الأزْدِ إنَّ الأزْدَ أكْرَمُ أُسْرَةٍ *

يقولُ: عـصابة وقـبيلة، ويقالُ للرجل: من أيّ أُسْـرَةٍ أنتَ؟ وأَصلُ هذا من الاجتماع ، يقال للقَتَبِ: مأسُورٌ، وقد مضى تفسيره.

ويُنْشَدُ :

* يَمَانِيَةٌ قَرْبُوا إذا نُسِبَ البَشرْ *

يريدُ «قَرُبُوا»، وهذا جـائزٌ في كلِّ شيءٍ مضمـومٍ أو مكسور إذا لم يكن من حركات الإعراب، تقولُ في الأسماء في فَخِذٍ، فَخْذٌ، وفي عَضُد، عَضْدٌ. وتقولُ في الأفـعـال: كَـرْمَ عـبـدُ الله، أيَ كَـرُمَ، وقـد عَلْمَ اللهُ ، أي عَلِمَ اللهُ، قـال الأخْطَلُ(١) :

فإن أهْجُـهُ يَضْجَرْ كما ضَـجْرَ بَازِلٌ من الإبْلِ دَبْرَتْ صَفْحَتَاهُ وكاهِلُه(٢)

وقال آخرُ:

عَـجِـبتُ لمولودٍ ولـيس له أبٌ وذي وَلَـدٍ لـم يَـلْـدَهُ أبَـوَانِ

ولا يجوز في «ضَرَبَ» ولا في «حَمَلٍ» أن يُسكّنَ، لخفة الفتحة.

وقوله:

* أتَوْني فقالُوا من ربيعةَ أو مُضَرْ *

يقول: أمِنْ رَبيعـةَ أم من مُضَرَ؟ ويجوزُ في الشـعر حذفُ ألف الاستـفهامِ، لأن «أم» التي جاءتْ بعدَها تدلُّ عليها، قال ابنُ أبي ربيعةَ:

(١) يهجو كعب بن جعيل .

(٢) البازل من الإبل : ما دخل في التـاسعة. ودبرت. من الدبر؛ وهو الجرح في ظهر الدابة. والصـفحتان: الجانبان.

لعَمْرُك ما أدرى كنتُ دَارِيًا بسَبْعٍ رَمَيْنَ الجمْرَ أمْ بثمان

يريدُ: أبِسَبْعٍ؟ وقال التَّميمىُّ:

لعَمَرُكَ ما أدرى وإنْ كنتُ داريًا شُعَيْثُ بن سَهْمٍ أم شَعَيْثُ بن مِنْقَرِ!

الروايةُ على وجهين: أحدُهما: أمِن رَبيعة أم مُضَرْ، أمِ الحىِّ قَحطان، يريدُ أذا أم ذا؟ والأملح[1] فى الرواية: من ربيعَة أو مضرْ، أم الحىِّ قَحطان، لأن ربيعةَ أخو مُضَرَ، فأرادَ من أحد هذين أم الحىِّ قَحْطانَ؟ لأنَّهُ إذا قال: أزيدُ عندك أم عمرٌو؟ فالجوابُ: نَعَمْ أو لا، لأن المعنى أحد هذين[2] عندَك، ومعنى الأول: أيُّهما عندك؟

ويُروَى ـ وحدَّثنيه المازنيُّ ـ أنَّ صَفيَّةَ بنتَ عبد المُطَّلب أتاها رجلٌ، فقال لها: أينَ الزُّبَيرُ؟ قالت: وما تُريدُ إليه؟ قال: أُريد أنْ أُباطشَهُ! فقالت: ها هو ذاك. فصار إلى الزبير فباطشه. فغلبه الزبيرُ، فمرَّ بها مَفْلُولا[3] فقالت صفيةُ:

كيف رأيتَ زَبْرَا أأقِطًا أو تَمْرًا

أم قُرَشِيًّا صَقْرا

لم تَشْكُكْ بينَ الأَقِط والتَّمر فتقول: أيُّهما هو؟ ولكنها أرادتْ: أرأيتهُ طعامًا أم قُرشيًّا صقرًا؟ أى أأحدَ هذين رأيتهُ أم صقرًا؟ ولو قالت: أأقطًا أم تمرًا؟ لكَان[4] محالا على هذا الوجه.

وقوله: * وما منهما إلا يُسَرُّ بنسبةٍ *

معناه وما منهما واحدٌ فَحذَفَ لعلم المخاطَب. قال الله جل اسْمُه: ﴿وإن من أهْلِ الكتَاب إلا لَيُؤْمنَنَّ به قَبْل موته﴾[5]. أى وإن أحدٌ، ومعنى: «إنْ» معنى «ما» قال الشاعر[6]:

وما الدَّهْرُ إلا تارَتَانِ فمنهما أموتُ وأُخرى أبْتَغِى العيشَ أكْدَحُ

يريدُ فمنهما تارةٌ.

---

(١) ر: «والأصلح».
(٢) ر: «لأن أحد هذين عندك».
(٣) مفلولا: مهزوما.
(٤) ر: «كان».
(٥) سورة النساء ١٥٩.
(٦) هو تميم بن أبى بن مقبل.

وقوله :

فَنَحْنُ بَنُو الإسلامِ واللهُ واحدٌ ... وأَوْلَى عبادِ اللهِ باللهِ مَنْ شكَرْ

يقول: انقطعت الوَلايةُ إلا وَلايةَ الإسلام، لأن وَلايةَ الإسلام قد قاربتْ بين الغُرَباء. وقال الله عَزّ وجلّ: ﴿إنَّمَا المُؤْمنون إخْوةٌ﴾[1]. وقال عزّ وجلّ - فباعد به بين القرابة: ﴿إنَّهُ ليس مِنْ أهْلِك إنَّه عملٌ غَيْرُ صالحٍ﴾[2]. وقال نَهَارُ بن تَوْسِعَةَ اليَشْكُرِيُّ :

دعِيُّ القومِ يَنْصُرُ مُدَّعِيه ... لِيُلْحِقَهُ بذِى الحسَبِ الصَّمِيمِ

أبَى الإسلامُ لا أبَ لِى سِوَاهُ ... إذا افتخَرُوا بقيسٍ أو تَمِيمِ

[أول من حكم من الخوارج]

ويقالُ فيما يُرْوَى من الأخبارِ أنَّ أوَّلَ مَنْ حكَّمَ عُرْوةُ بن أُدَيَّةَ - وأُدَيَّة جَدَّةٌ له فى الجاهلية[3] - وهو عروةُ بن حُدَيرٍ أحدُ بنى ربيعة بن حنظلة. وقال قومٌ: بل أولُ مَنْ حكَّمَ رجلٌ يقال له سَعِيدٌ من بنى مُحارِب بن خَصَفَةَ بن قَيْس بن عَيْلان ابن مُضَرَ. ولم يختلفوا فى إجماعهم على عبد الله بن وَهب الراسبيّ، وأنه امتنع عليهم، وأومأ إلى غيره. فلم يَقْتَنِعُوا إلا به، فكان إمام القوم، وكان يوصَفُ بالرَّأى.

[أول سيف سل من سيوفهم]

فأما أولُ سيف سُلَّ من سيوف الخوارج فسيفُ عُرْوَةَ بن أُدَيَّةَ. وذلك أنه أقبل على الأشْعَث فقال: ما هذه الدنيَّة[4] يا أشعثُ! وما هذا التحكيمُ؟ أشرطٌ أوْثَقُ من شَرْط الله عزَّ وجلَّ! ثم شَهَرَ عليه السيفَ، والأشعثُ مُولٍّ، فضربَ به عَجُزَ البغلة، فَشَبَّت البغلة فَنَفَرَت اليَمَانيَةُ - وكانوا جُلَّ أصحاب عليٍّ صلوات الله عليه - فلما رأى ذلك الأحْنَفُ قَصَدَ هو وجاريةُ بن قدامة ومسعود بن فَدَكيٍّ بن أَعْبَدَ، وشَبَثُ بن رِبعيٍّ الرِّياحيُّ إلى الأشْعث. فسألوه الصَّفْحَ، ففعلَ.

* * *

(١) سورة الحجرات ١٠ . (٢) سورة هود ٤٦ .

(٣) ر : «جدة له جاهلية». (٤) ر : «الدنيئة».

وكان عروة بن أُدَيَّةَ نَجَا من حرب النَّهْرَوان، فلم يَزَلْ باقيًا مدة من خلافة معاوية، ثم أتِىَ به زيادٌ ومعه مولًى له، فسأله عن أبى بكر وعمرَ، فقال خيراً، ثم سأله فقال: ما تقولُ فى أميرِ المؤمنين عثمانَ بن عَفَّان وأبى تُرَاب علىٍّ بن أبى طالب؟ فَتولَّى عثمان ستَّ سنينَ من خلافته، ثم شَهد عليه بالكفر! وفَصَّل فى أمر علىٍّ مثلَ ذلك إلى أن حَكَّمَ، ثم شهد عليه بالكفر! ثم سأله عن معاويةَ. فسبّه سبًّا قبيحا! ثم سأله عن نفسه؟ فقال: أوَّلُكَ لِزِنْيَة وآخرُكَ لِدعْوَة. وأنت بعد عاصٍ لربك! ثم أمرَ به فضربَتْ عنقه، ثم دعا مولاه فقال: صِفْ لى أمورَه؟ فقال: أأطْنبُ أم أختصرُ؟ فقال: بل اختَصَر، فقال: ما أتيتُه بطعامٍ بنهار قطُّ، ولا فرشتُ له فَراشًا بليل قطُّ.

[مناظرة على بن أبى طالب لهم]

وكان سببُ تسميتهم الحَرُورية أن عليًّا رضوان الله عليه، لَمَّا ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس رحمه الله إياهم، كان فيما[1] قال لهم: ألا تعلمون أنَّ هؤلاء القوم لَمَّا رفعوا المصاحفَ قلتُ لكم: إن هذه مكيدةٌ ووَهْنٌ، وأنهم لو قَصَدُوا إلى حُكْمِ المصاحف لم يأتونى، ثم سألونى التحكيمَ، أفَعَلِمْتُمْ أنه كان منكم أحدٌ أكْرَهَ لذلك منِّى؟ قالوا: اللهمَّ نَعَمْ، قال: فهل علمتُمْ أنكم استكرهتُمونى على ذلك حتى أجَبتُكم إليه، فاشترطتُ أنَّ حُكْمَهُما نافذٌ ما حَكما بحُكْم الله عزَّ وجلَّ. فمتى[2] خالفاه فأنا وأنتم من ذلك بُرَءاء، وأَنتُم[3] تَعلمون أنَّ حكم الله لا يعدونى؟ قالوا: اللهم نعم - وفيهم فى ذلك الوقت ابن الكَوَّاء، وهذا من قَبْل أن يَذبحوا عبدَ الله بن خَبَّاب؟ فإنما ذبَحوه بكَسْكَر فى الفرْقة الثالثة - فقالوا: حَكَّمْتَ فى دين الله برأينا، ونحنُ مُقِرُّون بأنَّا قد كفَرنا، ونحن تائبون! فأقْرِرْ بمثل ما أقررنا وتبْ نَنْهَضْ معك إلى الشام. فقال: أما تعلمون أن الله جلَّ ثناؤه قد أمَرَ بالتحكيم فى شقاق بين رجلٍ وامرأته[4]. فقال تبارك وتعالى: ﴿فابعثُوا حَكَمًا من أهْلِه وحكمًا من أهْلهَا﴾[5]. وفى صيد أصيبَ فى الحَرَم، كأرنب تساوى رُبْعَ درهم[6]، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَحْكُمُ به ذَوا عَدْلٍ منْكُم﴾[7]؟ فقالوا: إن عمرًا لَمَّا أبى عليكَ

---

(1) ر: «فكان مما».

(2) ر: «فإن».

(3) ر: «أو أنتم».

(4) ر: «وامرأة».

(5) سورة النساء ٣٥.

(6) ر: «يساوى ربع دينار».

(7) سورة المائدة ٩٥.

أن تقولَ فى كتابك: «هذا مـا كتبه عبدُ الله علىٌّ أميـرُ المؤمنين» محوْتَ اسمكَ من الخلافة، وكتبتَ «علــىّ بنُ أبى طالب». فقال لهم رضى الله عنه: لى برسول الله ﷺ أُسْوَةٌ، حيثُ أبَى عليـه سُهَيْلُ بن عمرو أن يكتبَ: «هذا كـتابٌ كتبه مـحمدٌ رسول الله وسهيلُ بن عمرو» فقال: لو أقررتُ[1] بأنك رسول الله ما خالفْتُك[2]، ولكنى أُقدِّمـك لفضْلــك. ثـم قال: اكْتُـب: «محمـدُ بن عـبـد الله»، فقال لى: «يا علىُّ، امْحُ رسَولَ الله»، فقلتُ: يارسول الله، لا تَسْخو نفسى بمَحْوِ اسمك من النبوَّة، فقال عليـه السلام: «فقفنى[3] عليه» فـمحـاهُ بيده ﷺ، ثم قـال: «اكْتُبْ محمد بن عبد الله». ثم تَبسَّم إلىَّ فقال: «يا علىُّ، أمَا إنكَ ستَسامُ مثْلها فتُعْطى». فَرَجَعَ مـعه منهم ألفـان من حَرُوراَء[4]. وقد كـانوا تجَمَّعـوا بها، فـقال لهم علىٌّ صلواتُ الله عليه: مَا نسَمِّيكُمْ؟ ثم قال: أنتم الحرورِيةُ، لاجتماعكم بحرُوراَءَ.

وَالنَّسَبُ إلى مثلِ «حَـرُوراَءَ» «حَرَوْرَاوِىٌّ»، فاعْلَم، وكذلك كلٌّ مـا كان فى آخره ألفُ التأنيث المَمْدُودَة لكنَّهُ نسِبَ إلى البلَد بحذف الزوائد، فقيل: الحرورِىٌّ.

[الصلتان العبدى]

وقال الصَّلَتَانُ العَبْدِىٌّ فى كلمة له:

أرَى أمَّـة شـهَـرَتْ سـيـفَـهَـا	وقد زيدَ فى سَوْطها الأصْبَحى
بنَـجْــدِيَـة وحَـــرُورِيَّة	وأزْرَقَ يَدْعُـــو إلـى أزرَقى
فَـــمِلَّـتُناَ أنَّـنَا المسلمـــون	علـى دين صِـدِّيـقنَا والنَّـبى

وفى هذا الشعرِ مما يُسْتَحْسَنُ قوله:

أشـابَ الصـغيـرَ وأفْنى الكبـيـرَ	مَــرّ الغـداة وكَـرُّ العَـشى[5]
إذا ليـلَةٌ هَـرَّمْتَ يومَـــهـــا	أتى بـعـــدَ ذلـك يومٌ فَـــتِى
نَروحُ ونَـغْــدُو لحـاجَـاتـنا	وحـاجـةَ من عـاشَ لا تَنْقَـضى
تموتُ مـع المرْءِ حـــاجــاتُه	وتبــقى لـه حـاجـة مَـا بقى

---

(١) ر: «أقررنا».

(٢) ر: «ما خلفناك».

(٣) ر: «قفنى».

(٤) حروراء: قرية من الكوفة.

(٥) ر:

* مُرُورُ الليالى وكَرُّ الْعَشى *

قوله :

* وقد زيد فى سوطها الأصبَحِى *

فإنه تُسمّى هذه السياط التى يُعَاقبُ بها السلطانُ الأصْبَحِيَّةَ، وتُنْسَبُ إلى ذى أصبَح الْحِـميَرى، وكان ملكا من مـلوك حِمْيَر، وهو أوَّلُ من اتخـذها، وهو جدُّ مالك بن أنسٍ الفقيه رضى الله عنه.

والنَّجْدِيةُ تُنسَبُ إلى نَجْدة بن عُوَيمِر، وهو عامرٌ الحنفىّ، وكان رأسًا ذا مَقالة مفردة[1] من مَقالات الخـوارجِ، وقد بَقِىَ من أهلها قومٌ كثيـرٌ. وكان نَجْدةُ يصلى بمكةَ بحذاءِ عبد الله بن الزُّبَيْر فى جمْعـهِ فى كل جمْعَةٍ، وعبد الله يَطْلُبُ الخلافة، فيُمسكانِ عَن القتالِ من أجْلِ الحرم.

[للراعي في عبد الملك بن مروان]

قال الراعى يخاطب عبدَ الملك :

إنـى حَـلـفْتُ عـلـى يمـين بَـرَّة ... لا أكـذبُ اليـومَ الخليـفـةَ قـيـلا
مـا إنْ أَتيـتُ أبا خُـبَـيْـب وافـدًا ... يومًـا أريد بَبـيْـعـتِى تبـديلا
ولا أتَيْت نجَـيْـدةَ بن عُـويمِرٍ ... أبْغِى الهُـدى فـيـزيـدنى تَضْليـلا
من نِعْمـة الرحمن لاَ من حـيلتى ... إنِى أعُـدُّ له علىَّ فُـضـولا

وفى هذه القصيدة :

أخَذوا العـريف فقطعُـوا حَيْـزُومَهُ ... بالأصـبَـحِـيَّة قـائمًـا مَـغْلُولا[2]

قوله :

* وأزْرَق يدعُو إلى أزْرَقِىّ *

يريدُ من كان من أصحاب نافع بن الأزرقِ الحنفىّ، وكان نافعٌ شجاعًا مُقدمًا فى فقْه الخوارج، وله ولعـبد الله بن عباس مسائلُ كثيـرة، وسنذكر جملةً منها فى هذا الكِتاب، إن شاء الله .

* * *

(١) ر : «منفردة».

(٢) العريف : القيم بأمور القبيلة .

وقوله :

* على دين صدِّيقنا والنبىّ *

فالعرب تفعلُ هذا، وهو فى الواو جائز، أن تَبدأ بالشىء والمقدَّمُ غيره[1]، قال الله عزَّ اسمُه: ﴿هو الَّذى خَلَقَكم فمنكم كافرٌ ومَنكم مؤمنٌ﴾[2]، وقال: ﴿يامَعْشَر الجنِّ والإنس﴾[3]، وقال: ﴿واسْجُدى وارْكَعى مَعَ الرَّاكعينَ﴾[4]. وقال حَسَّانُ بن ثابت :

بهاليلُ منهم جعفرٌ وابنُ أمِّه … علىٌّ ومنهم أحمدُ المُتَخَيَّرُ

يعنى بنى هاشم .

* * *

ومن كلام العرب : رَبيعةُ ومُضَرُ وَقيْسٌ وخِنْدف وسُلَيْمٌ وعامر، وأصحابُ نافع بن الأزرق هم ذَوُو الحَدِّ والجِدِّ[5]. وهم الذين أَحاطوا بالبصرةَ حتى تَرَحَّلَ أَكثرُ أهلها منها، وكان الباقون على الرحلة[6]، فَقَلَّدَ المُهَلَّبُ حَرْبَهم، فهزَمهم إلى الفرات، ثم هزمهم إلى الأهْواز، ثم أخرجهم عنها إلى فارسَ، ثم أخرجهم إلى كَرْمَان، وفى ذلك يقول شاعرٌ منهم فى هذه الحرب التى صاحبُها الزَّنج[7] بالبَصرَة، يَرْثى البلد، ويذكر المنقبة التى كانتْ لهم :

[قال الأخفشُ : أنشدَنيه يَزيدُ المَهَلَّبىُّ لنفسه].

سَقَى الله مصْراً خفَّ أهلوهُ من مصْر … وماذا الذى يَبْقَى على عُقَبِ الدَّهْر![8]

ولو كنتُ فيه إذْ أُبيحَ حَرِيمُهُ … لَمُتُّ كَريمًا أو صَدَرْتُ على عُذْر

أُبيح فلم أَمْلِكْ له غيرَ عَبْرَةٍ … تُهيبُ بها أَنْ حارِدَتَ لوعةُ الصَّدْرِ[9]

---

(١) ر : «وغيره المقدم».

(٢) سورة التغابن ٢ .

(٣) سورة الرحمن ٣٣ .

(٤) سورة آل عمران ٤٣ .

(٥) الحد، بفتح الحاء: البأس والنفاذ فى النجدة، والجد بالكسر: الاجتهاد والسرعة فى الأمر، قاله المرصفى.

(٦) ر : «الترحل».

(٧) صاحب الزنج: رجل ظهر أيام المهتدى بالله؛ زعم أنه من ولد على بن الحسين بن على بن أبى طالب، ودعا الناس إلى طاعته، واستمال عددا كبيرا من الزنوج، يستعين بهم على العبث والفساد، سنة ٢٧ .

(٨) عقب الدهر : نوبه وأرزاؤه .

(٩) العبرة : الدمعة .

ونحن رَدَدْنا أهلَها إذْ تَرحَّلُوا • وقد نظمَتْ خَيْلُ الأزارقِ بالجَسْرِ
ومن يَخْشَ أطْرَافَ المَنابا فإنَّنَا لَبِسْنَا لهنَّ السابغَاتِ من الصَّبْرِ
فإنَّ كَرِيه المَوْت عَذْبٌ مَذَاقُهُ إذا ما مَزجْناهُ بطيبِ من الذِّكْرِ
وما رزق الإنسانُ مثل مَنِيَّةٍ أراحتْ من الدنيا ولم تُخْزِ فى القبرِ

وفى هذا الشعر :

لِيَشْكُرْ بنو العباسِ نُعْمَى تَجَدَّدَتَ فقد وَعَدَ اللهُ المَزيدَ على الشُّكر
لَقد جَنَّبَتْكُمْ أُسْرُ إذ حَسَدَتْكُمُ فسَلّتْ على الإسلام سَيْفًا من الكُفْر
وقد نغَّصَتْهُمْ جَوْلَةٌ بَعْدَ جَوْلَةٍ يُبيتون فيها المسلمينَ على ذُعر

* * *

وقال عبدُ الله بن قَيْسِ الرُّقَيَّات :

ألا طَرَقتْ منْ أهلِ بثنة طارقهْ[1] على أنَّها معْشوقةُ الدَّلِّ عاشقَهْ
تبيتُ وأرض السُّوسِ بَيْنَى وبَينها وسُولافُ رُستاقٌ حَمَتْهُ الأزَارقَهْ[2]
إذا نحنُ شِئنا صادَفَتْنَا عصابةٌ حَرُورِيَّةٌ أضْحَتْ مِن الدِّين مارقَهْ

[من أخبارهم يوم النهروان]

وكان مقدارُ مَنْ أصابَ علىٌّ صلواتُ الله عليه منهم بالنَّهْرَوان ألفين وثمانىَ مائة، فى أصحِّ الأقاويلِ، وكان عَدَدُهُمْ ستةَ آلاف، وكان منهم بالكوفة زُهاءُ ألفين مما يَسِرُّ أمْرَهُ ولم يَشْهَد الحربَ، فخرج منهم رجلٌ بعدَ أنْ قال علىٌّ رضوان الله عليه: ارْجعُوا وادْفَعُوا إلينا قاتلَ عبدالله بن خَبَّاب، فقالوا: كُلُّنَا قَتَلَهُ وشَرِكَ فى دَمه! ثم حَمَلَ منهم رجلٌ على صَفّ علىٍّ، وقد قال علىٌّ: لا تَبْدَءوهم بقتالٍ، فَقَتَلَ من أصحاب علىٍّ ثلاثةً وهو يقولُ:

أقْتُلُهُمْ ولا أرَى عَلِيّا ولو بَدَا أَوْجَرتُهُ الخَطيّا

فخرج إليه علىٌّ صلوات الله عليه فقتله، فلما خالطه السيف، قال: حَبَّذا الرَّوْحَةُ إلى الجنةِ! فقال عبد الله بنُ وهْبٍ: ما أَدْرِى أَإلى الجنةِ أم إلى النار! فقال

(١) ر : «بيبة».

(٢) سولاف : قرية من أرض خوزستان. والرستاق اسم للسواد والقرى.

رجل من سعد: إنما حَضَرْتُ اغترارًا بهذا، وأراه قد شَكَّ! فانخزَل بجماعة من أصحابه، ومال أَلْفٌ إلى ناحية أبى أيوب الأنصارىِّ، وكان رحمه الله على مَيْمنة علىٍّ، وجعلَ الناسُ يتسلَّلُونَ، وقد قال علىٌّ وقيلَ له: إنهم يريدونَ الجسْرَ؟ فقال: لن يبلغوا النُّطْفَة، وجَعَلَ الناسُ يقولون له فى ذلك، حى كادوا يَشكُّونَ، ثم قالوا: قد رَجَعُوا يا أمير المؤمنين، فقال: والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ، ثم خرج إليهم فى أصحابه، وقد قال لهم: إنه والله ما يُقْتَلُ منكم عَشَرَةٌ ولا يفلت منكم عشرة، فَقُتِلَ من أصحابه تسعة، وأفلَت منهم ثمانيةٌ.

* * *

وقال أبو العباس: وقيل أولُ مَنْ حكَّمَ ولَفَظ بالحكومة ولم يُشدْ بها رجل من بنى سَعْد بن زيد مَنَاة بن تميم بن مُرّ، ثم[1] من بنى صَرِيم، يقال له الحجَّاجُ ابن عبد الله، ويُعْرَفُ بالبُرَك، وهو الذى ضَرَبَ معاوية على أَلْيتِه، فإنه لمَّا سَمِعَ بذكر الحكَمَيْنِ قال: أيُحكَّم فى دِينِ الله! لا حُكمَ إلا للهِ! فسمعه سامعٌ فقال: طَعَنَ والله فأنْفَذَ.

وأوَّلُ مَنْ حَكَّمَ بين الصَّفَّينِ رجلٌ من بنى يَشْكُرَ بنِ بكر بن وائلٍ، فإنه كان فى أصحاب علىّ، فَحَمَل على رجلٍ منهم فقتله غيلةً، ثم مَرَقَ بين الصفَّين فَحكَّمَ، وحَمَلَ على أصحاب معاوية، فَكثَروهُ، فرجَعَ إلى ناحية علىّ صلوات الله عليه، فحَملَ على رجل منهم، فخرج إليه رجلٌ من هَمْدَانَ فقتله، فقال شاعرُ هَمْدانَ:

ما كا أغْنَى اليَشْكُرىَّ عن التى	تَصلَّى بها جَمرًا من النار حاميا
غَداةَ يُنَادِى والرماحُ تَنوشُهُ	خَلَعْتُ عَليًّا باديًا ومعَاوِيا[2]

وجاء فى الحديث، أن عليًّا رضى الله عنه تُلِىَ بحضرته: **﴿قُلْ هل ننبِّئُكُم بالأخْسَرِينَ أَعْمَالا * الذين ضَلَّ سَعْيُهُم فى الحَياة الدُّنيا وهم يَحْسَبُونَ أنهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾**[3]، فقال علىٌّ: أهلُ حَرُوراءَ منهم.

* * *

(١) كلمة «ثم» ساقطة من ر.

(٢) تنوخه: بناله.

(٣) سورة الكهف ١٠٣، ١٠٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ورُوى عن عليّ صلوات الله عليه أنه خَرج فى غَدَاة يُوقظُ الناسَ للصلاة فى المسجد، فمرَّ بجماعة تتحدثُ ، فَسَلَّمَ وسَلَّموا عليه، فقال وقَبَضَ علي لحيته: ظننتُ أنَّ فيكم أشقَّاهَا، الذى يَخْضِبُ هذه من هذه. وأَوْمأَ بيده إلى هامَتِه ولحيته.

[من شعر عليّ بن أبى طالب]

ومن شعر عليٍّ بن أبى طالب رحمه الله الذى لا اختلافَ فيه أنه قاله، وأنه كان يُرَدِّدُه؛ أَنَّهُمْ لَمَّا سَامُوهُ أن يُقرَّ بالكفر ويتوبَ حتى يَسيرُوا معه إلى الشامِ، فقال: أَبَعْدَ صُحبة رسول الله ﷺ والرِّفقة فى الدِّين أَرْجعُ كافرًا!

يا شاهِدَ اللهِ عليَّ فاشْهَدِ ... أنى على دِينِ النبيِّ أحْمَدِ

* مَنْ شَكَّ فى الله فإنى مُهْتَدِى *

ويُروَى : * أنى تولّيْتُ وَلِىَّ أحمدِ *

[فى تقسيم غنائم خيبر]

ويُروى أن رجلا أسودَ شديدَ بياض الثياب وقفَ على رسول الله ﷺ وهو يَقسمُ غَنَائم خَيْبَر - ولم تكُن إلا لِمَنْ شهد الحُدَيبيةَ - فأقبلَ ذلك الأسود على رسول الله ﷺ ، فقال: ما عَدَلْتَ مُنْذ اليوم! فغضبَ رسولُ الله ﷺ حتى رُئِىَ الغضبُ فى وجهه . فقال عمرُ بن الخطاب : ألا أقتلُه يا رسولَ الله ؟ فقال رسول الله: إنه سيكونُ لهذا ولأصحابه نَبَأ .

وفى حديث آخرَ أنَّ رسول الله ﷺ قال له: «وَيْحَكَ! فمنْ يَعْدلُ إذا لم أَعدْل؟» ثم قال لأبى بكرٍ: «اقْتُلْه»، فمضَى ثم رجَع، فقال: يا رسول الله رأيتُهُ ساجدًا، ثم قال لعليٍّ: «اقتُلْه»، فمضى ثم رجَع، فقال: يا رسول الله لم أَرَهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لو قُتِلَ هذا ما اختلفَ اثنان فى دِينِ الله».

قال أبو العباس: وحدثنى إبراهيمُ بن محمد التَّيْمىُّ قاضى البَصْرَة فى إسْنَاد ذكره، أن عليًّا رضى الله عنه وَجَّه إلى رسول الله ﷺ بذهَبة من اليمن، فَقَسَّمها أرْبَاعًا فأعْطَى رُبعًا للأقْرَع بن حَابسٍ المجاشعيِّ، ورُبْعًا لزيْد الخيلِ الطائىِّ، ورُبعًا لعُيَيْنَة بن حِصْنٍ الفَزارىِّ، ورُبْعًا لعَلْقَمةَ بن عُلاثَة الكلابى. فقام إليه رجلٌ

مُضْطَرِبُ الخلق غائرُ العينين، ناتئُ الجبهة، فقال: رأيتُ قسمةً ما أُريدَ بها وَجْهُ الله!، فَغَضِبَ رسولُ الله ﷺ حتى تَوَرَّدَ خَدَّاه، ثم قال: «أيأمَنُنى الله عزَّ وجلَّ على أهل الأرض ولا تأمَنُونى»! فقام إليه عمرُ فقال: ألا أقتله يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «إنه سيكونُ من ضِئْضِئ هذا قومٌ يَمْرُقون من الدِّين كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّة، تَنْظُرُ فى النَّصْلِ[1] فلا تَرَى شيئًا، وتنظرُ فى الرصاف[2] فلا تَرَى شيئًا، وتَتَمارَى فى الفُوقِ[3]».

قوله ﷺ: «مِنْ ضِئْضِئ هذا» أى من جنْس هذا. يقال: فلانٌ من ضِئْضِئ صدْق. فى مَحْتِد صدْق[4]. وفى مُرَكَّب صدْق. وقال جَرِير للحَكَم بن أَيُّوبَ بن الحَكَمْ بْن أبى عَقِيل، وهو ابنُ عم الحجاج، وكان عامِلَه على البصرة:

أَقْبَلْنَ مِنْ ثَهْلان أو وَادى خِيَمْ	على قِلاص مثل خيطَانِ السَّلْمْ[5]
إذا قطَعْنَ عَلَمًا بَدَا عَلَمْ	حتى أَنَخناها إلى باب الحكمْ
خَلِيفة الحجَّاجِ غيرِ المتَّهَمْ	فى ضِئْضِئ المجد وبُحبُوحِ الكرَمْ

ويقال: مَرَقَ السهمُ من الرميَّة، إذا نفذَ منها، وأكثر ما يكونُ ذلك ألا يعْلَقَ به من دَمِها شىء، وأقطعُ ما يكون السيفُ إذا سَبَقَ الدَّمَ، قال امرؤ القيس بن عابسٍ الكِنْدى:

وقد أخْتَلِسُ الضَّرْبَـ	ـةَ لا يَدْمَى لها نصلى

فأمَّا ما وضعه الأصمعىُّ فى كتاب «الاختيار». فعلى غلط وُضِعَ.

[من أخبار واصل بن عطاء]

وذكر الأصمعىُّ أن الشِّعْرَ لإسحاق بن سُوَيْد الفقيه، وهو لأعرابىٍّ لا يَعْرِفُ المقالات التى يميلُ إليها أهلُ الأهْواء، أنشدَ الأصمعىُّ:

---

(١) النصل: حديدة السهم والسيف.

(٢) الرصاف: عصب يشد على سنخ النصل.

(٣) الفوق: مشق رأس السهم.

(٤) ر: «ومن مجتد».

(٥) الخيطان: جمع خوط؛ وهى الأغصان.

برئت من الخــوارجِ لستُ مــنهم ... منَ الـغَــزَّال مـنهم وابـن بَاب
ومنْ قــوم إذا ذكــروا عَليّــا ... يَرُدُّون السَّــلامَ على السَّـحـابِ
ولَـكـنِّـى أُحـبُّ بكـلّ قـلـبى ... وأعْلـمُ أنَّ ذاك من الـصَّــوابِ
رســولَ الله والصـديـق حُـبًّـا ... به أرجُــو غـدًا حُـسْنَ الـثَّـوابِ

فـإنَّ قـولـه: « مـن الغَـزَّال منهم » يعنـى واصـل بـن عطـاء، وكـان يُكْنـى أبا حُذيْفَـة، وكان معتـزليًّا، ولـم يكن غزَّالا، ولكنه كـان يُلقَّب بذلك، لأنه كان يَلْزَمُ الغزَّالِيَن، ليـعْرفَ المُتَعَفِّـفات من النساء، فيـجعل صَدَقتَـه لهن، وكان طويلَ العُنُق. ويُرَوى عن عـمرو بن عُبَـيْد، أنه نظرَ إليه من قَـبْلِ أن يُكَلمَه، فـقال: لا يُفْلحُ هذا ما دامتْ عليه هذه العُنُق!

* * *

وقال بَشارُ بن بُرَدٍ يهجُو وَاصلَ بن عَطاء:

مـــاذا مُنـيتُ بغَــزَّال له عـنُقٌ ... كَنِقْنق الدَّوِّ إنْ وَلّى وَإنْ مَـثـلا(١)
عُنْقَ الـزَّرافـة مـــا بَالِى وبـالُكُمُ ... تُكَفِّـرُون رجـالا أكفـروا رَجُـلا!

ويُرْوَى: لا بَـلْ(٢). كأنه لا يَشُكُّ فـيه أنَّ بشَّـارًا كان يَتَعَـصَّبُ للنَّار على الأرضِ. و يصَـوِّبُ رأىَ إبليسَ - لعنه الله - فى امـتناعـه من السـجودِ لآدمَ عليـه السلام. ويُرْوَى له:

الأرض مظلمـة والـنارُ مُـشْـرقـةٌ ... والنارُ مَـعْـبـودة مُـذْ كـانتِ النَّارُ

فهذا ما يَرْويه المتكلمون.

* * *

وقَتلُه المَهْدِىُّ عـلى الإلحاد. وقد رَوَى قومٌ أنَّ كُتُـبَهُ فُتِّشَتْ فلم يُصَبْ فـيها شيءٌ مما كان يرْمى به وأُصيب له كتاب فيه: إنِّى أردتُ هجاء آل سُلْيمان بن علىٍّ،

(١) النقنق: الظليم. والدو: الفلاة الواسعة. ومثل: أى أيام.

(٢) قال المرصفى: هذه عبارة سخيفة، يريد أن السبب فى هجائه ليس ما ذكره بشار من نسبه الكفر إلى أصحابه، إذ نسبوه إلى واصل، وإنما السبب ما بلغه من إنكار واصل قوله يفضل النار وبصوب رأى إبليس. وكلمة « كأنه لا شك فيه » معترضة.

فذكرت قرابتَهم من رسول الله ﷺ فأمْسَكْتُ عنهم[1]. [إلا أنّى قلتُ :

دينارُ آل سُلَيْمـــان وَدِرْهَمُــهمْ كَـبَـابلِّـيـيْنِ حُـفَّـا بالـعَـفـاريت

لا يُرْجَيـانِ ولا يُرْجَى نوالهُــمـا كما سَمِعْتَ بِهارُوت ومَارورت][2]

وحدثنى المازنىُّ قال: قال رجلٌ لبَشَّار: أتأكلُ اللَّحْمَ وهو مُبَاينٌ لديانَتكَ! - يَذْهَبُ به[3] إلى أنه ثَنَوِىّ - قال: فـقال بَشَّارٌ: ليـسوا يَدْرُونَ أنَّ هذا[4] لَحم يَدْفع عنِّى شَرِ هذه الظُّلْمة.

* * *

وكان واصلُ بنُ عطاءٍ أحدَ الأعـاجيب، وذلك أنه كان ألْثغَ قَبـيحَ اللثْغة فى الراء. فكان يُخلِّصُ كلامَه من الراء. ولا يُفْطَنُ بذلك[5] لاقتداره وسهولة ألفاظه، ففى ذلك يقولُ شاعرٌ من المعتزلة. يمدحُه بإطالته الخُطبِ واجتنابه الراء، على كثرة ترددُّها فى الكلام. حتى كأنها ليسْت فيه :

عَلِيـمٌ بإبدالِ الُحـــروفِ وقـــامِعِ لكل خَـطِيب يَغْـلِبُ الحقَّ باطِـلُهْ

* * *

وقال آخر :

ويَجْـعَلُ البرَّ قَـمحًـا فى تَصَرُّفـه وخالَفَ الراءَ حـتى احتالَ للشَّـعَرِ

ولم يطقْ «مطَرا» والقـولُ يُعْـجِلُهُ فـعاذَ بالغَـيْث إشـفاقًـا من المَطَرِ

ومما حكى[6] عنه قولُه: وذَكَرَ بَشَّارًا : أَما لهذا الأعمى المُكْتَنى بأبى معاذ مَن يقتُلُه! أمَـا والله لولا أنَّ الغيلة خَلُقٌ من أخْلاق الغـالية لَبَعْثُت إليـه منْ يَبْعَجَ بطنَه على مضْجَعِه، ثم لا يكونُ إلا سدُوسيًّا أو عُقَيْليًّا.

فقـال : «هذا الأعمى» ولم يقل بَشَّارًا، ولا ابن بُرْدٍ، ولا الضَّـرير. وقال: «من أخلاق الغـالية» ولم يقل المغيريَّـة ولا المنصوريَّة. وقال: «لبعـثت إليه». ولم

---

(١) د : «منهم» .
(٢) ما بين العلامتين من زيادات ر .
(٣) كلمة «به» ساقطة من ر .
(٤) كلمة «هذا» ساقطة من ر .
(٥) ر . «بذاك».
(٦) ر : «يحكى».

يقل: لأرسلتُ إليه. وقال: «على مَضْجَعه». ولم يقل: على فراشه، ولا مرْقَده. وقال: «يَنْعَجُ». ولم يقل: يَقْرُ. وذكَر «بنى عقيل». لأنَّ بشارا كَان يَتَوَالَى إليهم وذكر «بنى سَدُوس». لأنه كان نازلا فيهم.

واجْتِنابُ الحروفِ شديدٌ.

* * *

قال : ولمَّا سقطت ثنايا عبد الملِك (١بن مروان فى الطّسْتِ١) قال: والله لولا الخُطْبة والنساءُ ما حَفَلْتُ بها.

* * *

قال: وخطب الجُمَحِىُّ، وكان مَنْزوعَ إحدى الثَّنِيَّتَيْن، وكان يَصْفرُ إذا تكلّم، وأجاد[٢] الخُطْبَة، وكانت لنكاحٍ، فردَّ عليه زيدُ بن علىٍّ بن الحسين كلامًا جيِّدا. إلا أنه فَضَلَهُ بتمكين[٣] الحروف وحُسْن مَخارج الكلام.

فقال عبد الله بن معاويةَ بن عبد الله بن جعفر يذكر ذلك:

صَحَّتْ مَخارجُها وتَمَّ حُروفُها فلهُ بذاكَ مَزِيَّةٌ لا تُنْكَرُ

المزية : الفضيلة .

وأمَّا قوله: «ابن باب» فهو[٤] عمرو بن عُبَيْد بن بَاب، وهو[٥] مَوْلَى بنى العدويَّة، من بنى مالك بن حَنْظَلَة، فهذان مُعْتَزِليَّان وليسا من الخوارجِ، ولكن قَصَدَ إسحاق بن سُوَيدٍ إلى أهل البِدَع والأهْواءِ ألا تَراه ذَكر الرافضةَ معهما، فقال:

ومِنْ قَومٍ إذا ذَكَروا عَلِيًّا أشاروا بالسَّلام على السَّحاب

ويُرْوَى : * يردُّونَ السَّلام على السَّحابِ *

[مقتل على بن أبى طالب رضى الله عنه]

ثم نرجِعُ إلى ذكر الخوارجِ .

(١-١) سافط من ر
(٢) ر : «فأجاد» .
(٣) ر : «يتمكن» .
(٤) ر : «فإنه».
(٥) ر : «وكان»

قال أبو العباس: فلما قـتلَ عليٌّ بن أبى طالب أهل النَّهْرَوَان، وكان بالكوفة زُهاءُ ألفين من الخوارِجِ؛ ممن لم يَخْـرُجْ مع عبد الله بن وهبٍ، وقومٌ ممن اسْـتأْمَنَ إلى أبى أيوبَ الأنصارىِّ، فـتجمعوا وأمّـروا عليهم رجلا من طَيِّئ. فَوَجـه إليهم علىٌّ رجلا، وهم بالنُّخَـيْلَة. فدعاهم ورَفَقَ بهم. فـأَبَوْا. فَعَاوَدَهم فأَبَوْا. فَـقَتُلُوا جميعًا، فخدجت طائفةٌ منهم نحوَ مكة. ووجّه[1] معاوية مَنْ يُقيمُ للناسِ حَجَّهم. فَنَاوَشَهُ هؤلاء الخوارجُ، فبَلَغَ ذلك معاويةَ فوجّه بُسْرَ بن أرْطاةَ، أحدَ بنى عامر بن لؤَىّ، فتـوافقُوا وتَراضَوْا بعـدَ الحرب بأن يصلّىَ بالناس رجلٌ من بنى شَيْبَـة؛ لئلا يفـوتَ الناسَ الحجُّ. فلمَّـا انقضى نَظَـرَت الخَوارجُ فى أمـرها، فـقالوا: إن عليًّـا ومعاويةَ قد أفسدَا أمَر هذه الأمة، فلو قتلناهما لعادَ الأمُر إلى حَقِّه! وقال رجلٌ من أَشْجَعَ: والله ما عَـمرٌو دونهما، وإنه لأصْلُ هذا الفـساد. فقال عـبدُ الرحمن بن مُلْجَم: أنا أقَـتلُ عليًّا. فقـالوا: وكيفَ لكَ به؟ قـال: أَغْتالُهُ. فـقال الحـجَّاجُ بنُ عبدالله الصريمىُّ ـ وهو البُرَك: وأنا أقتلُ مـعاويةَ، وقال زاذوَيْه مَوْلَى بنى العنبر بن عَـمرِو بن تميمٍ: وأنا أقـتلُ عـمْرًا. فـأَجْـمَعَ رأيُهم على أن يَكونَ قـتلُهم فى ليلة واحدة. فـجعلوا تلك الليلةَ ليلةَ إحـدى وعشرينَ من شهـر رمضانَ، فـخرج كلٌّ واحدٍ منهم إلى ناحية، فأتى ابن مُلْجَم الكوفة. فأخْفى نفسَه وتزوَّجَ امرأةً يقال لها قطام بنتُ عَلْقمةَ من تَيْمِ الرِّبَاب، وكانتْ تَرَى رأْىَ الخوارج ـ والأحاديثُ تختلفُ وإنما يُؤثَرُ صحيحُـها ـ ويُرْوَى فى بعضِ الحديث[2] أنها قـالتْ: لا أَقْتَنِعُ منكَ إلا بصَداق أُسَـمِّيه لَكَ، وهو ثلاثةُ آلاف درهمٍ. وعبـدٌ وأَمَةٌ، وأن تقْتُلَ عليًّا. فـقال لها: لَكِ ما سألت، وكيف[3] لى به؟ قالت: تَرُومُ ذلك غيلَةً، فإنْ سَلمْتَ أرحتَ الناسَ منْ شَـرٍّ، وأقمتَ مع أهلكَ، وإنْ أُصـبتَ خرجتَ[4] إلى الجنةِ ونعـيمٍ لا يزول، فأنْعَمَ لها[5]، وفى ذلك يقولُ[6]:

ثلاثـةُ آلافٍ وعـبـدٌ وقَـيـنةٌ   وَضربُ علىٍّ بالحُسام الُمَصِّمِم[7]

---

(١) ر : «فوجه».   (٢) ر : «الأحاديث».
(٣) ر : «فكيف».   (٤) ر : «سرت».
(٥) أى قال لها نعم.
(٦) قال المرصفى : بل قائله ابن أبى مياس المرادى.
(٧) قبله :

ولَمْ أرَ مَـهْـرًا سَاقَـهُ ذُو سَـمَاحـةٍ   كـمـهـر قطام من فَـصِيحٍ وأعْـجَمِ

فلا مَـهْر أغْلَى من عـلى وإن غَلا ... ولا فَتْكَ إلا دُونَ فَـتْك ابْنِ مُلجَم

وقد ذكروا أنَّ القاصدَ إلى معـاوية يزيدُ بن مُلْجَم، والقاصدَ إلى عمرو آخرُ من بَنى مُلْجَم، وأنَّ أباهم نهاهم، فلمَّا عصوهُ قـال: استعَدوُّا للموت، وأنَّ أمَّهُمْ حضَتْهُمْ على ذلك. والخبرُ الصحيحُ ما ذكرتُ لك أولَ مرَّة.

فـأقَامَ ابنُ مُلجم، فـيـقالُ: إنَّ امـرأتَه قَطام لامَـتْهُ، وقـالت: ألا تمضى لما قَصَدْتَ له[1]! لَشَدَّ ما أحْـبَبْتَ أهلكَ! قال: إنِّى قـد وَعَدْتُ صاحبَىَّ وقتًـا بعينه ـ وكان هناك رجلٌ من أَشْجعَ، يقال له شَبيبٌ ، فَواطأَهُ عبدُ الرَّحمن.

* * *

ويُرْوَى أنَّ الأشْعَثَ نظَر إلى عبد الرحمن متقلدًا سيفًا فى بنى كِنْدَةَ، فقال: يا عبَد الرَّحمن، أرنى سيفك، فأراهُ إياه[2]، فَرَأَى سيفًا حديدًا، فقال: ما تقَلُّدُك هـذا[3] السيـفَ وليـس بأوَانِ حَـرْب! فقال: إنى أردتُ أن أنحرَ به جَـزُورَ القَرْيَة! فَرَكبَ الأشْعَثُ بغلتَـه، وأتى عليًّا صلوات الله عليه فَخَبَّرهُ، وقـال له: قد عرفتَ بَسَالة ابن مُلجمٍ وَفَتْكه، فقال علىٌّ: ما قَتلنى بَعْدُ.

ويُرْوَى أن عليًّـا رضوان الله عليـه كان يخطبُ مَـرَّةً وَيُذَكِّرُ أصْحـابَهُ، وابن مُلجم تلْقَـاء المنْبَر، فَـسمع وهو يقـولُ: والله لأريحنَّهُمْ منكَ! فلمَّا انصـرفَ علىٌّ صلوات الله عليـه إلى بيته أُتىَ بـه مُلبَّبًا، فـأشْرَفَ عليـهم ، فقـال: ما تريدونَ؟ فخبَّروهُ بما سمعوا، فقال: ما قتلنى بَعْدُ؛ فَخَلَّوْا عنه.

ويُرْوَى أن عليًّا كان يَتـمَثَّل إذا رآه ببيت عَمرِو بن مَعْـدى كرب فى قَيْس بن مكْشُوحٍ المُرادىِّ ـ والمكشوحُ هُبيْرَةُ، وإنما سُمِّى بذلك لأنه ضُرِب على كَشْحه:

أُريدُ حِـبَـاءه ويُـريدُ قَـتْـلى ... عَـذِيرَكَ مِنْ خَلـيلكَ من مُـرَادِ

---

(١) كلمة «له» ساقطة من ر .

(٢) كلمة «إياه» ساقطة من ر

(٣) كلمة « هذا» ساقطة من ر .

فيَنْتَفي من ذلك، حتى أكثرَ عليه، فقال له المَرادىُّ: إنْ قضى شَىْءٌ كانَ، فقيل لعلىٍّ: كأنك قد عرفته وعرَفتَ ما يُريدُ بك، أفَلاَ تقتلُه؟ فقال: كيف أقْتلُ قاتلى.

فلمَّا كان ليلَة إحدَى وعشرين من شهر رمضانَ، خَرجَ ابنُ مُلْجَم وشبيبٌ الأشْجَعىُّ، فاعْتَوَرَا البابَ الذى يَدخلُ منه علىٌّ رضى الله عنه، وكان[1] علىٌّ يَخْرُجُ[1] مُغَلّسًا، ويوقظ الناسَ للصلاة، فخرج كما كان يفعلُ، فضربه شَبيبٌ فأخطأه، وأصابَ سيفُهُ الباب، وضربه ابنُ مُلْجَم على صَلْعَته، فقال علىٌّ: فُزتُ ورَبِّ الكَعبة! شأنَكُمْ بالرَّجُلِ. عن بعض مَن كان فى المسجد[2] من الأنصار قال: سمعت كلمة علىّ، ورأيتُ بريقَ السيف، فأمَّا ابن مُلجمٍ فحمل على الناسِ بسيفه فأفرَجُوا له، وتلقَّاهُ المغيرةُ بن نوْفَل بن الحارث بن عبد المطلب بقطيفة، فرَمى بها عليه، واحتَمَلَه فضرب به الأرضَ، وكان المغيرة أيِّدًا، فقَعَدَ على صَدره، وأمَّا شبيبٌ فانتزع السيفَ منه رجلٌ من حَضْرَمَوْتَ، وصَرَعَهُ وقعد على صدره. وكثر الناسُ، فجعلوا يصيحون: عليكم صاحبَ السيف، فخاف الحَضْرَمى أن يُكَبُّوا عليه ولا يَسمعوا عُذْرَهُ فَرَمى بالسيف، وانْسَلّ شبيبٌ بين الناس فدخَل[3] بابن مُلْجَم[3]. على علىٍّ رضوان الله عليه، فأُومرَ فيه، فاختلفَ الناسُ فى جوابه، فقال علىٌّ: إن أَعش فالأمرُ لى[4]، وإن أُصَب فالأمرُ لكم، فإن آثرتُمْ أن تقْتَصُّوا فضَرْبة بضربة، وأنْ تَعْفُوا أقْرَبُ للتَّقْوَى. وقال قومٌ: بل قال: وإن[5] أصَبْ فاقتلوه فى مقْتَله[5].

فأقام علىٌّ يومين، فسَمع ابنُ مُلْجَمٍ الرَّنَّةَ من الدار، فقال له مَنْ حَضَره: أىْ عَدوَّ الله! إنه لا بأس على أمير المؤمنين، فقال: أعَلَى مَنْ تبْكى أمُّ كلْثوم[6]؟ أعَلَىَّ؟ أمَا والله لقد اشتريتُ سيفى بألف درهم، ومازلْتُ أعْرِضُهُ، فما يَعيبُه أحدٌ إلا أصْلَحْتُ ذلك العيب، ولقد سَقيته[7] السُّمَّ حتى لفظَه، ولقد ضربتُه ضَرْبَةً لو قُسمتْ على مَنْ بالمشرق لأتَتْ عليهم.

ومات علىٌّ صَلَواتُ الله ورضوانُه عليه ورحمته فى آخر اليوم الثالث[8] فدعا عبد الرحمن بالحسن[8] رضى الله عنه. فقال: إنَّ لك عندى سِراًّ. فقال الحسنُ

(١-١) ساقط من ر.

(٢) ر: «بالمسجد».

(٣-٣) ساقط من ر.

(٤) ر: «إلى».

(٥-٥) «وإن أصبت فاضربوه ضربة فى مقتله».

(٦) هى أم كلثوم بنت على بن أبى طالب، زوج عمر بن الخطاب.

(٧) ر: «أسقيته».

(٨-٨) ر: «فدعا به الحسن».

رضـوان الله عليـه: أتَدْرون مـا يريدُ؟ يريدُ أن يَقْـرُبَ من وجـهى فـيَـعَضّ أُذُنى فيقطَعَها، فقال: أمَا والله لو أمْكَنَنى منها لاقـتلعتُها من أصلها! فقال الحسنُ: كلا والله، لأضربَنَّكَ ضربةً تُؤَدِّيك إلى النـار. فقال: لو علمتُ أن هذا فى يدك[1] ما اتخذتُ إلَهًا غيرك، فقال عبدُ الله بن جعفر: يا أبا محمد. ادْفَعْهُ إلىَّ أشْفِ نفسى منه. فاختلفوا فى قـتله، فقال قومٌ: أحْمَى له ميلَيْن وكَحَلهُ بهمـا. فجعل يقول: إنك يابنَ أخى لتكْحَلُ عمكَ بمُلْمولَيْن[2] مَضَّاضَيْن[3]، وقال قـومٌ: بل قَطَعَ يديه ورجليه، وقال قومٌ: بل قطع رجليـه، وهو فى ذلك يَذْكر الله عزَّ وجلَّ. ثم عَمَدَ إلى لسانه فشَقَّ ذلك عليه. فـقيل له: لم تَجْزَعْ من قطع يديك ورجليك ونَرَاك قد جَزِعْتَ من قطع لسانِك! فـقال: نعمِ أحببتُ أن لا يزالَ فـمى بذكر الله رَطبًا، ثم قتَله.

* * *

ويُرْوَى أنَّ عليًّـا رضى الله عنه أُتِى بابن مُلْجَمٍ وقيل له: إنَّـا قد سمـعنا من هذا كلامًا ولا[4] نأمنُ قـتله لك؟ فقال: مـا أصنعُ به؟ ثم قال عـلىٌّ رضوان الله عليه:

اشْـدُدْ حَـيَـازِيمَكَ للمـوتِ ... فـإنَّ الموتَ لاقِـيكَا[5]
ولا تجـزع مـن المـوتِ ... إذا حَـلَّ بـوادِيكَا

والشعرُ إنما يَصِحُّ بأن تحذف «اشْدُدْ» فتقولَ:

حَـيَـازيمَك للمـوتِ ... فـإن الموت لاقِـيكَا

ولكنَّ الفـصحـاءَ من العرب يزيدون مـا عليـه المعنى. ولا يَعْتَـدُّونَ به فى الوزن. ويحذفون من الـوزن، علْمًا بأنَّ المخاطَبَ يعلم ما يُريدونه، فـهو إذا قال: «حيازيمك للموتِ»، فقد أضمر «اشددْ»، فأظهرَه، ولم يَعْتَدَّ به.

قال: وحدثنى أبو عثمان المازِنِىُّ قال: فصحاءُ العرب يُنشِدون كَثيرًا:

---

(١) ر: «فى يديك».

(٢) الملمول: الحبل يكتحل به.

(٣) أى جارين.

(٤) ر: «فلا».

(٥) الحيزوم: ما اشتمل عليه الصدر؛ يقال للرجل: اشدد حيازيمك، أى وطن نفسك على الأمر.

لسَعْدُ بنُ الضِّبابِ إذا غَدَا أحَبُّ إلينا منك فافرَس حَمِرْ[1]

وإنما الشِّعْر :

* لَعَمْرى لَسَعْد بنُ الضِّبَاب إذا غَدَا *

* * *

وأما الحجَّاج بن عبد الله الصُّرَيْمى - وهو البُرَكُ - فإنه ضَرَبَ معاوية مُصَلِّيًا، فأصاب مَأكَمتَه[2]، وكان معاويةُ عظيمَ الأوْراك، فقطع منه عرْقًا يقالُ له[3] عرْقُ النِّكاح، فلم يُولَدْ لمعاويةَ بعد ذلك ولد. فلما أخذ قال: الأَمَانُ والبشَارةُ، قتلَ عليٌّ فى هذه الصَّبيحة، فاستُؤنىَ به حتى جاء الخَبرُ، فقَطع معاويةُ يَدَهُ ورجله، فأقام بالبصرة، ثم بلغ[4] زيادًا أنه قد وُلِد له، فقال: أيُولَد له وأميرُ المؤمنين لا يُولد له! فقتله. هذا أحدُ الخبرين.

ويُرْوَى أن معاويةَ قطع يديه ورجليه، وأمَرَ باتِّخاذ المقصورة، فقيل لابنِ عباسٍ بعد ذلك: ما تأويلُ المقصورة؟ فقال: يخافون أن يَبْهَظَهُم[5] الناسُ.

وأمَّا زَاذَوَيه، فإنه أرْصَد لعَمْرو، واشتكى عَمرٌو بطنه، فلم يخرج للصلاة. فخرج[6] خارجةُ[7]، وهو رجلٌ من بنى سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيْص، رَهْط عَمرو ابن العاص، فضربه زَاذَوَيْه فقتله، فلما دُخِلَ به على عَمرو فرآهم يخاطبونه بالإمْرَة قال: أَوَ مَا قتَلْتُ عَمْرًا! قيل: لا، إنما قتلتَ خارجةَ، فقال: أردتُ عمرًا وأراد الله خارجة[8].

[لأبى زبيد الطائى يرثى على بن أبى طالب]

وقال أبو زُبَيْد الطائىُّ يَرْثى علىَّ بن أبى طالب صلواتُ الله عليه :

إن الكرامَ عَلَى ما كان من خُلُق رَهْطُ امْرِئ خارَهُ للدِّين مُخْتَارُ
صَبٌّ بصيرٌ بأضْغَان الرجالِ ولَمْ يُعْدَلْ بَخَبْرِ رسولِ الله أخْبَارُ

(١) لامرئ القيس بن حجر. ديوانه ١٣٩ .
(٢) المأكمة: واحدة المأكمتين، وهمااللحمتان اللتان على رءوس الوركين.
(٣) كلمة «له» ساقطة من ر .
(٤) ر : «فبلغ».
(٥) يبهظهم : يغلبهم.
(٦) ر : «دخرج».
(٧) هو خارجة بن حذافة؛ له صحبة .
(٨) ر : «والله أراد».

وَقَطْرَة قطَرَتْ إذْ حَانَ مَوْعِدهَا ... وكل شيء له وقتٌ ومقْدارُ
حتى تَنَصَّلها في مسجد طُهُر ... على إمامٍ هُدًى إنْ معْشَر جاروا
حُمَّتْ لِيَدْخُلَ جَنَّات أبو حَسَنٍ ... وأوجَبتْ بعده للقاتِل النارُ

قوله: «خارَهُ» يعنى[1]: اختاره، وهو «فعَلَهُ» و «اختاره» «افتعَلَهُ» كما تقول: قدر عليه، واقْتدَرَ عليه.

وقوله: «بَصيرٌ بأضْغَان الرِّجال»، فهى أسرارُها ومُخَبَّآتُها، قال الله تعالى: ﴿فَيحْفكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أضْغَانَكم﴾[2]. والحَبْرُ العالِمُ.

ويُرْوَى أن عليًّا رضوان الله عليه مَرَّ بيهوديٍّ يسأل مُسْلمًا عن شيء من أمرِ الدِّين، فقال له عليٌّ: اسألنى ودَعِ الرجلَ، فقال له: يا أمير المؤمنين، أنتَ حَبْرٌ. أى عالمٌ، قال عليٌّ عليه السلام: أنْ تَسْأَلَ عالِمًا أجدَى عليك[3].

وقوله: «حتَّى تَنَصَّلها»، يريدُ استخرَجَها.

وقوله «حُمَّتْ»، معناه قُدِرَتْ.

[للكميت في رثائه أيضا]

قال الكُمَيْتُ:

والوَصىُّ الذى أمالَ التَّجوبِـ ... ـىُّ به عَرْشَ أُمَّة لانهدامِ
قَتَلُوا يومَ ذاكَ إذْ قَتَلوه ... حكَمًا لا كَغَابر الحكَّامِ
الإمامَ الزَّكِىَّ والفارسَ المُعْلَـ ... ـمَ تحتَ العَجَاجِ غيرَ الكَهَامِ
راعيًا كان مُسجِحًا ففقَدْنَا ... هُ وفقْدُ المُسيمِ هُلْكُ السَّوامِ[4]

* * *

قول: «الوَصِىُّ» فهذا شيءٌ كانوا يقولونه ويكثرون فيه قال ابنُ قَيْس الرُّقَيَّات:

نحنُ منا النبىُّ أحمدُ والصِّدِّيـ ... ـقُ منَّا التقىُّ والحُكماءُ

---

(١) ر: «إنما هو».
(٢) سورة محمد ٧٣.
(٣) ر: «أجدى لك».
(٤) مسجحا: سهلا.

وعليّ وجــعـفـرٌ ذو الجَنَاحَــْـ ـــينِ هُـناكَ الوَصِىُّ والشُّــهــداءُ

وقال كثيرٌ لـمَّـا حَبَسَ عبدُ الله بن الزبير محمد بن الحَنَفِيَّةِ فى خـمسةَ عشر رجلا من أهله فى سِجنِ عارمٍ:

تُخـبِّـــرُ مَن لاقـيتَ أنـك عـائذٌ بَل العائذُ المحبوس فى سِجْنِ عارمِ
وصِىُّ النَّبىِّ المصطفـى وابنُ عمـه وفكَّاكُ أعنـاقٍ وقـاضِى مَـغَـارم

أرادَ ابن وَصِىِّ النبىِّ. والـعربُ تُقـيمُ المضـافَ إليـه فى هذا البـاب مـقـامَ المضاف، كما قال الآخرُ:

صَبَّحْنَ منْ كـاظِمَةَ الحُصَّ الخرِبْ يحْـمِلنَ عَـبَّاسَ بنَ عَـبـدِ المطلِبُ

يريدُ ابن عباس رضى الله عنه.

وقال الفرزدقُ لسليمانَ بن عبد الملك:

ورِثْتُمْ ثيـاب المجد فهىَ لَبـوسُكُمْ عن ابنىْ مَناف عبدِ شمْسٍ وهاشم

يريد ابنى عبدِ مناف.

[لأبى الأسود الدؤلى فى آل البيت]

وقال أبو الأسود:

أحِبُّ مُـحَـمَّـدًا حـبًّـا شـديدًا وعَـبَّـاسًـا وحـمـزةَ والوَصِـيَّـا
أحِـبُّـهـمُ لحُبِّ الله حـتى أَجِىءَ إذا بُـعِــثتُ عَـلى هـوَيَّا
هوًى أعْطيـتُـهُ منذ اسْـتَـدارَتْ رَحَى الإسْـلام لَمْ يَعْدِلْ سَـوِيًّا(١)
يقـول الأرْذلون بنو قُـشَـيْـر: طوَالَ الدَّهـر مـا تَنْسَى عـليًّـا!
بـنو عـمِّ النـبـىِّ وأقْـربـوهُ أحَـبُّ النـاسِ كلِّـهـمُ إلَيَّـا
فـإن يك حـبُّـهُمْ رُشـدا أُصِـبْـهُ وليس بمُخْـطِئٍ إن كـان غـيًّـا(٢)

(١) زيادات ر : «السوى والسواء: الذى قد سوى الله خلقه، لازمانة به ولاداء؛ وفى القرآن: ﴿بشرا سويا﴾، وتقول: ساويت ذاك بهذا الأمر، أى جعلته مثلا له.
(٢) زيادات ر : «ويروى : وليست».

وكان بنو قُشَير عُثمانيَّة، وكان أبو الأسود نازلا فيهم، فكانوا يَرْمُون بالليل، فإذا أصبح شكا ذلك، فشكاهم مرة، فقالوا له[1]: ما نحنُ نرمِيك ولكنَّ الله يرميك! فقالَ: كذبتم والله، لو كان الله يَرمينى لما أَخْطأنى.

قال: وكان نَقشُ خاتمه:

يا غالِبى حَسْبُكَ مَن غالبِ ... ارْحَمْ علىَّ بن أبى طالبِ

وقوله: «غيرَ الكهَامِ» فالكهامُ: الكَليلُ من الرجال والسيوفِ، يقال: سيفٌ كَهامٌ. وقوله:

راعِيًا كان مُسجِحًا فقدنا ... هُ وفقْدُ المُسِيم هُلْكُ السَّوامِ

فالمسيمُ الذى يُسيمُ إبله أو غنمه ترْعى، وكذلك كلُّ شيء من الماشية، فجعَل الراعىَ للناس كصاحب الماشية الذى يُسيمها ويَسوسُها ويُصْلحها، ومتى لَم يَرْجعْ أمر الناس إلى واحد فلا نظامَ لهم، ولا اجتماعَ لأمورهم.

قال ابنُ قيس الرُّقيَّات:

أيها المشْتَهِى فَناءَ قريْش ... بيدِ الله عمْرُها والفَناءُ

إن تُوَدِّعْ من البلاد قُريْشٌ ... لا يكُنْ بَعْدَهم لحىٍّ بقَاءُ

لو تُقفِّى ويتْرُكُ الناسُ كانوا ... غنَم الذِّئبِ غابَ عنها الرِّعَاءُ

وقال الْحِميْرَىُّ يعنى عليًّا رضوانُ الله عليه:

كان المسيمَ ولم يكن إلا لِمنْ ... لزِمَ الطريقة واستقامَ مُسيما

ولمَّا سمع علىٌّ صلواتُ الله عليه نداءَهم «لا حُكمَ إلا لله» قال: كلمة عادلة يُرادُ بها جَوْرٌ، إنما يقولون: لا إمارة، ولابُدّ من إمارة برَّة أو فاجرة.

* * *

ورَوَوْا أن عليًّا عليه السَّلامُ لَمَّا أوصى إلى الحسن فى وَقف أمواله وأن يَجعلَ فيها ثلاثة من مواليه وَقفَ فيها عينَ أبى نيْزَرَ[2] والبُغَيْبغَة فهذا[3] غلطَ. لأن وَقفهُ هذين[4] الموضعين لِسنَتيْن من خلافته.

---

(١) كلمة «له» ساقطة من ر

(٢) كذا ضبط فى الأصل. بفتح النون، وفى حاشيته عن الصحاح: «نبزر» بكسر النون.

(٣) ر «وهذا». (٤) ر: «لهذين».

[وقف عين أبي نيزر]

حدثنا أبو مُحلّم محمدُ بن هشَام في إسناد ذكره أخوهُ أبو نَيْزَرَ، وكان أبو نَيْزَرَ من أبناء بعضِ ملوك الأعاجِم، قال: وصَحَّ عندى بعدُ أنه منْ وَلَد النجَاشيَّ ـ(١ يعنى أبا نَيْزَر١) ـ فَرغبَ في الإسلام صغيرًا، فأتى رسولَ الله ﷺ فأسلم، وكان معه في بيوته، فلما تُوفِّيَ رسولُ الله ﷺ صار مع فاطمةَ وولدها عليهم السلام، قال أبو نَيْزَرَ: جاءنى عليٌّ بن أبى طالب وأنا أَقومُ بالضَّيْعَتَيْنِ: عَيْنِ أبى نَيْزَرَ والبُغَيْبغة(٢). فقال لي: هل عندكَ من طعام؟ فقلتُ: طعامٌ لا أرضاه لأمير المؤمنين، قَرْع من قَرْعِ الضَّيْعَة صنعته بإهالة سَنِخَة(٣)، فقال: عَلَيَّ به، فقام إلى الربيع وهو جدول ـ فغسل يده، ثم أصابَ من ذلك شيئًا، ثم رجع إلى الرَّبيع، فغسل يديه بالرَّمل حتى أنقاهما، ثم ضم يديه، كلَّ واحدة منهما إلى أختها، وشرب بهما حُسًا(٤) من ماء الرَّبيع، ثم قال: يا أبا نيزَرَ، إن الأكُفَّ أنظفُ الآنية، ثم مَسَح نَدَى ذلك الماء على بطنه، وقال: مَنْ أدخله بطنُهُ النارَ فأبعده اللهُ، ثم أخذ المعْوَلَ(٥) وانحدرَ في العَيْن، فجعل يضربُ، وأبطأ عليه الماءُ، فخرجَ وقد تَفضَّجَ جبينهُ عَرَقًا(٦). فانْتكفَ العَرَقَ عن جَبِينه، ثم أخذ المعْولَ وعادَ إلى العين، فأقبلَ يضربُ فيها، وجعل يُهَمْهِم(٧) فانْثَالَتْ كأنها عُنُق(٨) جزُور، فخرجَ مُسْرعًا، فقال: أشْهدُ اللهَ أنها صَدَقةٌ، عَلَيَّ بدواة وصحيفة، قال: فَعَجَّلْتُ بهما إليه، فكتبَ: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تَصَدَّقَ به عبد الله عليٌّ أميرُ المؤمنين، تَصَدَّقَ بالضَّيْعَتَين المعروفتين بعَيْن أبى نَيْزَرَ والبُغَيْبغة، على فقراء أهل المدينة وابنِ السَّبيل، ليَقى اللهُ بها وجْهَه حَرَّ النار يومَ القيامة، لا تُباعَا ولا تُوهبَا حتى يَرِثَهُمَا الله وهو خيرُ الوارثينَ، إلا أن يحتاجَ إليهما الحَسنُ أو الحسينُ فهما طِلْقٌ(٩) لهما، وليس لأحد غيرهما.

(١-١) ساقط من ر.

(٢) البغيبغة: عين لآل رسول الله ﷺ غزيرة الماء كثيرة النخل.

(٣) الإهالة: ما أذيب من الشحم والسنخة: المتغيرة الريح.

(٤) حسا: جمع حسوة؛ وهى الشربة ملء الفم.

(٥) المعول: الفأس العظيمة ينقر بها فى الصخور.

(٦) تفضج جبينه عرقا: سال.

(٧) يهمهم، من الهمهمة، وهى ترديد الصوت فى الصدر.

(٨) يقال انثال الرمل انثيالا، إذا تبع بعضه بعضا؛ وهو هنا على الاستعارة.

(٩) طلق: أى حلال.

قال محمدُ بن هشام: فركبَ الحسينَ رضى الله عنه دَيْنٌ، فحمَلَ إليه معاويةُ بعَيْن أبى نيْزَرَ مائتى ألف دينار، فأبى أن يَبيعَ، وقال: إنما تَصَدَق بها أبى لِيَقىَ اللهُ بها وجهه حَرَّ النار، ولستُ بائعهَا بشىء.

[كتاب معاوية إلى مروان بن الحكم]

وتَحَدَّثَ الزُّبَيْريُّونَ أَنَّ معاوية كَتَب إلى مروانَ بن الحَكم، وهو وَالِى المدينة: أمَّا بعدُ، فإن أميرَ المؤمنين أحَبَّ أن يَرُدَّ الأُلْفَةَ، ويَسُلَّ السَّخيمة، ويَصلَ الرَّحِمَ، فإذا ورد عليك[1] كتابى هذا[2] فاخْطُبْ إلى عبدِ الله بن جعفر ابْنَته أمَّ كُلْثُومٍ عَلى يَزيدَ بنِ أميرالمؤمنين، وارغَبْ لهُ فى الصَّدَاق.

فوجَّهَ مروانُ إلى عبد الله بن جعفر، فقرأ عليه كتاب معاوية[3]، وأعلمه بما فى رَدِّ الألفة من صَلاحِ ذات البَيْن، واجتماعِ الدَّعْوة، فقال عبدُ الله: إن خالها الحسينَ بِيَنْبُعَ، وليس ممن يُفْتَاتُ عليه بأمر، فأَنْظِرنى إلى أن يقْدم، وكانت أمُّها زينب بنت علىٍّ بن أبى طالب صلواتُ الله عليه، فلما قَدمَ الحسين ذكر ذلك له عبدُ الله بنُ جعفرٍ. فقامَ من عنده فدخَل إلى الجارية، فقال: يا بُنَيَّة، إن ابنَ عَمِّك القاسمَ بن محمد بن جعفرِ بن أبى طالب أحق بك، ولعلك ترْغبين فى كثْرَةِ الصَّدَاق وقد نحَلْتَك البُغَيبِغات، فلمَّا حضرَ القومُ للإمْلاك[4] تكلم مروانُ بن الحَكَم، فذكر معاويةَ وما قصَدَه من صلة الرَّحِمِ وجَمْع الكلمة، فتكلم الحسينُ فزوَّجَها من القاسمِ بن محمد. فقال له مروانُ: أغدرًا يا حُسَيْنُ. فقال: أنتَ بَدَأْتَ، خطَبَ أبو محمد الحسنُ بن على عليه السلام عائشةَ بنتَ عثمانَ بن عَفَّانَ، واجتمعنا لذلك، فتكلمتَ أنتَ فزوَّجتَها من عبد الله بن الزُّبَيْر، فقال مروانُ: ما كان ذلك، فالتفتَ الحسين إلى محمد بن حاطب فقال: أَنْشُدكَ اللهَ، أكان ذاك؟ قال: اللهم نَعَم، فلم تَزَلْ هذه الضَّيْعَةُ فى أيدى[5] بَنى عبدِ الله بن جعفر، من ناحية أمِّ كلثومٍ، يتوارثونها، حتي مَلَكَ أميرُ المؤمنين المأمونُ، فَذُكرَ ذلك له، فقال: كلا. هذا وَقْفُ علىٍّ بن أبى طالب صلواتُ الله عليه، فانتزَعها من أيديهم، وعوَّضهم عنها، وردها إلى ما كانتْ عليه.

---

(١) ر : «وصل إليك».
(٢) كلمة «هذا» ساقطة من ر .
(٣) فى الأصل : «أمير المؤمنين»، وما أثبته عن ر .
(٤) الإملاك : عقد النكاح .
(٥) ر : «يدى».

[حديث علي مع الخوارج في أول خروجهم عليه]

قال أبو العباس: رَجَعَ الحديثُ إلى ذكر الخوارج وأمرِ عليٍّ بن أبى طالب رحمه الله .

قال: ويُرْوَى[١] أن عليًّا فى أوّل خروجِ القومِ عليه دَعَا صَعْصَعَة بن صوحَانَ العبدىَّ، وقد كانَ وَجَّهَهُ إليهم، وزيادَ بنَ النَّضرِ الحارثى مع عبد الله بن العباس، فقال لصعصعةَ: بأى القومِ رأيتهم أشدّ إطاقةً؟ فقال: بيزيدَ بن قيسٍ الأرْحَبِىّ، فركب عليٌّ إليهم إلى حَرُوراء، فجعل يتخلّلُهُم حتى صار إلى مَضْرَبِ يزيدَ بن قيس. فصلَّى فيه ركعتين. ثم خرج فاتَّكأ علي قوسه وأقبلَ على الناس، ثم قال: هذا مقامُ مَنْ فَلَجَ[٢] فيه فَلَجَ يومَ القيامة، أَنْشُدُكُم الله ، أعَلِمْتُمْ أحدًا منكم كان أكرَهَ للحكومة منِّى! قالوا: اللهم لا. قال: أفعلمتم أنكم أكرهتموني حتى قَبلتُها؟ قالوا: اللهم نَعَمْ. قال: فَعَلام خالفتمونى ونَابَذْتُمونى؟ قالوا: إنَّا أتينا ذَنْبًا عظيمًا، فَتُبْنا إلى الله، فتب إلى الله منه واستغفره نَعُدْ لكَ. فقال عليٌّ: إنى أستغفرُ اللهَ من كل ذَنْب . فرجعوا معه، وهم ستةُ آلاف. فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أنَّ عليًّا رجَع عن التحكيم ورآه ضلالا، وقالوا: إنما يَنْتظِرُ أميرُ المؤمنين أن يَسْمَنَ الكراعُ[٣]، ويُجْبَى المالُ، فينْهَضَ إلى الشامِ. فأتى الأشعثُ بن قيس عليًّا عليه السلامُ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ الناسَ قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضلالا والإقامة عليها كُفْرا. فخَطَب عليٌّ الناسَ فقال: مَنْ زَعَمَ أَنِّى رَجعْتُ عن الحكومة فقد كَذَب، ومن رآها ضلالا فهو أَضَلّ. فخرجت الخوارجُ من المسجد فَحكَّمَتْ . فقيلَ لعَلىٍّ: إنهم خارجون عليك، فقال: لا أقاتلُهم حتى يقاتلونى وسيفعلون، فَوَجَّهَ إليهم عبد الله بن العباس، فلما صار إليهم رَحَّبوا به وأكرموه، فرأى منهم جباهًا قرحَةً[٤] لطُول السُّجود. وأيْديًا كثفنات الإبل[٥]، وعليهم[٦] قُمُصٌ مُرَحَّضَةٌ[٧]. وهم مُشَمِّرُونَ، فقالوا: ما جاء بكَ يا أبا العباس؟ فقال: جئتكم من

---

(١) ر : «يروى».　　(٢) فلج : انتصر.

(٣) الكراع : اسم لجماعة الخيل .

(٤) قرحة : بها قروح.

(٥) ثفنات الإبل : ما يصيب الأرض منها إذا بركت.

(٦) ر : «عليهم».

(٧) قمص مرحضة مغسولة، من أرحض الثوب ، غسله.

عند صهْر رسول الله ﷺ وابن عمّه، وأعْلمنا بربّه وسُنَّة نبيه، ومن عند المهاجرين والأنصار. قالوا: إنَّا أتَينا عظيمًا حين حكَّمْنا الرجال فى دين الله، فإنْ تابَ كما تُبْنا ونَهَضَ لمجاهدة عَدُوِّنا رجعنا. فقال ابنُ عباس: نَشَدْتُكُم اللهُ إلا ما صَدَقْتُمْ أنفُسَكُمْ! أمَا علمتُم أنَّ اللهُ أمرَ بتحكيم الرجال فى أرْنَب تُساوى رُبْعَ درهم تَصادُ فى الحَرَم، وفى شِقاق رجل وامرأته؟ فقالوا: اللهم نَعَمْ، فقال: فأَنْشُدُكُمُ اللهَ فهل[1] علمْتمُ أنَّ رسولَ الله ﷺ أمْسكَ عن القتال للهُدْنَة بينه وبين أهل الحُدَيْبيَة؟ قالوا: نعَمْ، ولكنَّ عليًّا مَحَا نفسه من إمارة المسلمين، قال ابنُ عباس: ليسَ ذلك بمزيلها عنه وقد مَحَا رسولُ الله ﷺ اسمه من النُّبُوَّة، وقد أخذَ علىٌّ على الحَكَمين ألاَ يَجُورَا، وإن يَجُورَا فعلىٌّ أولى من معاوية وغيره، قالوا: إن معاويةَ يَدَّعى مثل دَعْوَى على، قال: فأيُّهما رأيْتموه أَوْلى فوَلُّوه، قالوا: صدقت، قال ابنُ عباس: ومتى[2] جَارَ الحكمان فلا طاعةَ لهما ولا قبول لقَوْلهما. قال: فاتبعه منهم ألفان وبَقِىَ أربعةُ آلاف، فصلى بهم صلَواتهم ابنُ الكَوَّاء، وقال: مَتى كانَتْ حَرْبٌ فرئيسكم شَبَثُ بن رِبْعِىّ الرِّيَاحِى، فلم يَزَالُوا على ذلك يومين، حتى أجْمَعُوا على البَيْعة لعبد الله بن وَهْب الرَّاسِبىِّ، قال: ومَضَى القومُ إلى النَّهروَان[3]، وكانوا أرادوا المضى إلى المدَائن.

[خبرهم مع عبد الله بن خباب وقتلهم له]

قال أبو العباس: فمن طَرِيف أخبارهم أنهم أصابوا مسلمًا ونصرانيًّا، فَقَتَلوا المسلمَ وأَوْصَوْا بالنصرانىّ، فقالوا: احفظوا ذمَّةَ نبيِّكم[4].

ولقيهم عبدُ اللهَ بن خَبَّاب وفى عُنقه مصحفٌ، ومعه امرأته وهى حاملٌ، فقالوا له[5]: إنَّ هذا الذى فى عُنقكَ ليأمُرُنا أن نقتُلَك، فقال[6]: ما أحْيَا القرآنُ فأحْيُوه، و ما أماتَه فأميتوه. فَوَثَبَ رجلٌ منهم على رُطبة فوضَعها فى فيه، فصاحوا به، فَلَفَظَها تورُّعًا، وعَرَض لرجلٍ منهم خنزيرٌ فضربه الرجلُ فقتلَه،

---

(١) ر : «هل». (٢) ر : «متى».

(٣) زيادات ر : «قال الأخفش: كذا كان يقول المبرد: «النهروان. بكسر النون والراء، وإنما هو النهروان» بالفتح، وأنشد للطرماح: «قل فى شط نهروان» بفتح النون.

(٤) س : «احفظوا ذمة بينكم».

(٥) كلمة «له» ساقطة من ر ، وهى فى الأصل، س .

(٦) ر ، س : «قال».

فقالوا: هذا فَسادٌ فى الأرضِ، فقــال عبدُ الله بن خَبَّاب: ما علىَّ منكم بأسٌ، إنى لَمُسْلِمٌ، قالوا له: حَـدِّثْنا عن أبيك؟ قال: سمعتُ أبى يقول: ســمعت رسول الله ﷺ يقول: «تكون فـتنةٌ يموتُ فيـها قَلبُ الرجلِ كَمـا يَموتُ بَدَنُه، يُمْـسى مؤمنًا ويُصْبِحُ كافرًا، فكُنْ عبدَ الله المقتولَ، ولا تكنِ القاتلَ».

قالوا: فما تقــولُ فى أبى بكرٍ وعَمر؟ فأَثْنَى خيـرًا، فقالوا: ما[1] تقولُ فى علىٍّ أميرِ المؤمنين قبلِ التَّحْكيمِ، وفى عثمــانَ ستَّ سنينَ؟ فأَثْنَى خيرًا، قالوا: فما تقولُ فى الحُكومة والتَّحْكيمِ؟ قال: أقول إنَّ علـيًّا أَعْلَمُ بالله منكم[2]، وأشَدُّ توَقِّيًا على دِينِه، وأبعد[3] بصيرةً، قالوا: إنك لستَ تَتَّـبعُ الهُدَى، إنما تتبعُ الرجالَ على أَسمائها.

ثم قرَّبوه إلى شاطـئ النهر فذَبَحوه، فامْـذَقَرَّ دَمُهُ، أى جَرَى مسـتطيلا على دِقَّةٍ.

وساموا رجلا نصــرانيًّا بنخلة له، فقال: هىَ لكم، فقــالوا: ما كنا لنأخذها إلا بثمنٍ. قــال: ما أَعجَبَ هذا؟ أَتَقْتلونَ مـثلَ عبد الله بن خَبَّــاب ولا تقبلُون منَّا جَنَى نخلَةٍ؟

[غيلان بن خرشة ونيله منهم]

ومن طريف أخبارِهم أن غـيْلانَ بن خَرَشةَ الضَّبِّىَّ سَمَـرَ ليلة عند زيادٍ ومعه جماعةٌ، فَذُكِرَ أمرُ الخوارجِ، فأنحى عليهم غيلانُ، ثم انصرف بعد ليْلٍ إلى منزله، فلقيه أبو بلال مِـرْدَاسُ بن أُدَيَّةَ، فقال له: يا غيْلانُ، قد بَـلغنى ما كانَ منك الليلةَ عندَ هذا الفــاسق، من ذكر هؤلاء القــوم الذين شرَوْا أنفـسَهم وابتــاعوا آخــرتهم بدنيــاهم! مــا يُؤَمِّنُكَ أن يلقــاكَ رجلٌ منهم، أَحْـرَصُ والله على الموتِ منكَ على الحياة، فيُنْفِذَ حِضْنَيْكَ[4] برُمْحِه؟ فقال غيْلانُ: لن يَبْلُغَكَ أنِّى ذكرتُهم بعدَ الليْلةِ.

[مرداس بن أدية وزياد]

ومرْدَاسٌ تنتحلُهُ جماعةٌ من أَهلِ الأهواء، لِقَشْـفه وبَصيرته، وصحة عبادته، وظهورِ ديانته وبيانه؛ تنتحلهُ المعتـزلةُ، وترْعُم أنه خَرَجَ منكرا لجَوْرِ السلطانِ، داعيًا

---

(١) ر : «فما تقول».

(٢) ر : «أعلم بكتاب الله».

(٣) ر : «وأنفذ».

(٤) الحضنان : ناحيتا الإنسان. والجمع أحضان.

إلى الحَقِّ، وتحتجُّ له بقوله لزياد حيثُ قـال على المِنْبَر: والله لآخذَنَّ المحسنَ منكم بالمسيء، والحاضـرَ منكم بالغائب، والصَّحيحَ بالسَّـقيم، [١]والمطيع بالعاصي[١].
فقام إليـه مرداسٌ فقال: قد سـمعنا ما قلت أيُّها الإنسانُ، ومـا هكذا ذكر اللهُ عزَّ وجلَّ عن نبيـه إبراهيمَ عليه السـلام، إذ يقولُ: ﴿وإبراهـيمَ الَّذى وَفَّـى * ألا تزر وازرةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وأن لَيْسَ للإنسان إلا مَا سَـعَى * وأنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثم يُجْزَاهُ الجَزاءَ الأَوْفى﴾[٢] وأنتَ تزعمُ أَنك تأخـذُ المطيع بالعـاصى. ثم خـرجَ فى عَقِبِ هذا اليومِ.

والشِّيعُ تنتحله، وتزعمُ أنه كَتَبَ إلى الحسين بن علىّ صلواتُ الله عليه: إنِّى لَسْتُ أَرى رَأْىَ الخوارج، وما أنا إلا عَلَى دِين أبيكَ.

[آراء الفقهاء فى مذهب الخوارج]

وهذا رأىٌ قد استَهْوَى جماعة من الأشراف. يُرْوَى أنَّ المُنْذِرَ بنَ الجارُود كان يَرى رأى الخوارجِ. وكان يزيدُ بن أبى مسلمٍ مـولى الحَجَّاج بن يوسفَ يراه، وكان صالح بنُ عبد الرحمنِ صاحب ديوان العراق يراه، وكـان عِدَّةٌ من الفقهاء يُنْسَبون إليه[٣] ولعل هذا يكون باطلا[٣]، منهم عِكْرِمةُ مولى ابن عـباس. وكان يقالُ ذلك فى مالكِ بن أنَسٍ.

ويَرْوى الزُّبَيْـريُّونَ: أنَّ مـالكَ بـن أنسٍ المَدينى[٤] كان يَذْكـرُ عثمـانَ وعليًّا وطَلْحَةَ والزُّبَيْر فيقولُ: والله ما اقْتَتلوا إلا على الثَّرِيد الأعْفر[٥].

(١-١) ساقط من ر .

(٢) سورة النجم ٣٧ - ٤١ .

(٣-٣) ساقط من ر .

(٤) حاشية س : « قد يتوهم من هذا الكلام من لا معرفة له بالأخبار والتواريخ أن المذكور هنا مالك بن أنس الفقيه المدنى المشهور صاحب المذهب. وليس الأمركذلك. وهذا تقصير أو قصور من أبى العباس، حيث أبهم فى مـوضع البـيان، لأن مـالكا المذكـور هنا هومالك بـن أنس بن مالك بن مسـمع البكرى. ثم البصرى. أحد رؤسـاء أهل البصرة. وأعظم فقهائهـا فى زمانه. لشرف بيته وتقدمـه فى معرفة كل فن، وشهرة زهده وكثرة تهجده؛ لكنه كان متهما برأى الخوارج. ولم يوقف لأمره على حقيقة، الله أعلم أى ذلك كان. وأما الإمـام مالك بن أنس المدنى الأصبحى الحمـيرى فهو الذهب الإبريز صـماء. والكبريت الأحمر عزة».

(٥) الثريد الأعفر: الأبيض. ليس بالشديد البياض. يريد الثريد الممتلئ بالإدام، قاله المرصفى.

فأمَّا أبو سَعيد الحسن البَصْرىُّ فإنه كان يُنكِرُ الحكومةَ، ولا يَرَى رأيَهم، وكان إذا جَلَسَ فتمكَّن فى مجلسه ذَكَرَ عثمانَ فَترحَّم عليه ثلاثًا، ولعن قَتَلَته ثلاثًا، ويقولُ: لو لم نَلْعنهم لَلُعنَّا، ثم يَذكر عليًّا فيقول: لم يَزَلْ أميرُ المؤمنين علىٌّ رحمه الله يَتَعَرَّفه[1] النصرُ، ويساعدهُ الظَّفَرُ، حتى حكَّمَ، فلِمَ تحكِّم والحقُّ معكَ! ألا تمضى قُدُمًا لا أبالك وأنت عَلَى الحقِّ!

* * *

قال أبو العباس: وهذه كلمة فيها جفاءٌ، والعربُ تستعملها عند الحثِّ على أخذ الحقِّ والإغراء، وربما استعملتها الجُفاةُ من الأعْراب عندَ المسألة والطّلب، فيقولُ القائلُ للأميرِ والخليفة: انظر فى أمر رعيتك لا أبالَكَ! وسَمِعَ سليمانُ بن عبد الملك رجلا من الأعراب فى سَنَة جدبة[2] يقولُ:

رَبَّ العِبادِ مَا لنَا ومَالَكَا ... قد كنتَ تسْقينَا فما بَدَا لكَا

* أنْزل علينا الغيْثَ لا أبَالكَا *

فأخرجه سليمان أحسن مخرج، فقال: أَشْهدُ أنه لا أبَا له ولا وَلَدَ ولا صاحبة [وأشهد أن الخلق جميعًا عباده][3].

وقال رجلٌ من بنى عامر بن صَعْصَعَةَ أبْعَد من هذه الكلمة لبعض قومه:

أبَنى عُقَيْلٍ لا أبَا لأبيكُم ... أيَّىٌ وأىُّ بَنى كِلابٍ أكْرَمُ

وقال رجلٌ من طَيِّئٍ، أنشده أبو زيد الأنصارىُّ:

يا قُرْطَ قُرْطَ حُيَىٍّ لا أبَالكم ... يا قُرْطُ إنِّى عليكم خائفٌ حَذِرُ
أأنْ رَوَى مرْقَسٌ واصْطافَ أعْنُزُهُ ... منَ التِّلاعِ التى قد جادها المطُرُ
قلتم له اهْجُ تميمًا لا أبَالكم ... فى كَفِّ عبدكُم عن ذاكمُ قِصَرُ
فإنَّ بيتَ تميمٍ ذو سَمِعْتَ به ... فيه تَنَمَّتْ وأرْسَتْ عِزَّها مُضَرُ

(١) س : «يتعرفه».
(٢) ر : «جديبة».
(٣) تكملة من ر .

قوله : «يا قُرْطَ قُرْطَ حُيَيٍّ» نَصبُهمـا معا أكثُر على ألسنة العربِ، وتأويلها: أنهم أردوا «يا قُرْطَ حُيى» فأقحموا «قرطًا» توكيدًا، وكذلك لجرير[١]:

يا تَـيْمَ تَيْـمَ عَـدِيٍّ لا أبَا لـكمُ   لا يُلْقِـيَنَّكَمُ فى سَـوْءَة عُـمَـرُ

ومثلُه لعُمَر بن لَجَإ[٢]:

يا زَيْدَ زَيْدَ اليَـعْـمـلاتِ الذُّبَّلِ   تطاوَلَ الليلُ عـليكَ فـانزلِ[٣]

فإن لم تُرِد التوكيدَ والتكريرَ لم يَجُزْ إلا رفع الأول: «يا زَيْدُ زَيْدَ اليعملات» و «يا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيٍّ»، كما تقولُ: «يا زيد أخَا عمرو» على النعت. ومثلُ الأول فى التوكيد « يا بُؤْسَ للحرب» أراد يا بؤسَ الحـرب فأقْحَم اللامَ توكيدًا، لأنها توجب الإضـافةَ. وعلى هذا جـاء «لا أبَالك» و «لا أبا لزيد»، ولولا الإضـافةُ لم تثبت الألف فى الأب، لأنك تقول رأيتُ أباك، فإذا أفردتً قلت: هذا أبٌ صالحٌ، وإنما كانت «لا أبَاكَ» كما قال الشاعرُ:

أبِـالْمَـوتِ الـذى لابُدَّ أنِّـى   مُـلاقٍ لا أبَاكِ تُخَـوِّفـينى

وقال آخر:

وقـد مات شَـمَّـاخٌ وماتَ مُـزَرِّدٌ   وأىُّ كـريم لا أبَاكِ يُـخَلَّـدُ!

وقوله: «أأن رَوَى مـرقَسٌ» «مرقسٌ» رجلٌ. وروى: استَـقى لأهله، يقال: فلانٌ رَاوِيَة أهْله، إذا كان يسـتقى لأهله، والتى على البعير والحـمار مَزادَة[٤] فإذا كَبُرتْ وَعُظَمْتَ وكـانت من ثلاثة آدِمَة[٥] فهى الْمُثَلَّثة. وأصغَـرُ منها السَّطيحةُ[٦]، وأصغُرهنَّ الطَّبْعُ[٧]:

---

(١) قال المرصفى: «يهجو عمر بن لجأ التيمى»، وقبله كما فى الديوان ٢٨٥ :

أتبـتغِي الـتَّيْمُ عـذرًا بعـد ما غَـدَرُوا   لا يقْـبلَ اللهُ من تيْـم إذا اعْـتَـذرُوا

لا تَمنَعُـون لكُمْ عـرِسـا ومـا لكمُ   إلا بغـيْـركُـم وِردٌ ولا صَـدَرُ

(٢) قال المرصفى : هذا غلط، صوابه: لعبد الله بن رواحة الخزرجى يقوله لزيد بن أرقم.

(٣) اليعملات : جمع يعملة؛ وهى الناقة السريعة. والذبل: الضوامر.

(٤) المزادة: هى التى تكون من جلدبن يزاد بينهما نصف جلد.

(٥) آدمة: جمع اديم، وهو الجلد.

(٦) السطيحة: التى تكون من جلدين، يقابل أحدهما بالآخر.

(٧) الطبع، قال المرصفى: لم أر أحدا من أهل اللغة ذكره إلا فى الأسقية، وإنما هو لملء السقاء.

وقوله: «واصْطافَ أعنُزُه»، يريدُ «افْتَعـلَتْ»، من الصَّيْف، أى أصابت البقلَ فيه.

والتَّلعةُ: ما ارتَفعَ من الأرضِ فى مُـسْتَقرِّ المَسيلِ إذا تجـافى السَّيلُ عن مَتْنِه، وجمعُه تِلاعُ.

وقوله: «ذَو سَـمِعْتَ به» يريد الذى ، وكذلك تفـعلُ طَيِّئٌ. تجعل «ذو» فى معنى «الذى»، قال زَيْدُ الخيْلِ لبنى فَزَارَةَ، وذكر عامرَ بن الطُّفيل فقال:

* إنِّى أرَى فى عامرٍ ذُو تَرَوْن *

وقال عارقٌ الطائىُّ:

فإن لم يُـغَيِّرْ بعـضُ ما قد فـعَلْتُمُ ... لأنْتَـجِينْ للعَظْم ذُو أنَا عـارِقُـه[1]

يريد الذى.

* * *

ومن ظُرَفاءِ الْمَحدثين اليمَانِيَّة منْ يَعملُ هذا اعتمادًا لإيثارِ لغةِ قومِه.

قال الحسنُ بن هانئ الحكمىُّ :

حُبُّ المُدَامَـةِ ذُو سـمـعتَ به ... لم يُبْـقِ فىَّ لغـيـرهـا فَـضْـلا

وقال حَبيبُ بن أوْس الطَّائىُّ :

أنا ذُو عَرَفْتِ فـإن عَرَتْكِ جَـهالةٌ ... فـأنـا المقـيمُ قِـيـامـةَ الـعُـذَّال

وقال الحسنُ بنُ وهْبٍ الحارثىُّ :

عَلَـلانى بـذكـرها عَـلِلانـى ... واسْـقِيانـى أوْلا فَمنْ تَـسقِـيَـان

أنا ذُو لم يَـزَل يَهُـونُ علـى النَّدْ ... مَـانَ إن عَـزَّ جـانب النَّدْمـانَ

ويكونُ العـزيـز فى سـاعـة الرَّوْ ... ع بِصَـدْق الطِّعـانِ يومَ الطِّـعـانِ

* * *

(١) لأنتجين : لأقصدن. وعارقه، من عرق العظم يعرقه؛ بالضم عرقا؛ أخذ اللحم عنه بأسنانه نهشا؛ وبهذا البيت سمى عارقا.

ثم نرجع إلى ذكر الخوارج[1]:

قال أبو العباس: وكان فى جملة الخوارج لدَدٌ واحتجاجٌ، عَلَى كثرة خُطبائهم وشُعَرائهم، ونفاذ بَصيرتهم، وتَوْطين أنفُسهم على الموت، فمنهم الذى طُعِنَ فأنْفَذَهُ الرُّمْحُ فجعل يَسْعَى فيه إلى قاتله وهو يقول: ﴿وعَجِلْتُ إليكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[2].

* * *

ويُروَى عن النبى ﷺ أنه لمَّا وصفَهم قال: «سيماهم التَّحْليقُ[3]، يقرءُونَ القرآن لا يُجَاوزُ تَرَاقِيَهُمْ، عَلامَتُهُمْ رَجلٌ مخْدَجُ اليدِ»[4].

وفى حديث عبد الله بنِ عَمرو: «رجلٌ يُقالُ له عَمْرٌو ذو الخَويصِرةِ»، أو «الخُنَيْصِرةِ».

* * *

ورُوِىَ عن النبى ﷺ: أنه نَظَرَ إلى رجلٍ ساجد، إلى أنْ صَلَّى النبىُّ عليه السلام، فقال: «ألا رجلٌ يقتله»؟ فحَسَرَ أبو بَكرٍ عن ذِراعه وانْتَضَى السيفَ وصَمَدَ نحوَه، ثم رجع إلى النبى ﷺ فقال: أأقتلُ رجلاً يقولُ: لا إله إلا اللهُ؟ فقال النبىُّ عليه السلام: «ألا رجلٌ يفعلُ»؟ ففعلَ عمرُ مثلَ ذلك، فلما كان فى الثالثة قصدَ له علىُّ بن أبى طالب عليه السلام فلم يَرَه، فقال رسول الله ﷺ: «لو قُتِلَ لكان أولَ فتْنَة وآخرَها».

[حديث المخدج]

ويروى عن أبى مَرْيمَ عن علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنه ذكرَ المُخْدَجُ عندَ النبى عليه السلام، فقال أبو مريم: واللهِ إنْ كان معنا لفى المسجد وكان فقيرًا، وكان يَحْضُرُ طعامَ علىٍّ إذا وضعه للمسلمينَ، ولقد كسوتُه بُرْنُسًا لى، فلمَّا خرجَ القومُ إلى حَروراءَ قلتُ: واللهِ لأنظَرن إلى عسكرهم، فجعلتُ أتخللهُم حتى

(١) ر: «عاد الحديث إلى ذكر الخوارج».

(٢) سورة طه ٨٤ .

(٣) سيماهم التحليق، أى علامتهم حلق الرءوس.

(٤) محدج اليد: ناقصها.

صِرْتُ إلى ابن الكَواء وشَبَثِ بن ربعيّ، ورسلُ على تُناشدهم، حتى وثَب رجلٌ من الخوارجِ على رسول لعلى، فضرب دابّتَه بالسيف، فحمل الرجل سَرْجَه وهو يقولُ: إنَّا لله وإنا إليه راجعون! ثم انصرفَ القومُ إلى الكوفة، فجعلتُ أنظُر إلى كثرتهم كأنما ينصرفون من عيدٍ، فرأيتُ المُخْدَجَ، وكان منى قريبًا، فقلتُ: أكنتَ مع القوم؟ فقال: أخذتُ سلاحِى أُريدُهم، فإذا بجماعة من الصبيانِ قد عَرضُوا لى فأخذوا سلاحِى، وجعلوا يتلاعبونَ بى فلما كان يومُ النَّهر قال علىٌّ: اطلُبوا المُخدَج. فطلبوه فلم يجدوه، حتى ساء ذلك عليًّا، وحتى قال رجلٌ: لا والله يا أمير المؤمنين، ما هوَ فيهم، فقال علىٌّ: والله ما كَذبتُ ولا كُذِبْتُ، فجاء رجلٌ فقال: قد أصبناه يا أمير المؤمنينَ، فخَرَّ علىٌّ ساجدًا، وكان إذا أتاه ما يُسَرُّ به من الفتوح سَجَد، وقال: لو أعلمُ شيئًا أفضلَ منه لفعلْتُه، ثم قال: سيماهُ أنَّ يَده كالثَّدْى، عليها شعراتٌ كشارب السِّنّور، إيتونى بيده المُخدجَة، فأتوهُ بها فنَصَبَها.

[من أخبار نافع بن الأزرق]

ويرْوَى عن أبى الجَلْد أنه نظَرَ إلى نافع بن الأزْرَق الحنَفىِّ وإلى نظره وتوَغّله وتعَمُّقه، فقال: إنى لأجِدُ لجهنم سَبعةَ أبوابٍ، وإنَّ أشدَّها حَرًّا للخوارج، فاحْذَرْ أن تكونَ منهم.

قال: وكان نافعُ بن الأزرق يَنْتَجعُ عبدَ الله بن العباسِ فيسأله، فله عنه مسائلُ من القرآن وغيرِه، قد رَجَع إليه فى تفسيرِها، فقَبلَه وانْتَحَلَهُ، ثم غلبتْ عليه الشِّقْوَةُ، ونحن ذاكرون منها صَدْرًا إن شاء الله.

* * *

حَدَّثَ أبو عُبيدةَ مَعْمَرُ بن المُثَنى التَّيْمِىُّ النَّسَّابة، عن أُسامةَ بن زيدٍ، عن عكْرمةَ، قال: رأيتُ عبد الله بن العباس وعندَه نافعُ بن الأزْرَقِ وهو يسأله، ويطلبُ منه الاحتجاجَ باللغة، فسَأله عن قول الله جلَّ ثناؤه: ﴿والليل وَمَا وَسَقَ﴾(١)، فقال ابنُ عباسٍ: وما جَمَعَ، فقال: أتعرفُ ذلك العربُ؟ قال ابن عباس: أمَا سمعتَ قول الراجزِ:

---

(١) سورة الانشقاق ١٧ .

إن لنا قــلائصــا حــقــائقًــا   مُــسْتَــوْسقــات لو يَجـدْنَ سائقـا

هذا قولُ ابن عـباس، وهو الحقُّ الذى لا يَقْدَحُ فـيه قادحٌ. ويَعْـرِضُ القول فيحتاجُ المبتدئ إلى أنْ يَزْدَادَ فى التفسير.

قوله: «حقَائقا» إنما بَنَى الحقَّـةَ من الإبل ـ وهي التى قد استحَقَّتْ أن يُحْمَلَ عليـها ـ عَلَى «فَـعيلة» مـثلَ «حقـيقة» ولـذلك جَمَـعها علـى «حقائقَ» ويـقال: «استَوْسَقَ» القومُ، إذا اجتمعوا.

وَرَوَى أبو عبـيدة فى هذا الإسناد ـ ورَوَى ذلك غـيرُه، و سـمعناه من غـير وجه ـ أنه سـأله عن قولـه عزَّ وجلَّ: ﴿قد جَعَلَ ربُّك تحْـتَك سَرِيًّا﴾[1] فقال ابنُ عباس: الْجَدوَلُ، فسأله عن الشواهد، فأنشدَه:

سلْمًـــا تَرَى الـدَّالِجَ منهـــا أزْوَرَا   إذا يَعـجُّ فى الـسَّـــــرِيِّ هَـرْهَرَا

السَّلْم: الدَّلْوُ الذى له عُـرْوةٌ واحدة، وهو دلْوُ السَّـقَّائيَن، وهو الـذى ذكره طَرَفةُ فقال:

لهــا مِــرْفَـقــانِ أفْـتــلانِ كـأنما   أمِـرَّا بسَـلْمَى دَالجٍ مُـتَــشَـدِّدِ[2]

والدَّالِجُ: الذى يمشى بـالدَّلْو بين البـئـر والْحَـوْضِ، وأصـحـابُ الحـديث يُنْشِدونَ: «تَرَى الدَّالِىَ منه أزْوَرَا» وهذا خطأ لا وجهَ له.

ورَوَى أبوعُبيدةَ وغيْرُه: أن نافعًا سألَ ابنَ عباسٍ عن قوله: ﴿عُتُلٍّ بعدَ ذلكَ زَنيم﴾[3]: ما الزنيمُ؟ قال: هو الدَّعىُّ الملزَقُ، أمَا سمعتَ قولَ حَسَّانَ بن ثابت:

زَنيـمٌ تداعَــــاهُ الرجـــالُ زيادةً   كما زِيدَ فى عَرْضِ الأديمِ الأكارِعُ

يزْعُمُ أهلُ اللغة أنَّ اشتقـاقَ ذلك من الزَّنمة التى بحَلْق الشاة، كما يقولون لمن دَخَل فى قـومٍ ليس منهم: زَعْنَفـةٌ[4]، وللجـمع زعانِف، والزعْنَفـة: الجَناحُ من أجنحة السَّمك.

---

(١) سورة مريم ٢٤ .

(٢) أفتلان، من الفتل؛ وهواندماج مرفق الناقة.

(٣) سورة القلم ٣ .

(٤) زيادات ر : «الأم : زعنفة بالكسر».

قال أبو الحسن الأخفش: كذا قال «زَعَنَفة»، والناسُ كلهم يقولون: «زِعنفة» بكسر الزاي. وهو الوجه.

* * *

ويُرْوَي عن غير أبي عُـبيدةَ أنه سأله عن قـوله جلَّ اسمُه: ﴿**والْتَفَّت السَّاقُ بالسَّاقِ**﴾[1]، قال: الشِّدَّةُ بالشدة، فسأله عن الشاهد فأنشدَه :

أخو الحَرْبِ إنْ عَضت به الحرب عَضَّهَا   وإن شمَّرت عن سَاقِـهَا الحربُ شمَّرَا

* * *

قال أبو العـباس: وقرأتُ على عُـمارةَ بن عقـيل بن بلال بن جريرٍ قصـيدة جرير التي يهـجو فيـها آل المَهَلَّب بن أبي صُفْـرَة، ويمدحُ هلال بن أحْوَزَ المازِنيَّ، ويَذكر الوَقعْةَ التي كانت لهم عليـهم بالسِّنْدِ في سُلْطانِ يزيدِ بن عبد المَلِكِ، بسبب خروجِ يزيدَ بن المهلَّبِ عليه :

أفـولُ لهـا من ليلـةٍ ليس طُولها   كطُّوُل الليـالى لَيْت صبْـحَك نَّورَا
أخافُ على نفسِ ابنَ أحْوزَ[2] إنّه   جَلا حُـمَمًا فـوقَ الوجوه فأَسْـفرَا
جَـعلتَ لقَـبْـرٍ للخَـيـارِ ومَـالك   وقـبـر عدَيٍّ فى المـقَابر أقـبْـرَا[3]
وأَطفَـأتَ نيـرانَ المَزُون وأهلـهَـا   وقـد حاولوها فـتْنةً أن تسعَّـرا[4]
فلم تُبْقِ مـنهم رايةً يَعْـرفُـونَهـا   ولم تُبق مـن آلَ الْمُهَلَّب عَـسكَرَا
ألا رُبَّ سَامِى الطَّرْفِ من آلِ مازِن   إذا شَمَّرتْ عن سَاقِها الحربُ شَمَّرَا

فهذا نظيرُ ذلك. والمَزْون: عُمانُ، قال الكُمَيْتُ:

---

(١) سورة القيامة ٢٩ .

(٢) زيادات ر : «قال الشيخ أبو يعقوب: الذى رويت فى شعر جرير :

حـذارًا عـلى نفس ابن أحْـوَزَ إنَّهُ   جَـلا كلَّ وجـهِ من مـعـدٍّ فـأسـفـرا

(٣) زيادات ر عن الشيخ أبي يعقـوب: «وقوله: «عدى» يعنى عدى بن أرطاة الفزارى. قـتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط. وكان عامل عمـر بن عبد العزيز رحمه الله». وفيهـا أيضا «ويروى: للخيار بواسط. الخيار: موضع بعمان فيه قبر الخيار بن سبرة المحاشعى. وواسط بها قبر عدى بن أرطاة الفزارى».

(٤) زيادات ر : «المزون عمان بالفارسية».

فـأمّـا الأَزْدُ أزدُ أبى سـعـيـدٍ ... فـأكـرهُ أن أُسَـمـيَـهَـا المَزُونَا

وقال آخرُ يعنى الحربَ :

فـإن شـمـرَّتَ لكَ عن سـاقِـهـا ... فـوَيـهًـا حُـذَيْفَ ولا تَسْـأَمِ[1]

* * *

ويُرْوَى عن أبى عُـبيدة من غـير وجـه أن نافعَ بن الأزرقِ سأل ابنَ عـباسٍ فقال: أرأيتَ نبىَّ الله سليمانَ ﷺ، مع مـا خَوَّله الله وأعطاه، كيف عُنِىَ بالهُدْهُدِ على قلَّته وضُـئولته؟ فقـال له ابنُ عباسٍ: إنه احتـاجَ إلى الماء. والهدهدُ قنَّاءٌ[2]. والأرضُ له كـالزُّجاجـة، يَرَى باطنَهَـا من ظاهرها، فـسأل عنه لذلك. قـال ابنُ الأزرق: قف يا وقافُ. كـيف يُبْصِرُ ما تحت الأرض والفخُّ يُغطَّى له بمقـدار إصْبَعٍ من ترابٍ فلا يُبـصرهُ حتى يقعَ فيـه! فقال ابنُ عبـاس: ويحَكَ يابنَ الأزرقِ ! أمَا علمتَ أنه إذا جاء القَدَرُ عَشِىَ البصَرُ.

* * *

ومما سأله عنه: ﴿الم * ذلكَ الكتابُ﴾[3]، فقال ابنُ عـباسٍ: تأويلُه: هذا القرآنُ.

هكذا جاء ، ولا أحفظُ عليه شاهدًا عن ابن عباس، وأنا أحْسَبه أنه لم يَقْبله إلا بشاهد، وتقديرُه عند النحويين: إذا قـال: «ذلك الكتابُ» أنهم قد كانوا وُعدوا كـتابًا؛ هكذا التـفسـيرُ، كـما قـال جلَّ ثناؤه: ﴿فلمَّا جـاءهم ما عـرَفُوا كـفَرُوا به﴾[4]،ويعنى بذاك اليهودَ، وقال: ﴿يَعْرِفُونَه كما يَعرفونَ أبناءَهم﴾[4]، فمعناه: هذا الكتابُ الذى كنـتم تَتوَقّعـونه، وبيتُ خُفَاف بن ندْبَةَ علـى ذلك يَصِحُّ معناه. وكان من خبره أنه غَزَا مع معاوية بن عمرو - أخى خَنْساءَ - مُرَّةَ وفزارَةَ، فَعَمَدَ ابْنَا حَرْملةَ: دُرَيْدٌ وهاشمٌ المُرِّيَّـان عَمْدَ مُعـاويةَ، فاستَطْرَدَ له أحـدُهما، فحَـمَل عليه

---

(١) زيادات ر : «تقول: «ويها لزيد» إذا زجرته عن الشيء فأغريته به. وواها له، إذا تعجبت منه. وحذيف. يريد «حذيفة» فرخم».

(٢) قناء: عالم بمواضع الماء من الأرض، مأخوذ من القناة. وهى كطيمة تحفر تحت الأرض. قاله المرصفى.

(٣) سورة البقرة ١ .

(٤) سورة البقرة ٨٩ .

(٥) سورة البقرة ١٤٦ .

معاوية، فطعنَه، وحملَ الآخَرُ على معاويةَ فطعنه مُتَمكِّنًا، وكان صَمِيمَ الخَيْلِ[1]. ، فلما تنادَوا: قتل معاويةُ .

قال خفافُ بنُ ندْبة ـ وهى أمُّهُ ، وكانت حبشيةً، وأبوه عُمَيْرٌ، وهو[2] أحدُ بنى سُلَيْمِ بن منصورٍ ـ: قَتَلنى اللهُ إنْ رِمْتُ[3] حتى أثأرَ به، فَحَمل على مالكِ بن حمارٍ ـ وهو سيد بنى شمْخ بن فَزَارَةَ ـ فطعنه فقتله ، فقال خُفافُ بن نَدْبَةَ:

إنْ تَكُ خَيْلى قد أُصِيبَ صَميمها ... فَعَمْدًا على عَيْنى تَيَمَّمْتُ هالكَا
وَقَفْتُ له عَلْوَى وقد خام صُحْبَتى ... لأبنىَ مَجْدًا أو لأثأرَ هالكا[4]
أقول له والرُّمْحُ يأطِرُ مَتْنَهُ ... تَأَمَّلْ خُفَافًا إننى أنا ذَلكا

يريدُ: أنا ذلك الذى سمعتَ به. هذا تأويلُ هذا.

وقوله: «يأْطِرُ مَتْنَهُ» أى يَثْنِى. يقال: أطَرْتُ القوس آطِرُها أطْرًا، وهى مأطورة . وعَلْوَى فَرَسُه.

ومما سأله عنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لهم أجْرٌ غَيْرُ مَمْنون﴾[5]، فقال ابنُ عباسٍ: غيرُ مقطوعٍ، فقال: هل تعرفُ ذلك العربُ؟ فقال: قدْ عَرَفه أخو بنى يَشْكُرَ حيثُ يقولُ:

وتَرَى خَلْفَهُنَّ مِنْ سُرْعَة الرَّجْـ ... ـعَ مَنِينًا كأنه إهْبَاءُ[6]

قال أبو العباس: مَنِينٌ، يعنى الغُبَارَ، وذلك أنها تُقَطِّعُهُ قطَعًا وراءَها. والمنِينُ: الضعيفُ المؤْذنُ بانقطاعٍ، أنشدنى التَّوَّزِىُّ عن أبى زيدٍ :

يا رِيَّها إنْ سَلِمَت يَمِينى ... وسَلِمَ السَّاقِى الذى يَلِينى

* ولم تَخُنِّى عُقَدُ المَنِين *

---

(١) صميم الخيل: قال المرصفى: «يريد بالخيل الفرسان ، وصميمها: عميدها الذى تعتمد عليه، من الصميم، وهو العظم الذى به قوام العضو».
(٢) لفظ «هو» ساقط من ر .
(٣) رمت: برحت.
(٤) خام : جبن وضعف .
(٥) سورة فصلت ٨ .
(٦) يصف خيلا . والرجع: رد الدابة يديها فى السير. وأهباء: جمع هبوة؛ يريد كأنه اهباء الزوبعة ترتفع فى الجو قاله المرصفى .

يريد الحبلَ الضعيفَ فهذا هو المعروفُ، ويقال: منينٌ ومَمْنون، كقَتيلٍ ومقتول، وجَريحٍ ومَجْروحٍ، وذكر التَّوَّزىُّ فى كتاب الأضداد أن «المنينَ» يكونُ القوىَّ، فجعله[1] «فَعيلا» من «المنَّة»، والمعروفُ هو الأول.

وقال غيرُ ابن عباس: ﴿لهم أجرٌ غيرُ مَمْنونٍ﴾ لا يَمُنُّ عليهم فَيُكدِّر عندهم.

* * *

ويُروى من غير وجه أنَّ ابنَ الأزرق أتَى ابنَ عباسٍ يومًا[2] فجعلَ يسأله[3] حتى أملَّهُ، فجعلَ ابنُ عباسٍ يُظهرُ الضَّجرَ، وطَلَعَ عمرُ بنُ عبد الله بن أبى ربيعةَ على ابن عباسٍ، وهو يومئذ غلامٌ. فسلَّم وجلسَ، فقال له ابنُ عباس: ألا تُنْشِدُنا شيئًا من شِعْرِكَ؟ فأنشدَه:

أمِنْ آل نعْمٍ أنت غادٍ فمُبْكِرُ ... غَداةَ غَدٍ أمْ رائحٌ فَمُهَجِّرُ!

بحَاجَة نَفْسٍ لم تَقُلْ فى جَوابِها ... فَتُبْلِغَ عُذْرًا والمقالة تُعْذِرُ

تَهيمُ إلى نُعْمٍ فلا الشَّمْلُ جَامعٌ ... ولا الحبْلُ موصولٌ ولا القَلْبُ مُقْصِرُ

ولا قُرْبُ نُعْمٍ إنْ دَنَتْ لكَ نافعٌ ... ولا نَأْيُها يُسْلِى ولا أنتَ تَصْبِرُ

وأُخْرى أتَتْ مِنْ دُون نعْمٍ ومثلُها ... نَهَى ذا النُّهَى لَو يَرْعَوى أو يُفكِّرُ

إذا زُرْتُ نُعْمًا لم يَزَلْ ذُو قرابة ... لها كلَّما لاقَيْتُه يَتَنمَّرُ

عزيزٌ عليه أن أمر ببابها ... فُيسرٌّ لِىَ الشَّحْناءَ والبُغْضَ مُظْهِرُ

ألكنى إليها بالسلام فإنه ... يُشَهَّرُ إلمامى بها ويُنَكِّرُ

بآية ما قالت غداة لقيتها ... بمَدْفَعِ أكْنَان أهذا المُشَهَّرُ!

قفى فانظرى يا أسم هل تعرفينه ... أهذا المُغِيرىُّ الذى كان يُذْكَرُ!

أهذا الذى أطريت نعتا فلم أكن ... وعَيْشِك أنْسَاهُ إلى يَوْمِ أُقْبَرُ

فقالت: نعم. لا شك غَيَّر لونه ... سُرَى الليلِ يُحْيى نَصَّهُ والتَّهَجُّرُ[4]

لئن كان إياه لقد حل بعدنا ... عن العَهْدِ، والإنسانُ قد يَتَغَيَّرُ

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت ... فَيضْحَى وأمَّا بالعَشِىِّ فَيَخْصَرُ

---

(١) ر. « يجعله ». (٢) ساقطة من ر.

(٣) ر. « يسائله ».

(٤) النص: ضرب من السير؛ والتهجر: السير فى الهاجرة.

حتى أتمها، وهى ثمانون بيتًا، فقال له ابنُ الأزرق: لله أنتَ يابن عباس! أنَضْربُ إليك أكبادَ الإبل نَسألُك عن الدِّين فتُعرِض، ويأتيك غلامٌ من قريش فيُنْشِدُك سَفَهًا فتسمعه! فقال: تَاللهِ ما سمعتُ سفهًا، فقال ابنُ الأزرق: أمَا أنشدكَ:

رأتْ رجُلا أمَّا إذا الشمسُ عارضتْ ... فَيَخْزَى وأمَّا بالعَشىّ فَيخْسَرُ

فقال: ما هكذا قال، إنما قال: «فَيَضْحَى وأمَّا بالعَشىِّ فيَخصَرُ» قال: أوَ تحْفَظَ الذى قال؟ قال: والله ما سمعتُها إلا ساعتى هذه، ولو شئتُ أن أرُدَّها لَرَدْدتُها، قال: فارْدُدْهَا، فأنشَدَهُ إيَّاها كلَّها[1].

* * *

ورَوى الزُّبيْريُّونَ أنَّ نافعا قال له: ما رأيتُ أرْوَى منك قَطُّ. فقال له ابنُ عباس: ما رأيتُ أرْوَى من عُمَر، ولا أعْلَمَ من عَلىٍّ.

وقوله: «فيَضْحَى» يقولُ: يَظْهَرُ للشمسِ، ويخْصَر، يقولُ: فى البَرْدَين[2]، فاذا ذكر العشىَّ فقد دلَّ على عَقيب العشىِّ، قال الله تَبارك وتعالى: ﴿**وأنَّكَ لا تظْمَأُ فيها ولا تَضْحَى**﴾[3]، والضِّحُّ: الشمسُ، وليس منْ: «ضَحِيتْ»، يقالُ: «جاء فلانٌ بالضحّ والرِّيح» يُرادُ به الكثرة، قال علْقمة:

أغَرُّ أبْرَزه لِلضِّحِّ رَاقِبُه ... مُقَلَّدٌ قُضُبَ الرَّيْحَان مَفْغُومُ

له فَغْمةٌ، أى رائحةٌ طيبةٌ، يعنى إبريقًا فيه شرابٌ. وفى الحديث أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا توجَّهَ إلى تَبُوكَ جاء أبو خَيْثَمَة، وكانت له امرأتان، وقد أعَدَّتْ كلُّ واحدة منهما من طَيبِّ ثمَر بستانه، ومَهَّدَتْ له فى ظلٍّ، فقال: أظلٌّ ممدود، وثمرةٌ طيِّبةٌ، وماءٌ باردٌ، وامرأةٌ حسناءُ، ورسولُ الله فى الضِّحِّ والرِّيح! ما هذا بخير! فركب ناقَته ومضَى فى أثره، وقد قيلَ لرسول الله ﷺ فى نَفَر تخلّفوا، أبو خَيْثَمَةَ أحدُهم، فجعل لا يُذْكَرُ له أحدٌ منهم إلا قال: دَعُوهُ فإن يُرد اللهُ به خيرًا يُلْحقْهُ بكم، فقيل ذاتَ يوم: يارسول الله، نرَى رجلا يَرْفَعُهُ الآلُ، فقال رسول الله ﷺ: «كنْ أبا خيثمةَ»، فكانه.

---

(١) ساقطة من ر .

(٢) البردان : الغداة والعشي .

(٣) سورة طه ١١٩ .

وإذا انبسطتِ الشمسُ فهو «الضُّحَى» مقصورٌ، فإذا امتدَّ النهارُ وبينهما مقدارُ ساعةٍ أو نحوُ ذلكَ فذلك «الضَحاءُ»، ممدود مفتوحُ الأول.

[الحجاج وامرأة من الخوارج]

وذكرت الرواةُ أن الحـجَّاجَ أتىَ بامرأة من الخوارج، ويحـضرته يزيدُ بن أبى مسلمٍ مـولاه، وكان يَسْتَـسِرُّ برأى الخوارجِ، فكـلَّمَ الحجاجُ المرأةَ فـأعرضت عنه، فقال لهـا يزيدُ بن أبى مسلمٍ: الأميرُ وَيْلَكِ يكلِّمُكِ! فـقالت: بل الويلُ واللهِ لك يافاسقُ الرَّدِّيُّ.

والرِّدِّيُّ عندَ الخوارج: هو الذى يَعلمُ الحقَّ من قولهم ويكتمُه.

[عبد الملك بن مروان ورجل من الخوارج]

وذكروا أنَّ عبدَ الملك بن مرْوانَ أُتىَ برجلٍ منهم فَبحَثَهُ فرأى منه ما شاءَ فهمًا ثم بحثَه، فرأى مـا شاء إرْبًا ودَهْيًا[1]، فرَغبَ فيه. فاستدعاه[2] إلى الرجوع عن مذهبه، فرآه مُـستَبْصِرًا مُحَـقِّقًا، فزاده فى الاستدعاء فـقال له: لِتُغْنكَ الأُولى عن الثانية، وقد قلتَ فـسمعتُ، فاسمَعْ أقُلْ، قال له: قُلْ. فـجعل يَبْسُطُ له من قول الخوارج ويُزَيِّن له مذهبَهم بلـسان طَلَقٍ وألفاظ بَيِّنَة ومعان قَريبة، فـقال عبدُ الملكَ بعدَ ذلك على مـعرفتـه: لقد كادَ يُوَقِعُ فى خـاطرى أن الجنة خُلقَتْ لهم، وأنَّا[3] أوْلَى بالجهاد منهم. ثم رَجَعْتُ إلى مـا ثَبَّت الله علىَّ من الحجة وقَرَّر فى قلبى من الحق. فقلتُ له: لله الآخرة والدنيا، وقد سَلَّطنا[4] الله فى الدنيا، ومكَّنَ لَنا فيها، وأراك لَسْتَ تجيب بالقبول[5]، والله لأقْتلَنَّك إن لم تطعْ.

فأنا فى ذلك إذْ دُخِلَ علىَّ بابْنى مروانَ .

قال أبو العـباس : كان مـروان أخًا يزيدَ لأمِّه، أُمُّـهُمَا عـاتكة بنت يَزيدَ بن معـاويةَ، وكان أبيًّا عَزيزَ النَّفس، فَـدُخِلَ به فى هذا الوقت على عبد الملك باكـيًا لضرب المؤدِّب إياهُ، فشَق ذلك على عـبد الملك، فأقبلَ الخارجىُّ، فـقال له: دَعْهُ يبكى[6]؛ فإنه أرحبُ لشِـدقِه، وأصَحُّ لدماغه، وَأذْهَبُ لِصَـوْته، وأحْرَى ألا تأبَى

---

(١) الأرب: البصر بالأمور، والدهى، مصدر دهى، كرضى؛ إذ كان صاحبه عاقلا مجربا.

(٢) كذا فى الأصل، س، وفى ر : «واستدعاء».

(٣) ر : « وأبى »

(٤) ر : « سلطنى » .

(٥) ر : « بالقول » .

(٦) ر : « يبك » وكلاهما جائز .

عليه عينُه إذا حضرتْه طاعةُ الله[1]، فاستَدْعَى عبْرَتَهَا، فأعْجَب ذلك من قوله عبدَ الملك، فقال متعجبًا: أما يَشغَلُكَ ما أنت فيه وبعَرَضه عن هذا! فقال ما ينبغى أن يَشْغَلَ المؤمنَ عن قول الحقِّ شيءٌ، فأمر عبد الملك بحبسه، وصَفَحَ عن قتله، وقال بعدُ يعتذرُ إليه: لولا أن تُفْسد بألفاظك أكثر رعيتى ما حَبَسْتُك.

ثم قال عبدُ الملك: من شكَّكنى وَوَهَّمَنى حتى مالتْ بى عصمة الله فغيرُ بعيدٍ أن يَستَهْوِىَ مَنْ بَعْدِى. وكان عبد الملك من الرأىِ والعلمِ بموضعٍ.

وفود رجل من أهل الكتاب على معاوية

وتَزْعُم الرواةُ أنَّ رجلا من أهل الكتاب وفدَ على معاويةَ، وكا موصوفًا بقراءة الكُتبِ. فقال له معاويةُ: أتجدُ نعتى فى شىءٍ من كتبِ الله؟ قال: إى والله، لو كنتَ فى أُمَّة لوضعتُ يَدى عليكَ من بينهم. قال: فكيفَ تجدنى؟ قال: أجدُك أولَ مَنْ يَحَوِّلُ الخلافةَ مُلْكًا، والخُشْنَةَ لينًا، ثم إن ربَّك من بعدها لغفورٌ رحيمٌ، قال معاوية: فَسُرِّى عنىِّ، ثم قال: لا تَقْبَلْ هذا منِّى، ولكن من نفسك، فاجْتَبِ[2] هذا الخبرَ. قال: ثم يكونُ ماذا؟ قال: ثم يكونُ منك رجلٌ شَرَّابٌ للخمرِ، سَفَّاكٌ للدماء، يَحْتَجن الأموال[3]، ويَصْطَنعُ الرجالَ، ويَجْنُبُ[4] الخيولَ، ويُبيحُ حُرْمَةَ الرسول[5]، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم تكونُ فتنة[6] تَتَشَعَّبُ بأقوامٍ حتى يُفْضَى الأمرُ بها إلى رجلٍ[7] أعرفُ نعتَه، يبيع الآخرةَ الدائمةَ بحظٍّ من الدنيا مخْسُوسٍ، فيجتمع عليه من آلك وليس منك، لا يزالُ لعَدُوِّه قاهرًا، وعلى مَنْ ناوأه[8] ظاهرًا، ويكون له قرينٌ[9] مبير[10] لَعين. قال: أفتعرفه إن رأيته؟ قال:

---

(١) ر : « طاعة ربه » .

(٢) ر : فاختبر، ويقال: اجتبيت الخراج اجتباء، أى جمعته.

(٣) احتجن الشىء أخذه وحبسه.

(٤) يجنب الخيل: يقودها إلى ما يركب منها اختيالا وعجبا بها.

(٥) قال المرصفى: «ذلك ما كان من قتل الحسين ومن معه من فتيان بنى هاشم وإهانة آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا».

(٦) هى الفتنة التى وقعت بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية؛ وافتراق الناس فرقتين، فريق يدعو إلى ابن الزبير. وفريق يدعو إلى بنى أمية.

(٧) قال المرصفى: «يريد به عبد الملك بن مروان: ولم يذكر معاوية بن يزيد ولا مروان لقصر مدتهما».

(٨) ناوأه : عاداه .

(٩) يريد به الحجاج بن يوسف، قاله المرصفى .

(١٠) مبير : مهلك ، وفى س : « مبين » .

شَدما، فأراه من بالشام من بنى أُمية، فقال: ما أراه هاهنا، فوَجَّه به إلى المدينة مع ثقات من رُسُله، فإذا عبدُ الملك بن مروان يَسعَى مُؤتزرًا فى يده طائرٌ، فقال للرُّسلِ: هاهوذا! ثم صاح به: إلىَّ أبو من؟ قال: أبو الوليد. قال: يا أبا الوليد، إنْ بَشَّرْتكَ ببِشَارَة تَسرُّك ما تَجْعَلُ لى؟ قال: وما مقدارُها من السرور حتى نَعْلَمَ مقدَارها من الجُعلِ؟ قال: أنْ تَمْلكَ الأرضَ، قال: ما لى من مَال، ولكن أرأيت[1] إن تكَلَّفْتُ لك جُعْلا، أأنَالُ ذلك قبلَ وقته؟ قال: لا، قالَ: فإن حَرَمْتُكَ، اتُؤَخِّرُه عن وقته؟ قال: لا، قال: فحسبُك ما سمعتَ.

فذكروا أنَّ معاوية كان يُكْرِمُ عبد الملك ليجعلها يَدًا عندَه يُجَازيه بها فى مخلَّفته[2] فى وقته.

وكان عبد الملك من أكثر الناس علمًا، وأبرَعهم أدبًا، وأحسنهم فى شَبِيبَته ديانة، فقَتَلَ عمْرَو بن سعيد، وتَسمَّى بالخلافة، فَسُلِّمَ عليه بها أوَّل تَسليمةٍ، والْمُصْحَفُ فى حِجْرِه، فأطبقَهُ وقال: ﴿هذا فِرَاقُ بينى وبَيْنك﴾.

[صديق عبد الملك بن مروان]

قال أبو العباس: وحدثنى ابنُ عائشَ عن حَمَّاد بن سَلَمة فى إسناد ذكره: أن عبدَ الملك كان له صَديقٌ، وكان من أهل الكتاب، يقال له يوسفُ، فأسْلَمَ، فقال له عبد الملك يومًا، وهو فى عُنْفوَان نسكه، وقد مضت جيوشُ يزيد بن معاويةَ مع مسلم بن عُقْبَةَ المُرِّىِّ، من مُرَّة غَطَفَانَ، تريدُ المدينة ـ ألا تَرَى خَيْلَ عَدُوِّ الله قاصدةً لحَرَمِ رسول الله ﷺ؟ فقال له يوسفُ: جيشُكَ والله إلى حَرَمِ رسول اللهَ أعظمُ مَن جيشه. فَنَفَضَ عبد الملك ثوبَه ثم قال: مَعَاذَ الله! قال له يوسفُ: ما قلتُ شاكًّا ولا مُرْتَابًا، وإنى لأَجدُكَ بجميع أوصافك، قال له عبد الملك: ثم ماذا؟ قال: ثمَّ يَتَدَاوَلها رَهْطُك، قال: إلى متى؟ قال: إلى أن تَخرج الراياتُ السُّود من خُراسانَ.

[حديث ابن جعدبة للمنصور]

قال: وَحُدِّثْتُ عن ابن جُعْدُبة، قال: كنتُ عندَ أميرِ المؤمنين المنصور، فى اليوم الذى أتاه فيه خروجُ محمد بنِ عبد الله بن حَسن بن حَسن، قال: فَغَمَّهُ

(١) ر: « أرأيتك ».

ذلك، حتى امتنع من الغَدَاء فى وقته، وطال عليه فِكْرُهُ، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، أُحَدِّثُكَ حديثًا: كُنْتُ مع مروانَ بن محمد وقد قَصَدَه عبد الله بن علىٍّ، [قال][1]: فإنَّا لكذلك إذ نظَرَ إلى الأعلام السُّود من بعْد، فقال: ما هذه البخْتُ المجَلَّلة[2]؟ قلت: هذه أعلامُ القوم. قال: فَمَنْ تحتَها؟ قلت: عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس، قال: وأَيُّهُمْ عبد الله؟ قلت[3]: الفتى المعْرُوقُ[4] الطويلُ، الخفيفُ العارِضَيْنِ، الذى رأيتَه فى وَليمة كذا يأكلُ فيُجِدُ، فسألْتَنى عنه فنسَبْتُهُ لكَ، فقلت: إنَّ هذا الفَتى لَتلقَّامَة[5]، قال: قد عرفْتُه؛ والله لوَدِدْتُ أَنَّ علىَّ بن أبى طالب مكانَه، قال: فقال لى المنصورُ: آللهِ لسمعتَ هذا من مروانَ بن محمد؟ قلت: والله لقد سمعتُهُ منه. قال: يا غلامُ، هات الغَدَاء.

[قتال أهل النخيلة]

قال أبو العباس: وكان أهل النُّخَيْلَة جَماعةٌ بعدَ أهل النَّهْرَوَان، ممن فارق عبد الله بن وَهْب، وممن لَجَأَ إلى راية أبى أيوبَ، وممن كان أقامَ بالكوفة، فقال: لا أُقاتلُ عليًّا، ولا أقاتلُ معه. فتوَاصَوْا فيما بينَهم وتعاضدُوا، وتأسَّفُوا علي خذْلاتهمْ أصحابَهُمْ. فقام منهم قائمٌ يقال له المسْتَوْرِدُ، من بنى سعد بن زيد مَنَاة، فحمدَ الله وأثنى عليه وصلَّى على محمد، ثم قال: إنَّ رسول الله ﷺ أتانا بالعدل تَخْفقُ راياتُه. معليًا مقالتَه. مبَلِّغًا عن ربِّه، ناصحًا لأُمَّته، حتى قبضَه الله مُخَيَّرًا مُخْتَارًا، ثم قام الصِّدِّيقُ فَصَدَقَ عن نبيِّه، وقاتَلَ من ارْتَدَّ عن دين ربِّه، وذَكَرَ أنَّ الله عزَّ وجلَّ قَرَنَ الصلاةَ بالزكاة، [6]فرأى تعطيل إحداهما طعنًا[6] على الأخرى، لا بل على جميع منازل الدين ثم قبَضه الله إليه موفورًا، ثم قام بعده[7] الفاروقُ، ففَرَّقَ بين الحقِّ والباطلِ، مُسَوِّيًا بينَ الناسِ فى إعطائه، لا مُؤْثِرًا لأقاربه،

(1) تكملة من س.

(2) البخت: جمع بختى؛ وهى الإبل الطويلة الأعناق. والمحللة: المغطاة بما يزينها.

(3) ر: «فقلت».

(4) المعروق: القليل اللحم.

(5) التلقامة: الكثير الأكل.

(6-6) ر: «فرأى أن تعطيل إحداهما طعن علي الأخرى». وما أثبته عن الأصل. س.

(7) ساقطة من ر.

ولا مُحكِّمًا فى دين ربّه. وها أنتم تعلمون ما حَدَثَ ، والله يقول: ﴿وَفَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدينَ عَلى القَاعدينَ أَجْرًا عَظيما﴾[1]، فكلٌّ أجاب وبَايَعَ.

فوَجَّهَ إليهم عليٌّ بن أبى طالب عبدَ الله بن العباسِ داعيًا، فأبْوا فسارَ إليهم، فقال له عَفيفُ بن قَيْسٍ: يا أميرَ المؤمنين، لا تَخْرُجْ فى هذه الساعة؛ فإنها ساعة نَحْسٍ لعدوّك عليك؛ فقال له علىٌّ: توكلتُ على الله وحده، وعَصَيْتُ رأْىَ كلِّ مُتَكَهِّن. أنتَ تزعم أنك تعرف وقتَ الظَّفَرِ من وقت الخذْلان، ﴿إِنّى توكلت عَلى الله ربّى وَرَبّكُمْ مَا مْن دَابّة إلا هُوَ آخذٌ بناصيتها إن رَبِّى عَلى صرَاط مُسْتَقيم﴾[2]، ثم سار إليهم فطَحَنهم جميعًا، لمَ يُفْلَتَ منهم إلا خَمْسَةٌ، منهم المسْتَوْرِدُ، وابنُ جُوَينٍ الطائىُّ، وفَرْوَةُ بن شَرِيك الأشْجَعِىُّ، وهُمُ الذين ذكَرهُمُ الحسنُ البصرىُّ، فقال: دعاهُمْ إلى دينِ الله فجعَلوا أصابعهم فى آذانهم واَسْتَغْشَوْا ثيابَهم وأصَرُّوا واستكبرُوا استكبارًا، فسار إليهم أبو حَسَنٍ فطَحَنَهم طَحْنًا.

* * *

وفيهم يقول عمْرَانُ بن حطَّانَ :

إنى أُدينُ بما دانَ الشُّراةُ به ... يومَ النُّخَيْلةِ عندَ الجَوْسَقِ الخربِ[3]

وقال الحِمْيَرىُّ يعارضُ هذا المذهبَ :

إنى أَدينُ بما دانَ الوصىُّ به ... يوم النُّخَيْلَة من قَتْلِ المُحلينَا
وبالذى دانَ يومَ النَّهْرِدنْتُ به ... وشاركت كَفَّهُ كفِّى بصفِّينَا
تلك الدّماءُ مَعًا يا ربِّ فى عُنُقِى ... ومِثْلَها فاسْقِنى آمين آمينَا

[مناظرة أهل النخيلة لابن عباس]

وكان أصحابُ النُّخَيْلَة قالوا لابن عباسٍ : إن كان[4] عَلِىٌّ عَلى حَقٍّ لم يَشُكُكْ فيه. وحَكَّمَ مُضْطَرًّا! فما بَالُهُ حيث ظَفَرَ لم يَسْبِ! فقال لهم ابن عباس: قد سمعتم الجوابَ فى التحكيم، فأمَّا قولكم فى السِّبَاءِ، أفكُنْتُمْ سَابِينَ أُمّكم

(١) سورة النساء ٩٥ . (٢) سورة هود ٥٦ .

(٣) الحوسق الخرب : بظاهر الكوفة عند النخيلة، والبيت فى معجم البلدان (٣ : ١٧) من أبيات نسبها إلى قيس بن الأصم الضّبى .

(٤) ر . « إذ كان » .

عائشةَ! فوضعوا أصابعَهُمْ في آذانهم، وقالوا: أَمْسِك عَنَّا غَرْبَ لسانكَ يا بن عباس! فإنه طُلَقٌ ذُلَقٌ، غَوّاصٌ على موضع الحجَّة. ثمَّ خَرَجَ المسْتَوْرِدُ بعدَ ذلك بمُدّةٍ على المغيرَة بن شُعْبَةَ، وهو والي الكوفة، فوَجَّهَ إليه مَعْقِلَ بن قَيْس الرِّياحيّ، فدعاه المستوردُ إلى المبارزة، وقال له: عَلاَمَ يُقتَلُ الناس بيني وبينكَ؟ فقال له مَعْقِلٌ: النَّصَفَ سألت. فأَقْسَم عليه أصحابُه. فقال: ما كنتُ لآبى عليه، فخرج إليه فاختلفا ضَرْبَتَيْن، فخرَّ كلٌّ واحدٍ منهما مَيّتًا.

[المستورد التيمي]

وكا المسْتَوْرِدُ كثير الصلاةِ شديد الاجتهادِ، وله آدابٌ يُوصِي بها، وهي محفوظةٌ عنه.

كان يقول: إذا أَفْضَيْتُ بسِّري إلى صَديقي فأفشاه لم أَلُمْهُ، لأني كنتُ أَوْلى بحفظه.

وكان يقولُ: لا تُفْش إلى أَحدٍ سِرًّا، وإن كان مُخْلصًا، إلا على جهة المشاورة.

وكان يقولُ: كُنْ أَحْرَصَ على حفظ سرٍّ صاحبك منك على حَقْنِ دمك.

وكان يقول: أوَّلُ ما يَدُلُّ عليه عائبُ الناس مَعْرفتُهُ بالعيُوب، ولا يعيب إلا مَعيب.

وكان يقول: المالُ غيرُ بَاقٍ عليك فاشْتَرِ من الحَمْد مَا يَبْقى عليك.

وكان يقول: بَذْلُ المال في حَقّه استدعاءٌ للمَزيد من الجَواد.

وكان يكْثُر أن يقولَ: لو مُلِّكْتُ الأرضَ بحذافيرِها، ثم دُعيتُ إلى أن أَسْتَفيدَ بها خَطيئةً ما فعلتُ.

[الخوارج ومعاوية]

قال: وخَرَجت الخوارجُ، واتَّصَلَ خُرُوجُها، وإنما نَذْكر منهم مَن كان ذا خبرٍ طريفٍ، واتَّصَلَتْ به حِكَمٌ من كلامٍ وأشعار.

فأَوَّلُ مَنْ خَرَج بعد قتل علي بن أبي طالب عليه السلام حَوْثَرَةُ الأسَديُّ. فإنه كان مُتنحيًا بالْبَنْدَنيجَيْن[1]، فكتب إلى حابسٍ الطائيِّ يسأله أن يَتَوَلَّى أَمرَ

(١) البندنيجين . بلفظ المثنى · بلد في طرف النهروان من أعمال بغداد .

الخوارج حتى يسير إليه بجمْعه، فَيَتعَاضدا على مجاهدة معاوية، فأجابه فرَجَعَا إلى موضع أصحاب النُّخَيْلة، ومعاوية بالكوفة حيثُ دَخلها مع الحسن بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، بعدَ أنْ بايَعَه الحسنُ والحسينُ عليهما السلام وقَيْسُ ابن سَعْد بن عُبادة.

ثم خَرج الحسنُ يريدُ المدينةَ، فوَجَّه إليه معاويةُ وقد تَجَاوَزَ فى طريقه يسأله أن يكون المتَولِّىَ لمحاربتهم، فقال الحسنُ: والله لقد كَفَفْتُ عنك لحقن دماء المسلمينَ، ولا أَحْسبُ ذلك يَسعُنى، أَفأُقَاتلُ عنك قومًا أنتَ والله أَوْلى بالقتال منهم! فلمَّا رَجَعَ الجَوابُ إليه وجَّه إليهم جيشاً[١] أكثره أهل الكوفة[١]. ثم قال لأبيه أبى حَوْثَرة: قم فاكفنى[٢] أمرَ ابنكَ فصار إليه أبوه فدعاه إلى الرجوع، فأبى فأدَارَه، فَصَمَّمَ، فقال له: يا بُنَيَّ أَجيئك بابْنكَ فلعلك تراه فَتحنُّ إليه؟ فقال: يا أبت، أنَا والله إلى طَعْنَة نافذة أَتَقلَّبُ فيها على كُعوب الرُّمح أَشْوَق منِّى إلى ابنى! فَرجَع إلى معاويةَ فأَخْبَرَه الخَبر[٣]، فقال: يا أبا حَوْثَرَة، عتَا[٤] هذا جداًّ!

فلما نَظَرَ حَوْثَرة إلى أهلِ الكوفة قال: يا أعداءَ الله، أنتم بالأمس تُقاتلون مُعاويةَ لتَهُدُّوا سلطانَه، واليومَ تقاتلون مع معاوية لتشُدُّوا سلطانه!

فخرج إليه أبوه فدعاه إلى البرَاز، فقال: يا أبت، لك فى غيرى مَنْدوحةٌ، ولى فى غبرك عنك مَذْهَبٌ، ثم حَمَل على القوم وهو يقولُ:

أُكْرُرْ على هذى الجموعِ حَوْثَرَهْ ... فعَن قليلٍ مَا تُنَالُ المَغْفِرَهْ

فَحَمَل عليه رجلٌ من طَيِّئ[٥] فقتَله، فرأى أَثَر السجود قد لوَّحَ جبهتَه، فندمَ على قتله، ثم انهزم القومُ جميعًا.

* * *

وأنا أحسبُ أنَّ قولَ القائل:

وأَجْرأُ مَنْ رأيْتُ بظَهْر غَيْبٍ ... على عَيْبِ الرجالِ ذوُو العُيوبِ

(١-١) ر: جيشا أكثرهم من أهل الكوفة.

(٢) ر «اكفنى أمر ابنك».

(٣) ساقطة من ر.

(٤) عتا: استكبر.

(٥) نقل المرصفى عن ابن الأثير أنه عبد الله بن عوف قائد ذلك الجيش

إنما أخذه من كلام المستوردِ، قال رجلٌ للمستورد: أُريدُ أن أرَى رجلا عَيَّابًا، قال: الْتَمِسْهُ بِفَضْلِ مَعايبَ فيه.

* * *

وقال العباسُ بن الأحْنَف يعاتبُ من اتهمه بإفشاءِ سِرِّهِ:

تَعَتَّبْتَ تَطلُبُ ما أَسْتَحِقُّ ... به الهجرَ منك ولا تَقْدرُ
وماذا يضيرُكَ من شُهْرَتى(1) ... إذا كان سِرُّك لا يُشْهَرُ
أمنِّى تَخَافُ انتشارَ الحديث ... وحَظِّىَ فى سَتْرِه أوْفَرُ
ولَو لم تَكُن فِىَّ بقيا عليكَ ... نَظَرْتُ لنَفْسِى كما تَنْظُرُ

[من أخبار مقتل الإمام علي، ووصيته لأبنائه]

ويُرْوَى عن حديث محمد بن كعب القرظى قال: قال عَمَّارُ بن ياسرٍ: خَرَجْنَا مع رسول الله ﷺ فى غزوة ذات العُشَيْرَة فلما قَفَلْنَا نزلنا مَنْزِلا، فخرجتُ أنا وعلىٌّ بن أبى طالب صلواتُ الله عليه نَنْظُرُ إلى قومٍ يَعْتَملُونَ، فَنَعَسْنَا فَنِمْنَا، فَسَفَتْ علينا الريحُ التُّرَابَ، فما نَبَّهَنَا إلا كلامُ رسول الله ﷺ، فقال لعَلىٍّ: «يا أبا تَراب - لما عليه من التراب - أتَعلَمُ مَنْ أشْقَى الناسِ؟» فقال: خَبِّرْنى يا رسول الله؟ فقال: «أشْقَى الناسِ اثنان: أحْمَرُ ثَمُودَ الذى عَقَرَ الناقةَ، وأشقاها الذى يَخْضِبُ هذه» - وَوَضَعَ يدَه على لحيته - «منْ هذا»، ووضع يدَه على قَرْنِه.

* * *

وَيُرْوَى عن عيَاض بن خَليفةَ الخزاعى قال: تَلَقَّانى علىٌّ صلواتُ الله فى الغلَسِ، فقال لى: مَنْ أنْتَ؟ قلتُ: عياضُ بن خليفةَ الخزاعىُّ، فقال: ظننتك أشقاها الذى يَخْضِبُ هذه مِن هذا - وَوَضَعَ يده على لحيتِهِ وعلى قَرْنِه.

* * *

وَيُرْوَى: أنه كان يقول كثيرًا - قال أبو العباسِ: أحسبُه عند الضَّجَرِ بأصحابه -: ما يَمْنَعُ أشقاها أنَّ يُخَضِّبَ هذه مِن هذا!

* * *

(1) ر «يصرك» بتشديد الراء.

ويُرْوَى عن رجلٍ من ثَقيف أنه خَرَجَ الناسُ يَعْلِفُونَ دوابَّهم بالمدائن وأرادَ عليٌّ أمير المؤمنين المسيرَ إلى الشام، فَوجَّه مَعْقلَ بن قيس الرِّياحىّ ليُرْجعَهُمْ إليه - وكان ابنُ عَمٍّ لى فى آخر من خَرَجَ - فأتيتُ الحسن بن علىٍّ عليه السلام ذاتَ عَشيَّة، فسألْتُه أن يأخُذَ لى كتابَ أمير المؤمنين إلى مَعْقلِ بن قَيْسٍ فى التَّرْفيه[1] عن ابن عَمِّى، فإنه فى آخرِ مَنْ خَرجَ، فقال: تَغدُو علينا والكتابُ مختومٌ إن شاء الله تعالى. فبتُّ ليلتى ثم أصبحتُ الناسُ يقولون: قُتلَ أميرُ المؤمنين الليلةَ. فأتيتُ الحسنَ، وإذا به فى دار علىٍّ عليه السلام، فقال: لولا ما حَدَثَ لَقَضَيْنَا حَاجَتَكَ، ثم قال: حدّثنى أَبى عليه السلام البارحةَ فى هذا المسجد فقال: يا بُنَىَّ إنى صَلَّيتُ مَا رَزَقَ الله. ثم نمتُ نومة، فرأيتُ رسول الله ﷺ، فَشكَوْتُ إليه ما أنا فيه من مخالفة أصحابى وَقلَّة رغبتهم فى الجهاد، فقال: ادْعُ الله أن يُريحك منهم. فدعوتُ الله، قال الحَسَنُ: ثم خرج إلى الصلاة فكان ما قد علمتَ.

***

وَحُدِّثْتُ من غير وَجْه أن عليًّا لمَّا ضُربَ ثم دَخَل منزله اعترته غَشْيَةٌ ثم أفاقَ، فدعا الحسنَ والحسَيْنَ فقال: أوصيكُما بتَقْوَى الله والرَّغْبَة فى الآخرة، والزُّهْد فى الدنيا، ولا تأسفَا على شىء فاتَكُما منها، اعْمَلا الخيرَ، وكونا للظالم خَصمًا. وللمظلوم عَوْنًا. ثم دَعا محمداً فقال: أما سمعتَ ما أوْصَيْت به أَخَوَيْكَ؟ قال: بَلَى، قال: فإنى أوصيك به، وعليك ببِر أخَوَيْك وتوْقيرهما ومعرفة فَضْلهمَا، ولا تَقْطَعْ أَمرًا دُونَهمَا، ثم أَقْبَلَ عليهما فقال: أوصيكما به خيرًا، فإنه شَقيقُكما وابنُ أبيكما، وأنتما تَعْلَمَان أَنَّ أَباكُما كان يُحبُّهُ، فأَحبَّاه، فلمَّا قَضَى علىٌّ كرم الله وجهه، قالتْ أُمُّ الْعُرْيَان:

وكُنَّا قَبْلَ مَهْلَكه زمانًا	نَرَى نَجْوَى رسول الله فينَا
قَتلْتُمْ خَيْرَ من ركَبَ المطايا	وَأَكْرمَهُمْ وَمَنْ رَكبَ السَّفينَا
أَلا أَبْلغ مُعَاويةَ بنَ حَرْبٍ	فلا قَرَّتْ عُيونُ الشَّامتينَا

***

(١) الترفيه : التنفيس

ويُرْوَى أَنَّ عبد الرحمن بن مُلْجَم باتَ تلك الليلة عند الأشْعَث بن قَيْسٍ بن مَعْدى كَرِبَ، وأَنَّ حُجْرَ بن عَدىٍّ سمعَ الأشعثَ يقولُ له: فَضَحَكَ الصُّبْح، فلمَّا قالوا: قُتِلَ أميرُ المومنين، قال حُجْر بن عَدىٍّ للأشعث: أنت قتلتَه يا أعورُ!

ويُرْوَى أَنَّ الذى سمع ذاكَ أَخُو الأشعثِ، عَفِيفٌ بن قيسٍ، وأنه قال لأخيه: عَنْ أمركَ كانَ هذا يا أعورُ!

* * *

وأخبارُ الخوارجِ كثيرةٌ طويلةٌ، وليس كتابُنا هذا[١] مفردًا لهم، ولكنَّا[٢] نذكر من أمورهم ما فيه معنًى وأدبٌ، أو شعرٌ مُستَطْرَفٌ، أو كلامٌ من خُطْبةٍ معروفةٍ مختارةٍ.

[الخوارج وزياد]

خَرَجَ قُرَيْبُ بن مُرَّةَ الأزْدىُّ وَرَحَّافٌ الطائىُّ ـ وكانا مجتهدَيْنِ بالبصرةِ فى أيام زياد، واختلفَ الناسُ فى أُمورهما : أَيُّهما كان الرئيس ـ فاعترضَا الناسَ، فَلَقِيَا شيخًا ناسكا من بنى ضُبَيْعَةَ بن ربيعة بن نِزَار، فقتلاهُ، وكان يقالُ له: رُؤْبَةُ الضَّبَعِىُّ ، وتَنَادَى الناسُ، فخرج رجلٌ من بَنى قُطَيَعة من الأزد وفى يده السيفُ، فناداه الناسُ من ظُهور البُيُوت: الحُروريَّةَ الحروريَّةَ! انجُ بنفسك. فَنَادَوْهُ: لسنا حَرُوريَّةً، نَحْنُ الشُّرَطُ، فوقف فقتلوهُ. وبَلَغَ أبا بلال خَبَرُهُمَا، فقال: قُرَيْبٌ، لا قَرَّبَهُ الله من الخير، وَرَحَّافٌ، لا عَفَا الله عنه، ركباها عَشْوَاءَ مُظْلِمَةً ـ يريد اعتراضهما الناسَ ـ ثم جعَلا لا يَمُرَّانِ بقبيلة إلا قتلا مَنْ وَجَدَا، حتى مَرَّا ببنى علىٍّ بن سُود من الأزْد، وكان فيهم مائةٌ يجيدُون الرمْىَ، فَرَمَوْهُ رَمْيًا شديدًا، فصاحوا: يا بنى علىٍّ! البُقْيا، لا رِمَاءَ بَيْنَنَا، فقال رجلٌ من بنى علىٍّ:

لا شىء لِلْقَوْمِ سِوَى السِّهَامِ ... مَشْحُوذة فى غَلَس الظَّلَامِ[٣]

فَعَرَّدَ عنهم[٤] الخوارجُ، وخافُوا الطَّلَبَ، فاشْتَقُّوا مقبَرَة بنى يَشكرَ، حتى نَفَذُوا إلى مُزَيْنَةَ، ينتظرون من يَلْحَقُ بهم من مُضَرَ وغيرها، فجاءهُم ثمانون،

(١) ساقطة من ر .
(٢) « لكنا » .
(٣) شحذ السيف : إجلاؤه .
(٤) عرد الرجل تعريدا ، إذا عدا فزعا .

وخرجت إليهم بنو طاحِيَةَ بن سُودٍ وقبائلُ مُزَيْنَةَ وغيرها، فاستَقْتَلَ الخوارجُ فقتلوا عن آخرِهِم.

ثم غدَا الناسُ إلى زياد فقال: ألا يَنْهَى كلُّ قومٍ سُفهاءَهُمْ! يا معشرَ الأزد، لولا أنكم أطفأتم هذه النارَ لقلتُ: إنَّكُمْ أَرَّثْتُموهَا. فكانت القبائل إذا أحَسَّتْ بخارِجيَّةٍ فيهم شدَّتهُمْ وَثَاقًا[١]، وأَتَتْ بهم زيادًا، فكان هذا أحَدَ ما يذْكَرُ من صحة تدبيره.

* * *

وله أُخْرَى في الخوارج. أَخْرَجُوا معه امرأة، فَظَفَرَ بها فقتلها، ثم عَرَّاها. فلم تَخْرُجِ النساءُ بعد علي زيادٍ، وكنَّ إذا دُعِينَ إلى الخروج قُلْنَ: لولا التعرِيةُ لسارعْنَا.

[قتل مصعب لامرأة المختار]

ولـمَّا قَتَلَ مصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ بنت النُّعْمَان بن بشيرٍ الأنصارية، امرأة المختَار - وليس هذا من أخبار الخوارج - أنكره الخوارجُ غايةَ الإنكار، ورَأَوْه قد أتى بقتل النساء أمرًا عظيما، لأنَّه أتى ما نَهَى عنه رسول الله ﷺ في سائر نساء المشركين. وللْخَواصِّ منهنّ أخبارٌ، فقال عمرُ بن عبدِ الله بن أبي رَبيعةَ:

إنَّ منْ أَعْظَمِ الكبائر عندي ... قتلَ حَسْنَاءَ غادةٍ عطْبُولِ[٢]
قُتِلَتْ باطلا على غيرِ ذَنْبٍ ... إن لله دَرَّهَا من قتيلِ!
كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا ... وعلى المحْصَنَاتِ جَرُّ الذُّيولِ[٣]

* * *

قال: وكان[٤] الخوارجُ أيامَ ابن عَامرٍ أخرجوا معهم امرأتين، يقال لإحداهما كُحَيْلةُ، والأخرى قطَامِ، فجعل أصحابُ ابن عامرٍ يعَيِّرونَهم ويصيحون بهم: يا أصحابَ كُحَيْلَة وقطامِ! يُعَرِّضون لهم بالفجورِ، فتناديهم الخوارجُ بالدَّفْعِ والرَّدْعِ، ويقولُ قائلهم: لا تَقْفُ ما ليس لك به علمٌ.

* * *

(١) ساقطه من ر.
(٢) العطبول: المرأة التامة الخلق.
(٣) المحصنات: العفيفات.
(٤) ر: «وكانت».

ويُرْوَى عن ابن عبّاس فى هذه الآية: ﴿والَّذِينَ لا يَشْهدُونَ الزُّور وإذا مَرُّوا باللَّغْوا مَرُّوا كرَامًا﴾[1]، قال: أعيادُ المشركين، وقال ابن مسعود: الزُّورُ: الغنَاءُ، فقيلَ لابن عباس: أوَ ما هذا فى الشهادَة بالزُّور! فقال: لا، إنما آية شهادة الزُّور: ﴿ولا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ به علْمٌ إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفؤَادَ كلُّ أُولئكَ كانَ عَنْهُ مَسئُولا﴾[2].

[عبيد الله بن زياد والخوارج]

عاد الحديث إلى أمرِ الخوارجِ.

وكانت[3] من المجتهدات من الخوارج - ولو قُلت: من المجتهدين. وأنت تعْنِى امرأةً كان أفصحَ، لأنك تريدُ رجالات ونساءً هى إحداهم، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَصَدَّقَتْ بكَلمَات ربِّهَا وكُتبه وكَانَت منَ الْقَانتين﴾[4] وقال جَلَّ ثناؤُه: ﴿إلا عَجُوزًا فى الْغَابرين﴾[5] - منهما البَلْجاءُ وهى امرأةٌ من بنى حَرام بن يَربوع ابن حَنْظلةَ بن مالك بن زيدِ مناةَ بن تميمٍ، من رَهَط سجاحٍ، التى كانت تنَبَّأت وسنذكُر خبرها فى موضعه إن شاء الله. وكان مرْداس بن حُدَيْر أبو بلال، وهو أحدُ بنى ربيعةَ بن حَنْظَلَةَ تُعْظمُه الخوارجُ، وكان مجتهدًا كثيرَ الصواب فى لفظه، فلَقيه غَيْلانُ بن خَرَشَةَ الضَّبِّىُّ، فقال: يا أبا بلال! إنّى سَمعْتُ الأميرَ البارحةَ عُبَيْدَ الله بن زياد يذكر البلجاءَ، وأحْسبُها ستُؤخذ، فمضَى إليها أبو بلال، فقال لها: إنَّ الله قدْ وَسَّعَ على المؤمنين فى التَقيَّة[6] فاستَتَرى؛ فإنَّ هذا المسْرفَ على نفسه، الجبارَ العنيد قد ذكرك، قالت: إن يأخذْنى فهو شقَى بى، فأمّا أنا فما أُحبُّ أن يُعَنَّتَ إنْسَانٌ بسببى.

فوَجَّه إليها عبيدُ الله بن زياد، فأُتى بها فَقَطعَ يديها ورجْلَيْها، ورمَى بها فى السُّوق، فمرَّ أبو بلال والناسُ مجتمعون، فقال: ما هذا؟ فقالوا: البَلْجاءُ، فَعَرَّجَ إليها فَنَظَرَ، ثمَّ عَضَّ على لحيَته، وقال لنفسه: لَهذه أطيبُ نفسًا عن بقية الدنيا منكَ يامرداسُ.

* * *

---

(١) سورة الفرقان ٢٢ .
(٢) سورة الإسراء ٣٦ .
(٣) ر : « وكان » .
(٤) سورة التحريم ١٢ .
(٥) سورة الشعراء ١٧١ .
(٦) التقية : حفظ النفس بما يستطاع من المكروه.

ثمَّ إنَّ عبيد الله تتبع الخوارجَ فحبسهم، وحبس مِرْدَاسًا، فَرأى صاحب السجن شدَّة اجتهاده وحلاوة منطقه فقال له: إني أرى لك مذهبا حسنا، وإني لأُحبُّ أنْ أُولِيَكَ معروفا؛ إنْ تركْتُكَ تَنْصرفُ ليلا إلى بيتكَ، أتدَّلِجُ[1] إليَّ؟ قال نعم. فكان يفعلُ ذلك به.

ولجَّ عُبيدُ الله في حبس الخوارج وقتلهمْ، فكُلِّم في بعض الخوارج فَلَج وأبى، وقال: أَقْمَع النِّفاقُ قَبْلَ أن يَنْجُمَ[2]. لَكَلامُ هؤلاء أَسَرعُ إلى القلوبِ من النار إلى اليراعِ[3].

فلما كان ذات يوم قَتَلَ رجلٌ من الخوارج رجلا من الشُّرَط، فقال ابنُ زياد ما أدْرى ما أصنعُ بهؤلاء! كلما أمرتُ رجلا بقتل رجلٍ منهم فَتَكُوا بقاتله! لأَقْتُلَنَّ من في حَبْسى منهم. فأخْرَجَ السجَّانُ مرداسًا إلى منزله كما كان يفعلُ، وأتَى مرداسًا الخبرُ، فلما كان السَّحَرُ تهيَّأَ للرجوع، فقال له أهلُه: اتَّقِ الله في نفسك فإنك إن رَجَعْتَ قُتِلْتَ. فقال: إنى ما كنْتُ لألْقَى الله غادرًا. فرجعَ إلى السَّجان فقال: إنى قد علمتُ ما عَزَم عليه صاحِبُكُ، فقال: أعلمتَ وَرَجَعْتَ!

[من أخبار مرداس أبي بلال]

ويُرْوَى أنَّ مرداسًا مَرَّ بأعرابيٍّ يَهْنَأُ[4] بعيرًا له، فَهَرَجَ[5] البعيرُ، فسقط مِرْداسٌ مغشيًّا عليه، فظنَّ الأعرابيُّ أنه قد صُرِعَ، فقرأ في أُذُنه، فلمَّا أفاق قال الأعرابيُّ: قرأتُ في أذنكَ، فقال له مِرداس: ليس بي ما خفْتَهُ عليَّ، ولكن رأيتُ بعيرَكَ هَرِجَ من القَطِرَان، فذكرت به قطِرَان جهنم، فأصابني ما رأيت. فقال: لا جَرَمَ والله لا فارَقْتُكَ أبدًا!

* * *

وكان مرداسٌ قد شَهِدَ صِفِّين مع عليِّ بن أبي طالب صلوات الله عليه. وأنكر التَّحكيمَ، وشهد النَّهْر، ونَجا فيمن نجا، فلمَّا خرج من حبس ابن زياد

(١) الإدلاج: السير من آخر الليل.

(٢) ينجم: يطلع. (٣) اليراع: القصب الفارسي.

(٤) يهنأ بعيرا: يطليه بالهناء؛ وهو القطران.

(٥) هرج: تعب وتحير

ورأى جدَّ ابن زيادٍ فى طلب الشُّرَاة عَزَمَ على الخروج، فقال لأصحابه: إنه والله ما يَسَعُنا المقام بين هؤلاء الظالمين، تجرى علينا أحكامُهم، مُجَانبين للعدل، مفارِقين للفَصْلِ[1]، والله إنَّ الصبرَ على هذا لعظيمٌ، وإن تجْريد السيف وإخافَة السبيل لعظيمٌ، ولكنَّا نَنْتَبِذُ عنهم، ولا نجرِّدُ سيفًا، ولا نقاتلُ إلا مَنْ قاتلنا. فاجتَمع إليه أصحابه زُهاء ثلاثينَ رجلا، منهم حُرَيْثُ بن حَجَلٍ، وكَهْمَس بن طَلْقِ الصَّرِيمىُّ، فأرادوا أن يُوَلُّوا أمرَهم حُرَيْثًا، فأَبى، فوَلَّوا أمرَهم مِرْداسًا، فلمَّا مضى بأصحابه لَقِيه عبدُ الله بن رَبَاحٍ الأنصارىُّ - وكان له صديقا - فقال له: يا أخى[2]، أين تريد؟ قال: أريد أن أَهْرُبَ بدينى وأديانِ أصحابى من أحكامِ هؤلاء الجَوَرَة. فقال له: أَعَلِمَ بكم أحدٌ؟ قال: لا، قال: فارجع، قال: أو تَخافُ على مكروهًا؟ قال: نعم، وأن يُؤْتَى بك! قال: فلا تَخَفْ، فإنى لا أجَرِّدُ سيفًا، ولا أُخيفُ أحدًا، ولا أقاتلُ إلا مَن قاتلنى. ثم مَضَى حتى نزلَ آسكَ - وهو ما بين رامَهُرْمُزَ وأَرَّجانَ - فمَرّ به مالٌ يُحْمَلُ لابن زياد، وقد قاربَ أصحابهُ الأربعينَ، فَحَطَّ ذلك المال، فأَخذَ منه عَطَاءَهُ وأَعْطِيَات أَصحابه، وردَّ الباقىَ على الرُّسُلِ، وقالَ: قولوا لصاحبكم: إنما قَبضْنَا أُعْطياتنا، فقالَ بعضُ أصحابه: فعَلامَ تَدَعُ الباقىَ! فقال: إنهم يَقْسِمونَ هذا الفىءَ كما يُقِيمون الصلاة فلا نقاتلهم.

* * *

ولأبى بلالٍ أشعار فى الخروج اخترتُ منها قوله:

أَبَعْدَ ابن وَهْب ذى النَّزَاهة والتُّقَى ... وَمَن خاضَ فى تلك الحروب المَهَالكا[3]
أحبُّ بَقَاءً أوْ أرجِّى سلامةً ... وقَد قَتلوا زيدَ بن حِصْنٍ ومَالكا
فيارَب سَلِّمْ نِيَّتى وبَصِيرتى ... وَهَبْ لى التُّقَى حَتَّى ألاقِى أولئكا

قوله: « وقد قَتَلُوا » ولم يذكر أحدًا، فإنما فعل ذلك لعلْم الناس أنه يَعْنى مُخالفيه، وإنما يَحْتاجُ الضميرُ إلى ذكْر قبله ليُعْرَفَ، فلو قال رجلٌ: ضربتُه، لم يَجُزْ، لأنه لم يذكر أحدًا قبل ذكْره الهاءَ، ولو رأيتَ قومًا يلتمسون الهلالَ فقال قائلٌ[4]: هذا هو، لم يحْتَجْ إلى تقَدمِ الذكرِ؛ لأن المطلوبَ معلومٌ، وعلى هذا قال

---

(١) الفصل: قول الحق.
(٢) لفظ: « يا أخى » من ر
(٣) ابن وهب: هوعبد الله بن وهب الراسبى.
(٤) ر: « قوم ».

عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ فى افتتاح قصيدته:

هل مَا عَلِمْتَ وما استُودِعْتَ مَكتومُ ... أم حَبْلُهَا إذ نَأَتْكَ اليومَ مَصرومُ

لأنه قد عُلِمَ أنه يريدُ حبيبةً له.

وقوله: « حتَّى ألاقى » ولم يُحَرِّكِ الياءَ، فقد مضى شرحهُ مستقصًى.

* * *

ويُروى أن رجلا من أصحاب ابن زياد قال: خرجنا فى جيش نُريدُ خُرَاسانَ، فمررنا بِآسك، فإذا نحن بهم ستةٌ وثلاثين رجلا، فصاح بنا أبو بلال: أقاصدون لقتالنا أنتم؟ ـ وكنت أنا وأخى قد دخلنا ـ زَرْبًا ـ، فوقف أخى ببابه فقال: السلام عليكم، فقال مِرْدَاس: وعليكم السلام، فقال لأخى: أجئتُم لقتالنا؟ فقال له: لا، إنما نريد خُراسانَ، قال: فأبْلغوا مَن لَقِيكُمْ أنا لم نَخْرُجْ لنُفْسِدَ فى الأرض، ولا لنُرَوِّعَ أحدًا، ولكن هَرَبا من الظُّلم، ولسنا نقاتلُ إلامن يُقاتلنا، ولا نأخُذُ من الفىء إلا أعْطِيَاتنا، ثم قال: أندبَ إلينا أحدٌ؟ قلنا: نعم، أسْلَم بن زُرْعَةَ الكلابىُّ، قال: فمتى ترَوْنَه يَصِل إلينا؟ قلنا: يومَ كذا وكذا، فقال أبو بلال: حسبنا اللهُ ونعم الوكيلُ!

* * *

وَجَهزَ عُبَيْدُ الله أَسْلَمَ بن زُرْعةَ فى أسرع وقت ووجَّهه إليهم فى ألفين، وقد تتامَّ أصحابُ مِرْدَاسٍ أربعين رجلا، فلما صار إليهمْ أَسْلَمُ صاح به أبو بلال: اتق الله يا أسلم؛ فإنَّا لا نريدُ قتالا، ولا نَحْتَجن فَيْئًا. فما الذى تريدُ؟ قالَ: أريد أن أرُدَّكُمْ إلى ابن زياد، قال مرداسٌ: إذن يَقْتُلنا، قال: وَإنْ قَتَلَكُمْ! قال: تَشْرَكهُ فى دمائنا، قال: إنِّى أدينُ اللهَ[1] بأنه مُحقٌّ وأنكم مبطلون، فصاح به حُرَيْثُ بن حَجلٍ: أهو مُحقٌّ وهو يُطيعُ الفَجَرَةَ، وهو أحدُهم، ويَقتلُ بالظِّنَّة، ويَخصُّ بالفىء، ويَجُورُ فى الحكم! أما علمت أنه قَتلَ بابنِ سُعَاد أربعة برآءَ، وأنَا أحَدُ قَتلته، ولقد وَضَعْتُ فى بَطْنه دراهمَ كانت معه! ثم حملوا عليه حَمْلَة رجلٍ واحد، فانهزم هو وأصحابُه مَن غير قتالٍ. وكان مَعْبَدٌ أحد الخوارج، قد كادَ

(١) ر: « أدس بأنه محق ».

يَأخذُه. فلما وَرَدَ على ابن زياد غضب عليه غضبًا شديدًا، وقال: وَيْلَكَ! أتَمْضي في ألفين فتهزمُ لحملة أربعين! وكان أَسْلم يقولُ: لأَنْ يَذمَّني ابن زيادٍ حيًّا أحبُّ إليَّ من أن يَمْدَحَني ميّتًا!

وكان إذاخرج إلى السوق أو مَرَّ بصبيانٍ صاحوا به: أبو بلال وراءَكَ! وربما صاحوا به: يا مَعْبدُ خذْهُ، حتى شكا ذلك إلى ابن زياد، فأمرابنُ زياد الشُّرَطَ أن يَكُفُّوا الناسَ عنه، ففي ذلك يقولُ عيسى بنُ فاتكٍ؛ من بني تَيْمِ اللاتِ بن ثعْلَبَةَ، في كلمة له:

فلمَّا أصبحوا صلُّوا وقاموا ... إلى الجُرْدِ العتاق مُسَوَّمينا(١)
فلما استَجْمَعُوا حَملُوا عليهم ... فَظلَّ ذوُو الجَعائل يُقْتَلُونَا
بَقيَّة يومهم حتى أتاهم ... سوادُ الليْلِ فيه يُراوغونا
يقولُ بَصيرهم لَمَّا أتاهُمْ ... بأَنْ القومَ ولُّوا هاربينا
أألفا مؤمن فيما زَعَمْتُم ... ويَهْزِمُهُمْ بآسَكَ أرْبَعُونا!
كذَبْتُمْ لَيْسَ ذَاكَ كما زَعَمْتَمْ ... ولكنَّ الخوارج مؤمنونا
هُمُ الفئة القليلة غَيْرَ شَكٍّ ... على الفِئة الكثيرة يُنْصَرُونا

ثم نَدَبَ لهم عبيدُ الله بن زياد الناسَ، فاختارَ عَبَّادَ بن أَخْضَرَ - وليس بابن أَخْضَرَ - هو عَبَّادُ بنُ عَلْقَمَةَ المازنيُّ، وكان أَخْضَرُ زوج أمِّه، فَغَلَبَ عليه، فوجَّهه في أربعة آلاف، فَنَهَدَ لهم. ويزعم أهلُ العلمِ أنَّ القومَ قد كانوا تَنَحَّوْا عن دَرَابَجِرْد من أرضِ فارسَ، فصار إليهم عَبَّادٌ، وكانَ التقاؤُهُمْ في يوم جمعة، فناداه أبو بلال: اخرجْ إلى يا عَبَّادُ، فإني أريد أن أحاورَكَ. فَخَرَجَ إليه، فقال: ما الذي تَبْغي؟ قال: أن آخذ بأقفائكم فأرُدَّكُمْ إلى الأمير عُبيد الله بنَ زياد قال: أو غيرَ ذلك! قال: وما هُوَ؟ قال: أن ترْجعَ، فإنَّا لا نخيف سَبيلا، ولا نذْعَرُ مسلمًا، ولا نحارب إلا مَنْ حَارَبَنَا، ولا نَجْني إلا ما حمينًا، فقال له عبَّادٌ: الأمرُ ما قُلْتُ لك، فقال له حُرَيْثُ بن حَجْلٍ: أتحاولُ أن تُردَّ فئةً من المسلمين إلى جَبَّارٍ عَنيد! قال لهم: أنتم أوْلى بالضلال منه، وما مِن ذاك بُدٌّ!

* * *

(١) مسومين : معلمين بعلامات يعرفون بها فى الحرب .

وقدمَ القَعْقَـاعَ بن عَطيَّةَ الباهليُّ من خراسانَ يريد الحجّ، فلمـا رأى الجمْيعن قال: مـا هذا؟ قالوا: الشُّرَاة، فَـحَمل عليـهم. ونشبت الحربُ، فـأخذَ القعـقاعُ أسيرًا، فـأتىَ به أبو بلال، فقال: ما أنتَ؟ قال: لـستُ من أعدائكَ، وإنما قدمتُ للحجِّ فَجَـهلْتُ وَغُررْتُ، فأطْلَقَه ، فَـرَجَعَ إلى عبَّادٍ فأصلح من شـأنه. ثم حَمَلَ عليهم ثانية ، وهو يقولُ :

أقَـــاتلهُـمْ وليـس عليّ بَـعْثٌ   نَشَـــاطًا لـيس هذا بـالنشـــاط
أكُّــر عَلى الحُــروريّينَ مُـهْـرى   لأحْـمـلَهُمْ على وَضَح الـصِّـرَاط

فَحَملَ عليه حُرَيثُ بنُ حَجَلٍ السَّدُوسيُّ وكَهْمَسُ بن طَلْقٍ الصَّريميُّ، فأسَرَاهُ فَقَتَلاه ولم يأتيا أبا بلال، فلم يزل القـومُ يَجْتَلدُونَ حتى جاء وقتُ الصلاة، صلاة يوم الجمعـة، فناداهُمْ أبو بلال: يا قومُ، هذا وَقتُ الصلاة، فوادعُـونا حتى نُصَلِّىَ وتُصَلُّوا، قَـالوا: لك ذاك ، فرمى القـومُ أجمعـون أسلحتـهم وعَمـدوا للصلاة، فأسـرع عبَّادٌ ومن معـه والحرورية مُبْطئـونَ، فهم من بين راكعٍ وقائمٍ وسـاجدٍ في الصلاة وقاعـدٍ، حتى مال عليهم عَبَّادٌ ومـن معه، فقتلوهُمْ جمـيعًا ، وأُتى برأس أبى بلالٍ.

***

وتَروى الشُّراة أن مِرْداسًا أبا بلالٍ لـمَّا عقدَ على أصحابه وعَزَمَ على الخروج رفع يديه وقال: اللَّهم إنْ كان ما نحن فيـه حقًّا فأرنا آية. قال[1]: فَرَجَفَ البيتُ. وقال آخرون: فارتفع السقفُ.

فَـرَوَى أهلُ العلم أن رجـلا من الخوارجِ ذكَـر ذلك لأبى العـاليـة الرِّياحىّ يُعَجِّبُـهُ من الآية ، ويَرَغبه فى مذهب القـوم، فقال أبو العاليـة: كاد الخسفُ يَنْزِلُ بهم. ثم أدركتهم نَظْرَةُ الله.

فلما فَـرغ من أولئك الجماعة أقَـبلَ بهم فَصُلبت رُءوسُهُمْ، وفـيهم داود بن شبَثٍ. وكان ناسكا، وفيه حبيبةُ البَصْرىُّ من قَيْسٍ ، وكان مجتهدًا.

***

(١) ساقطة من ر .

فيُرْوَى عن عمْرانَ بن حطَّان أنه قال: قال لى حَبيبةُ: لما عزمتُ على الخروج فكَّرْتُ فى بناتى، فقلتُ ذاتَ ليلة: لأَمْسكنَّ عن تفَقُّدهن حتى أنْظُرَ، فلما كان فى جوف الليل استسقتْ بُنيّةٌ لى، فقالت: يا أبة اسقنى، فلم أُجبها، فأعادتْ، فقامت أُخَيَّةٌ لها أَسَنُّ منها، فَسَقتها، فعلمتُ أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ غيرُ مُضَيِّعهنَّ، فأتممْتُ عزمى.

* * *

وكان فى القوم كَهْمَسٌ، وكان من أبَرِّ الناسِ بأُمِّه، فقال لها: يا أمَّهْ! لولا مكانُك لخرجتُ، فقالت: يا بُنىّ، قد وهبتُكَ لله، ففى ذلك يقولُ عيسى بنُ فَاتِكٍ الحَبَطىُّ:

ألافى الله لافى النَّاسِ شالتْ ... بداود وإخْوته الجُذُوع
مَضَوْا قَتْلا وتمزيقًا وصلْبا ... تحُومُ عليهمْ طَيرٌ وقُوع
إذا ما الليلُ أظلمَ كابَدُوهُ ... فَيُسْفِرُ عنهمُ وهُمْ رُكُوع
أطارَ الخوفُ نومَهمُ فقاموا ... وأهلُ الأمن فى الدنيا هُجُوع

* * *

وقال عِمْرانُ بن حِطَّانَ:

يا عيْن بَكِّى لِمرْداسٍ ومَصْرَعِه ... يا رَبَّ مرداسٍ اجْعَلْنى كَمِرْداس
تركتنى هائما أبكى لمرزئتى ... فى منزل مُوحشٍ من بعد إيناسِ
أنكرتُ بعدكَ من قد كنتُ أعرفُه ... ما الناسُ بعدكَ يا مرْداسُ بالناسِ
إمَّا شَرِبْتَ بكأسٍ دارَ أوَّلُها ... على القُرون فَذَاقُوا جرْعةَ الكاس
فكلُّ مَنْ لمَ يذُقها شاربٌ عَجِلا ... منها بأنفاس ورِدٍ بَعْدَ أنفاس

[عباد بن أخضر المازنى]

قال أبو العباس: ثم إنَّ عَبَّاد بن أخْضَرَ المازنىّ لبثَ دهرًا فى المصْرِ، موصوفًا بما كان منه، فلم يَزَلْ على ذلك حتى ائْتَمَرَ به جماعة من الخوارج أن يَفْتَكُوا به، فذَمَرَ بعضُهم بعضًا على ذلك[1]، فجلسوا له فى يومِ جمعةٍ، وقد أقبل على بغلةٍ

(١) دمره: لامه.

له، وابنهُ رَديفه. فقام إليه رجلٌ منهم، فقال: أسألُك عن مسألة، قال: قل. قال: أرأيتَ رجلاً قتَلَ رجلا بغير حقٍّ، وللقاتلِ جاهٌ وقَدْرٌ وناحيةٌ من السلطان، ألولِّيّ ذلك المقتول أن يَفْتُكَ به إنْ قدَرَ عليه؟ قال: بل يرْفَعُه إلى السلطان، قال: إنَّ السلطانَ لا يُعْدَى عليه لمكانه منه وعظم جاهه عنده. قال: أخافُ عليه إنْ فَتَكَ به فَتَكَ به السلطانُ، قال: دَعْ ما تخافُه من ناحية السلطان، أتَلْحَقهُ تَبِعةٌ فيما بينَه وبينَ الله؟ قال: لا. قال: فَحكَّمَ هو وأصحابُه وخَبَطوه بأسيافهم. ورَمَى عبَّادٌ ابنَهُ فَنَجَا، وتنادى الناسُ: قُتِلَ عبادٌ! فاجتَمعَ الناسُ فأخَذُوا أفواهَ الطُّرُق، وكان مَقْتَلُ عبَّادٍ فى سكة بنى مازن عند مسجد بنى كُلَيْبٍ ـ فجاء مَعْبَد بن أخْضَرَ ـ أخو عبَّاد وهو معبدُ بن عَلْقمةَ، وأخضرُ زوجُ أمهما، فى جماعة من بنى مازن، فصاحُوا بالناس: دَعُونا وثَأْرَنَا. فأحْجَمَ الناس وتقَدَّمَ المازنيُّون، فحاربوا الخَوارجَ حتى قتلوهم جميعًا، لم يُفْلِتْ منهم أحدٌ إلا عُبيدة بن هلال. فإنه خَرَقَ خُصًّا ونَفذ منه. ففى ذلك يقول الفرزدق:

لقد أدْرَكَ الأوْتَارَ غيرَ ذَميمة ... إذا ذُمَّ طُلَّابُ التِّراثِ الأخَاضر
هُمُ جَرَّدُوا الأسْياف يومَ ابنِ أخْضَرَ ... فنالوا التى ما فَوقَها نَالَ ثَائرُ
أقَادُوا به أُسْدًا لها فى اقْتِحَامِها ... إذا بَرَزَتْ نحو الحروبِ بَصائرُ(١)

ثم ذَكر بنى كُلَيْبٍ، لأنه قُتِلَ بحضرةِ مسجدهم ولم ينصروه، فقال فى كلمته هذه:

كفعل كُلَيْب إذْ أَخَلَّتْ بجارهَا ... ونَصْرُ اللئيم مُعْتمٌ وهو حَاضر(٢)
ومَا لكُلَيْبٍ حين تُذكَر أوَّلٌ ... ومَا لكلَيْب حين تُذكرُ آخِرُ

وقال معبد بن أخْضَر:

سأحْمِى دِماءَ الأخْضَرِيِّينَ إنه ... أبى النَّاسُ إلا أن يقولوا ابنُ أخْضَرَا

[عروة بن أدية]

وكان مقتلُ عبَّاد وعبيدُ الله بن زياد بالكوفة، وخليفتُهُ على البصرة عُبَيدُ الله ابن أبى بَكْرةَ. فكتبَ إليه يأمره ألا يَدَعَ أحدًا يُعْرَفُ بهذا الرأى إلا حَبَسه وجَدَّ فى

---

(١) أقادوا أسدا . قتلوهم به .

(٢) يقال : اعتم الرجل فى الشيء ؛ إذا أبطأ فيه .

طلبه. ممن تَغَيَّبَ منهم. فجعل عُبيد الله بن أبى بَكْرَةَ يَتتبَّعُهُمْ فيأخذُهم، فإذا شُفِعَ إليه فى أحد منهــم كَفَّلَه إلى أن يَقْدَمَ ابنُ زياد، حتى أُتِىَ بعُــرْوَةَ بن أُدَيَّةَ فأطلقه، وقال: أنا كَفِيلُك، فلما قَدِمَ عــبيدُ الله بن زيادٍ أخذ مَنْ فى الحبس[1] منهم فقتلَهم جميعًا، وطلب الكُفلاء بمَن كَفَلُوا به منــهم، فكلُّ مَنْ جاءه بصاحبه أطلقه، وقتَلَ الخارجيَّ، ومن لم يأت بمن كــفَلَ به منهم قَتَلَهُ، ثم قال لعُبــيْد الله بن أبى بكْرَةَ: هات عرْوَةَ بنَ أُدَيَّةَ، قال: لا أقْــدرُ عليه. قال: إذا والله أقْتُلُكَ فــإنك كفيلُه، فلم يَزَل يطْلُبُهُ حتــى دُلَّ عليه فى سَرَبٍ[2] العلاء بن سُــوَيَّةَ المِنْقرىِّ، فكتب بذلك إلى عُبيد الله بن زيادٍ، فقرأ عليه الكاتب: إنا أصَبْنَاهُ فى شَرْبٍ.

فَتَهــانَفَ به عُبيدُ الله بن زياد، وكان كــثير المحاورة، عاشقًــا للكلام الجيِّد، مستحــسنًا للصوابِ منه؛ لا يزال يبحثُ عن عُذْره، فإذا سَمِع الكلمــةَ الجَيِّدَةَ عَرَجَ عليهــا. ويُرْوَى أنه قال فى عَقَب مــقتل الحسين بن علىٍّ عليــه السلامُ لزينبَ بنت علىٍّ رحــمهمــا الله ـ وكانت أسنَّ مَنْ حُــمِل إليه منهنَّ، وقــد كلَّمتْــه فأفــصحتْ وأبلغتْ، وأخذتْ من الحــجَّة حاجــتها ـ فــقال لها: إنْ تكونى بلغتِ من الحــجة حاجتَكِ فقد كان أبوكِ خطيبًا شاعرًا. فقالت: ما للنساء والشعر[3]! وكان مع هذا ألْكَنَ يَرْتَضِخُ[4] لغة فارسية. وقــال لرجلٍ مَرَّة واتهمَه برأى الخوارج: أهَرُورِىٌّ مُنْذُ اليومِ!

رجع الحديث:

فــقال للكاتب: صَــحَّفتَ والله ولَــؤُمْتَ، إنما هو « فى سَرَبِ العَــلاء بن سُوَيَّةَ ». ولَوَدِدْتُ أنه كان ممن يشربُ النبيذَ.

فلمَّا أقيمَ عُرْوَة بن أُدَيَّةَ بين يديه حاَوَره. وقد اخْتُلِف فى خبره[5]، وأصَحُّه عندنا أنه قــال له: لقد[6] جَهَّــزْتَ أخاكَ علَيَّ. فــقال: والله لقــد كنت به ضنينًا. وكان لى عِزًّا، ولقــد أردت له ما أُريدُ[7] لنفسى، فعزم عَزْمًــا فمَضَى عليه، وما

---

(١) ر: « السجن ».
(٢) السرب: الطريق والمسلك.
(٣) س: « وللشعر ».
(٤) يرتضخ: يميل إليها فى نطقه.
(٥) ر: « وقد اختلف الناس فى خبره ».
(٦) كلمة « لقد » ساقطة من ر.
(٧) ر: « ما أريده ».

أحبُّ لنفسى إلا المقامَ وتركَ الخروج، قال له: أفأنتَ على رأيه؟ قال: كنَّا[1] نعبدُ ربًّا واحدًا، قال: أمَا لأُمثِّلَنَّ بك! قال له: اخترْ لنفسك من القصاص ما شئتَ. فأمر به فقَطعوا يديه ورجليه، ثم قال له: كيف تَرَى؟ قال: أفسدتَ علىَّ دنْيايَ وأفسدتُ عليكَ آخرتك، ثم أمر به فقتلَ، ثم صلب على باب داره، ثم دَعَا مولاه فسأله عنه، فأجابه جوابًا قد[2] مضى ذِكْرُه.

* * *

قوله: «فَتَهانَفَ». حقيقته تَضاحَكَ به ضَحِكَ هُزْءٍ. وقال ابنُ أبى رَبيعةَ المخزومىُّ:

لقد قالتْ لجارات لها	وتَعَرَّتْ ذات يوم تبْتَرِد
أكَمَا يَنْعتُنى تُبْصِرْننى	عَمْرَكُن اللهَ أم لا يَقْتَصِدْ!
فتهانفْنَ وقد قُلْنَ لها	حَسَنٌ فى كلِّ عينٍ مَنْ تَوَدْ
حَسَدٌ حُمِّلْنَهُ من أجلها	وقَديمًا كان فى الناسِ الحَسَدْ

[أمر زياد مع الخوارج]

وكان عُبيد الله لا يُلبثُ الخوارج، يحبسهم تارةً وَيقْتُلهم تارةً، وأكثرُ ذلك يَقْتُلهم، ولا يتغافلُ عن أحدٍ منهم، وسببُ ذلك أنه كان أطلقهم من حبس زيادٍ لمَّا وُلِّى بعدَه، فخرجوا عليه.

فأما زيادٌ فكان يقتل المُعْلِنَ ويَستَصْلِحُ المُسرَّ، ولا يُجَرِّدُ السيف حتى تزول التُّهْمَة. ووَجَّهَ يوما بُحَينَةَ بنَ كُبَيْشٍ الأعْرَجِىَّ إلى رجل من بنى سعد يَرى رأْىَ الخوارجِ، فجاءه بُحَيْنَةُ فأخذه. فقال: إنى أريد أن أُحْدثَ وضوءًا للصلاة، فدَعْنى أدخلْ منزلى[3]. قال: ومَنْ لى بخروجك؟ قال: اللهُ عز وجل. فتركه. فدخل فأحدث وُضوءًا ثم خرج، فأتى به بُجَيْمَنَةُ زيادًا، فلما مَثَلَ بين يديه ذكر اللهَ زيادٌ، ثم صلّى على نبيه، ثم ذكرَ أبا بكر وعمرَ وعثمانَ بخير، ثم قال: قعدت عنِّى فأنكرتْ ذلك، فذكرَ الرجلُ ربَّه فَحَمَدَه، ثم ذكَرَ النبىَّ عليه السلام، ثم ذَكَرَ

(١) ر « كلنا » . (٢) ساقطة من ر .

(٣) ر : « أدحل إلى منزلى » .

أبا بكرٍ وعمرَ بخير، ولم يذكر عثمان، ثم أقبلَ على زياد فقال: إنك قد قلتَ قولا فَصَدَّقْهُ بفعلك، وكان من قولك: ومَنْ قَعَد عنَّا لم نَهِجْهُ. فقعدتُ. فأمر له بصلة وكسوةٍ وحملان، فخرج الرجلُ من عند زياد وتلقاه الناسُ يسألونه، فقال: ما كلُّكم أستطيعُ أن أخبرَه، ولكنى دخلتُ على رجلٍ لا يملك ضرًّا ولا نفعًا لنفسه، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فرزقَ اللهُ منه ما تَرَوْنَ.

* * *

وكان زيادٌ يبعثُ إلى الجماعة منهم فيقول: أأحسبُ الذى يمنعكم من إتيانى إلا الرُّجْلَة[1]. فيقولون: أجَل، فيحملهم، ويقول: اغْشَوْنى الآن واسْمُرُوا عندى. فبلغَ ذلك عمرَ بن عبد العزيز، فقال: قاتل اللهُ زيادًا! جَمعَ لهم كما تَجْمَعُ الذَّرَّةُ[2]، وحاطَهم كما تَحُوط الأمُّ البَرَّة، وأصلَح العرَاقَ بأهل العراق، وتَرَك أهلَ الشامِ بشأمِهم[3]، وجَبَى العراقَ مائةَ ألفِ ألفٍ وثمانيَةَ عشرَ ألفَ ألفٍ.

* * *

قال أبو العباس: وبلغَ زيادًا عن رجل يُكْنَى أبا الخير، من أهل البأس والنَّجْدة، أنه يَرَى رأى الخوارج، فدعاه فولاهُ جُنْدَيْ سابور وما يَليها، ورزَقَه أربعةَ آلاف درهمٍ فى كل شهر، وجعل عُمالَتَهُ فى كل سنة مائة ألف، فكان أبو الخير يقول: ما رأيتُ شيئًا خيرًا من لزوم الطاعة والتقلُّبِ بين أظهُر الجماعة! فلم يزل واليًا حتى أنكر منه زيادٌ شيئًا. فتَنَمَّر لزيادٍ فحبسه، فلم يَخرجه من حبسه حتى مات.

[الرهين المرادى وشعره]

وقال الرُّهَيْنَ - وكان رجلا من مُرَاد، وكان لا يَرَى القعودَ عن الحرب، وكان فى الدُّهاء والمعرفة والشعرِ والفقه بقول الخوارج، بمنزلة عِمْرَانَ بن حِطَّانَ، وكان عمرانُ بنَ حطانَ فى وقته شاعرَ قَعَد الصُّفْرِيَّة ورئيسَهم ومفتيَهُمْ.

---

(١) الرجلة : المشى على الرجلين .

(٢) الذرة : واحدة الذر ؛ وهو النمل الصغار.

(٣) ر : « فى شأمهم » .

وللرُّهَيْن المرادىِّ ،ولعمرانَ بن حطَّانَ مسائلُ كثيرة من أبواب العلم فى القرآن والآثار، وفى السِّيَر والسُّنَن، وفى الغَريب، وفى[1] الشعر، نذكر طَرِيفَها إن شاء الله . قال المرادىُّ :

يا نَفْس قدْ طال فى الدنيا مُرَاوَغَتى ... لا تأمَنَنَّ لصَرْف الدهْر تنقيصًا[2]

إنِّى لَبائعُ ما يَفْنَى لباقية ... إن لَمْ يَعُقْنى رجاءُ العيشِ تَرْبيصًا[3]

وأسألُ الله بَيْعَ النفس محْتَسِبًا ... حتى ألاقِىَ فى الفِرْدَوْسِ حرقوصًا

- [قال الأخْفَشُ : حرقوصٌ : ذو الثُّدَيَّة] .

وابن المَنِيح ومِرْداسًا وإخْوتَهُ ... إذ فارقوا زَهْرة الدنيا مَخاميصًا[4]

قال أبو العباس : وهذه كلمة له ، وله أشعارٌ كثيرةٌ فى مذاهبهم.

* * *

وكان زيادُ ولَّى شَيْبانَ بن عبد الله الأشعرىَّ صاحبَ مَقْبُرَة بنى شيبان باب عثمانَ وما يليه، فجَدَّ فى طلب الخوارج وأخافَهم، وكانوا قد[5] كَثُروا، فلم يَزَلْ كذلك حتى أتاه ليلةً - و هو متكئٌ بباب داره - رجلان من الخوارج، فضرباه بأسيافهما فقتلاه، وخرَج بَنُون له للإغاثة فقُتلوا، ثم قَتَلهما الناسُ. فأُتِىَ زيادٌ بعدَ ذلك برجل من الخوارج. فقال: اقتلوهُ مُتَّكِئًا كما قُتِل شيبانُ متكئًا. فصاح الخارجىُّ: يا عَدْلاهُ! يَهزأ به.

فأمَّا قولُ جريرٍ :

ومِنَّا فَتَى الفِتْيانِ والبأسِ مِغْفَلٌ ... ومنَّا الذى لاقى بدِجْلَةَ مَعْقِلا

فإنه أراد مَعْقِلَ بن قَيسٍ الرِّيَاحِى، ورِياحٌ بن يربوعٍ، وجرير من كُلَيْبِ بن يربوعٍ.

وقولُه:

* ومنَّا الذى لاقى بِدِجلة مَعْقِلا *

(١) ر · « والشعر » .

(٢) ر . س : « تنعبصا » .

(٣) التربيص . الانتظار .

(٤) المخاميص : جمع مخماص ، وهو الضامر البطن .

(٥) ساقطة من ر .

يريدُ المسْتَوْرِدَ التَّيمِيَّ، وهو من بنى تَيْمِ[1] بن عبد مَنَاةَ بن أدٍّ، وتميمُ بنُ مُرةَ ابن أدٍّ .

وأمّا قولُ ابن الرُّقيات :

والذى نَغّصَ ابنَ دَوْمةَ ما تُو ... حى الشياطين والسيوف ظماء

فأباحَ العراقَ يَضْربُهم بالسَّيفِ ... صَلْتاً وفى الضِّرابِ غلاءُ[2]

فإنما يريدُ بابنِ دَوْمَةَ المختار بنَ أبى عُبيدٍ الثَّقفيَّ، والذى نَغّصَهُ مصْعَب بن الزبير، وكان المختارُ لا يُوقَفُ له على مذهبٍ. كان خارجيًّا، ثم صار زُبَيْرِيًّا، ثم صار رافضيا فى ظاهره.

وقوله: « ما تُوحى الشَّياطينُ»، فإنَّ المختارَ كان يَدَّعى أنه يُلْهَمُ ضرباً من السَّجَاعة[3] لأمورٍ تكونُ، ثم يحتالُ فيوقعُها، فيقولُ الناس: هذا من عند اللهِ عزَّ وجَلَّ.

فمن ذلك قوله ذات يومٍ: لَتَنْزِلَنَّ من السماء نارٌ دَهْمَاءُ، فَلَتُحْرِقَنَّ دارَ أسماء. فَذكرَ ذلك لأسماءَ بن خارجةَ، فقال: أقد سَجَعَ بى أبو إسحاقَ! هو والله مُحْرِقٌ دارِى! فتركه والدار وهربَ من الكوفة.

وقال فى بعض سجعه: أمَا والذى شَرَعَ الأديان، وجَنَّبَ الأوثانَ، وكَرَّهَ العصْيان، لأقتلنَّ أزْدَ عُمَانَ، وجُلَّ قيسِ عَيْلانَ، وتميما أولياءَ الشيطان، حاشا النَّجيبَ ظَبْيَان! فكان ظبيانُ النجيبُ يقول: لم أزَلْ فى عُمْرِ المختار أتقلَّبُ آمِناً.

[المختار بن أبى عبيد وبعض أخباره]

ويُروى أن المختارَ بن أبى عُبيد - حيث كان والياً لابن الزبير على الكوفة - اتَّهمَه ابنُ الزبير، فولى رجلا من قريش الكوفة، فلما أطَلَّ قال لجماعة من أهلها: اخرجُوا إلى هذا المغرور فُردُّوه، فخرجوا إليه، فقالوا: أين تُريد؟ واللهِ لئن دخلتَ الكوفةَ ليقتلنَّكَ المختار، فرجع.

---

(١) ر : « من تميم » .

(٢) الصلت : الماضى فى الشيء . والغلاء : مجاوزة القدر فى كل شيء .

(٣) السجاعة : صناعة السجع .

وكتب المختارُ إلى ابن الزبير: إن صاحبَك جاءنا فلما قاربَنا رجع، فما أدْرى ما الذى رَدَّهُ! فـغضب ابن الزبيـر على القُرشىّ وعَـجَّزَهُ وردَّه إلى الكوفـة ، فلما شارفها قـال المختارُ: اخرجوا إلى هذا المغـرور فردوه، فخرجوا إليـه، فقالوا: إنه والله قاتلك فرجع، وكتب المختار إلى ابن الـزبير بمثل كتابه الأول، فلامَ القرشىَّ، فلما كـان فى الثالثة فَـطِنَ ابنُ الزبير ، وعَلِمَ بذلك المخـتارُ، وكان ابنُ الزبيـر قد حَبَسَ محمدَ بن الحَنـفية مع خمسةَ عشرَ رجلا من بنى هاشـم، فقال: لَتُبَايِعُنَّ أو لأحْرِقَنَّكم، فأبَوْا بَيْعَـتَه، وكان السجنُ الذى حبسهم فيـه يُدْعَى سجن عارِمٍ، ففى ذلك يقول كُثَيِّرٌ :

تُـخَـبِّـرُ مَن لاقَـيتَ أنـك عـائـذٌ ... بل العـائذُ المـظلومُ فى سـجن عـارِمِ
ومَنْ يَلْقَ هذا الشيخَ بالخَيفِ من منى ... منَ الـناس يَعْـلَمْ أنـه غـيـرُ ظـالِمِ
سَـمِىُّ النـبى المصطـفى وابن عـمـه ... وفكَّـاكُ أغـلال وقَـاضى مَـغـارمِ

وكان عبدُ الله بن الزبير يُدْعَى العائذ، لأنه عاذ بالبيت، ففى ذلك يقولُ ابن الرُّقَيَّات يَذْكُرُ مُصْعَباً :

بَلَـدٌ تأمـن الحـمـامـةُ فـيـه ... حـيثُ عـاذَ الخليـفـةُ المظـلومُ

وكان عبدُ الله يُدْعى المُحِل، لإحلاله القتالَ فى الحَرمِ، وفى ذلك يقولُ رجلٌ فى رَمْلَة بنت الزبير :

ألا مَـنْ لِقَـلْـبٍ مُـعَنَّـى غَـزِلْ ... بِـذِكْـرِ المُـحِـلـةِ أُخْتِ المُـحِـلْ

وكان عبـدُ الله بن الزبير يُظْهِرُ البـغض لابن الحنفيّة إلى بُـغْضِ أهله، وكان يَحْسُدُهُ على أيْده[١]، ويقال: إن عليًّا اسـتطال درْعاً فقال: لِيُنْقَصْ منـها كذا وكذا حَلْقةً، فقَبض محمدُ بن الحنفيـة بإحدى يديه على ذيلها، وبالأخرى على فَضلها، ثم جَـذَبها فقَـطعه من الموضع الـذى حَدَّه أبوه، فكان ابنُ الـزبير إذا حُدِّثَ بـهذا الحديث غضب واعتراه له أفْكَلٌ[٢].

فلما رأى المختارُ أن ابنَ الزبير قد فَطِن لما أراد كتب إليه: من المختار بن أبى عُبيدٍ الثّقفىّ خليفة الوصى محمد بن علىٍّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن أسماءَ. ثم

---

(١) الأيد : القوة .

(٢) الأفكل : اسم للرعدة تعلو الإنسان .

ملأ الكتاب بسبِّه وسبِّ أبيه. وكان قَبْلَ ذلك في وقت إظهاره طاعةَ ابن الزبير يَدُسُّ إلى الشّيعة، ويُعْلمهم موالاتَه إياهم، ويُخبرُهم أنه على رأيهم وحَمْد مذاهبهم، وأنه سيُظهِر ذلك عمَّا قليلٍ، ثم وَجَّهَ جماعة تسيرُ الليل وتكْمُنُ النهارَ، حتى كسروا سجنَ عارمٍ واستخرجوا منه بنى هاشمٍ، ثم ساروا بهم إلى مأمَنِهم.

وكان من عجائب المختار أنه كتب إلى إبراهيم بن مالك الأشْتَر يسأله الخروجَ إلى الطَّلب بدم الحسين بن على رضى الله عنهما، فأبى عليه إبراهيمُ إلاَّ أن يستأذن محمدَ بن على بن أبى طالب، فكتب إليه يستأذنه[1] فى ذلك[1]، فعلم محمد أن المختار لا عقد له. فكَتب محمدٌ إلى إبراهيمَ بن الأشْتَر: إنه ما يَسوءُنى أن يأخُذَ اللهُ بحقِّنا على يَدَىْ مَنْ شاء[2] من خلقه. فخرج معه إبراهيمُ بن الأشتر، فوجهه[3] نحوَ عُبيد الله بن زياد. وخرج يُشيِّعُه ماشياً، فقال له إبراهيمُ: اركب يا أبا إسحاقَ! فقال: إنى أحبُّ أن تغبَرَّ قَدَمَاىَ فى نصرة آلِ محمد ﷺ.

فشيَّعه فرسخين، ودَفَعَ إلى قومٍ من خاصته حمَاماً بيضاً ضخاماً، وقال: إن رأيتم الأمرَ لنا فَدَعُوها، وإن رأيتم الأمرَ علينا فأرْسلُوها، وقال للناس: إن استقمتم فَبَنَصرِ الله، وإن حصتُمْ حَيْصة[4] فإنِّى أجِدُ فى محكمِ الكتاب، وفى اليقين والصواب، أنَّ اللهَ مُؤَيِّدُكم بملائكة غِضَابٍ، تأتى فى صوَرِ الحمَامِ دُوَيْنَ السحاب.

فلما صار ابنُ الأشتر بخَازَر[5] وبها عُبَيْدُ الله بن زياد. قال: من صاحبُ الجيشِ؟ قيل له: ابنُ الأشترِ، قال: أليس الغلامَ الذى كان يُطيرُ الحمامَ بالكوفة؟ قالوا: بلى، قال: ليس بشىء، وعلى مَيْمنة ابن زياد، حُصَيْنُ[6] بن نُمَيْر السكُونىُّ من كِنْدَةَ ـ ويقال السَّكُونىُّ السُّكُونِىُّ، والسَّدُوسىُّ والسُّدُوسىُّ، كذا كان أبو عبيدة يقول.

[قال أبو الحسن : السُّكُوبِّى أكثر][7] ، وعلى ميسرته عُمير بن الحباب فارسُ الإسلام .

(١-١) ساقط من ر .

(٢) ر : « من يشاء » .

(٣) ر . « فتوجه » .

(٤) حصتم حيصة : ذهبتم تطلبون الفرار .

(٥) خازر : نهر بين إربل والموصل .

(٦) ر : « حضين » ، وما أثبته عن الأصل .

(٧) ما بين العلامتين من زيادات ر .

فقال حُصَيْنُ بنُ نُمَيْرٍ لابن زياد: إنَّ عميرَ بن الحبَاب غيرُ ناسٍ قَتْلَى المَرْج[1]. وإنى لا أثِقُ لك به. فقال ابنُ زياد: أنتَ لى عدوٌّ، قال حُصَيْنٌ: ستعلمُ.

قال ابنُ الحُبَاب: فلما كان الليلة التى يُريد أن نَواقِعَ ابنَ الأشْتَرِ فى صبيحتها خرجتُ إليه، وكان لى صديقاً، ومعى رجلٌ من قومى، فصرتُ إلى عسكره. فرأيته وعليه قميصٌ هَرَوِىٌّ[2] ومُلاءَةٌ، وهو متوشح[3] السيف يَجُوسُ عسكره فيأمر فيه ويَنْهى، فالْتزَمْتُه من ورائه، فوالله ما الْتَفتَ إلىّ ولكن قال: مَنْ هذا؟ فقلتُ: عُمير بن الحُبَاب، فقال: مرحباً بأبى المُغلِّسِ، كُنْ بهذا الموضعِ حتى أعودَ إليك، فقلت لصاحبى: أرأيتَ أشْجَعَ من هذا قط! يحتضنه رجلٌ من عسكر عدوِّه، ولا يدرى من هو؟ فلا يلتفتُ إليه! ثم عاد إلىَّ وهو فى أربعة آلاف، فقال: ما الخبرُ؟ فلت: القومُ كثيرٌ، والرأىُ أن تُناجزَهم، فإنه لا صبرَ بهذه العصابة القليلة على مُطاولة هذا الجمع الكثير، فقال: نصْبحُ إن شاء الله ثم نحاكمهم إلى ظُبَات السيوف وأطراف القَنَا، فقلت: أنا مُنْخَزِلٌ عنكَ بثُلُث الناس غداً.

فلما الْتَقوا كانت على أصحاب إبراهيمَ فى أول النهار، فأرسلَ أصحابُ المختار الطير، فتصايحَ الناسُ: الملائكة! فتراجعوا، ونكّسَ عميرُ بن الحُبَاب رايتَهُ، ونَادَى: يا لَثَأرَاتِ المَرْجِ! وانخزَل بالمَيْسَرَة كلِّها، وفيها قَيْسٌ فلم يَعْصُوهُ، واقتتل الناسُ حتى اختلَطَ الظلامُ وأسرع القتلُ فى أصحاب عُبيد الله بن زياد. ثم انكشفوا ووُضِعَ السيفُ فيهم حتى أفْنوا، فقال ابنُ الأشْتَر: لقد ضربتُ رجلاً على شاطئ هذا النهرِ فرجع إلىَّ سيفى، فيه[4] رائحةُ المسك. ورأيتُ إقْدَاماً وجُرْأةً، فصرعْتُه فذهبتْ يَداه قِبَلَ المشرق، ورجلاه قِبَلَ المغرب، فانظُروا.

فأتوْه بالنِّيران، فإذا هو عُبيد الله بن زياد.

* * *

وقد كان عند المختار كُرسىٌّ قديمُ العهد. فَغَشَّاهُ بالدِّيباج، وقال: هذا الكرسى من ذخائر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه . فضعوه فى

(١) قتلى المرج، يريد مرج راهط، وقد قتلت يوم ذلك قبائل قيس مقتلة لم تر مثلها .قاله المرصفى .
(٢) هروىٌّ . منسوب إلى هراة إحدى مدن خراسان .
(٣) ر : «متشح » . (٤) ر : « ومنه » .

بَرَاكاء الحــربِ، وقاتلوا عليه، فــإنَّ مَحلَّه فيكــم مَحَلُّ السَّكينة فى بنــى إسرائيل. ويقال إنه اشترى ذلك الكرسيَّ من نجّارٍ بدرهمين[1].

وقوله: « فى بَرَاكاءِ القتال » ويقــال: بَرَاكاءُ وبَرُوكاءُ، وهو موضعُ اصطِدَامِ القومِ، وقال الشاعرُ[2]:

ولــيــس بمُنْـفِــــذٍ لك مـنــه إلا   بَــرَاكـــاءُ القــتــالِ أو الـفِــرَارُ

وهذا باب[3] اللام التى للاستغاثة والتى للإضافة

إذا استــغثــتَ بواحـدٍ أو بجـماعةٍ فـاللامُ مفتـوحـةٌ. تقول: يا لَلّــرجالِ، ويالَلقوم، ولَزَيد! إذا كانتَ تدعوهم.

وإنما فتحــتَها لتَفْصل بــين المَدْعُوِّ والمدعو له، ووجب أن تَفْتَـحَها لأن أصلَ اللامِ الخافضَة إنما كــان الفتحَ، فكُسرَت مع المُظْهَرِ ليفْصَلَ بينهــا وبين لامِ التوكيدِ، تقول: إنّ هذَا لزَيْدٌ. إذا أردت: إنَّ هذا زَيْدٌ. وتقول: إنّ هذا لزيدٍ. إذا أردتَ أنه فى مِلْكِه. ولو فَتَحْتَ لالتَبَسا[4].

فإن وقعت اللام على مضمر فتحتها على أصلها، فقلتَ: إن هذا لَكَ. وإن هذا لأنْتَ، إذا أردتَ لام التوكيد ليس هاهنا لَبسٌ. وذاك أنَّ الأسماء المضمرةَ على غير لفظ المُظْهــرةِ. فلهذا أجْرَيْتَها على الأرضِ، والاستغــاثةُ تَرُدُّها إلى أصلها من أجل اللَّبْسِ.

والمدعــوُّ له فى بابه. فــاللامُ مــعه مكــسورة. تقــولُ: يا لِلــرِّجَالِ للمــاء! ويالِلرِّجالِ للعَجَبِ ويا لزَيد للخَطْبِ الجليلِ! قال الشاعرُ:

يَا لِــلرجَــالِ لِــيَــوْمِ الأَربِــعــاء أمَــا   يَنْفَكّ يبــعث لى بعد الــنبى طرَبَا[5]

(١) ر: «بدرهمين من بخار».

(٢) حاشية الأصل: « البيت لبشر بن خازم » ويروى:

* ولا ينجى من الغمرات إلا *

(٣) ر: « هذا ».   (٤) ر: « لالتبستا ».

(٥) لعبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى.

وقال آخر :

تَكَنَّفَنى الوشاةُ فَأزعجونى ... فيا لِلنّاس للواشى المطاُع(١)

وفى الحديث لَمّا طَعَنَ العلجُ ـ أو العبدُ ـ عمرَ بن الخطاب رضوان الله عليه صاح: يالله يا لَلْمسلمين !

وتقولُ : يا لِلْعَجَب، إذا كنتَ تدعو إليه، و «يا» لِغَيْرِ العَجَبِ، كأنكَ قلتَ: يا لَلنَّاس لِلعَجَب. ويُنْشَدُ هذا البيتُ :

يا لَعْنةُ اللهِ والأقوامِ كلِّهم ... والصالحينَ على سِمْعانَ من جارِ(٢)

فيَا لغير اللعنة، كأنه قال: يا قوم لعنةُ اللهِ والأقوامِ كلّهم.

وزَعَمَ سيبويه أنَّ هذه اللامَ التى للاستغاثة دليل، بمنزلة الألف التى تَبين بالهاء فى الوقف إذا أردتَ أن تُسْمِعِ بعيداً. فإنما هى للاستغاثة بمنزلة هذه اللامِ. وذلك قولك : يا قَوْماهْ! على غيرِ النَدْبَة، ولكن للاستغاثة ومَدِّ الصوت.

والقولُ كما قال. محلّهما عند العرب محلٌّ واحدٌ. فإذا وصلتَ حذفتَ الهاءَ، لأنها زيدَتْ فى الوقف لخفاء الألف. كما تَزادُ لبيان الحركة، فإذا وصلتَ أغْنَى ما بعدَها عنها. تقولُ: يا قَوْمَا تعالَوْا . ويا زيدا لا تفْعلُ. ولا يجوزُ أن تقولَ: يا لَزَيْد وهومُقْبلٌ عليكَ. وكذلك لا يجوزُ أن تقول: يا زَيْداه وهو معك، إنما يقال ذلك للبعيد أو يُنبَّه به النائمُ.

فإن قلتَ: يا لَزَيد ولعمرو، كسرتَ اللامَ فى «عمرو» وهو مَدْعُوٌّ، لأنك إنما فتحت اللامَ فى «زيد» لتفصل بين المَدْعُوِّ والمدعو إليه، فلما عطفت على «زيد» استغنيت عن الفصل، لأنك إذا عطفت عليه شيئاً صار فى مِثْل حاله.

ونظيرُ ذلك الحكايةُ ، يقول الرجلُ: رأيتُ زيداً، فتقولُ: مَنْ «زيداً»؟ وإنما حكيتَ قولَه لِيَعْلَمَ أنك إنما تستفهمُهُ عن الذى ذكَرَ بعينه، ولا تسألُه عن زيد غيره، والموضعُ موضعُ رفع، لأنه ابتداءٌ وخبرٌ، فإن قلت: ومَنْ زيدٌ؟ أو فمَنْ زيدٌ؟ لم يكن إلا رفعاً ، لأنك عطفتَ على كلامهِ، فاستغنيتَ عن الحكاية، لأن العطفَ لا يكونُ مستأنَفاً.

---

(١) نسبه المرصفى إلى قيس بن ذريح وقبله :

فواكبدى وعاودنى رداعى ... وكان فراق لبنى كالخداع

(٢) سمعان . بفتح السين وكسرها. وكلاهما صحيح.

ونَظِيرُ هذا الذى ذكرتُ لك فى اللام قولُ الشاعر :

يَبْكِيكَ نَاءٍ بَعِيدُ الدَّارِ مُغْتَرِبٌ يَا لَلْكُهُولِ وَلِلشُّبَّانِ لِلعَجَبِ !

فقد أحْكَمْتُ كلَّ ما فى هذا الباب.

ثم نعود إلى ذكر الخوارج

[خالد بن عباد السدوسى]

قال أبو العباس : وذُكرَ لعُبَيْدِ الله بن زياد رجلٌ من بنى سَدُوس، يقال له خالدُ بن عَبَّاد - أو ابن عُبادة - وكانَ من نُسَّاكهم، فَوجَّهَ إليه فأخذَه. فأتاه رجلٌ من آل ثَوْر، فَكَذَّبَ عنه. وقال: هو صِهرى وهو فى ضِمْنى. فَخَلَّى عنه. فلم يَزَل الرجلُ يَتَفَقَّدُه حتى تَغَيَّب، فأتى ابنَ زياد فأخبره، فَبَعَثَ إلى خالد بن عَبَّاد فأُخذَ، فقال عُبيد الله بن زياد: أين كنتَ فى غَيْبَتك هذه؟ قال: كنتُ عند قوم يَذْكُرونَ اللهَ ويذكرون أئمةَ الْجَوْر فيَتَبَرَّءونَ منهم! قال: ادللنى عليهم[1]، قال: إذَنْ يَسْعَدُوا وتَشْقَى. ولم أكُن لأُرَوِّعَهُمْ!

قال: فما تقولُ فى أبى بكرٍ وعمرَ؟ قال: خيراً. قال: فما تقولُ فى أمير المؤمنين عثمانَ، أتَتَولاَّه وأمير المؤمنين معاوية؟ قال: إن كانا وليَّيْنِ لله فلستُ أُعاديهما، فأَرَاغَهُ مراتٍ فلم يرجع، فعزَم على قتله، فأمر بإخراجه إلى رَحْبَةٍ[2] تُعرفُ برَحْبَة الزَّيْنَبِى.

فجعل الشُّرَط يتَفَادَوْنَ منْ قتله، ويَرُوغُونَ عنه توَقِّياً، لأنه كان شَاسِفاً[3] عليه أَثَرُ العِبَادَة، حتى أتى الْمُثَلَّمُ بنُ مَسْرُوح الباهليُّ، وكان من الشُّرط، فتقدَّم فقتله، فأتَمَر به الخوارجُ ليقتلوه، وكا مُغْرَماً باللِّقاح[4] يَتَتَبَّعُهَا[5] فيشتريها من مَظَانِّها. وهم فى تَفَقُّدِه فدسُّوا إليه رجلا فى هيئة الفتْيان. عليه رَدْعُ زعفرانٍ[6].

---

(١) ر : « دلنى عليهم » .

(٢) الرحبة : الفجوة الواسعة بين الدور .

(٣) الشاسف : اليابس من الهزال .

(٤) اللقحة : الناقة التى لها لبن .

(٥) ر : « يتتبعها » .

(٦) الودع : اللطخ بالطيب والزغفران.

فلَقيه بالمرْبَد[1] وهو يسأل عن لقْحة صفى[2]، فقال له الفـتى : إنْ كنُتَ تبْلُغُ[3] فعندى ما يُغْنيك عن غيره. فامضِ معى .

فمضَى المثلَّمُ على فرسهِ والفتى أمامَهُ، حتى أتى به بنى سَعْد، فدخل داراً، وقال له: ادخلْ على فرسك ، فلمَّا دخل وتوغَّل فى الدار أغلق الباب، وثارتْ به الخوارجُ، فاعْتَوره خُـرَيْثُ بن جَحْل، وكَهْمَسُ بن طَلْق الصَّريمىُّ فـقتلاه، وجعلا دراهم كانت معه فى بطنه. ودفناه فى ناحـية الدار، وحَكَّا آثارَ الدَّم، وخَلَّيا فرسَه فى الليل، فـأصيبَ من الغد فى المـربد، وتجسَّس[4] عنه الباهلـيُّون فلم يَرَوْا له أثراً. فاتهـموا به بنى سدوسٍ، فـاستَعْدَوْا عليـهم السلطان، وجعل السَّـدْوسيُّون يحلفون، وتحامل[5] ابن زيادٍ مع الـباهليين. فـأخذ مـن السدوسـيين أربعَ ديات. وقال: ما أدرى مـا أصنعُ بهؤلاء الخوارجِ! كلما أمـرت بقتل أحدهم اغتـالوا قاتلَه فلم يُعْلَمْ بمكانه. حتى خرج مِرْدَاسٌ، فلما وافَقهم ابن زرعةَ صاح بهم جُرَيث ابن جحْلٍ: أهاهنا من باهلَة أحدٌ؟ قالوا: نعم، قال: يا أعداء الله، أخذتْم بالمُثَلَّم أربع دياتٍ وأنا قتلته[6] ، وجعلـت دراهم كانتْ معـه فى بطنه، وهو فى مـوضع كذا مدفونٌ، فلما انهزمُوا صارُوا إلى الدارِ، فَصابُوا أشْلاءه والدراهمَ، ففى ذلك يقولُ أبو الأسْوَدِ الدُّؤلىُّ :

آليـتُ لا أغْـدُو إلى رَبِّ لِقْـحـةٍ ... أسَـاومُـهُ حـتـى يَعُـودَ المثـلَّمُ[7]

ثم خَـرَجَتْ خوارجُ لا ذِكْـر لهـم، كلُّهـم قُـتِلَ، حتـى انتهـى الأمـرُ إلى الأزارقَـة.

---

(١) المربد : المكان الذى تحبس فيه الإبل وتصان . ومنه سمى مربد البصرة. وكان موضع سوق الإبل.

(٢) الصفى : الناقة الغزيرة اللبن ؛ والجمع صفايا .

(٣) تبلغ : يريد إن كنت تبلغ بها ثمنا جيدا . قاله المرصفى .

(٤) ر : « وتحسن » .

(٥) ر : « فتحامل » .

(٦) ر « وأنا قاتله » .

(٧) بعده كما ذكره المرصفى :

وقـالَ لـهُ كـومـاءُ حَـمْـرَاءُ جَلْـدَةٌ ... وَقَـارَبَـهُ فى السَّـوْم والْقـتْـلَ يكـتمُ
فـأصْبَح قـدْ عُمِّـىَ عَلى النَّاس أمْـره ... وَقَـدْ بات يَـجْـرى فَـوق أثْوَابـه الدَّمُ
وقـد كـانَ فـيـمـا كـانَ منـهُ بمعـزل ... ولكـنَّ حَـيْنَ الْمَـرء لـلْمَـرء مُـسْلِمُ

[تفرق الخوارج]

ومن هاهنا افترقت الخوارجُ فصارت على أربعةِ أضربٍ :

الإباضيَّةُ : وهم أصحابُ عبد الله بن إبَاض .

والصُّفْرِيَّةُ : واختلفوا فى تسميتهم، فقال قومٌ: سمُّوا بابنِ صَفَّار[1]، وقال آخَرُون - وأكثر المتكلمين عليه - هم قومٌ نَهكتْهُمْ العبادة فاصفَرَّت وجوهُهم.

ومنهم البَيْهَسِيَّةُ ،وهم أصحابُ بَيْهَس[2].

ومنهم الأزارقة ، وهم أصحاب نافع بن الأزْرقِ الحَنَفِىّ .

وكانوا قبلُ علـى رأى واحد، لا يختلفون إلاَّ فى الشىء الشاذِّ من الفروع، كما قال صَخْرُ بن عُرْوَةَ: إنـى كرهت قتال علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه لسابقَته وقَرَابته، فأمّا الآنَ فلا يَسَعُنى إلاّ الخروجُ. وكان اعتزَلَ عبدَ الله بن وَهْبٍ يومَ النَّهرِ، فَضَلّلَتهُ[3] الخوارجُ بامتناعه من قتال علىٍّ.

[الخوارج وابن الزبير]

فكان أولُ أمرهم الذى نَسْتَاقُه: أنَّ جماعةً من الخوارج، منهم نَجْدَةُ بنُ عامر الحنفىُّ عزَمُوا على أن يقصدوا مكة، لَمَّا تَوَجَّهَ مُسْلِمُ بن عُقْبَةَ يريدُ المدينةَ لوقعة الحَرَّة؛ فقالوا: هذا ينصرف عن المدينة إلى مكة، ويجب علينا أن نَمْنَعَ حَرَمَ الله منه. ونمتحنَ ابن الزُّبير، فإن كان على رأينا بايعْناهُ، فَمضَوْا لذلك.

فكان أولَ أمرهم أنَّ أبا الوَازِع الرَّاسبىَّ - وكان من مجتهدى الخوارج - كان يَذْمُرُ نَفْسَه ويلومُها على القعودِ، وكان شاعراً، وكان يفعلُ ذلك بأصحابه. فأتى نَافع بن الأزرقِ وهو فى جماعةٍ من أصحابه، يَصفُ لهم جَوْرَ السلطان - وكان ذا لسان عَضْبٍ، واحتجاجٍ وصَبْرٍ على المنازعة - فأتاه أبو الوَازِعِ، فقال : يا نافعُ، لَقد أُعْطيتَ لساناً صارماً. وقلباً كَليلاً، فَلَوَددْت أن صَرَامةَ لسَانكَ كانت لقلبك، وكلاَلَ قلبك كان للسَانك، أتَحضُّ على الحقِّ وتَقْعُدُ عنه، وتُقَبِّحُ الباطلَ وتُقيمُ عليه! فقال: إلى أن يَجْتَمع[4] من أصحابِك من تَنْكِى به عدوَّك، فقال أبو الوازع:

---

(1) هو عبد الله بن الصفا .

(2) هو هيصم بن جابر .

(3) ضللته : نسبته إلى الضلال .

(4) ر : « تجمع » .

لســانكَ لا يُـنْكى بـه القــومُ إنما ... تَنـالُ بكَفَّـيْكَ الـنَّجَـاةَ من الـكَرْبِ
فَجـاهدْ أُناساً حاربُوا الله واصْـطَبرْ ... عسى الله أن يُخزى غَوىَّ بنى حَرْبِ

ثم قال: والله لا ألومك ونفسى أَلُومُ، وَلأغْـدُوَنّ غَدْوة لا أَنْثَنى بعدَها أبداً. ثم مضى فاشترى سيفاً، وأتى صيْقَلاً [1] كان يذمُّ الخوارج ويَدُلُّ علي عوراتهم، فشاوره فى السيف فحمده، فقال: اشْـحَذْه، فَشَحَذَه. حتى إذا رَضيه حكَّمَ وَخَبَطَ به الصقيل وحملَ علي الناس فتهاربُوا منه، حتى أتى مَقْبَرَة بنى يَشْكرَ، فَدَفعَ عليه رجلٌ حائطَ السُّتْرة فكرهتْ ذلك بنو يَشْكرَ. خوفاً أن تَجْعَل الخوارجُ قبره مُهاجَراً، فلما رأى ذلك نـافعٌ وأصحابُه جَدُّوا، وخَـرج فى ذلك جماعـةٌ، فكان ممن خَرج عيـسى بن فَاتك الشـاعرُ الخَطىُّ، من تيْـمِ اللاَّتِ بن ثَعْلبةَ، ومَـقْتَلُه بعـدَ خروج الأزارقة.

فمضى نافعٌ وأصـحابُه من الحُرورِيَّة قبل الاختلاف إلى مكة، لِـيَمْنَعُو الحَرَمَ من جيش مُسْلمِ بن عُقْبَةَ، فلما صاروا إلى ابـن الزبير عَرَّفوه أنفسهم، فأظهر لهم أنه على رأيهم، حتى أتاهم مـسلم بن عُقْبةَ وأهلُ الشاْم، فـدافعُوهـم إلى أن يأتىَ رأىُ يزيدَ بن معاويةَ، ولم يبايعوا ابنَ الزبير .

ثم تناظروا فيـما بينهم فقـالوا: نَدْخُل إلى هذا الرجل فننظُر مـا عندَه، فإن قَدَّمَ أبا بكر وعمرَ، وبَرِئَ من عثمـانَ وعليٍّ، وكفَّر أباه وطلحةَ، بايَعْنَاه،وإن تكنِ الأخْرَى ظهرَ لنا ما عندَه. فَتَشَاغلنا بما يُجْدى علينا. فدخلوا على ابن الزبير. وهو مُتَبَذِّلٌ. وأصحابُـه متفرقون عنه. فقالوا: إنَّا جئناك لتُـخْبِرنا رأيَك، فإن كنتَ على الصواب بايعناك، وإن كنتَ على غيره دَعَـوْنَاكَ إلَى الحقِّ، ما تقولُ فى الشَّيخين؟ قال: خيراً، قالوا: فما تقولُ فى عثمان الذى أَحْمَى الحمَى، وآوى الطَّريدَ، وأظهر لأهل مصرَ شـيئاً وكَتَبَ بخـلافه. وأَوْطَأ آل أبى مُعَيْط رقـابَ الناس وآثَرَهُمْ بفَىْء المسلمين؟ وفى الذى بعـدَه الذى حكَّم فى دينِ الله الرِّجَالَ. وأقام علـى ذلك غير تَائب ولا نادمٍ؟ وفى أبيكَ وصاحـبه، وقد بايَعا عليًّا وهو إمـامٌ عادلٌ مَرْضِىٌّ، لـم يَظْهَرْ منه كـفْرٌ، ثم نَكثا بعرَض من أعـراض الدنيا، وأخرجا عائشـةَ تُقَاتِلُ، وقد أمَرها الله وَصواحِبهَا أن يَقَرْنَ [2] فى بُيُوتِهنَّ؟ و كان لـك فى ذلك ما يَدعُوكَ إلى

(١) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها .

(٢) يشير إلى قوله تعالى فى سورة الأحزاب ٣٣ : ﴿ وقرن فى بيوتكن ﴾ .

التوبة! فإن أنت قلت كما نقولُ فلك الزُّلْفةُ عندَ الله والنَّصْرُ على أيدينا، ونسألُ اللهَ لك التوفيقَ وإن(١ أَبَيتَ خَذَلَك الله وانْتَصَرَ منك بأيدينا١).

فقال ابن الزبير: إنَّ الله أمر - وله العزَّةَ والقُدْرَةُ - فى مخاطبة أكْفَر الكافرين وأعْتى العُتاة بأرفه(٢) من هذا القولَ، فقالَ لموسى ولأخيه - صلى الله عليهما - فى فرعونَ: ﴿فَقُولا له قَوْلاً لَيِّناً لعلَّهُ يَتذكَّرُ أَوْ يخْشَى﴾(٣) وقال رسول الله ﷺ: «لا تُؤْذُوا الأحياءَ بسَبِّ الْموتَى» فَنَهَى عن سَبِّ أبى جهلٍ من أجل عكْرِمةَ ابنه، وأبو جهلٍ عدوُّ الله وعدوُّ الرّسول، والمقيم على الشِّرْك، والجادُّ فى المحاربة، والْمُتَبغِّضُ إلى رسول الله ﷺ قبلَ الهجرة، والمحاربْ له بعدَها، وكفَى بالشِّرْك ذنباً! وقد كان يُغْنيكم عن هذا القول الذى سَمَّيْتُمْ فيه طلحةَ. وأبى أن تقولوا: أَتَبْرَأ من الظالمين؟ فإن كانا منهم، دخلاَ فى غِمار(٤) الناس، وإن لم يكونَا منهم لم تُحفظُونى(٥) بسَبِّ أبي وصاحبه. وأنتم تعلمون أنَّ الله جلَّ وعزّ قال للمؤمن فى أبوَيْه: ﴿وإنْ جاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بى ما لَيْسَ لَكَ به علمٌ فلا تُطعهما وصاحبْهُما في الدُّنْيا معْرُوفاً﴾(٦)، وقال جَلَّ ثناؤه: ﴿وقُولُوا للنّاس حُسْنًا﴾(٧). وهذا الذى دَعَوْتم إليه أمرٌ له ما بعدَه، وليس يُقْنعُكمْ إلاَّ التوقفُ والتَّصْريح، ولعَمْرى إنّ ذلكَ لأحْرَى بقَطْعِ الحُجج، وأوضحُ لمنْهاجِ الحقِّ، وأوْلَى بأن يَعْرفَ كلُّ صاحبَه من عدوِّه، فُروحُوا إلىَّ من عَشيَّتكم هذه أكْشِفْ لكم ما أنا عليه إن شاء الله.

فلماكان العَشىُّ راحُوا إليه، فخرج إليهم وقد لَبِسَ سلاحه، فلما رَأى ذلك نجدة قَال: هذا خروجُ مُنابذ لكم، فجلس عَلَى رَفْعٍ من الأرض فحَمدَ اللهَ وأثنى عليه، وصلَّى على نبيه ﷺ. ثم ذكَرَ أبا بكر وعمر أحسن ذكر، ثم ذَكَرَ عثمانَ فى السِّنينَ الأوائلِ من خلافَته، ثم وَصَلَهُنَّ بالسِّنينَ التى أنْكَرُوا سيرتَه فيها. فجعلها كالماضيةِ، وخبّرَ أنه آوى الحكَمَ بن أبي العاص بإذنِ رسول الله ﷺ،

(١-١) كذا وردت العبارة فى الأصل. س. وفى ر: «وإن أبيت إلا نصر رأيك الأول. وتصويب أبيك وصاحبه. والتحقيق بعثمان، والتولى على السنين الست التى أحلت دمه. ونقضت... وأفدت إمامته، خذلك الله وانتصر منك بأيدينا».

(٢) فى ر: «بأرأف».

(٣) سورة طه ٤٤.

(٤) غمار الناس: جماعاتهم.

(٥) لم تحفظونى: لم تغضبونى.

(٦) سورة لقمان ١٥.

(٧) سورة البقرة ٨٣.

وذكر الحمى وما كان فيه من الصَّلاحَ، وأنَّ القــومَ استَعْتَبُوهُ من أُمور، وكان له أن يفعلَها أُوَّلا مُصيباً، ثم أَعْتَبُهمْ بعدَ مُحْسناً، وأنَّ أَهلَ مصرَ لَمَّا أَتوْه بكتاب ذَكَرُوا أنه منه بعدَ أَنْ ضَمِنَ لهم العُتْبَى؛ ثم كُتِبَ لهم ذلـك الكتابُ بِقَتْلِهِمْ، فَدَفَعُوا الكتابَ إليه، فـحلف أنه لم يكْتُبْهُ ولـم يَأمُرْ به، وقد أُمرَ بـقبولِ اليمين مِمَّن لـيس له مثلُ سَابِقته، معَ مـا اجْتَمَع له من صِهْرِ رسول الله ﷺ ومكانه من الإمـامة، وأن بَيْعةَ الرِّضْوان تحتَ الشَّجرة إنما كَانت بسببـه، وعثمانُ الرجل الذى لَزِمَتْه يمينٌ لو حَلَفَ عليها لَحَلَفَ على حقٍّ فافتـداها بمائة أَلْف ولم يَحْلفْ، وقد قال رسول الله ﷺ : «مَنْ حَلَفَ بِالله فَلْيَصْدُقْ، ومَنْ حُلِفَ لَهُ بِالله فَلْيَرْضَ» .

فعـثمـانُ أميـرُ المؤمنين كَصَـاحِبَـيْه، وأنا وليٌّ ولِّـيه، وعَدُوٌّ عَـدُوِّه، وأَبى وصاحبُـه صَاحِبَا رسـول الله ﷺ ، ورسولُ الله يقولُ عن الله تعـالى يومَ أحد لَمَّا قُطِعَتْ إصْـبَعُ طلحـةَ : « سَبَقَـتْه إلى الجنة » ، وقـال: «أَوْجَب طلحـةُ»، وكان الصدِّيقُ إذا ذَكَـرَ يوم أُحْد، قال: ذاك يوم كُلُّـه أو جُلُّهُ لطلحةَ ، والزبيـرُ حَوَارِىُّ رسول الله وَصفـوَتُهُ، وقدْ ذَكَرَ أنهما فى الجـنة، وقال جلَّ وعزَّ: ﴿لَقَدْ رَضِىَ اللهُ عَنِ المُؤْمنينَ إذ يُبَايعُـونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[1]، وما أَخبَرَنَا بعـدُ أنه سَخطَ عليهم، فإنْ يكنْ ما سَعَوْا فيه حقًّا فأَهْلُ ذلك هُمْ ، وإن يكنْ زَلَّة فَفى عفو الله تَمْحيصُها، وفيما وفقهم لـه من السابقة مع نَبيِّهم ﷺ. ومهما ذَكَرْتُمـوهَا به فقد بَدَأْتُمْ بأُمِّكُمْ عائشةَ رضى الله عنها. فإنْ أَبَى آب أن تـكونَ له أُمًّا نَبَذَ اسمَ الإيمان عنه، قال اللهُ جلَّ وعزَّ - وقولُهُ الحقُّ: ﴿النَّبىُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمنينَ منْ أَنْفُسهمْ وأَزْوَاجهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[2].

فَنَظر بعضُهم إلى بعضٍ ، ثم انصرفوا عنه .

* * *

وكان سـببُ وضعِ الحربِ بـينَ ابنِ الزبير وبين أهـلِ الشام - بعـدَ إذ كان[3] حُصَيْن بن نُمَيْر قد حَصَرَ ابنَ الزبير أنه أتاهم موتُ يَزيدَ بن معاوية فتوادعَ الناسُ، وقد كـان أهلُ الشام ضَجِـرُوا من الْمقامِ عـلى ابن الزبير ، وحَنِقَـتِ الخوارجُ فى قتالهم، ففى ذلك يقول رَجلٌ من قُضاعَةَ :

---

(١) سورة الفتح ١   (٢) سورة الأحزاب ٦ .

(٣) ر : « أن كان » .

يا صاحبىَّ ارْتَحِلاَ ثـم املُسَـا ... لا تحْبِسَا لَدَى الْحَصْـين مَحْبَـسَا

إنَّ لَدَى الأركانِ ناساً بُؤَّساَ

ـ [قال الأخفشُ : حِفْظِى « بَأْساً أبؤُسَا »] ـ

وبارقـاتٍ يَخْـتَلِسْنَ الأنْـفُسَـا ... إذا الفـتى حَـكَّم يومـاً كلَّـسَـا

قوله : «ثم امْلَسَا» يريد: تَخَلَّصَا تَخلُّصاً سهلا، وكَلَّسَ، أى حَمَلَ وَجَد.

* * *

ولما سمَّحَ ابن الزبيـر للخوارج فى القولِ وأظهر أنه منهـم قال رجل يقال له فلان بن هَمَّامٍ[1] من رَهْط الفَرَزْدَق :

يَا بنَ الـزبيـر أتَهْـوَى عُصْـبَـةً قَـتَلُوا ... ظـلمـاً أبـاك ولَمَّـا تُنْـزَع الـشّكَـكُ

ضحَّـواْ بعثـمانَ يومَ النحـر ضاحـيةً ... ما أعْظَمَ الحرمةَ العُظْمَى التى انْتَهكُوا!

فقال ابنُ الزبير : لو شايعتْنى التُّرْكُ والدَّيْلَمُ على قتال أهل الشأم لشَايَعْتُها.

الشّكَك : جمعُ شِكَّة ، وهى السلاحُ . قال الشاعر :

ومُـدَجِّـجـاً يَسْـعَى بِشِـكَّتِـهِ ... مُـحْـمَـرَّةً عـينـاهُ كـالكَـلْبِ

* * *

فتـفرقت الخـوارجُ عن ابن الزبيـر لما تَولَّى عـثمانَ ، .فـصارت طائفـة إلى البصرة، وطائـفة إلى اليمامَة، وكـان رجاءٌ النصرىّ [2] وهو الذى كان جَـمَعهم للمدافـعة عن الحرَم، فكان فيـمن صار إلى البصرة نـافعُ بن الأزرق الحنفىُّ، وبنو الماحُوزِ السليطُّيونَ، ورئيسُهم حسَّانُ بن بحدج[3]. فلما صاروا إلى البصرة نظروا فى أمورهم فأمَّروا عليهم نافعاً.

[خروج نافع بن الأزرق بقومه إلى الأهواز]

ويُرْوَى أن أبا الجَلْـد اليشْكرىَّ قـال لنافع يومـاً : يا نافعْ إنّ لجـهنم سبـعةَ أبوابٍ، وإن أشدَّها حَـرًّا لَلْبابُ الذى أُعـدَّ للخوارج، فإن قَـدَرْتَ ألا تكون منهم

---

(١) ر : « قيس بن همام » .

(٢) كذا فى الأصل . وفى ر : « النمبرى » .

(٣) ر : « محرج » .

فافعلْ، فأَجمع القومُ عَـلَى الخروج، فمضى بهم نافعٌ إلى الأهْواز[1] فى سنة أربع وستين، فأقاموا بها، لا يَهيجون أحداً، ويُناظرهم الناسُ.

وكان سببُ خروجهم إلى الأهواز أنه لَمَّا مات يزيدُ بايعَ أهلُ البصرة عُبَيْدَ الله ابنَ زياد، وكان فى السجن يومئذ أربعمائة رجلٍ من الخوارج، وضَعُفَ أمْر ابنِ زياد، فَكُلِّمَ فيهم فأطلقهم، فأفسدُوا البَيْعَة عليه، وفَشَوْا فى الناس، يَدْعُونَ إلى محاربة السلطان ويُظْهِرون ما هم عليه، حتى اضْطَرَبَ عَلَى عُبيد الله أمره. فتحوَّل عن دار الإمارة إلى الأزْد، ونَشَأَت الحرب بسببه بين الأزد وربيعةَ وبين بنى تميم، فاعتزلهم الخوارجُ إلاَّ نفراً منهم من بنى تميم. معهم عَبْسُ بن طَلْق الصَّرِيمىُّ أخو كَهْمَسٍ، فإنهم أعانوا قومَهم، فكان عبسُ الطعانِ فى سعد، والرِّبَابُ فى القلب بحذاء الأزد.

وكان حارثة بن بَدْرٍ اليربوعىُّ فى حَنْظلة بحذاء بَكْر بن وائل، وفي ذلك يقول حارثة بن بدرٍ للأحْنفِ؛ وهو صَخْرُ بن قيس :

سيكفيك عبسٌ أخو كَهْمس مُواقَفَةَ الأزْد بالْمرْبَد
وتكفيكَ عَمْرٌو على رسْلِها لُكَيْزَ بن أَفْصَى وما عَدَّدُوا

ـ لُكَيزٌ هو عبدُ القَيْس ـ

وَتَكفيكَ بَكْراً إذا أقبلت بضربٍ يَشيبُ له الأمْرَد

فما قُتل مسعودُ بن عَمْرو الـمَعْنِىُّ، وتكافَّ الناس، أقام نافعُ بن الأزْرق بموضعه بالأهوازِ، ولم يَعُدْ إلى البصرة، وطردوا عُمَّالَ السلطانِ عنها، وجَبَوْا الفيْءَ.

[خروج نجدة بن عامر على نافع بن الازرق ، والرسائل التى دارت بينهما]

ولم يزالوا على رأيٍ واحد، يَتَوَلَّوْنَ أهلَ النهر ومرْداساً ومن خرج معه، حتى جاء مَوْلًى لبنى هاشمٍ إلى نافعٍ، فقال له: إنّ أطفالَ المشركين فى النارِ، وإن مَن خالَفنا مشركٌ، فدماءُ هؤلاء الأطفال لنا حلالٌ. قال له نافعٌ: كفرتَ وأحللت بنفسك[2]، قال له : إن لم آتِكَ بهذا من كتاب الله فاقتُلْنى ، ﴿قال نوحٌ رَبِّ لا

[1] الأهواز سبع كور بين البصرة وفارس

[2] ر س . « وأدللت » .

تَذَرْ على الأرض من الكافرينَ دَيَاراً * إنَّكَ إنْ تَـذَرْهُمْ يُضلّوا عبادَك ولا يَلدُوا إلاَّ فاجراً كَفَّاراً﴾[1]، فهذا أمرُ الكافـرين وأمرُ أطفالهم، فشهدَ نافعٌ أنهم جـميعاً فى النارِ، ورأى قـتلهم. وقـال: الدار دار كُـفر إلا منْ أَظْـهر إيمانه، ولا يـحلُّ أكلُ ذبائحهم[2]، ولا تَناكُحُهمْ ، ولا تَـوارُثُهُمْ، ومتى جاءَ منهم جاء فعـلينا أن نمْتَحنَهُ وهم ككُفَّار العرب، لا نَقبلُ منهم إلا الإسلامَ أو السيـف والقَعَدُ بمنزلتهم، والتَّقيَّةُ لا تحلُّ، فإن الله تعالى يقول: ﴿إذا فريقٌ منهم يَخْشَوْنَ النـاسَ كخشيَةِ الله أو أَشَدَّ خَشيَةً﴾[3]. وقال عزّ وَجلَّ فيمـن كان على خلافهم: ﴿يُجاهِدُونَ فى سـبيل الله ولا يَخافونَ لَوْمةَ لائم﴾[4]. فَنَفَرَ جماعةٌ من الخوارج عنه، منهم نَجْدةُ بن عامرٍ، واحتـجَّ بقول الله عـز وجلَّ: ﴿إلا أن تَتَّقُـوا منم تُقاةً﴾[5]، وبقولـه عز وجلَ: ﴿وقال رجلٌ مُؤْمنٌ منْ آل فـرْعَوْنَ يكْتُمُ إيمانَهُ﴾[6]. فالقَعَدُ منَّا، والجهادُ إذا أمكنَ أفضلُ، لقوله جلَّ وعَزَّ: ﴿وَفَضلَ اللهُ المجَاهدينَ على القاعدينَ أجْراً عظيما﴾[7].

ثم مضى نَجْدةُ بأصحابه إلى اليمامة وتفرَّقوا فى البُلدان.

فلما تَتَابعَ [8] نافعٌ فى رأيه وخـالَف أصحابَه، وكان أبو طـالوتَ سالمُ بن مَطَر بالخَضَارم[9] فى جمـاعة قد بايـعوه، فلما انْخَـزَل نَجْدة خَلَعـوا أبا طالوتَ، وصاروا إلى نجدةَ فبـايعوه، ولَقى نجدةُ وأصحابهُ قوماً مـن الخوارج بالعَرِمَة [10] ـ والعرمة كالسِّكر[11] ـ وجمعُها عَـرِمٌ ، وفى القرآن المجيد: ﴿فأرْسَلْنَا عليهم سَيْلَ الْعَرم﴾[12] وقال النابغة الجَعْدىُّ :

مِنْ سَبـأ الحـاضـرين مَـأربَ إذ يبْـنُون مـن دُون سَيْلـه العَـرِمَـا

فقال لهم أصحابُ نَجْـدةَ: إن نافعاً قد أكفر[13] القَعَد ورأى الاستعراضَ، وقتل الأطفالِ، فانصرَفوا مع نجدةَ . فلما صار باليمامة كتبَ إلى نافع.

---

(١) سورة نوح ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) س : « لا تحل » .
(٣) سورة النساء ٧٧ .
(٤) سورة المائدة ٥٤ .
(٥) سورة آل عمران ٢٨ .
(٦) سورة غافر ٢٨ .
(٧) سورة النساء ٩٥ .
(٨) التتابع فى الشر وهو التهافت عليه .
(٩) خضارم : اسم واد باليمامة .
(١٠) العرمة : أرض صلبة تتاخم الدهناء .
(١١) السكر ، بكسر فسكون : اسم لما سد به فم النهر .
(١٢) سورة سبأ ١٦ .
(١٣) ر : « كفر » .

بسم الله الرحمن الرحيم. أمَّا بعدُ: فإنّ عَهْدى بك وأنتَ لليَتيم كالأَب الرحيم. وللضعيف كالأخ البَرِّ، لا تأخذكَ في الله لومةُ لائم. ولاَ تَرَى مَعونة ظالم، كذلك كنتَ أنتَ وأصحابُك، أمَا تَذْكُرُ قولَكَ: لولا أنِّى أعلم أن للإمام العادل مثلَ أجرِ جميع رعيَّته ما توليتُ أمر رجلين من المسلمين؟ فلما شَرَيْت نَفْسَكَ فى طاعة ربك ابتغاء رضوانه، وأصبتَ من الحقِّ فصَّهُ، وركبت مُرَّهُ. تَجرَّدَ لك الشيطانُ، ولم يكن أحدٌ أثقلَ عليه وَطْأَة منك وَمن أصحابك. فاستمالَكَ واستهواكَ واسْتغواك وأغواكَ، فَغَوَيْتَ فأكفرتَ الذين عَذَرهم اللهُ فى كتابه من قَعَدَ المسلمين وضَعَفَتهمْ، فقال جل ثناؤه، وقولهُ الحق ووَعْدُهُ الصِّدْقُ: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفاء ولا عَلَى المَرْضَى ولا عَلى الَّذينَ لا يَجدُونَ ما يُنْفقُونَ حَرَجٌ إذا نَصَحُوا لله ورَسُوله﴾[1]. ثم سَماهم أحسن الأسماء، فقال: ﴿ما عَلى المحْسنينَ من سَبيل﴾[2]. ثم استَحْلَلت قتلَ الأطفال، وقد نَهَى رسول اللهُ ﷺ عن قَتلهم، وقال الله عز ذكره: ﴿ولا تَزرُ وَازرةٌ وزْرَ أخْرى﴾[3]، وقال فى القَعَد خيراً، وَفَضلَ اللهُ من جاهَدَ عليهم، ولايَدفَعُ مَنْزلةُ أكثر النَّاس عملا منزلَةَ مَنْ هودُونَه، أَوَ مَا سمعتَ قولَه عز وجل: ﴿لا يَسْتَوى القَاعدُونَ من المؤمنينَ غيْرُ أولى الضَّرر﴾[4]، فجعلهم اللهُ من المؤمنين، وفضلَ عليهم المجاهدين بأعمالهم، ورأيتَ ألا تُؤَدِّيَ الأمانة إلى مَنْ خالفَك، والله يأمُر أن تؤدَّى الأماناتُ إلى أهلها، فاتق الله وانظرْ لنفسك، واتق يوماً ﴿لا يجْزى والدٌ عن وَلَده ولا مَوْلُودٌ هو جَازٍ عن وَالده شَيْئاً﴾[5]، فإن اللهُ عزَّ ذكرُه بالمِرْصاَد، وحُكْمُهُ العَدْلُ، وقوله الفَصْلُ، والسلامُ.

* * *

فكتب إليه نافعٌ:

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد: فقد أتانى كتابُكَ تعظُنى فيه وتذكِّرْنى، وتَنْصَحُ لى وتَزْجرُنى، وتَصفُ ما كنتُ عليه من الحقِّ، وما كنتُ أوثرُه من الصواب، وأنا أسأل الله جلَّ وعز أن يجعلنى من الذين يستمعون القول

(١) سورة التوبة ٩١

(٢) سورة التوبة ٩١ .

(٣) سورة الأنعام ١٦٤ .

(٤) سورة النساء ٩٥ .

(٥) سورة لقمان ٣٣ .

فيتَّبعُتونَ أحسنَهُ، وعِبْتَ عليَّ ما دنْــتُ به من إكفار القعد وقَتْلِ الأطْفالِ واستحلال الأمانة، فسأفَسِّرْ لكم ذلك إن شاء الله .

أمَّا هؤلاء القُعَّدُ فليسوا كَــمنْ ذكَرْتَ ممن كان بعَهْدِ رسول الله ﷺ . لأنهم كانوا بمكَّة مَقْهُــورين محصورين، لا يَجدون إلى الهَرَب سَــبيلاً، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقة، وهؤلاء قد فَقِهُــوا في الدِّين، وقَرَءوا القرآن، والطريق لَهم نَهجٌ واضحٌ، وقــد عرفتَ مــا قال اللهُ عــز وجل فيــمن كان مــثْلهم، إذ قــالوا: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأرْضِ﴾[1]. فقيل لهم: ﴿أَلَمْ تكنْ أَرْضُ الله وَاسِــعةً فتُهــاجروا فيها﴾[2]. وقَالَ: ﴿فَرِحَ المُخَلَّفُونَ بمَقْعَدهمُ خلافَ رسُول الله﴾[3]، وقال ﴿وجَاءَ المُعَذِّرونَ من الأعْرَابِ ليُؤْذَنَ لَهُمْ﴾[4]. فَخَبَّر بتعذيرهمْ، وأنهمْ كَذَبُوا الله ورسولهُ وقال: ﴿سَــيُصِــيبُ الذين كَــفَرُوا مــنهم عــذابٌ أَليمٌ﴾[5]. فانْــظُرْ إلى أسمــائِهم وسِمَاتِهمُ.

وأمَّا أَمْرُ الأطفال فإنَّ نبيَّ الله نوحاً عــليه السلامُ كان أعلمَ بالله - يا نَجْدَةَ - مني ومنكَم فقال: ﴿رَبِّ لا تذَرْ علَى الأرْض منَ الكافرين ديَّاراً * إنَّكَ إنْ تَذَرْهُــمْ يَضلُّوا عبادكَ ولا يَلدوا إلا فَاجِراً كَفَّاراً﴾[6]. فسَمَّاهَم بالكُفْر وهم أطفالٌ. وقبلَ أنْ يولدوا. فكيفَ كَان ذلك في قوم نوح ولا نَكُــونُ نَقُولُه في قومنا! واللهُ يقولُ: ﴿أكفَّارُكُمْ خيرٌ منْ أولئكُمْ أَمْ لكمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾[7]، وهؤلاء كمُشْرِكي العربِ، لا نَقْبَلُ منهم جزيَة، ولَيس بيننا وبينهم إلا السيفُ أو الإسلامُ.

وأما استحــلالُ أمانات مَنْ خالَفَنَا فإن الله عز وجل أَحَلَّ لنا أمــوالَهم، كما أحلَّ لنا دمَاءَهم ، فــدماؤهُم حلالٌ طلْقٌ[8]، وأموالُهم فيءٌ للمــسلمين. فاتَّق اللهَ وراَجعْ نفسَك، فإنه لا عُــذَر لك إلاَّ بالتوبة، ولن يَسَعَكَ خذْلانُنَــا، والقعودُ عنَّا، وتَرْكُ مَا نَهَجْنَاه لكَ من طريقَتنا ومَقالَتنا ، والسلامُ على مَنْ أَقَرَّ بالحقِّ وعَملَ به .

[كتاب نافع إلى ابن الزبير]

وكَتَبَ نافعٌ إلى عبد الله بن الزُّبير يَدعوه إلى أمره :

---

(1) سورة النساء ٩٧ .
(2) سورة النساء ٩٧ .
(3) سورة التوبة ٨١ .
(4) سورة التوبة ٩٠
(5) سورة التوبة ٩٠ .
(6) سورة نوح ٢٦ ، ٢٧ .
(7) سورة القمر ٤٣ .
(8) الطلق : الحلال .

أمَّا بـعدُ : فإني أحـذِّرك من الله ﴿يومَ تَجـد كلُّ نَفْس مَا عـملَتْ من خَير مُـحْضَـراً ومَا عَـملَتْ منْ سـوء تَوَدُّ لو أَنَّ بـينَهـا وبَيْنَه أَمَـداً بَعيـداً ويُحَـذِّرُكُمْ اللهُ نَفْسَهُ﴾[1]. فاتَّق اللهُ ربَّـكَ ولا تَتَولَّ الظالمين، فـإن الله يقولُ: ﴿لاَ يتَّخذ المؤمنونَ الكافرينَ أَوْلِيَاءَ منْ دُون المؤْمنينَ ومَنْ يَفْعَل ذلك فَلَيْسَ منَ الله فى شَيء﴾[2]. وقد حَضَرْتَ عثمانَ يـوم قُتلَ فَلَعَمْرى لئن قُتلَ مظلوماً لقد كَـفَرَ قَاتلوه وخاذلوه، ولئن كان قاتلوه مُهْتَـدينَ ـ وإنهم لَمُهْتَدونَ ـ لقد كفَرَ منْ يتولاّه وينـصرُه ويَعْضُدُه. ولقد علمتَ أن أباك وطلحةَ وعليًّا كانوا أشدَّ الـناسِ عليه، وكانوا فى أمره منْ بَيْنَ قاتلٍ وخاذلٍ ، وأنت تتولى أباكَ وطلحـةَ وعثمان، فكيف[3] وَلاَيةُ قاتل مُتعمِّد ومقتول فى دينٍ واحـد! ولقد مَلَكَ عـلىٌّ بعدَه فَنَفَـى الشُّبُهَـات، وأقامَ الحـدودَ، وأَجْرى الأحكامَ مَجارِيها، وأَعْطَى الأمورَ حقائقها، فـيما عليه وله، فبايعه أبوك وطلحة، ثُمَّ خَلَعَاهُ ظالِمَيْنِ له، وإنَّ القول فيك وفيـهما لَكَمَا قال ابنُ عباس: إنْ يكنْ علىٌّ فى وقت معصيتكم ومُحَارَبَتكم له كان مـؤمنا؛ أَمَا لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل، ولئن كان كافراً كما زعـمتم، وفى الحكْم جائراً، لقد بُؤْتُم بغضب من الله لفرارِكم من الزَّحْف، ولقد كنتَ له عدواًّ، ولسيرته عائباً، فكيف تَوليْتَهُ بعدَ موته! فاتَّق اللهُ فإنه يقولُ: ﴿ومَنْ يَتولَّهُمْ منْكُمْ فإنَّه منْهُمْ﴾[4].

[كتاب نافع إلى المحكمة من أهل البصرة]

وكتب نافعٌ إلى مَنْ بالبَصْرَة من المُحكِّمة :

بسم اللهُ الرحمن الرحيم . أمَّا بعدْ : فإن الله اصطفَى لكمُ الدينَ فلا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون، والله إنكم لتَعلمونَ أن الشـريعةَ واحدةٌ ، والدينَ واحدٌ، ففيم المُقَامُ بين أظْهُرِ الكفَّار، تَرَوْنَ الظُّلم ليلا ونـهاراً، وقد نَدَبكم الله إلي الجهاد فقال: ﴿وقاتلُوا المشركينَ كافَّة﴾[5]، ولم يجـعل لكم فى التَّـخلُّف عذراً فى حـال من الحال، فقال: ﴿انفرُوا خفافاً وثقالا﴾[6]! وإنما عـذَرَ الضُّعـفاءَ والمْرضَى والذيـنَ لا يجـدُون ما يُـنفقـونَ ومَنْ كَـانت إقـامتُـه لِعلَّة . ثُـمَّ فضل عـليهـم مع ذلك

---

(١) سورة آل عمران ٣٠

(٢) سورة آل عمران ٢٨ .

(٣) ر « وكيف »

(٤) سورة المائدة ٥١ .

(٥) سورة التوبة ٣٦

(٦) سورة التوبة ٤١

المجاهدين. فقال: ﴿لا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنْ المؤمنين غَيْرُ أُولى الضرر والمجاهدُونَ فى سبيل الله﴾(١)؛ فلا تغتَرّوا ولا تطمئنّوا إلى الدنيا، فإنها مرَّارة مكَّارةٌ. لذَّتها نافدةٌ، ونعْمَتُها بائدةٌ. حُفَّتْ بالشَّهوات اغتراراً. وأظْهَرَتْ حَبْرَةً(٢). وأضمرتُ عَبْرة، فلَيس آكلٌ منها أكلة تسُرُّه. ولا شاربٌ شُرْبَةً تُؤنِقُهُ(٣). إلاَّ دَنَا بهَا درجةً إلى أجله، وتَبَاعَد بها مسافةً من أَمَلِه، وإنما جعلَها الله داراً لمن تَزَوَّدَ منها إلى النعيم المقيم، والعيش السليم، فلن يَرْضَى بها حازمٌ داراً، ولاحليمٌ بها قراراً، فاتقوا الله ﴿وتَزَوَّدُا فإنَّ خَيْرَ الزَّاد التقْوَى﴾(٤). والسلام على من اتَّبع الهدَى.

* * *

فوَرَدَ كتابُه عليهم، وفى القوم يومئذ أبو بَيْهَسٍ هيْصَمُ بن جابرٍ الضُّبَعِىُّ، وعبدُ الله بن إباضٍ المُرِّىُّ، من بنى مُرَّة بن عُبَيد، فأقبلَ أبو بَيْهَسٍ على ابن إباضٍ فقال: إن نافعاً غَلاَ فَكَفَرَ، وإنك قَصَّرْتَ فكَفَرْتَ، تَزْعُمُ أنَّ مَن خالفَنا ليس بمشرك. وإنما هم كُفَّارُ النِّعَم؛ لتمسُّكهم بالكتاب، وإقرارهم بالرَّسول، وتَزْعُمُ أن مَنَاكحَهُمْ ومَواريثَهم والإقامةَ فيهم حِلٌّ طِلْقٌ(٥)؟ وأنا أقولُ: إن أعداءَنا كأعداء رسول الله ﷺ، تَحلُّ لنا الإقامةُ فيهم. كما فعل المسلمون فى إقامتهم بمكة. وأحكام المشركين تجْرى فيهم(٦)، وأزْعُمُ أنَّ مَنَاكحَهم ومواريثَهم تجوزُ لأنهم منافقونَ يظهرون الإسلامَ. وأنَّ حكمَهم عندَ الله حكْمُ المشركين.

فصاروا فى هذا الوقت على ثلاثة أقاويلَ: قول نافعٍ فى البَرَاءة والاستعراضِ واستحلال الأمانة وقتلِ الأطفال. وقولَ أبى بَيْهَسٍ الذى ذكرناه، وقَول عبد الله بن إباضٍ. وهو أقربُ الأقاويلِ إلى السُّنَّة من أقاويل الضُّلاَّل. والصُّفْرِيَّةُ والنَّجْدِيَّةُ فى ذلك الوقت يقولون بقولِ ابن إباضٍ. وقد قال ابن إباضٍ ما ذكرنا من مقالته.

وأنا أقول: إنَّ عَدُوَّنا كعدوِّ رسول الله ﷺ، ولكننى لا أحرِّمُ مناكحتهم ومَوَاريثَهم، لأن معهم التوحيدَ والإقرارَ بالكتاب والرسول عليه السلام، فأرَى معهم دَعْوَةَ المسلمين تَجْمَعُهُمْ، وأراهُمْ كُفاراً للنِّعَم، وقَالَتْ الصُّفْرِيَّةُ ألْيَنَ من هذا القول فى أمْرِ القَعَد. حتى صار عَامَّتُهُمْ وَاخْتَلَفوا فيهم، وقد ذكرنا ذلك فقال قوم:

---

(١) سورة النساء ٩٥ .
(٢) الحبرة . النعمة وسعة العيش .
(٣) تؤنقه : تعجبه .
(٤) سورة البقرة ١٩٧ .
(٥) طلق . حلال .
(٦) ر . « فيها » .

سمُّوا صُـفْرِيَّةَ لأنهم أصحـاب ابن صَفَّار، وقال قـومٌ: إنما سُموا بِصُفَـرةِ عَلَتْهُمْ. وتصديقُ ذَلَك قـولُ ابن عاصـمٍ اللَّيثـيِّ. و كان يَرَى رأيَ الخوارجِ، فتـركَه وصار مُرْجِئاً :

فَـارقت نَـجْـدَةَ والذيـن تَزرَّقُـوا ... وَابْنَ الزُّبَـيْر وشـيعـةَ الكَذَّاب[1]!

وَالصُّـفْـرَ الاذانِ الذيـن تَخَـيَّـرُوا ... ديـناً بـلا ثِـقَـةٍ ولا بِـكِـتَــاب

ـ خَفَّفَ الهمزة من « الآذَان » ولولا ذلك لانكسر الشِّعْرُ ـ

وَقَالَ أبو بَيْهَسٍ : الدارُ دارُ كفرٍ . والاستعراضُ فيها جائزٌ، وإن أصيبَ من الأطفال فلا حَرَجٌ.

إلى هاهنا انتهت المقالة .

[مقتل نافع بالأهواز]

وتَفَـرَّقَت الخوارجُ على الأَضْـرُبِ الأربعةِ التـى ذكرنا، وأقام نـافع بالأهوازِ يعترضُ الناسَ ويَقتلُ الأطفال، فإذا أجيبَ إلى المَقـالةِ جَبا الخراجَ. وفَشَا عُمَّالُهُ فى السَّوادِ[2]. فارتاعَ لذلك أهلُ الـبصرة، فاجتـمعوا إلى الأحْنَف بن قـيس، فشكَوْا ذلك إليـه، وقالوا: ليس بيننـا وبين العدِّو إلا ليلـتان، وسيـرتُهُمْ ما تَرَى. فـقال الأحنفُ: إن فعلهم فى مصرِكم ـ إنْ ظَفِروا به ـ كَفِعْلِهِمْ فى سَوادِكم ، فَجِدُّوا فى جهادِ عـدوِّكم. فاجتَمع إليه عـشرةُ آلاف، فأتى عبدَ الله بـن الحارث بن نَوفَل بن الحارث بن عـبد المطلب ـ وهـو بَبَّةُ[3] ـ فسألَه أن يُـؤَمِّرَ عليهم، فاخـتار لهـم ابنَ عُبَيْس[4] بن كُرَيْزٍ، وكان دَيِّناً شجـاعاً، فأَمَّره عليهم وشَيَّعهُ، فلمـا نَفَذَ من جسْرِ البصرِة آقـبلَ علي الناس فقال: إنى ما خرجـتُ لامْتِيَارِ[5] ذَهبٍ ولا قضـةٍ وإنى

---

(١) يعنى بالكذاب هنا المختار بن أبى عبيد الثقفى .

(٢) يريد بالسواد أرض العراق وضياعه .

(٣) البه فى الأصل : كثرة اللحم وتراكبه . لقب به عبد الله بن الحارث؛ وكانت أمه ترقصه وتقول:

لأنـكـحَـنَّ بَـبَّـهْ ... جـارية كـالْـقَـبَّـهْ

مـكـرمـة مـحـبَّـهْ ... تحب أهـل الـكـعـبَـهْ

(٤) هو مسلم بن عبيس .

(٥) الامتيار هنا جلب الطعام

لأحاربُ قوماً إن ظفـرتُ بهم فما وراءَهم إلاّ سيوفُهم ورماحُـهم، فمن كانَ شأنه الجهادَ فَـلْيَنْهَضْ. ومَنْ أحَبَّ الحياةَ فـليرجعْ . فرجع نَفَـرٌ يسيرٌ، ومضى الـباقون معه، فلـما صاروا بدُولاب[1] خرج إليـهم نافعٌ. فاقـتتلوا قـتالا شديـداً، حتى تكسَّرت الرماحُ، وعُقِرَت الخيل، وكَثُرَت الجَراحُ، والقتلى[2]، وتضاربوا بالسيوف والعَمَدِ، فقُتِلَ في المَعْرَكَة ابنُ عُبَيْسٍ ونافعُ بن الأزرق.

وكان ابْنُ عُبَيْسٍ قـد تَقَدَّمَ إلى أصحابه فقال: إنْ أُصِبْتُ فـأميركَم الرَّبيعُ بن عمرٍو الأجْذَمُ الغُـدانيُّ، فلما أُصيبَ ابْنُ عُبَيس أخَذَ الربـيع الرايةَ. وكان نافعٌ قد استـخلفَ عُبَيْـدَ الله بن المَاحُوز السَّلِيطيَّ. فـكان الرئيسان من بـنى يربوع: رئيس المسلمـين من بنى غُدَانـة بن يربوع، ورئيسُ الخـوارج من بنى سَلِيـط بن يربوعٍ، فاقتتلوا قتالاً شديداً.

وادَّعى قـتلَ نافع سَـلاَمَةُ البـاهليُّ، وقال: لَـمَّا قَتَـلْتُهُ وكنـتُ على برْذَون وَرْدٍ[3]، إذَا برَجُلٍ على فـرسٍ ـ وأنا واقفٌ في خُمْسِ قَيْس ـ يُـنَادى :يا صاحبَ الوَرْدِ! هَلُمَّ إلى المُـبارزة. فوقـفتُ في خُمْسِ بـنى تميمٍ، فإذا به يَـعْرِضُهَـا عليَّ. وجعلتُ أتنـقَّلُ من خُمْسٍ إلى خُمْسٍ إلـى خُمْسٍ . وليس يُزايلُنى. فَـصِرْتُ إلى رَحْلى، ثُمَّ رَجَعْتُ . فرآنى فـدعانى إلى المبارزة، فلما أكْثرَ خَرَجْتُ إلَيْـه فاختَلفْنَا ضَرْبَتَيْنِ، فضـربتهُ فصرعته، فَـنَزَلْتُ لسلبه وأَخْذ رأْسه، فَإذَا امْـرأَةٌ قد رأَتْنى حين قلتُ نافعا، فخرجتْ لتَثْأَرَ به، فلم يَزَلِ الرَّبيعُ الأَجْذمُ يقاتلهم نَيِّفاً وعشرين يَوْماً. حتى قال يوما: أنا مَقْتولٌ لاَ مَحَالَة. قَالُوا: وكيف؟ قَالَ: لأنى رَأَيْتُ البارحةَ كَأَنَّ يَدِى التى أُصِيبَت بكابُلَ انـحَطتْ من السماء فاسْتَشلَتْنى، فلمـا كان الغَدُ قَاتَلَ إلى الليل، ثم غَادَاهُمْ فقتلَ. فتدافعَ أهلُ البصرة الرايَةَ حتى خافوا العَطَبَ، إذْ لم يكن لهم رئيسٌ، ثم أجمعوا على الحجَّاج بن باب الْـحمْيَرِىِّ فأباها، فقيل له: ألاَ ترَى أنْ رؤساءَ العرب بالحَضْـرة. وقد اختاروك منْ بينهم! فقال: مَشْـؤُومَةٌ، ما يأخذها أحدٌ إلا قتِلَ، ثم أخذها، فلم يزل يقاتلُ الخوارج بدُولابَ، والخوارجُ أعَدُّ بالآلاتِ والدُّروع والجواشنِ[4]، فالْتَقَى الحجاجُ بن باب وعِمْرانُ بن الحارثِ الرَّاسِبىُّ وذلك بعد

(١) دولاب : قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ.

(٢) ر : « والقتلى » .

(٣) الورد : لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة فى كل شيء .

(٤) الحواشن : جمع جوشن ؛ وهو الدرع .

أن اقتتلوا زهاءَ شهر، فاختَلَفَا ضربتين، فسقطا ميتين، فقالت أمُّ عمرانَ ترثيه:

اللهُ أيَّـدَ عـــمْـــرَانـاً وطَهّـــرَهُ ... وكان عمرانُ يدعُـو اللهَ في السَّحر
يدَعـــوه سَـراً وإعْـلاناً لـيـرزُقَـهُ ... شـهـادةَ بـيـدَىْ ملْـحَـادة غُـدَر
وَلَّى صَـحَابتُـهُ عن حَـرِّ ملحَمَـةٍ ... وشدَّ عمـرانُ كالضرْغامـةِ الهصر

* * *

قولُ الرَّبيع: «اسْـتَشلتني»، أى أخذَتْني إليهـا واستَنْقذتني. يقال: اسْـتَشلاه واشتَـلاه. وفي الحـديث: «إن السارقَ إذا قُـطعِ سبـقتْـهُ يدُه إلى النار، فـإن تاب اسْتَشْلاَهَا». قال رُؤْبَة:

* إنَّ سلمانَ اشْتَلاَنَا ابنَ عَلى *

وقولُ الناس: «أشْلَيْتُ كَلْـبى» أى أغريتُهُ بالصيد، خطـأ، إنما يقال: آسدته، وأشْلَيتُهُ: دعوتُه.

وقولُهـا: «بيَدَىْ ملْحَادَة» «مـفْعَالٌ» من الإلْحـاد، كما تقول: رجـل معطاءٌ يافتى، ومحسانٌ، ومكْرَامٌ، وأدْخلَت الهاءُ للمـبالغة، كما تُدْخَل فى راويةٍ وعَلاَّمَةٍ ونسَّابةٍ.

«وغُدَر» «فعَلٌ» من الغَدْر. ولـ «فعل» بابٌ نذكره فى عقبِ هذه القصة. إذا فرغنا من خبر هذه الوقعة.

والضرْغَامةُ: من أسماء الأسد.

والهصرُ: الذى يَهْصِر كلَّ شيء، أى يَثْنِيه، قال امرؤ القيسِ:

فلمَّا تـنَازعنا الحديثَ وأَسْـمَحتْ ... هصَرْت بغصنٍ ذى شَـمَاريخَ ميَّالِ

* * *

ولذكرنَا الصُّفْـرية والأزارقةَ والبَيْهَسـيَّةَ والإباضيَّةَ تفسـيرٌ، لِمَ نسبَ إلى ابن الأزرق بالأزارقة، وإلى أبى بَـيْهَسٍ بالكُنْية المضـاف إليها. ونسبَ إلى صُـفْر ولم يَنْسَبْ إلى واحدهم، ونـسبَ إلى ابن إباضٍ فَجُعلَ النسبُ إلى أبـيه؟ وهذا نذكره بعد باب « فُعَلِ » .

[لقطرى يوم دولاب]

قال أبو العباس: ومما قيل من الشعر في يوم دُولاب قولُ قطريٍّ :

لَعَمْرُكَ إنى فى الحياة لَزَاهدٌ ... وفى العَيْشِ ما لم ألقَ أمَّ حكيمِ[1]

منَ الخَفرات البيض لم يُرَ مثلُها ... شفاءٌ لذى بَثٍّ ولا لِسَقيمِ

لَعَمْرُكَ إنى يَوْمَ أَلْطِمُ وَجْهَهَا ... على نائباتِ الدَّهر جِدُّ لئيمِ

ولو شَهِدَتني يومَ دولابَ أبصرَتْ ... طِعانَ فَتًى فى الحربِ غيرَ ذميمِ

غداةَ طَفَت عَلْمَاء بَكْرُ بنُ وائلٍ ... وعُجْنا صُدورَ الخيلِ نحوَ تَميمِ

وكان لعَبْدِ القَيْسِ أولُ جَدِّها ... وأَحْلافِهَا من يحصُبٍ وسَلِيمِ[2]

وظَلَّتْ شيُوخُ الأَزْدِ فى حَوْمة الوَغى ... تَعُومُ وظَلْنَا فى الجِلادَ نَعُومُ[3]

فلم أرَ يوماً كان أكثرَ مُقْعَصاً ... يَمُجُّ دماً من فائظٍ وكليمِ[4]

وضارِبَة خَداًّ كريماً على فَتًى ... أغرَّ نَجيبِ الأمَّهاتِ كريمِ

أصيبَ بدُولابٍ ولم تكُ مَوْطِناً ... له أرضُ دُولابَ ودَيْرُ حَميمِ[5]

فلو شَهِدَتْنَا يومَ ذاكَ وخَيْلُنا ... تُبيحُ من الكُفَّارِ كل حَريمِ

رأتْ فِتْيَةً باعُوا الإلَه نفوسَهم ... بِجنَّاتِ عَدْنٍ عندَه ونَعيمِ

قوله: «ولو شهِدَتْنَا يومَ دُولابَ» فلم يَنْصَرفْ «دُولابُ» فإنما ذاك لأنه أرادَ البَلْدَة، ودُولابُ: أعجميٌّ، مُعْرَّبٌ، وكلُّ ما كان من الأسماء الأعجمية نكرة بغير

---

(١) أم حكيم امرأة من الخوارج كانت مع قطرى. وكانت من أجمل النساء وجها، وأحسنهم بدينهم تمسكا. كانت تحمل على الناس وترتجز :

أَحْمِلُ رَأْساً قَدْ سَئِمْتُ حَمْلَهْ ... وقَدْ مَلِلْتُ دَهْنَه وغَسْلَهْ

ألا فتى يحمل عنى ثقله

(٢) يحصب بن مالك بن حمير؛ وسليم بن منصور. من قيس عيلان، وأصله مصغر وكبر للوزن.

(٣) فى البيت إقواء.

(٤) المقعص : المطعون .والفائظ. من قولهم: فاظ الرجل إذا مات.

(٥) دير حميم : موضع بالأهواز

الألفُ واللَّامِ، فـإذا دخَلتْـه الألفُ واللامُ فقـد صار مُـعَرباً، وصـار على قـياس الأسماء العربيـة، لا يمنعه من الصرف إلاّ ما يمنعُ العربىَّ، فـدولابُ «فُوعالٌ» مثلُ طومارٍ وسولاف. وكلُّ شىء لايَخُصُّ واحداً من الجنس من غـيره فهو نكرةٌ، نحوُ رجلٍ، لأن هذا الاسم يَلْحقُ كل ماكان على بِنْيَتِـه، وكذلك حَمَلٌ وجَبَلٌ وما أشبه ذلك، فإن وقع الاسمُ فى كلام الـعجمِ معرفةً فلا سبـيلَ إلى إدخال الألف واللام عليه، لأنه معرفةٌ، فلا معنى لتعريف آخـرَ فيه، فذلك غيرُ منصرفٍ، نحو فرْعَونَ وقارونَ. وكذلك إسحاق، وإبراهيمْ، ويَعْقُوب.

وقوله :

* غَدَاةَ طَفَتْ عَلْمَاءِ بَكْرُ بنُ وائلٍ *

وهو يريـدُ على الماءِ ، فـإن العربَ إذا الْتَـقَتْ فى مـثل هذا الموضع لامَـان استجازُوا حذفَ إحـداهما استثقالا للتضعيف ، لأنَّ مـا بَقِىَ دليلٌ على ماحُذِفَ، يقولون: «عَلْمَاء بَنُو فلان» كما قالَ الفَرَزْدقُ :

وما سُبِق القَيْسِىُّ مِنْ ضَعْفِ حِيلةٍ   ولكنْ طَـفتْ عَلْمَـاءِ قُلْفَـةُ خَـالِدِ

وكذلك كلُّ اسمٍ من أسماءِ القبائل تظهُر فـيه لامُ المعرفة فإنهم يُجبزون معه حذفَ النونِ التى فى قـولك «بَنو» لقرْبِ مَخْرَجِ الـنون من اللامِ، وذلك قولك : فلانٌ من «بَلْحارِث» و «بَلْعَنْبرِ» ، «بَلْهجَيْم».

وقال آخرُ من الخوارجِ :

يرَى مَـنْ جـاءَ يَنْظُر مِـن دُجَـيْلٍ   شَـيـوخَ الأزدِ طافـيـة لِحـاها[1]

وقال رجلٌ منهم :

شَـمِتَ ابنُ بَدْرٍ والحـوادثُ جَمَّـةٌ   والحـــائـِزُونَ بِـنَافِـعِ بـن الأزْرَقِ

والموتُ حَــتْمٌ لا مَـحَـالَـة واقِعٌ   مَنْ لا يـصـبِّـحُـــه نَهَـاراً يَـطْرُق

فلـئن أمــيـرَ المـؤمنـينَ أصـابَـهُ   رَيْبُ المـنونِ فـمن يُصِـبْـهُ يَغْـلقِ

---

(١) دجيل نهر بالأهواز

نَصَبَ بعـدَ « إنْ » لأنَّ حرفَ الجـزاء للفعـلِ، فإنما أرادَ: فَلَئنْ أصابَ أمـيَرَ المؤمنين، فلماحذَف هذا الفعلَ وأضمرَ ذَكَرَ «أصـاَبه» ليَدُلَّ عليه ، ومثلُه قولُ النَّمرِ ابن تولَب:

لا تَجْـزَعِي إنْ مُـنْفِـساً أَهْـلكتُـه   وإذا هَلَكْتُ فـعندَ ذلك فَاجْـزَعي

وقال ذو الرُّمَّة :

إذا ابنَ أَبـى مُوسَـى بلالاً بَلَغْـتِـهِ   فقـامَ بفأسٍ بين وِصْلَـيكَ جازِرُ[1]

لأنّ «إذا» لاّ يليها إل الفعلُ، وهى به أولَى.

(١) الوصل : واحد الأوصال ، وهى المفاصل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا باب « فُعَل »

اعلم أن كلَّ اسمٍ علىَ مثال « فُعَل » فهو مصروفٌ فى المعرفة والنكرة إذا كان اسماً أصليًّا أو نعتاً، فالأسماءُ نحو، صُرَد ونُغَر وجُعَل، وكذلك إن كان جَمْعاً، نحو: ظُلَم وغُرَف. وإن سَمَّيْتَ بشيء من هذا رجلا انصرفَ فى المعرفة والنكرة. وأما النَّعْتُ فنحوُ رجلٍ حُطَمٍ ، كما قال :

* قد لَفَّهَا اللَّيلُ بسَوَّاق حُطَمْ *

وكذلك مالٌ لُبَدٌ، وهو الكَثيرُ، من قوله جلَّ جلالُه : ﴿أَهْلَكتُ مَالا لُبَدًا﴾(١).

فإن كان الاسمُ على «فُعَلَ» مَعْدُولا عن «فَاعِلٍ» لم ينصرفْ إذا كان اسمَ رجلٍ فى المعرفة، وينصرفُ فى النكرة، وذلك نحو: عُمَرَ وقُثَمَ، لأنه معدولٌ عن عامر، وهو الاسمُ الجارى على الفعل، فهذا ممَّا معرفتُه قبل نكرَته، فإذا أُريدَ به مذهبُ المعرفة جاز أن تَبْنيَه فى النداء من كل فِعْلٍ، لأن المنادَى مُشَارٌ إليه، وذلك قولُك : يا فُسَقُ، ويا خُبَثُ ، تريدُ : يا فاسقُ ويا خبيثُ .

وإنما قالت : « بيَدَىْ مِلْحَادَة غُدَرَ » فى غير النداء للضرورة، فنقلتْهُ معرفةً من النداء، ثم جعلَتْه نكرة لخروجه عن الإشارة، فنعتَتْ به «مِلْحَادَةً» كما قال الحُطَيْئَة:

أجَوِّلُ ما أُجَوِّلُ ثم آوِى إلى بيتٍ قَعِيدتُهُ لَكَاعِ

وهذا لا يقعُ إلاَّ فى النداء ، ولكنْ للشاعر نقلُه نكرةً ونقلُه معرفةً. على حدِّ ما كان له فى النداء. فُيلْحَقُ قولُها «غُدَرٌ» بقوله: رجلٌ حُطَمٌ، ومالٌ لُبدٌ، وما أشْبَهُه، و «فَعَال» فى المؤنَّث بمنزلة «فُعَلٍ» فى المذكَّر، ولو سميتَ رجلاً «حُطَماً» لصرَفْتَهُ، من قولك: هذا سائقٌ حُطَمٌ، لأنه قد وقع نكرة غير معدولٍ، فهو فى النعوت بمنزلة «صُرَدٍ» فى الأسماء .

---

(١) سورة البلد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا باب النسب إلى المضاف

[النسب إلى العلم المضاف]

اعلمْ أنك إذا نَسَبْتَ إلى عَلَمٍ مضاف فالوجهُ أن تَنْسُبَ إلى الاسم الأول، وذلك قولُك في عَبْد القَيْس: عَبْدِيٌّ، وكذلك في عبد الله بن دَارم، فإن كان الاسمُ الثاني أشْهَرَ من الأول جاز النَّسَبُ إليه، لئلا يَقَعَ في النَّسب التباسٌ من اسمٍ باسمٍ، وذلك قولُك في النَّسبِ إلى عَبْدِ مَنَاف مَنافيٌّ، وإلى أبي بَكْرِ بن كلابٍ بكْرِيٌّ.

وقد يجوزُ، وهو قليلٌ، أن تَبْنِي له من الاسمين اسماً على مثال الأربعة ليَنْتَظِمَ النَّسَبُ، وذلك قولك في النسب إلى عبدِ الدار بن قُصَيٍّ عَبْدَرِيٌّ، وفي النسب إلى عبد القَيْس عَبْقَسِيٌّ .

[النسب إلى المضاف غير العلم]

فإن كان المضافُ غير عَلَمٍ فالنَّسبُ إلى الثاني على كل حال، وذلك قولُك في النسب إلى ابن الزُّبير زُبَيْرِيٌّ، لأن ابنَ الزبير إنما صارَ معرفةً بالزُّبير، وكذلك النَّسبُ إلى ابن رَأْلانَ رَأْلانِيٌّ، فلذلك قالوا في النَّسب إلى ابن الأزْرَقِ أزْرَقِيٌّ، وإلى أبي بَيْهَسٍ، بَيْهَسِيٌّ.

[النسب إلى الجماعة]

فأما قولهم: «صُفْرِيٌّ» فإنما أرادوا الصُّفْرَ الألوان، فَنَسَبُوا إلى الجماعة. وحَقُّ الجماعة إذا نُسبَ إليها أن يَقَعَ النسبُ إلى واحدها، كقولك: مُهَلَّبيٌّ. ومِسْمَعِيٌّ، ولكن جعلوا «صُفْراً» اسماً للجماعة، ثم نسبوا إليه، ولم يقولوا: أصْفَرِيّ، فيُنسَبُ إلى وحدها، وإنما كان ذلك لأنهم جعلوا الصُّفْرَ اسماً للجماعة، كما تُسَمَّى القَبيلةُ بالاسمِ الواحد، ألاَ تَرَى أن النسب إلى الأنْصار، أنْصَاريٌّ لأنه كان عَلَماً للقبيلة، وكذلك مَدَائِنيّ. وتقولُ في النسبِ إلى الأبْناء من بني سَعْد أبناوي، لأنه اسمٌ للجماعة .

فأما قولهم: «الأزَارِقةُ»، فهذا بابٌ من النَّسَب آخرُ، وهو أن يُسَمَّى كلُّ واحدٍ منهم باسمِ الأبِ، إذا كانوا يُنْسَبُونَ، ونظيره المهَالِبَةُ، والمسامِعةُ، والمناذِرَةُ.

ويقولون: جاءنى النُّمَيْرُونَ والأشعَرُونَ جَعَلَ كلَّ واحدٍ منهم نُمَيْراً وأشْعَرَ، فهذا يَتَّصِلُ فى القبائل، على ما ذكرتُ لك.

وقد تُنْسَبُ الجماعةُ إلى الواحد على رأى أو دينٍ، فيكونُ له مثلُ نَسَبِ الولادَة، كما قالوا أزْرَقِيٌّ، لمن كان على رأى ابن الأزْرَق، كما تقول تميمى وقيسىٌّ لمن وَلَدَه تميمٌ وقَيْسٌ، ومن قرأ: ﴿سَلَامٌ على إلْيَاسِينَ﴾(1)، فإنما يريد إلْيَاس عليه السلامُ، ومَنْ كان على دينِه، كما قال:

* قَدْنِيَ من نَصْرِ الخُبَيبِينَ قَدِ *

يريدُ أبَا خُبَيْبٍ ومن معه.

وقد يجتمعُ الرجلُ مع الرجل فى التثنية إذا كان مَجازهما واحداً فى أكثر الأمر على لفظ أحدهما، فمن ذلك قولهم: «العُمَرَان» لأبى بكرٍ وعمرَ رضى الله عنهما، ومن ذلك قولهم: «الخُبَيْبَانِ» لعبد الله ومُصْعَبٍ، وقد مضى تفسيرُه.

---

(1) سورة الصافات ١٣٠ .

عادَ القولُ في الخوارج

قال : والأزارقةُ لا تُكَفِّرُ أحدًا من أهل مقالتها فى دار الهجْرَة إلاّ القاتِلَ رجلاً مسلماً، فإنهم يقولون: المسلمُ حجةُ الله، والقاتِلُ قَصَدَ لقَطْعِ الحجة.

[الأزارقة وولاة البصرة]

ويُرْوَى أن نافعاً مَرَّ بمالك بن مسْمَع فى الحرب التى كانت بين الأزْد ورَبيعة وبنى تميم، ونافعٌ مُتَقَلِّدٌ سيفاً، فقام إليه مالكٌ فضربَ بيده إلى حمَالة سيفه وقال: ألاَ تَنصرنَا فى حربنا هذه! فقال: لا يحلُّ لى ، قال: فما بالُ مُؤْمِنِى بني تميمٍ يَنصرون كُفَّارَهم في هذه الحرب! فأمْسَكَ عنه، وخَرج بعدَ ذلك بأيام إلى الأهْوازِ، فلما قُتِلَ مَنْ قُتِلَ ممَّنْ بخَازرَ من الخوارِج فى أيامِ ابن المَاحُوزِ كَرِهَ بَبَّةُ القتالَ، وأقام حارِثةُ بن بَدْرٍ الغُدَانىُّ بإزاء الخوارج، يناوشُهْم على غير ولاية، وكان يقولُ: ما عُذْرُنا عندَ إخوانِنا من أهل البصرة إنْ وَصَلَ إليهم الخوارجُ ونحن دونهم! فكتب أهلُ البصرة إلى ابن الزُّبير يخبرونه بقُعُود بَبَّةَ، ويسألُونَه أن يُوَلِّيَ والياً، فكتب إلى أنَس بن مالك أن يُصَلِّيَ بالناس، فصلَّى بهم أربعين يوماً، وكَتَب إلى عمرَ بن عُبَيْدِ الله بن مَعْمَرٍ فولاّه البصرةَ. فلقيَه الكتابُ وهو يريد الحجَّ، وهو فى بعضِ الطريقِ، فرجَعَ فأقام بالبصرة، وولّى أخاه عثمانَ محاربةَ الأزارِقَة، فخرج إليهم فى اثنى عشرَ ألفاً، ولقيه حارثةُ فيمن كان معه، وعبيدُ الله بن الماحُوز فى الخوارج بسُوق الأهْواز، فلمَّا عَبَرُوا إليهم دُجَيْلاَ نهضَ إليهم الخوارجُ، وذلك قُبيلَ الظُّهر، فقال عثمانُ بن عُبيد الله لحارثةَ بن بَدْر: أمَّا الخوارجُ إلاَّ ما أرى! فقال له حارثة: حَسْبُك بهؤلاء! فقال: لا جَرَمَ، والله لا أتَغَدَّى حتى أناجزَهم! فقال له حارثةُ: إنَّ هؤلاء لا يُقاتَلُونَ بالتَّعَسُّف، فأبْقِ على نفسك وجُنْدك، فقال: أبَيْتُمْ يا[1] أهل العراق إلاَّ جُبْنًا! وأنتَ يا حارِثةُ، ما علمكَ بالحرب؟ أنتَ والله بغير هذا أعلَمُ! يُعَرِّضُ له بالشراب. فغضبَ حارثةُ، فاعتزلَ، وحاربَهم عثمانُ يومهَ إلى أنْ غابت الشمسُ، فأجْلَت الحربُ عنه قتيلاً، وانهزَمَ الناسُ، وأخذَ حارثةُ الرايةَ، وصاحَ بالناس: أنا حارِثةُ بن بدر، فثاب إليه قومُه، فعَبَرَ بهم دُجَيْلا، وبَلَغَ قَتْلُ عثمانَ البصرة؛ وخاف الناسُ الخَوارجَ خوفاً شديدًا.

(١) ر : « أهل العراق » ؛ بحذف النداء .

وعزَل ابن الزُّبير عُمَرَ بنَ عبيد الله ، وولّى الحارث بن عبد الله بن أبى رَبيعةَ، المعروفَ بالقُبَاعِ، أحدَ بنى مَخزومٍ، وهو أخو عُمَرَ بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزوميِّ الشاعر، فقدم البصرةَ، فكتبَ إليه حارثةُ بن بدرٍ يسأله الولايَةَ والمدَدَ، فأراد توليتَه[١]، فقال له رجلٌ من بكْرِ بن وائلٍ: إن حارثةَ لَيس بِذاك، إنما هو رجل شَرابٍ[٢]، وفيه يقولُ رجلٌ من قومه[٣]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ حارثةَ بنَ بَدْرٍ ... يُصَلِّى وهو أكفَرُ من حمَارِ
ألم تَرَ أنَّ للْفتيان حظاً ... وحَظّك فى البَغايا والقِمَارِ

فكتب إليهِ القُبَاعُ: تكفينى[٤] حَرْبَهم إن شاء الله .

فأقام حارثةُ يدافعُهُم.

فقال شاعرٌ من بنى تميمٍ يَذْكر عثمانَ بن عُبيد الله بن مَعْمَرٍ ومُسْلِمَ بن عُبَيْس وحارثةَ بن بدرٍ :

مضَى ابنُ عُبَيْس صابراً غيرَ عاجزٍ ... وأعْقَبَنا هذا الحجازىُّ عثمانُ
فأرْعَدَ من قبْلِ اللقاء ابن مَعْمَرٍ ... وأبْرَقَ والبَرْقُ اليمانىُّ خَوَّانُ
فَضَحْتَ قُرَيْشاً غَثَّها وسَمِينَها ... وقيلَ بنو تَيْمِ بن مُرَّةَ عُزْلانُ[٥]
فلولا ابنُ بدر للعراقَيْن لم يَقُمْ ... بما قام فيه للعراقَيْن إنسانُ
إذا قيل مَنْ حَامِى الحقيقةِ أومَأتْ ... إليه مَعَدٌّ بالأنوفِ وقَحْطان

* * *

قوله: «فأرْعَدَ»، زعمَ الأصمعىُّ أنه خَطَأ، وأن الكُمَيْتَ أخطأَ فى قوله:

أرْعِدْ وأَبْرِقْ يا يَزيد ... فما وَعيدُكَ لى بضائر

وزعمَ أن هذا البيتَ الذى يُرْوَى لمُهَلْهِلٍ مصنوعٌ مُحْدَثٌ وهو قولُه:

(١) ، « أو بوليه » .
(٢) ر : « صاحب » .
(٣) نسبه المرصفى إلى علقمة بن عبد المازنى .
(٤) ر « تكفى » .
(٥) عزلان : جمع أعزل ؛ وهو من لا سلاح معه .

أنْبَضُوا مَعْجِس القِسِي وأبْرَقْناكما تُرْعِدُ الفُحولُ الفحولا[١]

وأنه لا يُقال إلاَ «رَعَد وبَرَقَ» إذا أَوْعَد وتَهَدَّدَ ، وهو «يَرْعُدُ ويَبْرُقُ» وكذا يُقالُ: رعَدَت السماءُ وبَرَقَتْ، وأرْعَدْنا نحن وأبْرَقنا، إذا دَخَلنا فى الرَّعْدِ والبَرْقِ، قال الشاعرُ :

* فقلْ لأبى قابوسَ ما شئْتَ فارْعُد *

ورَوَى غيرُ الأصمعى «أرْعَدَ وأبْرَقَ» على ضَعْف.

قوله: «والبَرْقُ اليَمانيُّ خوَّان»، يريد والبرقُ اليمانيُّ يخونُ. وأجودُ النَّسَبِ إلى اليمنِ «يَمَنِيٌّ» ويجوزُ «يمَان» بتخفيف الياء، وهو حَسَنٌ، وهو فى أكثر الكلامِ، تكونُ الألفُ عوَضاً من إحدى الياءَين، ويجوزُ «يَمَانِيٌّ» فاعلم ، تكونُ الألف زَائدةً وتُشَدَّدُ اليَاءُ، قال العبَّاسُ بن عبد المُطَّلِب :

ضَرَبْنَاهُمُ ضَرْبَ الأحَامِسِ غُدْوَةً ... بكلِّ يَمَانِيٍّ إذا هزُّ صَمَّمَا[٢]

[تولية المهلب لقتال الخوارج وأخباره معهم]

ثم إنّ حارثةَ لَمَّا تفرَّق الناسُ عنه أقام بنهر تيرَى ، فعَبَرَتْ إليه الخوارجُ، فهربَ وأصحابَه يُرْكُضُ، حتى أتى دُجَيْلاً، فجلس فى سفينة، واتَّبعه جماعةٌ من أصحابه، فكانوا معه، وأتاه رجلٌ من بنى تميمٍ وعليه سلاحُه، والخوارجُ وراءَه وقد تَوَسَّطَ حارثةُ ، فصاح به: يا حارث؛ ليس مثلى ضُيِّعَ، فقال للملاَّح: قرِّبْ. فقرَّبَ إلى جُرُف، ولا فُرْضَةَ هناك[٣].

فطَفَرَ[٤] بسلاحه فى السفينة ، فساخَتْ بالقوم جميعاً، وأقامَ ابنُ المَاحُوز يَجْبى كُوَرَ الأهوازِ ثلاثةَ أشهر، ثم وَجَّهَ الزُّبَيْرَ بن علىٍّ نحوَ البصرة. فضجَّ الناسُ إلى الأحنف، فأتى القُبَاعَ فقال: أصلح اللهُ الأميرَ! إن هذا العدوَّ قد غَلَبنا على سَوادنا وفَيْئنا، فلم يبق إلاَّ أن يحْصُرَنا فى بلدنا حتى نموتَ هَزْلاً، قال: فسَمُّوا رَجلاً، فقالَ الأحنفُ: الرأىُ لا يُخيل[٥]، ما أرى لها إلا المُهَلَّبَ بن أبى صُفْرَةَ،

(١) الإنباض : جذب الوتر ليرن ، ومعجس القوس : مقبضها، أو موضع السهم منها .

(٢) الأحامس : جمع أحمس، وهو الشديد الصلب فى الدين والقتال.

(٣) الجرف : ما أكله السيل من أسفل شقى الوادى والنهر . والفرضة : ثلمة فى النهر يسقى منها .

(٤) طفر : وثب . (٥) لا يخيل : لا يشتبه .

فقال: أوَ هذا رأىُ جميعِ أهلِ البصرة! اجتمعوا إلىَّ فى غَد، وجاء الزبيرُ حتى نزل الفُراتَ، وعقَدَ الجسْرَ ليَعْبُر إلى ناحيةِ البصرةِ، فخرج أكثرُ أهلِ البصرةِ إليه.

وقد اجتمع للخوارج أهلُ الأهوازِ وكُوَرها، رغبةً وَرَهْبَةً، فأتاه البصريون فى السُّفنِ وعلى الدوابـخ ورَجَّالة. فاسْوَدَّتْ بهم الأرضُ، فقـال الزبيرُ لَمَّا رآهم: أَبَى قومُنا إلاَّكُفْراً، فقطع[1] الجسرَ، وأقـام الخوارجُ بالفرات بإزائهم، واجـتمعَ الناسُ عند القُبَاعِ، وخافوا الخوارجَ خوفاً شديداً، وكانوا ثلاثَ فِرَق، فَسَمَّى قومٌ المهَلَّبَ، وسَمَّى قـومٌ مالكَ بنَ مسْـمَع، وسَمَّى قومٌ زيادَ بـن عمرو بن الأشرف الـعَتَكىَّ، فصرفهم، ثم اخـتَبَر ما عند مالك وزياد، فوجدَهما مُـتَثاقلَيْنِ عن ذلك[2]، وعاد إليه مَنْ أشـار بهما وقـالوا: قد رَجَعْنا عن رأينـا، ما نَرَى لها إلاَّ المُهَلَّب، فـوجَّه الحارثُ إليه فأتاه، فقال له: يا أبا سعيد، قد تَرَى ما رَهقَنَا[3] من هذا العدوّ، وقد اجتمعَ أهـلُ مصْرَك عليك، وقال الأحنـفُ: يا أبا سعيد، إنَّا والله مـا آثرناك بها ولكنَّا لم نَرَ مَنْ يقومُ مَقامك. فـقال الحارثُ ـ وأَوْمأَ إلى الأحنَف ـ إن هذا الشيخ لم يُسَمِّكَ إلاَ إيثـاراً للدِّين، وكلُّ مَنْ فى مصْرك مادٌّ عَـيْنَهُ إليك. راجٍ أن يكشفَ اللهُ عز وجل هذه الغـمَّةَ بك، فقال المهلَّبُ: لا حـولَ ولا قوةَ إلاَّ بالله، إنى عندَ نفسى لَدُونَ ما وَصَفْتُمْ، ولستُ آبياً ما دَعَوْتُم[4] إليه، على شُروطِ أشترطُها. قال الأحنفُ: قُلْ، قال: على أنْ أنْتَخبَ مَنْ أحـببتُ، قال: ذاك لَكَ، قال: وَلى إمْرَةُ كلِّ بلد أغْلبُ عليه، قال: وذاك لكَ، قال: وَلى فَيْءُ كل بلد أَظْفَرُ به.

قال الأحنفُ: ليس ذاك لكَ ولا لنَا، إنما هو فَيْءُ المسلمين، فإن صلبتَهم إياه كنتَ عليهم كعدوّهم، ولكن لك أن تُعطـى أصحابَك من فَىءِ كل بلدٍ تغْلبُ عليه ما شئتَ. وتُنْفِق[5] منه مـا شئت[5] على مـحاربة عدوّك، فـما فضَلَ عنـكم كان للمسلمـين. فقال المهلب: فمَنْ لى بذلـك؟ قال الأحنفُ: نحن وأميرُك وجـماعةُ أهلِ مصرك، قال: قد قبلْتُ.

---

(١) ر. « فقطعوا ».

(٢) ر: « عن ذاك ».

(٣) رهقنا. أتعبنا.

(٤) س: « مما دعوتم ».

(٥-٥) ساقط من ر.

فكتَبـوا بذلك كتاباً ووُضِعَ عـلى يَدَى الصَّلْت بن حُرَيْث بن جـابرِ الحنفى، وانتَخَبَ المهَلَّبُ من جميع الأخماسِ، فبلغت نخْبَتُهُ اثنى عَشَر ألفاً، ونظروا ما فى بيت المال، فلم يكن إلاّ مائَـتى ألفِ درهـم، فعَجَزَت، فبعثَ المـهلبُ إلى التُّجَار: إنّ تجارتَكم مُذ حَوْلٍ قد كَسَدَتْ علـيكم بانْقطاعِ موادِّ الأهواز وفارسَ عنكم، فهَلُمَّ فبايعونى واخرُجُوا معى أوْفكُمْ إن شاء الله حـقوقكم، فتاجَرُوه، فأَخذ من المال ما يُصْلِحُ به عسكَره، واتخذ لأصحابه الخفَاتينَ والرَّانات المَحْشُوَّةَ بالصُّوف.

ثم نَهَضَ وأكـثر أصـحابه رَجَّـالَةٌ، حتى إذا صـار بحذاء القـوم أمر بسـفُنٍ فأحضِرتْ وأُصْلحتْ، فـما ارتفَع النهارُحتي فُرِغَ منها، ثم أَمَـرَ الناسَ بالعُبور إلى الفُراتِ، وأمَّر عليهم ابْنهُ المغيرةَ، فخرج الناسُ، فلما قاربوا الشاطئَ خاضتْ إليهم الخوارجُ، فحاربهم المغيرةُ ونَضَحَهم[1] بالسهام حتى تنَحَّـوْا، فصار هو وأصحابُه على الشاطئ، فحاربُوهم فكشَفوهم وشَغَلـوهم، حتى عَقَدَ المهلّبُ الجِسْرَ، وَعَبَرَ والخوارجُ منهزمون، فَنَهَى الناسَ عن اتّباعهم، ففى ذلك يقول شاعرٌ من الأزْد:

إنَّ العـــراقَ وأهلــهُ لم يخْـــبُـروا ... مثل المُـهَلب فى الحروب فَسَـلَّمُوا
أمْـضى وأَيْمَنُ فى اللـقَاء نَقـيبَـة ... وأَقَلَّ تـهليـلاً إذا مـا أحْـجَـمُـوا

التهليلُ: التكذيبْ[2] والانهزام.

وأبْلَى مع المغيرة يومـئذٍ عَطِيَّةُ بن عَمْرِو العَنْبرىُّ، وكـان من فُرْسان بنى تميمٍ وشجعانهم، فقال عطيةُ:

يـدْعى رجـــالٌ لـلـعـطاءِ وإنمـا ... يُدْعَـى عَطِيَّـــةُ للطـعـانِ الأجْـرَدِ

وقال الشاعر :

ومـا فـــارسٌ إلاّ عطـيــةُ فــوقَـه ... إذا الحربُ أَبْدَتْ عن نَواجذها الفَما
بـه هَـزَمَ اللهُ الأزارِقَ بـعــــدَمـــــا ... أباحُـوا من المِصْرَيْن حِـلاًّ ومحْـرَمَا

فأقام المـهلَّبُ أربعين يوماً يَجْبِـى الخراجَ بكُورِ دجْلَة، والخوارجُ بنهـرِ تيرَى والزبيـر بن علىٍّ منفردٌ بعسـكره عن عسـكر ابنِ المَاحُوزِ، فَـقَضى المهلَّب التُّـجَارَ

---

(١) نضحهم بالسهام: رماهم بها. .

(٢) قال المرصفى : « التكذيب : مصدر كذب فى القتال إذا فر ونكس».

وأعطَى أصحابَه، فأسرع إليه الناسُ رغبةً فى مجاهدة الخوارج، ولما فى الغنائم، وللتِّجارات، فكان فيمن أتاه محمدُ بن واسعٍ الأزدىُّ وعبدُ الله بن رِيَاحٍ ومُعاويةُ ابن قُرَّةَ المرىُّ ـ وكان يقولُ ـ يعنى معاويةَ ـ: لو جاء الدَّيْلَمُ من هاهنا والْحَرورية من هاهنا لحاربتُ الحرورية ـ وأبو عمْرانَ الجَوْنىُّ كان يقول: وكانَ كَعْبٌ يَقُولُ: قَتِيلُ الحرورية يَفْضُلُ قَتيلَ غيرهم بعَشَرة أنْوارٍ.

ثم نَهَضَ المهلّبُ إليهم إلى نهر تِيرَى. فَتَنَحَّوْا عنه إلى الأهواز. وأقام المهلَّبُ يَجْبِى ماحَواليهِ من الكُور، وقد دَسَّ الجَواسيسَ إلى عسكر الخوارجِ، فأتَوهُ بأخبارهم ومَنْ فى عسكرهم، فإذا حُشْوةٌ[1]؛ ما بين قَصَّارٍ وصبَّاغٍ ودَاعرٍ وحَدَّاد.

فَخَطَبَ المهلّبُ الناسَ فَذَكَرَ مَنْ هُناكَ وقال للناس: أَمِثْلُ هؤلاء يَغلبونكم على فَيْئكم! فلم يَزَلْ مقيماً حتى فهمَهُمْ وأُحْكَمَ أَمْرَهُ، وقَوَّى أصحابَه، وكثرت الفُرْسانُ فى عسكره، وتَتامَّ إليه زُهاءُ عشرينَ ألفاً.

ثم مَضَى يَؤُمُّ سُوقَ الأهوازِ، فاستَخْلَفَ أخاه المُعارِكَ بنَ أبى صُفْرَةَ على نهر تِيرَى، وفى مُقَدِّمته المغيرةُ بن المهلب، حتى قارَبَهُمُ المغيرةُ، فَنَاوَشُوه، فانكشفَ عنه بعضُ أصحابه، وثبتَ المغيرةُ بَقِيَّةَ يومه وليلته، يُوقدُ النيرانَ ثم غاداَهم القتالَ، فإذا القومُ قد أوقدوا النِّيرَانَ فى ثِقْلة متاعهم، وارْتَحلوا عن سوق الأهواز، فدخلَها المغيرة، وجاءَت أوائلُ خيلِ المهلَّب، فأقام بسُوق الأهواز، وكتب بذلك إلى الحارث بن عبد الله بن أبى رَبيعة كتاباً يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ: فإنا منذُ خرجنا نَؤُمُّ هذا العدوَّ فى نعَمٍ من الله متصلة علينا، ونقْمة من الله متتابعة عليهم، نُقْدِمُ ويُحْجِمونَ، ونَحُلُّ ويَرتحلونَ، إلى أن حَلَلْنَا سُوقَ الأهوازِ، والحمدُ لله ربِّ العالمين، الذى من عنده النصرُ، وهو العزيزُ الحكيمُ.

فكتب إليه الحارثُ : هَنِيئاً لك أَخَا الأزدِ، الشَّرَفُ فى الدنيا، والذخرُ فى الآخرةِ، إن شاء الله !

فقال المهلّبُ لأصحابه : ما أَجْفَى أهلَ الحجاز ! أَمَا تَرَوْنَهُ عرف[2] اسمى واسمَ أبى وكُنْيَتى !

---

(١) حشوة الناس: رذالهم .

(٢) ر : « يعرف » .

وكان المهلّبُ يَبُثُّ الأحراسَ فى الأمْنِ، كما يبثُّهم[1] فى الخوف، ويُذْكِى العُيونَ فى الأمصار، كما يُذْكيها فى الصَّحَارَى، ويأمُر أصحابَه بالتَّحرُّز، ويُخوفَهم البيَاتَ [1]، وإن بَعُدَ منهم العدوُّ، ويقولُ: احْذَرُوا أن تُكادُوا كما تَكيدون، ولا تقولوا: هَزَمْنَا وغَلَبْنَا، فإنَّ القومَ خائفون وجِعُونَ، والضرورةُ تَفْتَحُ بابَ الحِيلة، ثم قامَ فيهم خطيباً فقال :

يا أيُّها الناس؛ إنكم قد عَرفْتُم مذهبَ هؤلاء الخوارج، وأنهم إنْ قَدَرُوا عليكم فَتَنوكُمْ فى دينكم وسَفَكوا دماءَكم، فقاتلُوهم على ما قَاتَلَ عليه أولهم علىُّ بن أبى طالب صلوات الله عليه، فقد لقيهُمْ قبلكم الصَّابُر المحتسبُ مُسْلِمْ بن عبيس، والعَجلُ المفرط عثمان بن عبيد الله، والمعصى المخالف حارثة بن بدر، فقتلوا جميعاً وقتلوا. فالْقوهمْ بِجدٍّ وحَدٍّ، فإنما هُمْ مَهَنَتُكُمْ وعبيدكم، وعارٌ عليكم، ونقصٌ فى أحسابكم وأديانكم أن يغلبكم هؤلاء على فَيْئِكُم، ويطئوا حريمكُم.

ثمَّ سار يُريدُهُمْ، وهُمْ بِمَناذرَ الصُّغْرَى، فَوجَّه عبيدُ الله بن بَشير بن الماحُوز رئيس الخوارجِ رجلاً يقال له واقدٌ، مَوْلَى لآل أبى صُفْرَةَ من سَبْىِ الجاهلية، فى خمسين رجلاً، فيهم صَالِحُ بن مخْراق، إلى نهر تيرَى، وبها المعاركُ بن أبى صُفْرَةَ، فقتلوه وصلبوه، فَنَمى الخبرُ إلى المهلَّب. فَوَجَّهَ ابْنَهُ المغيرةَ فدخلَ نهر تيرَى وقد خرج وَاقدٌ منها، فاستنزلَه ودفنه، وَسَكَّنَ الناسَ، وَاسْتَخْلفَ بها، ورجع إلى أبيه وقد حل بسُولاف[2]، والخوارجُ بها، فَواقعهُمْ، وجعل على بنى تميم الْحَريشَ بن هلال، فخرج رجلٌ من أصحاب المُهَلّب، يقال له عبدُ الرحمن الإسْكافُ، فَجَعَلَ يَحُضُّ الناسَ وهوعلى فرس له صفراءَ، فَجَعَلَ يأتى الميمنةَ والْمَيسَرة والقَلْبَ، فيَحُضُّ الناسَ وَيُهَوِّنُ أمرَ الخوارج، ويَخْتالُ بين الصَّفّين، فقال رجلٌ من الخوارج لأصحابه: يا معشر المهاجرين، هل لكم فى فتكة فيها أريحيةٌ؟

فحملَ جماعةٌ منهم على الإسكاف فقاتَلهم وحدَه فارساً، ثم كبَا به فرسُهُ[3] فقاتلهم راجلاً، قائماً وباركا، ثم كثَرتْ به الجَراحَاتُ، فَذَبَّبُ بسيفه، وَجَعلَ يحثُو

(١) البيات : الإيقاع بالقوم وهم غارون .

(٢) سولاف : قرية غربى دجيل .

(٣) كبا به الفرس : أى عثر .

الترابَ فى وجوههم، والمهلَّبُ غيرُحاضر، ثم قُتلَ رحمه الله ، وَحَضَرَ المهلَّب فأُخْبر. فقال للحَريش وعِطيَّةَ العَنْبَرِيِّ : أأَسْلَمْتُمَا سيدَ أهل العسكر، لم تُعيِنَاه ولم تَسْتَنْقِذَاهُ حسداً له، لأنه رجل من الموالى! ووَبَّخَهُمَا وحَمَلَ رجلٌ من الخوارج على رجلٍ من أصحابه فقتله، فحمل عليه المهلَّبُ فطعنه وقتَله، ومالَ الخوارجُ بأجمعهم على العسكر، فانهزَم الناسُ، وقتَلوا سبعين رجلاً وثبَتَ المهلَّبُ وأَبْلَى المغيرةُ يومئذ وعُرِفَ مكانُهُ، ويقال: حاصَ المهلبُ يومئذ حَيْصَةَ[1]. وتقولُ الأزْدُ: بل كان يَرُدُّ المنْهَزِمَةَ ويَحْمِى أدبارَهم ، فقال رجلٌ من بَنِى منْقَر بن عُبَيْدِ بن الحارثِ بن كَعْبِ ابن سَعْد بن مَنَاةَ بن تميمٍ :

بسولافٍ أَضَعْتَ دِماءَ قَومِى ... وطِرْتَ على مُوَاشِكَةٍ دَرُور

قوله : «مُوَاشِكَة» يريدُ سريعةً. ويقال: نحنُ على وشْكِ رحيلٍ. ويقال: ذَمِيلٌ مُواشِكٌ، إذا كان سَريعاً، قال ذُو الرُّمَّة :

إذا مَا رَمَيْنَا رَمْيَةً فى مَفَازَة ... عَرَاقيبهَا بالشيظَمى المُواشكِ[2]

ودَرُورٌ : «فعُولٌ» مِنْ درَّ الشَّىْءُ . إذَا تَتَابَعَ.

وقال رجلٌ من بنى تميمٍ آخَرُ :

تَبِعْنَا الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ طَوْعاً ... يُزَجِّى كُلُّ أربَعَةَ حِمَاراً[3]

فَيا نَدْمَى على تَرْكِى عطَائى ... مُعَايَنَةً وأَطلُبُهُ ضِمَاراَ

إذَا الرَّحْمنُ يَسَّر لى قُفُولاً ... فحَرّقَ فى قُرَى سولاف نارا

قوله: «الأعورَ الكذَّابَ». يعنى المُهلَّبَ، ويقال: عارتْ عينه بسهمٍ كان أصابها، وقال: «الكذَّابَ» لأن المهلَّبَ كان فقيهاً. وكان يعلمُ ما جاء عن رسول الله ﷺ من قوله: «كُلُّ كَذِبٍ يُكْتَبُ كَذِباً إلاَّ ثلاثة: الكذبُ فى الصَّلح بين الرجلين، وكذبُ الرجلِ لامرأته يَعِدُها، وكذِبُ الرجلِ فى الحرب يَتَوَعَّدُ ويَتَهَدَّدُ».

وجاء عنه ﷺ : «إنما أنتَ رجلٌ فَخَذِّلْ عَنَّا فإنما الحربُ خُدْعَةٌ».

---

(١) حاص حيصة : أى جال جولة يطلب بها الفرار .

(٢) الشيظمى : الطويل الجسم.

(٣) يزجى : يسوق .

وقال عليه السلام فى حرب الْخَنْدق لسعد بن عُبادَة وسعد بن مُعاذ. وهما سَيدا الحيَّيْن. الْـخَزْرج والأوْس: «إيتيَا بَنى قُرَيْظَةَ. فإن كانوا علــى العهد فأعْلنَا بذلك وإن كَانوا قـد نَقضُوا ما بـيننا فَالْحَنَا لى لَحنًا أعْـرفه. ولا تَفُتَّا فـى أعْضَاد المسلمين. فرجَعَا بغَدْر القوم فقالا: يارسول الله عَضَلٌ والقَارَةُ، قال: فقال رسولُ الله ﷺ للمسلمين: «أَبْشِرُوا فإن الأمْرَ ما تحِبُّونَ».

* * *

[قال الأخـفشُ: سألتُ المَبَرِّدَ عـن قولهمـا: «عَضَلٌ والقَارَة» فـقال: هذان حَيَّان كانا فى نهاية العداوة لرسول الله ﷺ . فأرادَا أنهم فى الانحراف عنه والغدر به كهاتين القبيلتين] .

* * *

قال أبو العبـاس: فكان المهلّبُ ربما صَنَعَ الحديثَ لِيَشُـدَّ به من أمر المسلمين ويُضَعِّفَ من أمـرِ الخوارج ،فكان حَىٌّ من الأزْدِ يقال لـهم النَّدَب إذا رَأَوُا المهلَّبَ رائحاً إليهم قالوا: قد راحَ المهلّبُ ليكذبَ! وفيه يقولُ رجلٌ منهم :

أنـتَ الـفـــتى كـلُّ الـفـــتـى ... لــو كُنْـتَ تَصْــدُقُ مــا تَقُــولُ

* * *

فبـات المهلبَ فى ألفَيْنِ، فلمـا أصبح رجَع بعضُ المنـهزمة فصـارَ فى أربعة آلاف، فخطـب أصحابَه فـقال: والله ما بـكم من قلَّة،وما ذَهَـبَ عنكْم إلاّ أهلُ الجُبْنِ والضَّعْـف والطَّمَعِ والطَّبَعِ، فإنَ يَمْسَّـسْكُمْ قَرْحٌ فقد مَسَّ القـومَ قَرْحٌ مثلُه، فسيرُوا إلى عدوِّكم على بركة الله .

فقام إليه الحريـش بنُ هلاَل فقال: أَنْشدُكَ اللهَ [1] أيها الأميرُ أن تقاتلهم إلاَّ أن يُقاتلُوك! فإن بالقوم جراحاً وقد أثخنَتْهُمْ هذه الجَوْلةُ.

فقبلَ منه ومَـضى المهلَّبُ فى عشَرة. فأشْرَفَ على عـسكر الخوارج. فلم يَرَ منهم أحـداً يتحَّـركُ. فقـال الحريشُ: ارتَحلْ عـن هذا الموضعِ، فارتَـحَلَ. فعَـبرَ دُجَيْلا، وصار إلى عَاقُول [2] لا يُؤْتى إلاّ من وجهٍ واحدٍ. فأقام به واستراحَ الناسُ ثلاثاً، وقال ابنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ :

---

(١) أنشدك الله : أى أذكرك الله .

(٢) العاقول : الأرض لا يهتدى لها .

ألا طرقتْ مــن آل بثنةَ طارقَــهْ[1] | على أنهــا مَعشُــوقةُ الدَّل عاشــقَهْ
تبيت وأرضُ السُّوسِ بَـيْنِى وبينها | وسُولافُ رُسْـتَافٌ حَمَتْـهُ الأزَارِقَهْ
إذا نحن شـئْنَا صَـادَفتْـنَا عصـابةٌ | حُرورِيةٌ أَضْحَتْ مـن الدِّين مارقهْ
أجازَتْ إليـنا العسْكَريْـن كَلَيْهـمَا | فبـاتتْ لنا دُونَ اللحَـاف مُـعَانِـقهْ

وقد ذكرنا «الضّمارَ» ومعناه الـغائبُ، وأصلهُ من قولك: «أَضْمَرْتُ الشيءَ» أى أخفَـيتُـهُ عنك، ويقال: مـالٌ عينٌ، لـلحاضـر، ومالٌ ضِمـارٌ للغائـب، قال الأعْشىَ:

ومَــن لا تَـضــيــعُ لـه ذمَّـــةٌ | فـيَجـعَلـهَا بـعد عَـيْنٍ ضِـمـارَا

وقال أيضاً :

أبـانـا فَــلاَ رِمْـتَ مِـنْ عنْـدنَـا | فـــإنَّا بِـخَـــيْــرٍ إذَا لَـمْ تَـرِمْ
أرانَــا إذا أضْـــمَـــرَتَـك الـبِـــلا | دُ نُجْـــفَـى وتقـطعُ مِـنَّـا الرَّحِـمْ

والفعـلُ من هذا أَضْمَـرَ يُضْمِرُ، والمفـعولُ به مُـضْمَرٌ، والفـاعل مُضْـمِرٌ، والضّـمارُ اسمُ للفـعل فى معنـى الإضمار، وأسـماءُ الأفعـال تَشْرَكُ المصـادرَ فى معـانيها، تقـول: أعطيته عَطـاءً، فيَشْرَكُ العَـطاءُ الإعْطاءَ فى معناه. ويُـسمَّى به المفعولُ، وتقول: كلَّمـتُه تكليماً وكلاَّماً، فى معناه، والمـصدرُ يُنْعتُ به الفاعلُ فى قولك: رجلٌ عدلٌ، ورجلٌ كرَمٌ، ورَجلٌ نوْمٌ. ويومٌ غَـمٌّ وغَيْمٌ، وينعتُ به المفعولُ فى قـولك: رجـل رضىّ. وهذا درهم ضَـرْبُ الأمـيـر. وجاءنَـى الخلْقُ، تعـنى المخلوقين.

* * *

وقال رجلٌ من الخوارج في ذلك اليومِ :

وكـائنْ تركْنَا يـومَ سُولافَ مـنهمُ | أسارَى وقتْلَى فى الجحيم مَصيرُها

وقوله :«وكائنْ» معناه «كم». وأصلْه كافُ التشبيه دخلتْ على «أىِّ» فصارتا بمنزلة «كم». ونظيرُ ذلك له كذا وكذا درهـما. إنما هى «ذا» دخلت عليها الكاف، والمعنى له كهذا العـدد من الدراهم، فإذا قال: له كذا كذا درهمـاً، فهو كناية عن

(١) ر «بيبة» . س . «مية» . وما أثبته رواية الأصل .

أحَدَ عَشَرَ درهماً إلى تسعةَ عَشَرَ، لأنه ضَمَّ العدَدَيْن، فإذا قال: كذا وكذا، فهوكنايةٌ عن أحد وعشرين إلى ما جازَ فيه العطفُ بعدهُ. ولكنْ كَثُرَتْ «كأيٍّ» فَخُفِّفَتْ والتثقيلُ الأصلُ، قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيٍّ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾[1] ﴿وَكَأَيٍّ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾[2]، وقد قُرِئَ بالتَّخْفيف كما قالَ الشاعرُ:

وكَائن رَدَدْنَا عنكم مِن مدجّجٍ ... يَجيءُ أمامَ الألْف يرْدِى مُقَنّعا[3]

وقال آخرُ:

وكائن تَرى يومَ الغُمَيْصاءِ مِن فتى ... أصيب ولم يجْرَحْ وقد كان جارِحَا[4]

قال أبو العباس: وهذا أكثرُ على ألسنتهم، لطلب التخفيف. وذلك الأصلُ، وبعض العرب يَقْلِبُ فيقول: «كَيْءٍ» يافتى، فيؤخِّرُ الهمزة لكثرة الاستعمال، قال الشاعر:

وكَيْءٍ فى بنى دُودَانَ منهم ... غداةَ الرَّوْعِ معروفاً كَمىٌّ

قال أبو العباسِ: فأقام المهلبُ فى ذلك العَاقولِ ثلاثةَ أيامٍ ثم ارتحلَ. والخوارج بسلَّى وَسِلَّبْرَى.

* * *

[قال الأخفش: « سَلَّى » و « سَلَّبْرى » بفتح السين فيهما: موضعانِ بالأهواز، و « سِلَّى » بكسر السين موضعٌ بالبادية، وكذا يُنْشَدُ هذا البيت:

كَأَنَّ غَديرَهمْ بجنُوبِ سَلَّى ... نَعامٌ قاقَ فى بلدٍ قِفَار

* * *

فنزل قريباً منهم، فقال ابن الماحوز لأصحابه: ما تنتظرون بعدُوِّكم وقد هَزَمتموهم بالأمس وكَسرتمْ حَدَّهم؟ فقال له وافدٌ مَوْلَى أبى صُفْرَةَ: يا أمير المؤمنين، إنما تَفَرَّقَ عنهم أهلُ الضعف وَالجُبْن، وبَقِى أهلُ النجْدةِ والقوَّة، فإن

(١) سورة الحج ٤٨ . (٢) سورة آل عمران ١٤٦ .

(٣) يردى : يعدو . والمقنع : المغطى بالسلاح .

(٤) الغميصاء : موضع بالبادية قرب مكة .

أصبتهم لم يكن ظفراً هنيئا، لأنى أراهم لا يُصابون حتى يصيبوا، فإن غَلَبُوا ذهب الدِّينُ، فقال أصحابُهُ: نافقَ وافدٌ، فقال ابن الماحُوز: لا تَعْجَلُوا على أخيكم، فإنه إنما قال هذا نظراً لكم، ثم تَوَجَّهَ الزبير بن على إلى عسكر المهلَّب لِيَنظرَ ما حالهم، فأتاهم فى مائَتَين، فَحزَرَهُمْ ورجع وأَمرَ المهلَّبُ أصحابَه بالتَّحارُس، حتى إذا أصبح ركبَ إليهم على تَعْبِيَة صحيحة، فالْتقَوْا بِسلَّى وَسِلَّبْرَى فَتَصافَّوا، فخرج من الخوارج مائة فارس، فركَزوا رماحهم بين الصَّفَّين واتَّكَئُوا عليها، وأخرج إليهم المهلَّب عدادَهم، ففعلوا مثلَ ما فعلوا، لا يَرِيمُونَ إلاَّ لِصلاةٍ حتى أَمْسَوْا، فرجع كلٌّ قوم إلى مُعَسْكرِهِمْ، ففعلوا هذا ثلاثةَ أيامٍ.

ثم إن الخوارجَ تَطاردُوا لهم فى اليوم الثالث، فحَمَلَ عليهم هؤلاء الفرسان يجولون ساعةً. ثم إن رجلاً من الخوارج حَمَلَ على رجل فطعنهُ، فحمل عليه المهلَّبُ فطعنه، فَحَمَلَ الخوارجُ بأجمعهم، كما صَنَعُوا يوم سُولافَ، فَضَعْضعوا الناسَ، وَفقدَ المهلَّبُ. وثبتَ المغيرةُ فى جمعٍ أكثرُهم أهلُ عمانَ، ثم نجم المهلّبُ[1] فى مائة فارسٍ. وقد انغمَسَتْ كفّاهُ فى الدَّمِ، وعلى رأسه قَلَنْسُوَةٌ مُرَبَّعةٌ فوقَ الْمغفر[2] مَحْشُوَّةٌ قَزًّا. وقد تَمَزَّقَتْ، وإنّ حَشْوَها لَيَتَطَايَر، وهو يَلْهَثُ، وذلك فى وقت الظُّهْرِ، فلم يَزَلْ يحاربُهم إلى الليل، حتى كَثُر القتلُ فى الفريقين.

فلما كان الغَدُ غاداهم، وقد كان وَجَّهَ بالأمسِ رجلا من طاحية بن سودِ بن مالك بن فَهْم بن الأزد يَرُدُّ المنهزمين، فمَرَّ به عامر بن مِسْمَعٍ فردَّه، فقال: إن الأميرَ أذنَ لى، فبعث إلى المهلَّب فأعلمه، فقال: دعْهَ فلا حاجةَ لى فى مثله من أهلِ الجبنِ والضَّعْفِ، وقد تفرَّق أكثرُ الناس، فغاداهم المهلَّبُ فى ثلاثة آلاف، وقال لأصحابه: ما بِكُمْ من قلة، أيعجزُ أحدُكُمْ أن يَرْمِى رمحه ثم يَتَقَدَّم فيأخُذَه، ففعلَ ذلك رجلٌ من كِنْدَةَ يقَالُ له عيَّاشٌ، وقال المهلَّبُ لأصحابه: أعدُّوا مخاليَ فيها حجارةٌ وارمُوا بها فى وقت الغَفْلة. فإنها تصُدُّ الفارس وتصْرَعُ الراجلَ، ففَعَلوا، ثم أمر منادياً يُنادى فى أصحابه، يَأْمُرُهُمْ بالجدِّ والصَّبْرِ، ويُطْمِعُهُمْ فى العدُوِّ، ففعَلَ، حتى مَرَّ ببنى العدويَّةِ، من بنى مالك بن حنْظلة فضَرَبُوهُ، فدعا

---

(١) نجم: ظهر.

(٢) المغفر: ما يقى الرأس: وهو حلق يتقنع بها المسلح.

المهلَّبُ بسيِّدهم، وهو معاوية بن عمرو فَجَعَلَ يَرْكُلُه[1] برجْله، وهذا معروفٌ فى الأزْد، فقال: أصلَح الله الأمير! أَعْفِنى مِنْ أمِّ كَيْسَانَ - والرُّكْبَةُ تُسَمِّيهَا الأزْدُ «أمَّ كَيْسَانَ». ثم حمل المهلَّبُ وحَمَلُوا . فاقتتلوا قتَالاً شديداً. فجَهد الخوارجُ، فنادى مُناديهم: ألا إنّ المهلَّبَ قد قُتِلَ! فركبَ المهلَّبُ بِرْذَوْناً قصيرا أَشْهَبَ. وأَقبَلَ يرْكُضُ بين الصفَّيْن، وإنَّ إحْدَى يديه لَفِى القباء وما يَشْعُرُ بها. وهو يصيحُ أنَا المهلَّبُ! فسكنَ الناسُ بعدَ أنْ كانوا قد ارتابُوا، وظنُّوا أنَّ أميرَهم قد قُتل، وكَلَّ الناسُ مع العَصْر، فصاحَ المهلبُ بابنه المغيرة: تقَدَّمْ. فَفَعَلَ. وصاحَ بذَكْوانَ مولاه. قدّمْ رَايَتَكَ. ففَعل. فقال له رجلٌ مِن وَلَده: إنك تُغَرِّرُ بنفسك، فَذَمَرَهُ[2] ثم صاحَ: يا بنى تميم، أآمُرُكُمْ فتعصونَنى! فتَقدَّمَ وتقدم الناسُ، واجْتَلَدُوا أشدَّ جلاد ، حتى إذا كان مع المَسَاء قتلَ ابنُ المَاحُوز. وانصرفَ الخوارجُ ولم يَشْعُر المهلَّبُ بقتلِه، فقال لأصحابه: ابْغُونى رجلاً جَلْداً يطُوفُ فى القَتْلَى، فأشاروا عليه برجلٍ مِن جَرْمٍ، وقالوا: إنَّا لم نَر رجلا قَط أَشدَّ منه، فطَوَّفَ ومعه النِّيرَانُ، فَجَعَلَ إذا مَرَّ بجريح من الخوارج قال: كافر وربِّ الكعبة! فأجْهَزَ عليه. وإذا مَرَّ بجريحٍ من المسلمين أمَرَ بسقْيه وحَمْله.

وأقام المهلَّبُ فى عسكره يأمُرهم بالاحتراس، حتى إذا كان نصفُ الليل وَجَّهَ رجلاً من الْيَحْمَد. فى عَشَرَة فصاروا إلى عسكرِ الخوارج، فإذا القوم قد تَحَمَّلُوا إلى أرّجَانَ، فرجَع إلى المهلب فأَعْلَمَهُ، فقال: أنا لَهُم السَّاعَةَ أشدُّ خوفاً. فاحْذَرُوا البَيَاتَ.

* * *

[قال الأخْفَشُ: الْيَحْمَدُ من الأزد. والخليلُ مِنْ بَطْنٍ منهم يقال لهم الفَرَاهيد. والفُرْهُودُ فى الأصلِ الحملُ، فإنَ نَسَبْتَ إلى الحىِّ قلتَ: «فَرَاهِدى»، وإن نسبت إلى الحمْلاَنِ قلتَ: «فُرْهودىٌّ» لا غَيْرُه].

* * *

قال أبو العباس : ويروَى عن شعْبة بن الحجَّاج أن المهلَّب قال لأصحابه يوماً: إن هؤلاء الخوارج قد يئسوا من ناحيتكم إلا من جهة البَيَاتِ. فإن كان ذلك

(١) الركل : الرفس بالرجل .   (٢) ذمره : حضه .

فاجْعلوا شعارَكُمْ «حَمَ لا يُنْصرُون» فإن رسولَ الله ﷺ كان يأمُرُ بها ، ويُروَى أنه كان شعارَ أصحابِ على بن أبى طالبٍ صلوات الله عليه.

فلمَّا أصبحَ المهلب غَدَا على القَتْلى، فأصاب ابنَ الماحُوزِ فيهم:

ففى ذلك يقول رجل من الخوارج:

بِسِلّى وَسِلْبرَّى مَصَارعُ فِتْيَةٍ كِرَام وَجَرْحَى لم تُوَسَّدْ خُدُودها

وقال آخرُ:

بسِلَّى وسَلْبرَّى مصارِعُ فتيةٍ كِرامٍ وعَقْرَى من كُمَيْت ومن وَرْدِ[1]

* * *

وقال رجلٌ من موالى المهلّب: لقد صرعتُ يومئذ بحَجرٍ واحد ثلاثة. رميتُ به رجلا فأصبتُ أصل أذْنه فصرعْتهُ، ثم أخذتُ الحجرَ فضربتُ به آخَرَ على هامته فصرعْتُه، ثم صرعتُ به ثالثاً.

وقال رجل من الخوارجِ :

أتانَا بأحْجار ليقتلَنا بها وهل تُقْتلُ الأبطالُ وَيْحَك بالحجَرْ!

* * *

وقال رجلٌ من أصحاب المهلَّبِ فى يومِ سِلَّى وَسِلبْرَى وَقتْل ابن المَاحُوزِ:

وَيَوم سلى وَسِلْبرَى أحاط بهم منَّا صواعقُ ما تُبْقى وَلا تذَرُ

حتى تَركْناَ عُبَيْدَ الله مُنْجدلا كَما تَجَدَّلَ جذْعٌ مَالَ مُنْقعرُ

قال أبو العباس : تقولُ العربُ: «صاعقةٌ وَصواعقُ»، وهو مذهبُ أهل الحجاز، وبهُ نزلَ القرآنُ، وبنو تميم يقولون: «صاقَعةٌ وصوَاقِعُ».

والمُنْقَعَرُ: المُنقطعُ من أصلهِ، قال الله أصدقُ القائلين: ﴿**كأنهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقعرٍ**﴾[2].

---

(١) نسبه ابن برى إلى أبى المقدام بيهس بن صهيب بن عامر الجرمى، وهو فارس شاعر كان مع المهلب فى هذه الحرب، وله مواقف مشهورة وبلاء حسن. وعقرى : جمع عقير؛ بمعنى معقور ، من عقر الفرس، إذا قطع قوائمه. (رغبة الآمل).

(٢) سورة القمر ٢٠ .

ويُروَىَ أن رجلاً من الخوارج يوم سِلَّى حَمَلَ على رجلٍ من أصحاب المهلّب فطَعَنَه، فلما خـالطَه الرمحُ صاح: يا أَمَّتَاه! فصاح به المـهلَّبُ: لا أَكْثَرَ اللهُ بمثلك المسلمْين! فضَحكَ الخارجىُّ وقال:

أمُّك خـيـرٌ لـك منى صَـاحِـبَـا   تَسْـقـيكَ مَـحْـضـاً وتَعُـلُّ رائبـا

* * *

وكان المغـيرة بنُ المهلب إذا نَظَرَ إلى الرمـاحِ قد تَشَاجَرَتْ فى و جـهه نَكَسَ على قَرْبوسِ سَرْجِـه، وحَمَلَ من تَحتها فَبَـراهَا بسيفه، وأثر فى أصحـابها، حتى تَخَرَّمَت المَيْمَنَةُ من أجـله، وكان أشدَّ ما تكونُ الحربُ أشدَّ ما يكونُ تَـبسُّمًا، فكان المهلبُ يقولُ: ما شهِد معى حرباً قط إلاَّ رأيتُ البِشْر فى وَجْهه.

* * *

وقال رجلٌ من الخوارج فى هذا اليوم:

فإن تَكُ قَـتْلَى يومَ سلّى تتـابعتْ   فكم غادَرت أسيافنا من قُماَقِم!(١)
غـدَاةَ نَـكُرُّ المشـرفَّـيـة فـيـهـم   بسُـولاف يوم المـأزق المُتَـلاَحِم

المأزقُ: هو يومُ تَضَايُق الحرب. والمُتَلاحِمُ: نعتٌ لـه. وَالَمْشْرَفَّيةُ: السُّيوف. نُسِـبْت إلى المشارف مِنْ أرضِ الـشَّامِ، وهو الموضعُ الملـقبُ «مُوتة» الذى قـتِل به جعفرْ بن أبى طالب وأصحابهُ.

* * *

[قال الأخْفَشُ: كان المَبردُ لا يَهْمِزُ «مُـؤْتَةَ» . ولم أَسْمَعْهاَ من علمائنا إلا بالهمِز] .

* * *

قال أبـو العباس : فـكَتَب المهلب إلى الحـارث بن عبـد الله بن أبى ربيـعة القِباع.

(١) القماقم : السيد الكثير الخير الواسع الفضل .

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد : فإنا لقينا الأزارقةَ المارقةَ بحدٍّ وَجدٍّ، فكانتْ فى الناس جَوْلةٌ، ثم ثابَ أهلُ الحفاظ والصبر، بنيّات صادقة، وأبدان شداد، وسيوف حداد ، فأعْقبَ اللهُ خيرَ عاقبة، وجاوزَ بالنعمة مقدارَ الأمل، فصاروا دَرِئةَ رماحنا، وضرائبَ سيوفنا[1]، وقَتَلَ اللهُ أميرَهم ابنَ الماحوز. وأرجو أن يكونَ آخرُ هذه النعمة كأولِّها، والسلام.

* * *

فكَتَبَ إليه القباعُ :

قد قرأتُ كتابَك يا أخا الأزْد. فرأيتكَ قد وَهَبَ اللهُ لك شرفَ الدنيا وعزَّها. وذَخرَ لك ثوابَ الآخرةِ ـ إن شاء اللهُ ـ وأجْرها، ورأيتُك أوثقَ حصون المسلمين. وهادَّ أركانِ المشركين، وأخا السياسةِ وذا الرِّياسةِ، فاسْتَدِمِ الله بشكره يتِمِمْ عليك نِعَمَهُ، والسلام .

* * *

وكتب إليه أهل البصرة يُهَنِّئونَه، ولم يكتب إليه الأحنفُ، ولكن قال: اقرءوا عليه السلام، وقولوا له: أنَا لَكَ على ما فارقْتُك عليه، فلم يزَلْ يقرأ الكتبَ ويَلْتَمسُ فى أضْعافها كتابَ الأحنف، فلمَّا لم يَرَهُ قال لأصحابه: أمَا كتَبَ إلينا؟ فقال له الرسول: حمَّلنى إليك رسالة . وأبْلَغُه. فقال: هذه أحبُّ إلىَّ من هذه الكتبِ.

* * *

واجتمعت الخوارجُ بأرجَانَ، فبايعُوا الزُّبيرَ بن عليٍّ، وهو من بنى سَليطِ بن يَربْوعٍ، من رَهْط ابن الماحوز، فرأى فيهم انكسارًا شديدًا وضَعْفاً بيِّناً، فقال لهم: اجْتمعُوا، فَحَمِدَ الله وأثنى عليه وصلى على محمد ﷺ، ثم أقْبل عليهم فقال: إنْ البَلاءَ للمؤمنين تَمْحيصٌ وأجرٌ، وهو على الكافرين عُقوبةٌ وخزْىٌ، وَإنْ يُصَبْ منكم أميرُ المؤمنين فما صار إليه خيرٌ مما خَلَّفَ، وقد أصبتُم فيهم[2] مُسْلمَ بن عُبَيْس ورُبيعاً الأجْذَمَ والحجَّاج بنَ باب وحارثَةَ بنَ بدرٍ. وأشْجَيْتُمُ المهلبَ. وقتلتم

(١) الدرئة : الحلقة يتعلم فيها الرمى والطعن، والضرائب جمع ضريبة . وهى كل ما ضربت بسيفك .
(٢) ر : « منهم » .

أخَاهُ المُعَارك، والله يقولُ لإخوانك منَ المؤمنين: ﴿إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فقدْ مَسَّ القوم قَرْحٌ مثْلُه وتلك الأيَّامُ نُدَاوِلُها بَيْنَ النَّاس﴾[1]، فيَوْمُ سلَّى كان لكم بلاءً وتمحيصاً، ويومُ سُولافَ كان لهم عُقُوبة ونكالاً، فلا تُغْلَبُنَّ علَى الشُّكْرِ فى حِينه، والصَّبْرِ فى وقته، وثقُوا بأنكم المستَخلَفون فى الأرض، والعاقبةُ للمتَّقين.

ثم تَحَمَّل لمحاربة المُهَلَّب. فنفحَهُمُ[2] المهلبُ نَفْحَةً. فرجعَوا فأكْمنَ للمهلَّبِ فى غُمْضٍ من غُمُوض الأرض[3]، يَقْرُبُ من عسكره، مائةَ فارس ليَغتالُوه، فسار المهلبُ يوماً يطوفُ بعسكره ويتفقد سَوَادَه، فوقَف على جبلٍ فقال: إن من التَّدْبير لهذه المارقة أن تكون قد أكمَنتْ فى سَفْحِ هذا الجبل كميناً، فبعثَ عَشَرة فوارس، فاطَّلعُوا على المائة، فلما عَلمُوا أنهم قد علموا بهم قَطَعُوا القَنْطَرة ونجَوا، وكَسفَت الشمسُ، فصاحوا بهم: ياَ أعداءَ الله! لو قامت القيامة لجَدَدْنَا فى جهادكم. ثم يَئس الزُّبير من ناحية المهلّب، فضَرَبَ إلى ناحية أَصْبَهَان، ثم كَرَّ راجعاً إلى أرْجَانَ، وقد جَمع جموعاً، وكان المهلّبُ يقول: كأنِّيَ بالزُّبير وقد جمع جموعاً، فلا تَرْهَبُوهُمْ فَتَخْبُثَ قلوبكم، ولا تُغْفلُوا الاحتراسَ فيَطمَعُوا فيكم، فجاءوه من أرْجَانَ فألْفَوهُ مُستَعدا آخذاً بأفواه الطرق. فحاربوه فظَهَرَ عليهم ظهوراً بَيِّناً. ففى ذلك يقول رجلٌ من بنى تميم. أَحْسَبُهُ من بنى رِيَاحِ بن يَرْبُوع:

سَقَى اللهُ المهلبَ كلَّ غَيْث … من الوَسْميِّ يَنْتَحِر انتحارَا[4]
فما وهَن المهلَّبُ يومَ جاءتْ … عَوابُس خَيْلهم تَبْغى الغوَارَا

وقال المهلَّبُ يومئذ: ما وقعتُ فى أمرٍ ضيِّق من الحرب إلا رأيتُ أمامى رجالا من بنى الهجَيم بن عَمْرو بن تميمٍ يُجَالِدُونَ، وكأنَّ لحاهُمْ أذنابُ العقَاعقِ[5]. وكانوا صَبَرُوا معه فى غير مَوْطِن.

* * *

(1) سورة آل عمران ١٤٠.
(2) فنفحهم: دفعهم.
(3) الغموض: جمع غمض؛ وهو المطمئن من الأرض.
(4) ينتحر انتحارا؛ كذا تقول العرب للسحاب إذا انبعق بماء كثير؛ قال الراعى:

فمرَّ عَلَى منَازِلها وألْقى … بها الأثْقَالَ وَانتحَرَ انتحَارَا

(5) العقاعق. جمع عقعق؛ وهو طائر ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب.

وقال رجلٌ من بنى تميمٍ. من بنى عَبْشَمْسِ بن سَعْدٍ :

ألاَ يامَـنْ لصَبٍّ مُـسْـتَـحِنٍّ[(١)] قَـريح القلب قـد صَحِـبَ المَزُونَا
لهـانَ علـى المهـلَّب مـالَـقـينا إذا مـا راحَ مَـسـروراً بَطِـينَـا
يجُـرُّ السَّـابـرىَّ ونحنُ شُـعْثٌ كـأنَّ جلودَنا كُـسِـيَتْ طحَـينَا[(٢)]

المَزونُ : عُمَانَ . وهو اسم من أسمائها، قال الكُمَيْتُ :

فـأمَّـا الأزْدُ أَزْدُ أبى سـعـيـدٍ فـأكْـرهُ أن أُسَـمِّـيَـهَـا المَـزُونَا

وقال جريرٌ :

وأطْفـأتَ نـيـرانَ المَزُونِ وأهـلـهـا وقـد حاولـوها فـتنة أن تُسَـعَّـرَا

* * *

وَحَمل يومـئذ الحريشُ بن هلالٍ على قـيسِ الإكافِ، وكان قـيسٌ من أنْجَدِ فُرْسانِ الْخوارج، فطَعنه فَدَقَّ صلْبَهُ، وَقال:

قَيْسُ الإكافِ غَـدَاةَ الرَّوْع يَعْلَمُنى ثَبْتَ الُـمقَـام إذا لاقـيتُ أَقْـرابى

* * *

وقد كـان فَلُّ المهلب يـوم سِلَّى وَسِلَّبْـرَى صاروا إلى البـصرة، فـذكروا أن المهلب أصيبَ، فَهَمَّ أهلُ البصرة بالنقلة إلى البـادية، حتى وَرَدَ كتابُه بظفره، فأقام الناسُ، وتَرَاجعَ من كان ذَهب منهم، فعند ذلك يقول الأحنفُ بن قيسٍ : البصرةُ بصـرةُ المهلَّبِ. وقَدِمَ رجلٌ مـن كِنْدَةَ يقال لـه فلانْ بنُ أرْقَمَ، فَنعَـى ابنَ عمٍّ له. وقال: رأيتُ رجلا من الخوارجِ وقد مكَّنَ رمْحه من صُلْبه، فقَدِمَ الَمنْعُّى، فقيلَ له ذلك. فقال: صَدَقَ ابنُ أرقم لما أَحْسَسْتُ برمحه بين كـتِفَىَّ صحتُ: البَقِيَّةَ! فرَفَعه عنَىَ، وتَلاَ: ﴿بَقيَّةُ الله خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُم مُؤْمنِينَ﴾[(٣)].

* * *

(١) مستحن : من الحنين .
(٢) الثوب السابرى : الرقيق .
(٣) سورة هود ٨٦ .

ووَجَّهَ المهلّبُ بعَقِب هذه الوَقعَة رجلا من الأزد، برأس عُبَيْد الله بن بَشير ابن المَاحُوز إلى الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة القُبَاع. فلما صار بكُرَبج(١) دينار لَقيَهُ حَبيبٌ وعبدُ الملك وعليٌّ، بنو بَشير بن الماحوز، فقالوا له: ما الخبرُ؟ولا يَعْرفُهم، فقال: قَتَلَ اللهُ المارقَ ابنَ الماحُوز، وهذا رأسُه مَعى. فَوَثَبوا عليه فقتلوه وصَلَبوه ودَفَنوا الرأسَ، فلما وَلِىَ الحجَّاجُ دخل عليه علىٌّ بن بَشير، وكان وَسيما جَسيما، فقال: مَنْ هذا؟ فَخُبِّر، فقَتَلهُ، ووهب ابنهَ الأزْهَرَ وابنتَهُ لأهل الأزدىِّ المقتول، وكانت زينب بنتُ بشير لهم مُواصلةَ، فوهبوهما لها.

[تولية مصعب بن الزبير على البصرة واستقدامه المهلب]

فلم يَزَل المهلَّب يقاتِلُ الخوارجَ فى ولايَة الحارث القُبَاع، حتى عُزلَ الحارثُ ووُلِّىَ مُصْعبُ بن الزُّبير، فكَتَب إليه أن أقْدَمْ علىَّ، واستخلف ابنَك المغيرةَ، ففَعل، فجَمعَ الناسَ فقال لهم: إنى قد استخلفتُ عليكم المغيرة. وهو أبو صغيركم رقة ورُحمة، وابنْ كبيركم طاعة وبراً وتبجيلاً، وأخو مثْله مُواساةً ومنَاصحةً، فلْتحسُنْ له طاعتكمْ، ولْيلنْ له جانبكم، فوالله ما أردتُ صوابا قط إلا سَبَقنى إليه. ثم مضى إلى مُصْعَب، وكتب مصعبٌ إلى المغيرة بولايته، وكتب إليه: إنك لم تكُنْ كأبيك، فإنك كافٍ لما ولّيْتكُ، فشَمِّرْ واتزرْ وجِدَّ واجتهدْ.

* * *

ثم شَخَصَ المصْعَبُ إلى المذار(٢) فَقَتَلَ أحْمَرَ بن شميْط، ثم أتى الكوفةَ فقتلَ المختارَ بن أبى عُبَيْد. وقال للمهلَّب: أشِرْ علىَّ برجلٍ أجْعلْه بينى وبين عبد الملك فقال: أذكُر لك واحداً من ثلاثة: محمد بن عُمَيْر بن عُطارِد الدارمىَّ، أو زياد بن عمرو بن الأشرف العَتَكىَّ أو داود بن قَحْذَم. فقال: أو تكفينى؟ قال: أكْفيك إن شاء اللهُ، فولاه المَوْصلَ . فشَخصَ المهلَّب إليها.

---

(١) موضع قريب من الأهواز .

(٢) المذار : بلد فى ميسان بين واسط والبصرة، وهى قصبة ميسان بينها وبين البصرة أربعة أيام .

[مشاورة مصعب الناس فيمن يكفيه أمر الخوارج]

وصار مـصْعَب إلى البصـرة، فسأل: مَنْ يَسْـتكفى أمر الخـوارج ويَفدْ إلى أخيه؟ فشاور الناس، فقال قومٌ: وَلِّ عُـبيدَ الله بن أبي بكْرَةَ. وقال قومٌ: وَلِّ عمر ابن عُبيد الله بن مَعْمر، وقال قومٌ: ليس لهم إلاَّ المهلبُ فارْدُدْهُ إليهم.

وبَلَغتِ المَشـورة الخوارجَ، فأداروا الأمْـرَ بينهم، فـقال قطَرِيُّ بن الفُـجاءَة المازنى: إن جـاءكم عبيـد الله بن أبى بكْرة أتاكم سـيِّدٌ سمْـحٌ جوادٌ كريمٌ مُـضيعٌ لعسكره. وإن جاءكم عُمـر بن عبيد الله بن معْمَر أتاكم شـجاعٌ بَطَلٌ فارسٌ جادٌ، يقاتلُ لدينه ومُلْكه، وبطبـيعة لم أرَ مثلَها لأحد، فقد شهـدتَه فى وقائعَ فما نوديَ فى القوم لحـربِ إلا كان أولَ فارس يطْلُعُ حتـى يَشُدَّ على قِرْنه فيَـضربَه، وإن رُدَّ المهلَّبُ فهو مَنْ قَـد عرفتموه، إن أخذتم بطَرف ثوبِ أخَذَ بـطرفه الآخرَ، يَمُدُّه إذا أرسلتـموه، ويُرْسله إذا مـددتُموهُ، لا يَبْـدؤكم إلاَّ أن تَبْدءَوهُ، إلا أن يَرَى فَـرَصَةً فينتهزَها. فهو الليث المبرُّ[1] ، والثعلبُ الرَّوَّاغُ. والبلاء المقيمُ.

* * *

فولّى عليهم عمرَ بن عُبَـيْد الله، وولاَه فارسَ ، والخوارج بأرَّجَان، وعليهم الزَّبير بن على السَّليطيُّ. فشخص إليهم فقاتلهم، وألَحَّ عليهم حتى أخرجهم عنها فألحقهم بأصْبهَان، فلمَّا بلغ المهلَّبَ أن مصـعباً ولَّى عُمرَ بن عُبيد الله قال: رماهُمْ بفارس العربِ وفتاها.

فَجَمعُوا لـه وأعَدوا واستعدُّوا. ثم أتوْا سَابُورَ. فسارَ إلـيهم حتى نزلَ منهم على أربعـة فراسـخ. فقـال له مالكُ بـن حَسَّـانِ الأزْدىُّ: إن المهلَّبُ كـان يُذْكى العيونَ. ويخلفُ البـياتَ. ويرْتَقبُ الغفلةَ. وهو على أبْعَدَ مـن هذه المسافة منهم. فقال له عمر: اسكتْ خلَعَ الله قلبَك! أتُـرَاكَ تموتُ قبلَ أجَلكَ! فأقام هناك. فلما كان ذاتَ ليلة بَيَّتَهُ الخوارجُ. فخرج إليهم فحاربهم حتى أصبحَ. فلم يَظْفَرُوا منه بشيءٍ. فأقـبل على مالكِ بن حَـسَّانٍ فقال: كـيف رأيتَ؟ قال: قـد سَلَّمَ الله عزَّ وجل. ولـم

---

(١) المبر : الغالب .

يكونوا يَطمعون منَ المهلَّب بمثلها. فقال: أمَا إنكم لو ناصحتمونى مُناصحتَكم المهلَّبَ لَرجَوْتُ أنْ أَنْفِي هذا العدوَّ. ولكنكم تقولون: قُرَشِيٌّ حجازيٌّ بَعيدُ الدار. خيْرهُ لغيرنا. فتقاتلون معى تَعْذيراً.

* * *

ثم زَحَفَ إلى الخوارجِ من غدِ ذلك اليوم، فقاتَلهم قتالا شديداً. حتى ألجأهَمْ إلى قنطرة. فتكاثف الناسُ عليها حتى سقطت، فأقام حتى أصلَحها، ثم عَبَرُوا، وتقدَّم ابنُه عبيدُ الله بن عمرَ- وأمُّه من بنى سَهْمٍ بن عمرو بن هُصَيْصِ بن كَعْب- فقاتلهم حتى قُتِلَ، فقال قَطَرِيٌّ: لا تقاتلوا عمرَ اليومَ فإنه مَوْتُور. ولم يعلم عمر بقتل ابنه؛ حتى أفْضَى إلى القوم، وكان مع ابنه النعمانُ بن عَبَّاد. فصاح به: يانعمانُ، أين ابنى؟ فقال: أَحْسُبُه [1-](أيها الأمير)[-1]. فقد استُشْهِدَ رحمه الله صابراً مُقْبِلا غيرَ مُدْبِر، فقال: إنَّا لله وإنا إليه راجعون! ثم حمل على الناس حمْلةَ لم ير مثلها. وحَمل أصحابُه بحمْلته. فقتَلُوا فى وجْههم ذلك تسعين رجلاً من الخوارج، وحَمَل على قَطَرِيٍّ فضربه على جبينه ففَلَقَهُ. وانهزمت الخوارج. وانتَهَبَها، فلما استقَرُّوا قال لهم قطَرِيٌّ: أما أشرت عليكم بالانصراف! فجَعلوه وجوهَهم حتى خرجوا من فارسَ.

وتلقَّاهم فى ذَلك الوقتِ الفزْر بن مِهْزَمٍ العَبْدِيُّ فسألوه عن خبره، وأراد قتلَه. فأقبل على قَطَرِيٍّ فقال: إنى مؤمنٌ مهاجرٌ. فسأله عن أقاويلهم، فأجاب إليها فخلَّوْا عنه، ففى ذلك يقول فى كلمة له:

وشَدُّوا وِثَاقِى ثم أَلْجَوْا خصومَتِى[2] ... إلى قَطَرِىٍّ ذى الجبين المُفَلَّقِ
وحاججْتُهم فى دينهم وحَجَجْتُهُمْ[3] ... وما دينهم غيرُ الهوَى والتَخلُّقِ

ثم إنهم تراجعُوا وتكانفوا.

(١-١) ساقط من ر.
(٢) ألجوا: أصله ألجئوا.
(٣) حاججتهم: نازعتهم.

[قال الأخفش: تكانفوا أعان بعضهم بعضاً واجتمعوا وصار بعضهم في كنف بعض]

وعادُوا إلى ناحية أرجَانَ. فسار إليهم عمر. وكَتب إلى مُصْعَب: أما بعدُ فإنى قد لَقيتُ الأزارقَةَ. فَرزَقَ الله عُبَيْدَ الله بن عمر الشهادةَ، وَوَهَبَ له السعادة. ورزقَنا عليهم الظَّفَرَ. فتفرَّقُوا شِذَرَ مِذَر، وبلغَتْني عنهم عوْدَةٌ، فَيمَّمتهم، وبالله أستعينُ وعليه أتوكلُ.

فسار إليهم ومعه عطية بن عمرو ومجاعة بن سعيد. فالْتقوا. فألح عليهم حتى أخرجهم. وانفردَ عمر[1] من أصحابه. فعَمَد له أربعةَ عشر رجلاً منهم، من مَذْكوريهم وشُجْعانهم وفي يده عمودٌ. فجعل لا يضرِبُ رجلا منهم ضربةً إلا صرَعَهُ. فركَضَ إليه قُطَرِيٌّ على فرس طمرَّة[2]. وعمر على مُهْر فاستشاره قطَرِي بقوة فرسه حتى كاد يَصْرَعُهُ. فَبصُرَ به مُجَّاعةَ فأسرع إليه. فصاحت الخوارجُ بقطريٍّ: يا أبا نُعامة! إنَّ عدوَّ الله قد رَهقَك. فانحطَّ قطرى عن قَرَبوسه. فطعنه مُجَّاعة. وعلى قطريٍّ درعان فهتكَهما، وأسرعَ السِّنان فى رأس قطريٍّ، فكَشَطَ عنه جلده ونَجَا.

وارتحلَ القومُ إلى أَصْبُهَان فأقاموا بها[3] بُرْهَة، ثم رجَعوا إلى الأهواز. وقد ارتحل عمر بن عُبيد الله إلى إصْطَخْرَ. فأمر مُجَّاعةَ فَجَبَى الخراج أسبوعاً. فقال له[4]: كم جَبَيْتَ؟ قال: تِسْعَمائَةِ ألفٍ. فقال: هى لك. فقال يزيد بن الحكم الثقفيُّ لمجاعة:

ودَعاكَ دَعوةَ مُرْهَقٍ فأجبتَه[5] عُمَرٌ وقد نَسيَ الحياة وضَاعا
فَردَدتَ عاديةَ الكتيبة عن فَتى[6] قد كاد يُتْرَكُ لَحْمَهُ أَوْزاعَا[7]

---

(١) ساقط من ر.

(٢) ر «طمر» والطمرة. الطويلة الخفيفة القوائم.

(٣) ساقطه من ر

(٤) ساقطة من ر.

(٥) المرهق. الذى أدرك ليقتل.

(٦) العادية الخيل تعدو

(٧) أوزاعا: قطعا.

وعُزلَ مُصْعَبُ بن الـزبير ووُلِّيَ حمزة بن عبد الله بن الزبيـر، فوَجَّهَ المهلَّبَ إليـهم، فحـاربهم فـأخرجهـم عن الأهواز، ثم رُدَّ مـصْعَب والمهـلبُ بالبـصرة، والخوارج بأطراف أصبَهان والوالى عليهـا عَتَّابُ بن ورقَاءَ الرِّيَاحِيُّ، فأقام الخوارج هناك شيئاً يجبونَ القُرَى. ثم أقـبلوا إلى الأهواز من ناحية فارسَ، فكَتَب مُصْعَب إلى عمر بن عـبيد الله: ما أنصفْـتنَا. أقمتَ بفارسَ تجبى الخراجَ ومـثل هذا العدوِّ يحاربكَ! والله لو قـاتلتَ ثم هربتَ لكان أعْذر لـك، وخرج مصعبٌ من الـبصرة يريدهم. وأقبلَ عمـر بن عبيد الله يريدهم، فتنحَّـى الخوارجُ إلى السُّوسِ، ثم أتَوا المدائنَ، فقتـلوا أحْمَرَ طَيِّئٍ. وكان شجـاعاً، وكان من فُرْسانِ عُبـيد الله بن الحُرِّ، ففى ذلك يقولُ الشاعرُ:

تركـتم فَتى الفـتْيـانِ أَحْمَـرَ طَيئٍ   بسَـاباطَ لم يَـعْطفْ علـيه خـلَيلُ

ثم خرجوا عامـدين إلى الكوفة، فلما خالطوا سوادَهـا، وواليها الحارثُ بن عبد الله القَـباع. فتثـاقل عن الخُروجِ وكان جَبَـاناً، فَذَمَرَهُ[1] إبراهيمُ بن الأشْـتَرِ، ولامَهُ الناسُ. فَخَرَج متحاملا حتى أتى النُّخَيْلة، ففى ذلك يقولُ الشاعرُ:

إن القَـــبـاعَ سـار سَـيْـراً نُـكْرَا   يســيـرُ يـومـاً ويُقــيمُ شـــهـرَا

وجعل يَعـدُ الناسَ بالخروج ولا يخرجُ. والخوارجُ يـفشون[2]، حتى أخذوا امرأة فقتلوا أباها بين يديها، وكانت جميلةً، ثم أرادوا قتلَها، فقالتْ: أتَقتلون مَنْ يُنشَّأُ فى الحلْيَـة وهو فى الخصَامِ غيْر مُـبين! فقال قال منهم: دعُوها، فـقالوا: قد فَتَنتْكَ، ثم قَدَّمُوها فقتَلُوها، ثم قَرَّبوا أخـرى. وَهُمْ بحذَاء القباعِ، والجسْرُ معقودٌ بينهما، فَقَطعه القبَاعُ، وهو فى ستة آلاف، والمرأةُ تستغيثُ به وهى تَقول[3]: عَلامَ تقتلوننى؟ فوالله ما فَسَقتُ ولا كَـفَرْتُ ولَا ارْتَدَدتُ! والناسُ يَتَفَلَتُونَ إلى الخوارج، والقُباع يمنعهم، فلما خاف أن يَعْصـوه أمر عند ذلك بقطع الجسر. فأقام بين دَباهَا ودَبيرى[4] خمسـةَ أيام، والْخوارجُ بقربـه، ويقـول للناس فى كل يوم: إذا لقـيتم العدوَّ غداً فأَثْبتُوا أقدامكم واصـبِرُوا، فإن أَوَّلَ الحرب التَّرامى. ثم إشْرَاع الرِّماح،

(١) الذمر: الحض.
(٢) ر: «يعيثون». س: يعبثون.
(٣) ر: «وتقول».
(٤) دباها ودبيرى: قريتان من قرى بغداد.

ثم السَّلَّةُ[١]، فَثَكَلَت رجلاً أمُّهُ فَـرَّ من الزَّحْفِ! فقال بعضُهم لمَّا أكثـر عليهم: أمَّا الصِّفَةُ فقد سمعناها، فمتى يَقَعُ الفعلُ؟ وقال الراجزُ:

إن القُـبـاع سـار سَـيْـرًا مَـلْسَـا بين دبـاها ودبيـرَى خـمـسـا [٢]

فأخذ الْـخوارجُ حاجتهـم، وكان شأنُ القُبَـاعِ التَّحَصُّنَ منهم، ثم انـصرفوا ورجع إلى الكوفة، وصاروا مـن فورهم إلى أَصْبَهَان، فبعثَ عَـتَّابُ بن وَرْقَاءَ إلى الزُّبير بـن عليٍّ: أنا ابنُ عمك، ولستُ أراكَ تقـصدُ فى انصرافـك من كل حرب غيرى. فبعث إليه الزُّبير: إن أدنى الفاسقينَ وأبعدهم فى الحق[٣] سَواءٌ.

وإنما سُمِّيَ الحارثُ بنُ عبـد الله بن أبى ربيعةَ القبَاعَ، لأنه وَلِيَ البـصرةَ فَغيَّر على الناس مكايـيلَهم، فَنَظر إلى مكيـال صغير فى مَـرْآة العَيْنِ وقد أحـاط بدقيق استكثَره، فـقال: إن مكيالكم هذا لَقبـاعٌ. والقُبَاعُ الذى يُخْفى أو يَخْفَـى ما فيه، يقال: انْقَبَعَ الرجلُ، إذا استَتَرَ، ويقال للقنْفُذ القُبَع، وذلك أنه يَخْنِسُ رأسَه.

قال أبو العبـاس: وأقام الخوارجُ يغَادُونَ عَتَّاب بن وَرْقَاءَ القـتالَ ويُراوِحُونَه، حتى طال عليـهم المُقامُ، ولم يَظْفَرُوا منه بكبيـر، فلما كَثُرَ ذلك عليـهم انصرفُوا، ولا يَمُرون بقرية بين أصْبَهَانَ والأَهْوَاز إلا استباحوها وقَتَلوا من فيها.

وشاوَرَ المُصْعَبُ الناس فيهم[٤]، فاجتمع[٥] رأيهم على المهلب، فبلغ الخوارج مشاورته[٦]، فقال لهم قَطَرِيٌّ: إنّ جاءكم عَتَّابُ بن وَرْقَاءَ فهو فاتكٌ يَطْلُعُ فى أوَّل الْمقنَب[٧] ولا يَظْفَرُ بكَبِير، وإن جاءكم عُمر بن عـبيد الله ففارِسٌ يُقْـدمُ، فإمَّا له وإمَّا عليه، وإن جاءكم المهلَّب فرجلٌ لا يُنَاجِزُكُمْ حتى تناجزوه، ويأخذُ منكم ولا يعطيكم، فهو البَلاءُ اللازم، والمكروهُ الدائمُ.

وعَزم المصعَب على توجيه المهَلب، وأن يَشْخَص هو لحرب عبد الملك، فلما أحَسَّ به الزُّبير بن عليٍّ خرج إلى الرَّيِّ، وبهـا يزيدُ بن الحارث بن رُؤَيْمٍ. فحاربَه

---

(١) السلة. استلال السيوف.

(٢) الملس. السير الشد.

(٣) ر: «من الحق».

(٤) ساقطة من ر.

(٥) ر: «فأجمع».

(٦) ر «مشورته»

(٧) المقنب: جماعة الخيل.

ثم حَصَره. فلما طال عليه الحصارُ خرج إليه، فكان الظَّفَرُ للخوارج، فقتلَ يزيدْ ابن رُوَيْمٍ. ونادَى يؤمئذ ابنَه حَوْشَباً ففرَّ عنه وعن أمِّه لَطيفَة. وكان علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام دخَلَ على الحارث بن رُوَيْم يعود ابنَه يزيدَ. فقال له: عندى جاريةٌ لطيفةُ الْخدمة أبعثُ بها إليك، فسماها يزيدُ لطيفة، فقتلتْ معه يومئذ. وفى ذلك يقول الشاعر:

مَواَقِفنا فى كلِّ يوم كريهة ... أسرُّ وأشفَى من مَواَقفَ حَوْشَبَ
دعاه يزيدٌ والرِّماحُ شوارِعٌ ... فلم يَسْتَجبْ بَل راغ تَرْوَاغَ ثَعْلَبِ
ولو كان سَهْمَ النَّفْس أو ذا حَفيظة ... رأى ما رأى فى الموتِ عيسى بن مُصْعَبِ

وقد مَرَّ خبر عيسى بن مُصْعَب مستَقْصًى، وقال آخرُ:

نَجَّى حَليلَتَهُ وأسْلَمَ شَيْخَه ... نصْب الأسنَّة حَوْشَبُ بن يزيد

وقال ابن حوشب لبلال بن أبى بُرْدةَ يُعَيِّره بأمه. وبلالٌ مشدودٌ عند يوسف ابن عمر: يابنَ حَوْراءَ. فقال بلال - وكان جلداً: إن الأَمَةَ تُسَمَّى حَوْرَاءَ وَجَيْداءَ ولَطيفةَ.

وزَعَمَ الكلْبىُّ أن بلالا كان جَلْداً حين ابتُلىَ[1]. قال الكلبىُّ: ويُعْجبنى أن أرَى الأسيرَ جَلْداً - قال: وقال خالدُ بن صَفْوانَ له بحضرة يوسفَ بن عمرَ: الحمدلله الذى أزال سُلطانَكَ وهَدَّ رُكْنَك، وغيَّرَ حالَك. فوالله لقد كنتَ شديدَ الحجاب. مستخفًّا بالشريف. مُظْهرًا للعَصبيَّة. فقال له بلالٌ: إنما طالَ لسانُك يا خالدُ لثلاث معك هنَّ علىَّ: الأمرُ عليك مقبلٌ وهو عنى مُدْبرٌ. وأنت مُطْلَق وأنا مأسورٌ. وأنت فى طينَتك وأنا فى هذا البلدِ غريبٌ. وإنما جَرَى إلى هذا؛ لأنَّه يقال إنَّ أصلَ آل الأَهْتَم من الحيرة، وإنهم أُشابةٌ[2] دخلتْ فى بنى منْقَر من الرُّومِ.

ثم انحطَّ الزُّبير بن علىٍّ على أصْبَهَانَ، فحَصَرَ بها عتَابَ بن وَرْقَاءَ الرِّيَاحىَّ سبعةَ أشهرٍ، وعتَّابٌ يُحَاربه فى بعضهنَّ، فلما طال به الْحصارُ قال لأصحابه: ما تنتظرون؟ والله ما تُؤْتَونَ من قِلّة. وإنكم لفرسانُ عَشَائركم. ولقد حاربتموهم

---

(١) ر: «حيث ابتلى».

(٢) الأشابة: الأخلاط من الناس ليس أصلهم واحدا. كالأوباش والأوشاب قاله المرصفى.

مراراً فانـتصفتم منـهم، وما بَقِيَ مع هذا الحصـارِ إلا أن تفْنَى ذخائرُكم. فـيموتَ أحدكْمُ فَيدْفنَه أخوه. ثم يموتَ أخوه فلا يَجد مَن يدفنُه، فقاتلوا القوم وبكم قوةٌ، من قَبْل أن يَضْـعُفَ أحدُكُم عن أن يَمْشِي إلى قِـرنه. فلما أصبح الغـدُ صلّى بهم الصبحَ. ثم خرج بهم[1] إلى الخوارج وهم غَارّونَ، وقد نَصَبَ لواءً لجارية له يقال لها ياسمين، فقال: من أرادَ البقاء فلْيَلْحَقْ بلواء يَاسمينَ، ومَن أرادَ الجهادَ فليخْرُجْ مَعِى. فَخَرَج فى ألفين وسَـبْعمائَة فارسٍ، فلم يَشْعُرْ بهم الخـوارجُ حتى غَشُوهُمْ. فقاتَلوا بجـدٍّ لم يَرَ الخوارجُ منهم مثله. فعَقَـروا منهم خلقاً كثيراً وقـتَلوا الزُّبير بن علىٍّ. وانهزمت الْخوارج، فلم يَتَّبعْهمْ عَتَّابٌ، ففى ذلك يقولُ الشاعر:

وَيَـوْمٌ بَـحـىٍّ تُـلاَفَـيْـتَـه ... ولولاك لاَصْطُلِـم العَـسْكَـرُ[2]

* * *

– قال أبو العباس: نُفَسِّرُ قـوله: «ولولاَك» فى آخر هذا الْخبر إن شاء الله– وقال رجلٌ من بنى ضَبَّة فى تلك الوقعة:

خَـرَجْتُ من المدينـة مُـسْتَمِـيتاً ... ولم أكُ فـى كَـتيـبَـةِ ياسـمـينَا
أَلَيْـسَ من الفـضـائِـل أنَّ قَـوْمى ... عـدَوْا مُـسْتَلْئـمِينَ مُـجاهِدِينَا

وتزعُم الرُّواة أنهم فى أيام حصارهم كانوا يتـوَاقَفُونَ، ويَحْمِلُ بعضهم على بعضٍ، وربما كانت مُواقفةٌ لغير حربٍ[3]، وربما اشتدَّت الحربُ بينهم. وكان رجلٌ من أصحاب عتَّابٍ يقال له شُرَيحٌ، ويُكْـنى أبا هُرَيْرَةَ. إذا تَحاجزَ القومُ مع الْمَساءِ نَادى بالْخوارج وبالزُّبير بن علىّ:

يـا بنَ أبـى المَاحُـوز والأشْـرَارِ ... كـيـف تَرَوْنَ يـاكِـلاَبَ النّـارِ!
شَـدَّ أبـى هُـريـرةَ الـهـرَّارِ ... يَـهُـرُّكُمْ بـاللـيـلِ والنـهـارِ[4]
ألـم تَـروْا جَـيّـا عَلَـى المِضـمـارِ ... تَمْـسِى من الرحمن فـى جِوارِ[5]

---

(١) ساقط من ر.

(٢) الصلم فى الأصل. قطع الأذن.

(٣) ر. «بغير حرب».

(٤) أصل الهرير فى الكلب والذئب، إذا كشر كل منهما عن نابه، واستعمل فى الرجل تجاوزاً.

(٥) المضمار الغاية.

فغاظَهُم ذلك منه، فكَمَنَ له عُبَيْدَة بن هلال فضربه، واحْتَمَلَهُ أصحابه، فظنَّت الْخوارجُ أنه قد قُتل، فكانوا إذا تَواقفوا نادَوْهُمْ: ما فعَل الهرارُ؟ فيقولون: ما به من بأْس، حتى أَبلَّ من علَّته، فخرج إليهم فصاح: يا أعداء الله. أَتَرَوْنَ بى بأساً! فصَاحُوا به: قد كُنَّا نَرَى أنَكَ لَحقتَ بأمّك الهاوية، فى النار الحامية.

* * *

قال أبو العباس: نُفَسِّرُ أشياءَ من العربية تحتاج إلى الشرح. من ذلك قوله: «ولَوْلاَكَ»، ومنه قوله: «ألم تَرَوْاجَيًّا» ومنه قولهُ: «يَهُرُّكُمْ بالليل والنهار».

أما قوله: «لَولاَكَ» فإن سيبويه يزْعُمُ أنَّ «لَولاَ» تَخْفِضُ المُضْمَرَ ويَرْتَفِعُ بعدها الظّاهرُ بالابتداء، فيقالُ: إذا قلتَ: لَولاكَ، فما الدليلُ على أن الكافَ مخفوضةٌ دونَ أن تكونَ منصوبةً، وضميرُ النَّصب كضمير الْخفضِ؟ فتقولُ: إنك تقولُ لنفسك: لولاىَ، ولوكانت منصوبةً لكانت النونُ قبل الياء، كقولك: رمانى وأعطانى. قال يزيد بن الحكم الثَّقَفِىُّ:

وكَمْ مَوْطِنٍ لولاىَ طِحْتَ كما هَوَى ... بأجرَامِه من قلَّة النِّيقِ مُنْهَوِى(1)

النيقُ: أعْلى الجبَلِ، وجرْمُ الإنسان خَلْقُهُ.

فيقالُ له: الضميرُ فى موضع ظاهره، فكيف يكون مختلفاً؟ وإن كان هذا جائزاً فَلِمَ لا يكونُ فى الفعل وما أشبهه، نحو «إنَّ» وما كانَ معها فى الباب؟

وزَعَم الأخْفَشُ سَعِيدٌ أن الضميرَ مرفوعٌ، ولكنْ وافَقَ ضَميرَ الخفضِ، كما يَسْتَوِى الخفضُ والنصبُ، فيقالُ: فهل هذا فى غير هذا الموضع؟

قال أبو العباس: والذى أقوله أنَّ هذا خطأ لا يصلح، إلا أن تقولَ: «لولا أنتَ»، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَوْلاَ أَنْتُمْ لكنَّا مُؤْمنينَ﴾(2). ومن خالَفنا (1فهو لابدَّ 1) يزعمُ أن الذى قلناه أَجْوَدُ. ويَدَّعى الوجه الآخَرَ فيجيزْه على بعده.

وأمَّا «جَىّ»، فالأَجْوَدُ فيها أن تقولَ:

ألم تَرَوْا جَىَّ عَلى المضمَار

فلا تُنَونُ، لأنها مدينَةٌ، والاسمُ أعجمىٌّ، والمؤنثُ إذَا سمى باسمٍ أعجمىٍّ على ثلاثة أحرف ينصرف إذا كان مؤنثاً، وإن كان أوسطه ساكناً. نحو جُورَ وحِمْصَ ومَاهَ (4). وما كان مثلُ ذلك، ولو كان اسماً لمذكر لانْصرَفَ، فإن صرفَته

(1) منهوى: ساقط (2) سورة سبأ 31.
(1-1) ساقط من ر (4) ساقطة من ر.

جعلته اسماً لبلد، وإن لم تصرفه جعلتَه اسماً لبلدة أو لمدينة، ألا تَرَى أنك تصرفُ نوحاً ولوطاً، وهمـا أعجميَّان؟ وكذلـك لو كان عَلى ثلاثةٍ أحرف كلُّها مـتحركٌ، لأنك تَصْـرِف «قَدَماً» لـو سمَّيْتَ بـها[1]. رجلا فـالأعجميُّ بمـنزلة المؤنث، لأن امتناعَها واحدٌ.

وأمَّا قولهُ: «يَهـرُكُمْ» فإن كلَّ ما كان من المضاعَف عـلى ثلاثة أحرف وكان متعدِّيـا، فإن المضارِعَ منه على «يَفْعَلُ» نحـو شَدَّهُ يَشُدَّهُ، وزرَّه يزرُّه، وردَّه يردُّه، وحلَّه يحله. وجاء منه حرفان على «يفْعل» و «يَفْعُل»، فيهما جيد: هره يَهِرُّه، إذا كرِهه، ويَهُرُّه أَجْوَدُ، وعَلَّهُ بالحَنَّاء يعلّهُ، ويَعُلُّه أَجْوَدُ. ومن قال: حَبَبْتهُ قال: يَحبُّه لا غيرُ. وقرأ أبو رَجَاء العُطاردى: ﴿فاتبعُونى يَحبُّكُمُ اللهُ﴾[2]. وذلك أنْ بنى تميم تدْغمْ فى موضع الجزمَ، وتَحَرِّكُ أواخره لالتقاء السَاكنَين.

[ولاية قطرى بن الفجاءة على الخوارج ومبايعتهم له]

رجع الحديث.

قال أبو العباس: ثم إن الخوارجَ أدَارُوا أمرَهم بينهم، فأرَادُوا تولية عُبَيْدة بنَ هلال، فقال: أدُلكُمْ على منْ هو خيرٌ منِّى! مَنْ يُطاعنُ فى قُبُلٍ، ويَحمِى فى دُبُرٍ، عليكم قَطَرِىَّ بن الفُـجاءَة المازنى. فبايَعُـوه. فوقَفَ بهم فقالوا: يا أمـيرَ المؤمنينَ. امضِ بنا إلى فارس. فقالَ: إن بـفارسَ عُمرَ بن عُبيد الله بن مَعْـمَر. ولكنْ نَصيرُ إلى الأهواز. فإن خرجَ مُـصْعَبُ بن الزبير من البصرة دخـلناها. فأتَوا الأهواز ثم تَرفَّعُوا عنها إلى إيذَج[3]. وكان المصعب[4] قد عَزم على الخروج إلى باجُمَيْرا[5] فقال لأصحابه: إنَّ قُـطَرِيًّا قد أطَلَّ علينا، وإنْ خرجنـا عن البصرة دَخلها، فَـبَعَثَ إلى المهلّب فقال: اكْفِنَا هذا العدوَّ، فخرج إليهم المهلَّب، فلما أَحَسَّ به قطرىٌّ، يَمَّمَ[6] كرْمَانَ. فأقام المهَلبُ بالأهوازِ، ثم كَرَّ قطرىٌّ عـليه وقد استعد. فكان الخوارج فى جميع حالاتهم أحسنَ عُدَّةً ممن يقاتلـهم، بكثرة السِّلاحِ، وكثرة الدوابِّ، وحَصَانَة الجُنَنِ، فحاربَهم المهلّبُ، فنفاهم إلى رامَ هُرْمُزَ.

وكان الحارث بـن عَميرَةَ الهَـمْدانيُّ قد صارَ إلى المـهلَّب مُرَاغمًا لعَـتاب بن ورقاء، يقالُ إنـه لم يُرْضه عن قتله الزبيـرَ بن علىّ، وكان الحارثُ بن عَـميرَةَ هو الذى تولّى قتلَه وحاصَ إلَيه أصحابُه، ففى ذلك يقولُ أعْشَى هَمْدَانَ:

---

(١) «به» (٢) سوره آل عمران ٣١ وهى قراءة شاذة. وقرأها الأربعة عشر: «يحببكم» بفك الإدغام.

(٣) إيذج بالمد بين خورسان وأصبهان. (٤) ر: «مصعب».

(٥) باجميرا بلد دون تكريت. (٦) ر: «تبسم»

إنَّ المَكارمَ أكْملَتْ أسبابُها ... لابن الليوث الغرِّ من قحْطان
للفارس الحامى الحقيقة مُعْلماً ... زاد الرِّفاق إلى قُرَى نَجْران[1]
الحارث بن عَميرةَ الليث الذى ... يَحمى العِرَاقَ إلى قُرَى كرْمان
ودَّ الأزارقُ لو يُصابُ بطَعْنَة ... ويَموتُ من فُرْسانهم مائتان

وتأويلُه: أن الرُّفْقَةَ إذا صَحِبَها أغناها عن التزوُّد، كما قال جريرٌ- وأرادَ ابنٌ له سَفراً، وفى ذلك السَّفَر يحيى بنُ أبى حفصةَ، فقالَ لأبيه: زَوِّدْنى فقال جريرٌ:

أزاداً سوَى يَحْيَى تريدُ وصاحباً ... ألا إن يحيى نعْمَ زادُ المسافر
فما تُنْكرُ الكوْماءُ ضَرْبَةَ سيفه ... إذا أرملُوا أو خَفَّ ما فى الغَرائر[2]

وقوله: «ويمُوتُ من فرسانهم» يكون على وجهين: مرفوعاً ومنصوباً، فالرفعُ على العطف، ويدخل فى التمني. والنصب على الشرط والخروج من العطف، وفى مصحف ابن مسعود: ﴿ودُّوا لَوْ تُدْهِنُ فيُدْهِنُوا﴾ والقراءة ﴿فيُدْهِنُونَ﴾[3] على العطف. وفي الكلام: ودَّ لو تأتيه فتُحدِّثُهُ، وإن شئتَ نَصبت الثَّاني.

* * *

قال أبو العباس: وخرج مصعبُ بن الزبير إلى باجُمَيْراءَ، ثم أتى الخوارجَ خبرُ مَقْتَله بمَسْكِنَ، ولم يأت المهلَّبَ وأصحابَهُ، فتَواقَفوا يوماً على الخندق، فناداهم الخوارجُ: ما تقولون فى المُصْعَب؟ قالوا: إمامُ هُدًى، قالوا: فما تقولون فى عبد الملك؟ قالوا: ضالٌّ مُضِلٌّ، فلما كان بعد يومين أتى المهلَّبَ قتْلُ مُصْعَب، وأنّ أهلَ الشام ناداهم الخوارج: ما تقولون فى مصعب؟ قالوا: لانخبركم، قالوا: فما تقولون فى عبد الملك؟ قالوا: إمامُ هُدًى، قالوا: يا أعداء الله! بالأمسِ ضالٌّ مُضِلٌّ، واليومَ إمامُ هُدًى! يا عَبِيدَ الدنيا، عليكم لعنةُ الله!

وولّى خالد بن عبد الله بن أسيد، فَقدمَ فدخل البصرة، فأراد عزلَ المهلب، فأشيرَ عليه بألا يفعلَ، وقيل له: إنما أَمِنَ أهلُ هذا المصر، بأن المهلب بالأهواز،

---

(1) زيادات ر: ويروى

زَادَ الرِّفاق وفارسَ الفُرْسان

(2) أرملوا: نفد زادهم.

(3) سورة القلم ٩.

وعُمَر بـن عُبيد الله بفـارسَ، فقد تَنَحَّى عـمرُ، وإن نَحَّيْتَ المهلـبَ لم تأمنْ على البصـرة الأزارقةَ [١]. فأبـى إلا عَزْله، فَـقدم المهلَّـب البصـرةَ، وخرج خـالدٌ إلى الأهواز، فأشخَصَه، فلما صار بكُرْبَجَ دينار لـقيه قَطَرِيٌّ فمنعه حَطَّ أثقاله، وحاربه ثلاثين يوما. ثم أقام قطريٌّ بإزائه، وخَنْدَقَ على نفسه فقال المهلَّبُ: إنَّ قطرياً ليس بأحقَّ بالخندق منك. فَـعبَر دُجَيْلاً إلى شقِّ نـهرِ تيرَى، واتبعه قطـرىٌّ، فصار إلى مدينـة نَهرِ تيرَى فـبنَى سورَها وخندقَ عـليها، فـقال المهلَّبُ لخالـد: خَنْدِقْ على نَفْسك، فإنى لا آمَنُ علـيك البَيَاتَ، فقال: يا أبا سعيـد، الأمْرُ أعجَلُ من ذلك، فقالَ المهلّبُ لبـعض ولده: إنى أَرَى أمراً ضائعاً، ثم قالَ لـزياد بن عَمرو: خَنْدق علينا، فخندق المهلّبُ وأمَرَ بسفُنه ففُرِّغَتْ، وأبَى خالدٌ أن يُفَرِّغَ سُفُنَهُ، فقال المهلَّب لفيْروز حُصَيْن: صـرْ معنا، فقالَ: يا أبا سعيد، الحَزْمُ مـا تقولُ، غيرَ أنى أكرهُ أن أفارقَ أصحابى. قال: فكُنْ بقُرْبنَا، قال: أمَّا هذه فنعَم.

وقد كـان عبدُ المـلك كتب إلى بشـر بن مروان يأمـره أن يمد خالدا بـجيش كثـيف، أميرُه عـبد الرحـمن بن محمـد بن الأشْعَث، فـفعل، فقَـدِمَ عليه عـبدُ الرحمنِ، فأقام قَطرِىٌّ يغَاديهم القتـالَ ويَراوحُهم أربعين يوماً، فقال المهلَّبُ لمَوْلَى لأبى عُيَيْنةَ: انْتَـبذْ إلى ذلك النَّاووس[٢] فبتْ عليـه فى كل ليلة، فمتى أحْـسَسْتَ خَبَراً من الْـخوارج أو حركةً أو صَهـيلَ خيل فاعْجَلْ إلـينا. فجاء ليلةً فـقال: قد تَحَرَّكَ القوم. فجلس المهلبُ بباب الْخندق، وأعَدَّ قطرىٌّ سُفناً فيها حطبٌ فأشعلَها ناراً، وأرسلَها على سُفُنِ خالد، وخَرج فى أدْبارهـا حتى خالَطَهُمْ. فجعل لا يَمرُّ برجلٍ إلا قتلـه، ولا بدابَّةٍ إلاَّ عقَرها، ولا بفُـسطاطٍ إلاَّ هتَكهُ. فأمـر المهلَّبُ يزيدَ ابنَه[٣] فخرج فى مائه فارس، فقاتَلَ وأبْلَى يومئـذ، وخرج عبدُ الرحمن بن محمد ابن الأشعث فأبْلَى بلاءً حسناً، وخرج فَيْرُوزُ حُـصَيْن فى مَواليه، فلم يَزَلْ يرميهم بالنَّشابِ هو ومَن مـعه، فأثرَ أثرًا جميـلاً، فصُرِع يزيد بن المهلّب يومـئذ، وصُرِع عبدُ الـرحمن، فحامى عنـهما أصحابُـهما حتى ركـبهُ، وسَقطَ فَيْـروزُ حُصَين في

(١) ساقطة من ر.

(٢) الناووس: مقابر النصارى.

(٣) ساقطه من ر.

الْخندق، فأخذ بيده رجلٌ من الأزد، فوهَبَ له فَـيروزُ حُصَيْنٍ عشرة آلاف درهمٍ، وأصبحَ عسكرُ خالد كـأنه حَرَّةٌ سَوْداء، فجعلَ لا يَرَى إلاَّ قَتيـلا أو صريعا، فقال للمهلب: يا أبا سعيد، كِدْنا نَفْتـضِحُ، فقال: خندق على نفسك، فإلا تفعل عادوا إليك؛ فقال: اكْفِنى أمرَ الخَنْدق، فجَمعَ له الأحْمَاس[1]، فلم يبقَ شريفٌ إلا عملَ فيه، فصاح بهم الخوارجُ: والله لولا هذا الساحرُ المَزونىّ لكان الله قد دَمَّرَ عليكم. وكانت الخوارجُ تُسَمِّى المُهَلَّبَ الساحرَ، لأنهم كانوا يُدَبِّرُونَ الأمر فيجدونه قد سَبَقَ إلى نقض تدبيرهم، فقال أعْشى هَمْدانَ لابن الأشعثِ فى كلمة طويلة:

[فيروز حصين وبعض أخباره]

وقد ذَكَـرنا فى قصر المَمـدودِ أن، من مَدَّ المقـصور لا يجوز، مـا يغنى عن إعادته.

ويَـوْمَ أَهْــوَازِكَ لا تَـنْـسـَــــهَ   ليـس الثـنَا والـذكْـرُ بـالدَّاثِـرِ[2]

ونَذكُر فَيُروز حُصَيْنٍ لمَاَ مَرَّ من ذكره:

وكان فيـروزُ حُصَيْنٍ رجلاً جَـيِّدَ البيتِ فى العـجم، كريمَ المحتد، مـشهورَ الآباء، فلما أسلم والى حُصيناً، وهو حُصَـيْنُ بن عبد الله العَنْبَرِىُّ، من بنى العَنْبر ابن تميم بن مُرٍّ، ثم من وَلَد طَـريف بن تميم، وكان فيروزُ حُصَيْنٍ شـجاعاً جواداً، نَبيلَ الصُّورة، جـهيرَ الصوت، وتَرْوِى الرُّواةُ أن رجلا من العرب كـانت أمُّه فتاة، فقاولَ بَنى عمٍّ له، فسبُّوه بالعَجَمِيَّـةِ، ومَرَّ فيروزُ حُصين، فقال: هذا خالى، فَمَن منكم له خالٌ مـثلُه؟ وظَنَّ الفَتى[3] أن فيروزَ لم يسـمعها، وسَمعَها فـيروز، فلما صار إلى منزله بعثَ إلى الفتى، فاشـترى له منزلا وجاريةً، ووهَبَ له عشرة آلافِ درهم.

ومن مآثره المعروفـة أن الحجاج بن يوسف لما وقَفَ ابنَ الأشْعَث برُسْـتَقَابَاذَ نَادَى منادى الحجاجِ: مَنْ أَتَـى برأس فيروز فله عشَرة آلاف درهم. فَفَـصَلَ فيروزُ من الصَّفِّ، فصـاحَ بالناسِ: مَنْ عرفنى فقد اكـتَفَى، ومَنْ لم يعرفْنى فـأنا فيروز

(١) الأحماس. جمع حمس «بضم فسكون». جمع الأحمس، وهم الشجعان المتشددون فى القتال.

(٢) في الديوان ٣٤: بالباد.   (٣)ساقطة من ر.

حُصين، وقد عرفتم مالى ووفائى، مَن أتى برأس الحجاج فله مائة ألف، فقال الحجاجُ: فوالله[1] لقد تركنى أكثرُ التَّلَفُّتَ وإنى لبَيْنَ خاصتى. فأتىَ به الحجاج فقال له: أأنت الجاعلُ فى رأس أميرك مائةَ ألف درهم[2]؟ قال: قد فعلتُ، فقال: والله لأُمْهَدَنّك[3]. ثم لأحْملنَّكَ، أينَ المالُ؟ قال: عندى، فهل إلى الحياة من سبيلٍ؟ قال: لا، قال: فأخرِجْنى إلى الناس حتى أجمع لك المالَ فلعلَّ قلبك يَرِقُّ علىَّ! فَفعل الحجاجُ، فخرج فيروزُ فأحلَّ الناس من ودائعه، وأعتقَ رقيقَه، وتَصدّق بماله، ثم رُدَّ إلى الحجاج فقال: شأنكَ الآنَ فاصْنَعْ ما شئتَ، فشُد فى القَصب الفارسىِّ، ثم سُلَّ حتى شُرِّحَ، ثم نُضِحَ بالخلّ والمِلْح، فما تأوه حتى ماتَ.

* * *

قال أبو العباس: ومضَى قطرىٌّ إلى كِرْمَانَ، فانصرف خالدٌ إلى البصرة، فأقام قطرى بكرْمانَ أشهراً، ثم عَمَد لفارسَ، وخرج خالدٌ إلى الأهْواز، ونَدَب للناس رجلاً، فَجعلوا يطلبون المهلّب، فقال خالد: ذَهَب المهلبُ بحظ هذا المصر، إنّى قد ولّيتُ أخى قتال الأزارقة، فولّى أخاه عبدَ العزيز، واستخلف المهلَّبَ على الأهواز فى ثلثمائةَ، ومضَى عبدُ العزيز فى ثلاثين ألفاً، والخوارجُ بدَرَابَ جَرْدَ، فَجَعل عبدُ العزيز يقولُ فى طريقه: يَزعُمُ أهل البصرة أن هذا الأمر لا يتمُّ إلا بالمهلَّب، فسيعلمون!

قال صَعْبُ بن زيد: فَلما خرج عبدُ العزيز عن الأهواز جاءنى كُرْدُوسٌ حاجب المهلب فقال: أجبِ الأمير، فَجئتُ إلى المهَلب وهو فى سطح وعليه ثياب هَرَوِيّةٌ، فقال: ياصَعْب، أنا ضائع، كأنّى أنظرُ إلى هزيمة عبد العزيز، وأخشى أن توافيَنى الأزارقة ولاجُنْدَ معى، فابعثْ رجلا من قِبَلك يأتينى بخبرهم سابقاً به إلىَّ، فوجَّهتُ رجلاً يقال له عمران بن فلان، فقلتَ: اصحبْ عسكرَ عبد العزيز واكتبْ إلىَّ بخبر يوم يوم، فجعلتُ أوردُه على المهلب.

فلما قاربهم عبدُ العزيز وقَفَ وقْفة، فقال له الناسُ: هذا يومٌ صالحٌ، فينبغى أن تنزل[4]- أيُّها الأميرُ- حتى نطمئنَّ ثم نأخذَ أُهبَتَنَا، فقال: كلاَّ، الأمرُ قريبٌ،

---

(١) ر: والله. (٢) ساقطة من ر

(٣) لأمهدانك. من مهدت الفراش مهدا. بسطته ووطأته. يريد لأجعلنك طريحا كالفراش الممهود. قاله المرصفى.

٤) ر: «تترك».

فنزلَ الناسُ على غيـر أمره، فلم يُسْتَتَمَّ النّزُولُ حتى وَرَدَ عليـهم سعدُ الطَّلائعِ فى خمسمـائة فارسٍ، كأنهم خيطٌ ممدود. فناهضَـهم عبدُ العزيز، فوقَفـوه ساعة، ثم انهزموا عنه مكيدة، فاتبعهم، فقال لَه الناسُ: لاتَتَّبعْهُم فإنا على غير تعْبيَة، فأبَى، فلم يَزَلْ فى آثارهم حتى اقتحموا عقَبَـة، فاقتَحمها وراءَهُم، والناسُ ينْهَوْنَهُ، وكان قد جَعَـل على بني تميم عَبْسَ بن الشـريمى، الملقَّبَ عَبْسَ الطِّعَـان، وعلى بكْرِ بن وائلٍ مُقاتِل بن مسْمَع القَيسى، وعلى شُرْطَته رجلاً من بنى ضُبَيْعَةَ بن نزار، فنزلوا عن العَقَـبة ونزلَ خَلَفهم، وكـان لهم فى بَطْن العقـبة كَمينٌ، فلمـا صاروا وراءَها خرج عليهم الكَمينُ. وعَـطفَ سعدُ الطّلائعِ. فترجَّل عَبْسُ بن طَلْـق فَقُتلَ، وقُتل مُقاتِلُ بن مسْمعٍ، وقُتِل الضبعى[1] صاحبُ الشرْطة، وانحاز عبدُ العزيز، واتَّبعهم الخوارج على فرسخين يقـتلونَهم كيفَ شاءوا. وكان عبد العزيـز قد خرج معه بأمّ حَفْـصٍ ابنة المنْذرِ بن الجـارُود امرأته، فَـسَبْوا الـنساءَ يومـئذ، وأخَـذُوا أسرَى لا تُحْصَى، فقَذَفوهم فى غار بعدَ أن شَـدُّوهم وَثاقا، ثم سَدُّوا عليهم بابهَ حتى ماتوا فيه.

وقال رجل حَضَرَ ذلك اليومَ: رأيتُ عبـد العزيز وإن ثلاثين رجلا ليضربونه بأسيافهم وما تَحيك فى جُنته[2].

- يقال ما أحاكَ فـيه السيفُ، وما يُحيكُ فيـه، وماحَكَّ الأمرُ في صَدْرى، وما حَكى فى صدرِى، ومـا احتْكى فى صدرى. ويقال: حاك الرجلُ فى مِـشْيَته يَحيكُ، إذا تَبَختَرَ.

ونُودِيَ على السبْىْ يومئـذ، فغُولى بأم حفصٍ، فبَلغَ بها رجـلٌ سبعين ألفاً، وذلك الرجلُ من مَجُوسَ كانوا أسلموا ولحـقُوا بالخوارج، فَفرَضَ لكلٍّ واحد منهم خَمْسَمائة، فكاد يأخذها، فَشَقَّ ذلـك على قُطريٍّ وقال: ما ينبغى لرجُلٍ مسلمٍ أن يكون عَندَه سبعون ألفاً، إنَّ هذه لفتْنَة[3]، فوثَب إليها الحَديد العبْدى فقتلها، فأتىَ به قطَرِىٌّ فقال له[4]: يا أبا الحديد، مهيمْ! فقال: يا أميرَالمؤمنين. رأيتُ المؤمنين قد تزايَدُوا في هـذه المشركـة، فخـشيتُ عـليهم الـفتنة. فـقال قـطَرِىٌّ: قد أصـبتَ وأحسنتَ! فقال رجلٌ من الخوارج:

---

(١) ر «الضبيعى». (٢) ر: «جسده».

(٣) ر. «فتنة». (٤) ساقطة من ر.

كـفـانـاً فـتـنة عَـظُمَـتْ وجَلَّـتْ ... بحـمـد الله سيـفُ أبي الحـديـ
أهـابَ المسـلمـونَ بـهـا وقـالـوا ... على فَـرْطِ الهَـوَى: هل مَن مَـزيدُ
فـزادَ أبـو الحـديـدِ بنَـصْلِ سـيفٍ ... رَقـيـقِ الحَـدِّ فِـعْلَ فـتًى رَشـيـ

قوله: «أهابَ» يريدُ أعْـلنَ، يقال: أهبَتُ به، إذا دَعَوتَهُ، مِثْلُ صَوَّتَ، قا الشاعرُ:

أهاب بـأحـزانِ الفـؤاد مُـهِـيبُ ... وَمَـاتَت نفـوس للـهَوى وقـلُوبُ

وقوله: «مَهْيَمْ» حرفُ استفهامٍ[1]، معناه: ما الخبرُ وما الأمرُ، فهو دالٌّ عل ذلك محذوفُ الخبر، وفي الحديث أن رسـول الله ﷺ رأى بعبد الرحمن بن عوْ ردْعَ خلُوق[2] فقال: مَهْيَمْ! فقـال: تزوجتُ يا رسولَ الله، فقال: أَوْلِمْ ولو بشا وكان تَـزَوَّج على نواة، وأصحـابُ الحديث يَرْوُونَهُ «عـلى نَواة من ذَهب قيـمتُـ خسمة دراهم». وهذا خطأٌ وغَلَطٌ. العربُ تقول «نـواةٌ» فتعنى بها خمسةَ دراهـ كما تقـول: النَّشٌّ لعشرين درهمـاً. والأوقيَّةُ لأربعين درهما، فـإنما هو اسم له المعني.

وكان العَلاءُ بن مُطـرِّف السعدىُّ ابنَ عَمِّ عمْرو القَنَا، وكـان يحب أن يلـ في تلك الحروب مـبارزة، فلَحِقـه عمرُو القَنَا وهو منـهزم، فضحك عَـمْرٌو وقـ تمثلا:

تَـمَنَّـانـى لِيَـلْـقـانـى لَقـيـطٌ ... أعامِ لَكَ ابنَ صَـعصَعَةَ بن سَـعْدِ

ثم صاح به: انْجُ أبا المُصَدَّى! وكان عمرُو القَنَا يُكْنَى أيضاً أبا المُصَدَّى.

وهذا البيتُ الذى تمثَّلَ به عمرٌو ليزيدَ بن عمرو بن الصَّعق الكلابىِّ، يقول يعنى لَقيط بن زُرَارةَ، وكان يَطلبه، وقوله: «أعَامِ لَكَ» يريدُ يا عَامِرُ، فَرَخَّمَ، و يريدُ الحىَّ تعجباً، أى لكمْ أعْجَبُ من تمنِّيه للقائى!

فَدَعـا بنى عامر بن صـعصعة، وهـم بنو صعصـعةَ بن معـاوية بن بكر هوَازن، ويقال إن عـامر بن صعصـعة هو ابن سعد بن زيـد مَنَاةَ بن تميمٍ، لا

---

(١) قال المرصفي يريد كلمة «استفهام» هي مبتدأ محذوف الخبر.

(٢) الخلوق: الطيب.

معاوية، وإنهم ناقلةٌ [١] فى قَيْسٍ. ولذلك امتنعت[٢] بنو سَعْدٍ من محاربتهم مع بنى تميمٍ يوم جَبَلَةَ، ولذلك أنذرهم كَرِبُ بن صفْوَانَ.

وهذا البيتُ وضعه سيبويه فى باب النداءِ الذى معناه مَعْنَى التعجُّبِ، وشَبيهٌ به قولُ الصَّلَتَان العَبْدىِّ:

فيا شاعراً لا شاعرَ اليومَ مِثْلهُ ... جَرِيرٌ ولكن فى كُليبٍ تواضُعْ

على معنى قوله: فلِلَّه دَرُّهُ شاعِراً!

وكان العَلاءُ بن مُطرِّف قد حمل معه امرأتين له. إحداهما منَ بنى ضَبَّةَ يقال لها أمُّ جميل. والأخرى بنتُ عمه، وهى فلانة بنتْ عَقِيلٍ. فطلَّق الضَّبِّيةَ وتخلصَ بهما يومئذٍ، وحَمَل الضبيةَ أولاً، ففي ذلك يقولُ:

ألسْتُ كريماً إذ أقولُ لفِتْيتى ... قفُوا فاحملوها قبل بنت عَقيلِ
ولو لم يكن عُودِى نُضَاراً لأصْبحَتْ ... تَجُرُّ على المَتْنَيْنَ أم جَمِيلِ[٣]

* * *

قال الصَّعْبُ بن يزيدَ: بعثنى المهلبُ لآتيَهُ بالخبر، فضربت[٤] إلى قنطرة أرْبكَ [٥] على فرسٍ اشتريتُه بثلاثة آلاف درهمٍ. فلم أحْسس خبراً، فَسِرْتُ مُهَجِّراً إلى أن أمْسَيْتُ، فلمَّا أظْلَمنَا سمعتُ كَلامَ رجلٍ عَرَفْته من الجهاضمِ [٦] فقلتُ: ماوراءَكَ؟ فقال: الشرُّ، فقلتُ: فأين عبدُ العزيز؟ قال: أمَامَك، فلما كان من آخر الليل إذا أنا بزهاء خمسين فارساً معهم لواءٌ. فقلتُ. لواءُ [٧] مَن هذا؟ فقالوا: هذا لواءُ عبد العزيز؛ فتقدَّمتُ إليه، فسلَّمتُ وقلت: أصلحَ الله الأميرَ! لا يَكْبُرَنَّ عليكَ ما كانَ، فإنك كنتَ فى شَرِّ جُنْد وأخْبَثِه. قال لى: أوَ كنتَ مَعَنا؟ قلتُ: لا، ولكنْ كأنى شاهدٌ أمْرَكَ، قال: كأنك كنتَ معنا، قلتُ: أرسلنى المهلبُ لآتيهُ بخبرك. ثم تركتُه وأقبلتْ إلى المهلّب، فقال لى: ماوراءَكَ؟ قلتُ: ما يسرُّكَ. قد

(١) الناقلة: القبيلة تنتمى إلى أخرى.

(٢) ر: «تمنعت». (٣) ر: «تخر».

(٤) ر: «قصرت» (٥) أربك إحدى قرى خوزستان ـ م.

(٦) الجهاضم: يريد بنى جهضم بن عوف بن مالك. (٧) ساقطة من ر.

هُزِمَ عبدُ العزيز[1]. وقلَّ جيشه. فقال: وَيْحَكَ! وما يَسرُّنى من هزيمة رجلٍ من قريشٍ وقلِّ جيشٍ من المسلمين! قلتُ: قد كان ذاكَ، ساءَك أو سَرَّكَ، فوجَّه رجلا إلى خالد يُخبُرُه. قال الرجلُ: فلما أخبرتُ خالداً قال: كذبت ولؤمْتَ. ودخل رجل من قريشٍ فكذَّبنى، وقال لى خالدٌ: والله لَهَمَمْتُ أن أضربَ عنقَك. قلت: أصلحَ الله الأمير! إنْ كنتُ كاذباً فاقتلنى. وإن كنتُ صادقاً فأَعْطِنى مُطْرَفَ هذا المُتكَلِّف. فقال خالدٌ: لبِئْسَ مَا أخطَرْتَ به دَمَك! فما بَرِحْتُ حتى دخل بعضُ الفَل.

وقدِمَ عبدُ العزيز سوقَ الأهواز، فأكرمَه المهلّب وكساه، وقَدم معه على خالد، واستخلَفَ ابنَه حبيباً، وقال له: تَحَسَّسْ عن الأخبار، فإنْ أحسستَ بخبرِ الأزارِقة قريباً منك فانصرفْ إلى البصرة. فلم يَزَلْ حَبيبٌ مقيما والأزارقةُ تدنو منه، حتى بَلغوا قنطرة أَرْبُكَ، فانصرفَ إلى البصرة على نهرِ تيرَى، فلما دخلها أعْلَمَ خالدٌ، فغَضبَ عليه، واستتر حبيبٌ فى بنى هلالِ بن عامر بن صعصعة، فتزوَّج هناك فى استتاره الهلاليةَ أم عبَّادِ بن حبيب.

وقال الشاعرُ لخالد يُفَيِّلُ رأيه، أى يُخَطِّئه:

بعثْتَ غلاماً من قريشٍ فَروقَةً[2]	وتتْرُكُ ذَا الرأى الأصيلِ المَهلَّبَا
أَبَى الذّم واختارَ الوفاءَ وأحكَمَت	قُواهُ وقد ساسَ الأمورَ وجَرَّبَا

وقال الحارث بن خالد المخزومىُّ:

فَرَّ عبدُ العزيز لَمَّا رأى	الأبطالَ بالسفح ونازَلُوا قطَرِيَّا

ويُرْوَى:

فرَّ عبدُ العزيز إذ رَاءَ عيسَى	وابنَ دَاودَ نَازلا قطَرِيَّا
عاهدَ الله إنْ نَجَا ملْمَنَايَا	ليَعُودَنَّ بعدَها حُرْمِيَّا
يَسْكُنُ الخل والصِّفَاح	فمران وسَلْعَا وتارةً نجْديَّا
حيثُ لا يَشْهَدُ القتالَ ولا يسْمَعُ	يوماً لِكَرٍّ خَيْلِ دَوِيَّا

---

(١) ساقطة من ر.

(٢) الفروقة: الشديد الفزع.

قـولُه: «إذ رَاءَ عـيسى»، الأصـل «رأى» ولكنه قَـلب فقـدّم الألفَ وأخَّـرَ الهمزةَ، كما قال كُثَيِّر:

وكلُّ خـليل رَاءَنـى فـهـو قـائلٌ   من اجلْكِ هذا هامـةُ اليوم أو غَدِ

والقلب كثير فى كلام العربِ، وسنذكر منه شيئاً فى موضعه إن شاء الله.

وقولُه: «ملْمَـنايَا» يريدُ من المنايا، ولكنَّه حَـذَفَ النونَ لقربِ مخرجـها من اللام، فكانتاَ كالحرفـين يلتقيان على لفظ فُيحذفُ أحـدُهما، ومن كلام العرب أن يحذفوا النون إذا لقيتْ لام المعرفة ظاهرةً. فيقولون فى بنى الحارث وبنى العَنْبَر وما أَشبـه ذلك: «بَلْحَارث» و«بَلعـنَبرِ» و«بَلهُجَـيْمِ» كما يـقولون: «عَلْمَاءِ بَـنُو فلان» فيحذفونَ إحدَى اللامَيْن.

وقولُه: «ليَعُودَنّ بعَـدَها حُرْميًّا» العربُ تَنْسُبُ إلى الحَرَمِ فـيقولون «حَرْمِىٌّ» و«حُرْمِىٌّ» على قولهم حُرْمَةُ البيت، وحِرْمَة البيتِ، وقال النابغة الذبْيَانىُّ:

من قول حـرميَّةٍ قالـتْ وقد رَحَلُوا   هل فى مُخِفِّيكُـمُ مَنْ يَشْتَرِى أَدَمَا(1)

والخَلُّ: هاهنا موضعٌ، وأصلهُ الطريقُ فى الرَّمْلِ.

* * *

وكَتَب خالدٌ إلى عبـد الملك بعُذْر عبد العزيز، وقال للمـهلب: ما ترَى عبدَ الملك صانعاً بى؟ قـال: يَعْزِلُكَ، قال: أَتُرَاهُ قاطعاً رَحِـمى؟ قال: نعم، قد(2) أَتَتْهُ هزيمةُ أمَيَّة أخيك من البَحْرَيْنِ. وتأتيه هزَيمةُ أخيك عبدِ العزيز من فارسَ!

قال أبو العباس: فكَتَب عبد الملك إلى خالد(3):

أما بعـدُ، فإنى كنتُ حَـدَدْتُ لك حَدّاً فى أَمـر المهلَّب، فلما ملـكتَ أمرَكَ نبذتَ طـاعتى واستـبددتَ برأيك، فـوليّتَ المُهلَّبَ الجـباية، ووليتَ أخـاك حَرْبَ الأزَارقـة، فَـقَـبَّـحَ اللهُ هذا رأيـا! أتبـعثُ غـلاما غِـراًّ لم يُـجَـرِّب الحـروبَ للحرب(4). وتتركُ سيداً شجـاعاً مدبراً حازما قد مارس الحروبَ تَشْغَلُهُ بِالجبايةِ، !

---

(1) المخف: الخفيف المتاع. (2) ساقطة من ر.

(3) فى س بعدها: «بسم الله الرحمن الرحيم». ولم تذكر فى الأصل. ر.

(4) ساقطة من ر.

أمَا لو كافأتُك على قدرِ ذنبك لأتاكَ مِن نَكيـرى مالا بقيَّةَ لك معه، ولكنْ تذكرَّتُ رَحِمك فَلَفَتَتْنى عنك، وقد جعلتُ عقوبَتك عَزْلَكَ.

وولَى بِشْرَ بن مَرْوَان وهو بالكوفة وكَتب إليه:

أما بعـدُ، فإنك أخو أميـرِ المؤمنين. يجمعك وإيَّـاه مَرْوانُ بن الحكم، وأن خالداً لا مُجْتَمَع له مع أمير المؤمنين دون أمـيَّةَ. فانظرِ المهلَّبَ بنَ أبى صُفْرَةَ، فَولِّه حربَ الأزارقة، فإنه سيِّـد بَطَلٌ مُجَرَّبٌ، فأَمْدِدْه[1]. من أهل الكوفة بثـمانية آلافِ رجلٍ.

فَشَقَّ عليه ما أَمَره به[2] فى المهلَّب، وقال: والله لأقتُلَنَّهُ، فقال له موسى بن نُصَيْر[3]: أيُّها الأميرُ[3]، إنَّ للمهلبِ حفاظاً وبَلاءً ووفاءً.

وخرجَ بشرُ بن مـروانَ يريد البصرةَ، فكتب موسى وعِـكْرمةُ إلى المهلَّب أن يتلقاهُ لقاءً لا يَعْرِفُه به، فتلقاه المهلَّبُ على بغل، فسلَّم عليه فى غمارِ الناسِ، فلما جلَسَ بِشْر مَجْلِسَهُ قال: ما فعل أميـرُكم المهلّبُ؟ قالوا: قد تلقاك أيُّها الأميرُ وهو شاكٍ.

فهَمَّ بشـر أن يُولِّىَ حَربَ الأزارقة عُـمَرَ بن عُبـيد الله، فقال له أسـماءُ بن خارجةَ: إنما ولاك أميرُ المؤمنينَ لِنَرى رأيَك، فـقال له عكْرمة بن رِبْعى: اكْتُبْ إلى أميرِ المؤمنين وأَعْلِمْه علَّةَ المهلَّبِ، فكتب إلـيه يُعْلِمُهُ علَّةَ المهلَّبِ، وأَنَّ بالبصرة من يُغنى غنَاءَهُ، ووَجَّـهَ بالكتاب مع وَفْـد أوْفَدَهُمْ إلَيه، رَئيـسهُم عبـدُ الله بن حكيمٍ المُجَاشِـعىُّ، فلمَّا قـرأ الكتابَ خَـلاَ بعبد الله بـن حكيمٍ فقـال: إنّ لك ديناً ورأياً وحَزْمًا، فَمنْ لِـقتالِ هولاء الأزارقة؟ قال: المهلَّبُ. قال: إنه عَـليلٌ. قال: ليستْ علَّتُه بمانعة[4]. فقال عبدُ الملك: أرادَ بشْرٌ أن يفعلَ ما فعل خالدٌ.

فكَتَبَ [5]إلى بشر[5] يَعْزِمُ عليه أن يُولِّىَ المهلَّبَ، فـوجَّه إليه. قال المهلَّبُ: أنا عَلِيلٌ ولا يُمْكِنُـنى الاختلافُ، فأَمَـر بشرٌ بحمل الدواويـن إليه، فجعل يَـنتَخِبُ، فاعترض بشـرٌ عليه، فاقتَطَع أكثر نُخْـبته، ثم عَزَمَ[6] ألاّ يُقيمَ بعـدَ ثالثةٍ، وقد

---

(١) أمدده: أعنه. (٢) ساقطة من ر.

(٣-٣) ساقط من ر. (٤) ر: «بمانعته».

(٥-٥) ساقط من ر. (٦) ساقط من ر.

أخَذت الخوارج الأهْوازَ وخلَّفـوها وراءَ ظهورهم وصاروا بالفُرات، فـخرج إليهم المهلَّبُ حتى صار إلى شَهَارَ طَاقَ. فأتاه شيخٌ من بنى تميم، فقال أصلحَ اللهُ الأميرَ إن سنى ماتَرَى فـهَبْنى لعيالى قال: عـلى أن تقولَ للأمير إذا خَطَبَ فَـحَثَّكمْ على الجهادِ، كيفَ تَحُثُّنا على الجهاد وأنت تحبسُ أشرافَنَا وأهلَ النَّجْدة منَّا؟ ففعلَ الشيخُ ذلكَ، فقال له بشرٌ: وما[1] أنتَ وذاكَ؟ قال: لا شىءَ، وأعطىَ المهلَّبُ رجلا ألفَ درهم على أن يأتىَ بـشراً فيقـولَ له: أيُّها الأميـر أعن المهلَّبَ بالشرْطَة والمُـقاتلَة، ففعلَ الرجلُ ذلك، فقال له بشرٌ: ما أنتَ وذاكَ؟ قالَ: نَصيحةٌ حَضرَتْنى[2] للأمَير والمسلمينَ، ولا أعُودُ إلى مثلها، فأمدَّهُ بالشُّرْطَة والمُقَاتلة.

وكتب بشرٌ إلى خليفته بالكوفة أن يَعْقد لعبد الرحمن بن مخْنَف على ثمانية آلاف، من كلِّ رُبْع ألفين، ويُوَجه به مَدَداً إلَى المهلَّب، فلما أتاه الكتابُ بعثَ إلى عبد الرحمن بن مخْنَف الأزْدىِّ فَعَقَدَ له، واختار له من كلِّ رُبْع ألفين، فكان على رُبْع أهلِ المدينة بِشْرُ بنُ جَـرير البَجَلىُّ، وعلى رُبْع تميمٍ وهَمْدانَ عـبدُ الرحمن بن سَعيد بن قيـس الهمدانى، وعلى رُبْع كنْدةَ وربَيعةَ محمـدُ بن إسحاق بن الأشعَث الكنْدىُّ، وعلى مَذْحِج وأَسَـد زَحْرُ بن قيس المَذحجىُّ، فقدموا عـلى بشر، فَخَلاَ بعبد الـرحمن بن مخْنَف، فقـال له: قد عرفتَ رَأيى فيك وثقـتى بك، فكُنْ عند ظَنِّى، انْظُرْ هذا المُزَونىَّ فَخـالفه فى أمره، وأفْسدْ عليه رأيهُ، فخـرج عبدُ الرحمن ابن مخْنَف وهو يقولُ: مَـا أعْجَب ما طَمع منىَ فيه هذا الغـلامُ! يأمرنى أن أصَغِّر شيخاً من مَشايخ أهلى وسيداً من ساداتهم! فلحقَ بالمهلب.

* * *

فلمَّا أحَسَّ الأزارقةُ بدنُـوه منهم انكشفوا عن الفرات، فاتبـعهم المهلَّب إلى سوق الأهواز، فنفاهم عنهـا، ثم اتبعهم[3] .إلى رَامَ هُرْمُزَ فَهَزَمَـهم منها، فدخلوا فارسَ وأبْلَى يزيدُ ابنهُ فى وقـائعه هذه بلاءً شديداً[4]، تَقَدَّم فيـه وهو ابنُ إحدى وعشـرين سنة، فلمـا صارَ القومُ بفـارسَ وَجَّهَ إليهـم ابنَه المُغيـرة، فقال له عـبدُ الرحمن بن صُبْح: أيـها الأمير! إنه[5] ليس برأى قـتلُ هذه الأكْلُـب، ولَئنْ والله قَتَلْتَهم لَتَقْعُدَنَّ فى بيتك، ولكنْ طَاوِلْهمْ وكَلْ بهمً، فقال: ليس هذا من الوفاءِ.

---

(١) ر: «ما أنت».

(٢) ساقطة من ر.

(٣) ر: «نتبعهم».

(٤) ر: «حسنا».

(٥) ر: «أتاه».

فلم يَلْبَث بِـرَامَ هرمز إلا شهراً حـتى أتاهم[1] موتُ بشر، فـاضطرب الجند على ابن مخْنَف، فوَجَّهَ إلى محمد بن إسحاقَ بن الأشْعَث وابن زَحْر واستحلفهُما ألاّ يَبْرَحَا، فحلفًا له ولم يَفيا، فجعل الجندُ من أهل الكوفةَ يتسللُون حتى اجتمعوا بسوق الأَهْـواز، وأراد أهلُ البصْرة الانسـلال من المهلَّب، فـخطبهـم فقـال: إنكم لستم كأهل الكوفـة، إنما تَذَبُّونَ عن مصركم وأموالِكم وحُرَمِكمْ، فـأقام منهم قومٌ وتَسَلَّلَ منهم ناسٌ كثيرٌ.

وكان خالدُ بن عبد الله خليفةَ بشر بن مروانَ، فوجَّهَ مَوْلى له بكتاب منه إلى مَنْ بالأهواز، يَحْلفُ فـيه بالله مجتهداً، لـئنْ لم يرجعوا إلى مراكـزهم وانصرفوا عُصاةَ لايظْفَـرُ بأحد منهم إلاَّ قَتَلَه، فجـاءَ مولاه، فجعل يقرأ الكتـابَ عليهم ولا يَرَى في وجوههم قبُـولَه، فقال: إنّي لأرَى وجوهاً ما القبولُ من شَـأْنها. فقال له ابنُ زَحْرٍ: أيُّها العبد، اقرأْ ما فى الـكتاب وانصَرِفْ إلى صاحبك، فإنك لا تدرى ما في أنفُـسنا، وجعلوا[2] يستـحثونه بقراءته. ثم قَـصدُوا قصداً الكـوفة، فنزلوا النُّخَيلةَ، وكتبوا إلى خليفة بشـر يسألونَه أن يأذنَ لهم فى الدخول فأَبى، فدخلوها بغير إذن.

[ولاية الحجاج العراق وأمره مع المهلب والخوارج]

فلم يزَل المهلَّبُ ومَن معه من قُوَّاده وابنُ مـخْنَف فى عَدد قليلٍ، فلم يَنْشَبُوا أنْ وَلىَ الحـجَّاجُ العـراق، فدَخَل الكـوفَةَ قَـبْلَ البصـرة، وذلكَ فى سنة خـمس وسبعـين، فخطبَهم وتهـدّدَهُمْ، وقد ذكرنا الخطبة مـتَقَدَّماً. ثم نَزَل فـقال لوجُوه أهلها: مـا كانت الوُلاةُ تفـعلُ بالعُصاة؟ فـقالوا: كانـت تَضْرِبُ وتَحْبس، فـقال الحجَّاجُ: ولـكنْ ليس لهم عندى إلاَّ السيفُ. إن المسـلمين لو لـم يَغْزُوا المشـركين لغزاهُم المشركـون، ولو ساغت المعصيةُ لأهلها ما قُـوتِلَ عدوٌّ ولا جُبِىَ فَىْءٌ. ولا عَزَّ دِينٌ.

ثم جَلَسَ لتوجيه الناسِ، فقـال: قد أجَّلْتُكُمْ ثلاثاً، وأقسم بالله لا يَتَخَلَّفُ أحدٌ من أصحاب ابن مخْنَف بعدها ولا من أهل الثُّغور إلاّ قَتَلْتُهُ. ثم قال لصاحب حَرَسه وصـاحب شُرَطَه: إذا مَضَت ثلاثةُ أيـام فاتخذُوا سيـوفكما عصيًـا، فجاءَهُ عمير بن ضابَىِ البُرجُمىّ[3] بابـنه، فقال: أصلح الله الأميرَ! إنَّ هذا أنفعُ لكم منى، وهو أشدُّ بنى تَميم أيْداً، وأجمعُهم سلاحاً، وأربطُهم جَأشاً. وأنا شَيخٌ كبيرٌ عَليل،

---

(١) ر: «أتاه».

(٢) ر: «يستحثونه فى قراءته».

(٣) ساقطة من ر.

واستَشْهَدَ جُلَساءَهُ، فقال له[٢] الحجاجُ: إنَّ عُذْرَكَ لَواضِحٌ. وإن ضعفك لبَيِّنٌ ولكنِّي أكرهُ أن يَجتَرئَ بك الناسُ عليَّ. وبعدُ فأنْتَ ابنُ ضابئ صاحبُ عثمانَ. ثم أمَر به فقُتِلَ. فاحتملَ الناسُ. وإن أحدَهُم لَيُتْبَعُ بزادِه وسلاحِه. ففي ذلك يقول ابنُ الزَّبِيرِ الأسَدي:

أقولُ لعبد الله يوم لَقيتُهُ ... أرَى الأمرَ أمْسى مُنْصباً مُتَشَعِّبَا
تخيَّرْ فإمَّا أنْ تَزورَ ابنَ ضابئ ... عُمَيْراً وإمَّا أن تَزورَ المهلَّبَا
هما خُطتا خَسْف نَجاؤُكَ منهما ... رُكوبُكَ حَوْليًّا من الثَّلْج أشهبَا
فَمَا إن أرَى الحجَّاجَ يَغْمِدُ سيفَهُ ... يَدَ الدهرِ حتى يترك الطِّفْلَ أشْيَبَا
فأضْحَى ولو كانتْ خُراسانُ دونَه ... رآها مَكانَ السُّوقِ أوهِيَ أقْرَبَا

وهَرَبَ سَوَّارُ بن المَضَرّب السَّعْديُّ من الحجاجِ وقال:

أقَاتِليَ الحجاجُ إن لَم أزُرْ له ... دَرابَ وأتْرُكُ عند هندٍ فؤاديَا

وقد مرت هذه الأبياتُ.

وخرج الناسُ عن الكوفة. وأتى الحجاجُ البصرةَ. فكان عليهم أشدَّ إلحاحا[٢]. وقد كان أتاهُم خبرُه بالكوفة، فتحمَّلَ الناسُ قبلَ قدومه، فأتاه رجلٌ من بني يَشْكرَ، وكان شيخاً كبيراً أعورَ، وكان يَجْعَلُ على عينه العوراء صوفة، فكان يُلقَّبُ ذا الكُرْسُفَة. فقال: أصلحَ الله الأميرَ! إنّ بي فتْقاً، وقد عذَرَني بشْر، وقد رَدَدتُ العطاءَ، فقال: إنك عندي لصادقٌ، ثم أمَر به فَضُربَتْ عُنُقُهُ، ففي ذلك يقول كعبُ الأشقَريُّ أو الفَرزدق:

لقد ضَرَبَ الحجاجُ بالمصرِ ضربةً ... تُقرْقِرُ منها بطنُ كلِّ عَريف

ويرى عن ابن مَيْسرَةَ قال: إنَّا لَنتغَدَّى معه يوماً إذ جاء رجلٌ من بَني سُلَيْم برجلٍ يقودُهُ، فقال: أصلح الله الأميرَ! إنَّ هذا عاص، فقال: له الرجلُ: أنْشدُكَ اللهَ أيُّها الأميرُ في دَمي، فوالله ما قَبضْتُ ديواناً قَطُّ، ولا شهدتُ عسكراً، وإنِّي لَحائك أخذْتُ من تحتِ الحفِّ[٣] فقال: اضربوا عنقهُ. فلما أحسَّ بالسيف سَجَدَ،

(١) ساقطة من ر. (٢) ر: «حاء».
(٣) الحف: المنسج.

فَلحقَه السيفُ وهو ساجدٌ، فأمسكنا عن الأكل[1]، فأقبل علينا الحجاجُ فقال مالى أراكم صَفِرَتْ أيديكم واصْفَرَّتْ وجوهُكم وحدَّ نظركم من قتلِ رجل واحد إنَّ العاصىَ يَجمَعُ خلالا: يُخلُّ بمَرْكَزه، ويَعْصى أميرَه، ويغرُّ المسلمين وهو أجـ لهم، وإنما يأخذُ الأجرةَ لما يَعملُ، والوالى مُخيَّر فيه، إن شاءَ قَتَلَ وإن شاء عَفَا.

ثم كَتَب الحجاجُ إلى المهلب: أمَّا بعدُ، فإنَّ بشْراً رحمه الله استَكْرَهَ نَفْ عليكَ، وأراك غَنَاءَهُ عنك، وأنا أريك حاجتى إليك، فأرنى الجِدَّ فى قتال عدوِّك ومَنْ خفْتهُ على المعصيةِ ممّنْ قِبَلَكَ فاقتلْه، فإنى قاتلٌ مَنْ قِبَلى، ومَنْ كان عند مِنْ وَلَى مِنْ هَرب عنكَ فأعلمنى مكانَه، فإنى أرَى أن آخذَ الوَلِىَّ بالوَلِىِّ، وَالسَّ بالسَّمِىِّ.

فكَتَب إليه المهلَّبُ: ليس قِبلى إلا مُطيعٌ، وإنَّ الناسَ إذا خافوا العقوبةَ كبَّر الذّنبَ، وإذا أمنُوا العقوبةَ صَغَّروا الذنبَ، وإذا يَئِسُوا من العفو أكفَرَهُم ذلك فَهَبْ لى هؤلاءَ الذين سَمَّيتَهم عصاةً، فإنما هم فريقان[2]: أبطالٌ، أرجو أن يَقْ الله بهم العدوَّ. ونادمٌ على ذَنْبه.

فلما رأى المهلَّبُ كثرةَ الناس عليه قال: اليومَ قُوتلَ هذا العدوُّ. ولمَّا ر ذلك قَطَرىٌّ قال: انهضوا بنَا نريدُ السَّرْدَانَ[3] فَنَتَحصَّنَ فيها، فقال عُبَيْدَةُ هلال: أو نأتى سَابُورَ، وخرج المهلَّبُ فى آثارهم، فأتى أرَّجَانَ، وخافَ أن يكو قَد تحصَّنوا بالسَّرْدَان، وليست بمدينة، ولكنّ جبالٌ مُحْدقة مَنيعةٌ، فلم يُصب أحدا، فخرج نحوَهم فَعَسْكَرَ بكازَرُونَ، واستَعدُّوا لقتالهَ، وخنْدَق على نفسه، وَجَّهَ إلى عبد الرحمن بن مخنف: خَنْدقْ على نفسك، فوجه إليه: خنادا سُيوفُنا. فوجَّه إليه المهلّب: إنى لا آمَنُ عليكَ البيَات، فقال ابنُه جعفرٌ: ذاك أه علينا من ضَرْطة جمل، إفأقبلَ المهلَّب على ابنه المغيرة، فقال: لم يُصيبوا الر ولمْ يأخذوا بالوَثيقة، فلما أصبحَ القومُ غادَوُه الحربَ، فَبعَثَ إلى ابن مخـ يستمدّه، فأمَدّه بجماعة، وجعل عليهم ابنَه جعفرا، فجاءوا وعليهم أقْبيةٌ بيـ جُدُدٌ، فقاتَلوا يومئذ حتىَّ عُرِفَ مكانهم، وحاربهمُ المهلَّب، وأبْلَى بنوه يومئذ كـ الكوفيِّين أو أشَدَّ، ثم نَظَر إلى رئيسٍ منهم يقال له صالحٌ بن مِخْرَاقٍ، وهو يَنْتَحـ

---

(١) ر: «الطعام». (٢) ر: «فريسان».

(٣) السردان: موضع ببلاد فارس بإزاء كازرون (البكرى). وفى ر: «السردان».

قوماً من جلة العسكر، حتى بلغوا أربَعَمائَة، فقال لابنه المُغيرة: مايُعدُّ هؤلاء إلاَّ للَبيَاتِ. وانكَشف الخوارجُ والأمرُ للمهلَّب عليهم، وقد كَثُر فيهم القتلَ والجراح.

* * *

وقد كان الحجاجُ فى كل يوم يتفقَّدَ العُصاةَ ويُوجِّهُ الرجالَ، فكان يَحْبسهم نهارا، وَيفْتَحُ الحَبْسَ ليلاً، فَينسَلُّ الناسُ إلى ناحيةِ المهلَّب، وكَانَ الحجاجَ لايَعلم، فإذا رأى إسْراعَهُمْ تَمَثَّلَ:

إنَّ لـهـا لسَـائقـاً عَـشَنْـزَرَا　　　إذا وَنَـيْنَ وَنَـيْـة تَغَشْـمَـرَا

العَشَنْزَرُ: الصُّلْب، والغشمرة[1]: رُكوب الرَّأس. والمُتَغَشْمِرُ: الجادُّ على ما خَيَّلَت.

وكَتَب إلى المهلَّب من قبْل الوَقْعة: أما بعدُ، فإنه بلغنى أنك أقبلتَ على جبايةِ الخراجِ، وتركتَ قتالَ العدوِّ، وإنى وَلَّيْتُك وأنا أرَى مكانَ عبد الله بن حكيم المُجاشعى وعَبَّادِ بن حُصَيْن الحَبَطىّ. واخترتُك وأنتَ من أهلِ عُمانَ، ثم رجلٌ من الأزْدِ، فالْقَهُمْ يومَ كذا فى مكانِ كذا، وإلاَّ أشْرَعْت إليك صَدْرَ الرُّمح.

فشاوَرَ بَنِيه فقالوا: إنه أميرٌ، فلا تَغْلُظْ عليه فى الجواب.

فكتب إليه المهلَّب: وردَ علىَّ كتابُك تزعم أنى أقبلتُ على جباية الخراج وتركتُ قتالَ العدوّ. ومن عَجَزَ عن جباية الخراج فهو عن قتال العدوّ أعْجزُ، وزعمتَ أنك وَلَّيتنى وأنت ترى مكانَ عبد الله بن حكيم المُجَاشعى وعَبَّاد بن حُصَين الحَبطِىّ، ولو وَلَّيتَهما لكانا مُسْتَحقّيْنِ لذلك فى فَضْلهما وغَنائهما وبطشهما، واخترتنى وأنا رجلٌ من الأزد، ولعَمرى إنَّ شَرًّا من الأزْد لقَبيلَةٌ تنازُعها ثلاثُ قَبائلَ، لم تَسْتقرَّ فى واحدة منهنَّ. وزعمتَ أنى إن لم ألقَهم فى يوم كذا، فى مكان كذا، أشرعت إلىّ صدرً الرمح، فلو فعلتَ لَقَلْبتُ إليك ظهرَ المِجَنّ، والسلامُ.

ثم كانت الواقعةُ. فلما انصرف الخوارجُ قال المهلَّب لابنه المُغيرة: إنى أخافُ البَيَاتَ على بنى تميمٍ فانْهَضْ إليهم فكنْ فيهم.

---

(١) ر: التغشمر.

فأتاهُم المغـيرة. فقال له الحَـريشُ بن هلاَل: يا أبا حاتمٍ، أيخَـافُ الأميرُ أ
يُؤتى من ناحيتنا؟ قُلْ له فَلْيَبِتْ آمناً، فإنّا كَافُوهُ ما قِبَلَنَا إن شاء الله.

فلما انتصفَ اللـيلُ وقد رَجَعَ المغيرةُ إلى أبيه، سَرَى صَـالِحُ بن مخراقٍ في
القوم الذين أعدَّهُم إلى ناحية بنى تميمٍ، ومعه عبيدةُ بن هلال، وهو يقولُ:

إنـى لَمُـــذْكٍ للشُّـراةِ نـارَهـا ومـــانـعٌ ممَّـن أتـاهـا دَارَهـا

وغاسِلٌ بالطعْنِ عنها عارَها

فوجـدَ بنى تميمٍ أيقـاظا مُتَحَـارِسِينَ، فخـرج إليهم الحَـريشُ بن هلالٍ وه
يقولُ:

لـقـد وَجَـدتم وُقـراً أنْـجـادا لاكَـشُـفـا مـيـلا ولا أوْغَـادَا
هَـيْـهـاتَ لاتُـلْفُـونَنَا رُقـادَا لا بَـلْ إذا صِـيـحَ بـنـا آسَـادَا

ثم حَملَ عـلى القوم فرجَـعوا عنه، فاتبـعهم وصاح بهـم: إلى أينَ كلاّ
النار! فقالوا: إنما أُعدَّت النارُ لك ولأصحـابك، فقال الحَريشُ: كلُّ مملوك لى ـ
إن لم تَدخلوا النارَ إنْ دَخلَها مجوسىٌّ فيما بين سَفَوانَ وخُراسانَ.

قوله: «وَجَدتم وُقُرًا» جـمعُ وَقُور. والنَّجْدُ: ضدُّ البَليـد، وهو المتيقِّظ الذ
لا كَسَل عنـدَه ولافُتورَ، والأميلُ فـيه قَولان: قـالوا: الذى لايَستَقـرُّ على الداب
وقالوا: هو الـذى لاسَيْفَ معـه. والأكشفُ: الذى لاتُرْسَ معـه. والأجَمُّ: الذ
لارُمْحَ معه. والحاسِرُ الذى لادِرْع عليه. والأعْزَلُ: الذى لايَتَقَوَّمُ على ظَهْر الدابَّ
والوَغْدُ: الضعيفُ.

ثم قال بعضهـم لبعض: نأتى عسكرَ ابن مِخْنَف فإنـه لاخَنْدَقَ عليهم، و
تَعِبَ فرسـانُهم اليومَ مع المهلَّب، وقد زَعـموا أنَّا أهْوَنُ عليهم من ضَـرْطة جَمل
فأتَوْهُم فلم يَشْعُرِ ابنُ مِخْنَف وأصحابُه لهم إلاَّ وقد خَالَطُوهم فى عسكرِهم.

وكان ابنُ مِخْنَفٍ شـريفاً، يقولُ رجلٌ من غامدٍ لرجل يعـاتِبُه ويَضْرِب با
مِخْنَفٍ المَثَل:

تَرُوحُ وتَـغْـدُو كلَّ يومٍ مـعَـظّمـاً كأنـك فينا مِـخْنَفٌ وابنُ مـخنفِ

فتَـرَجَّلَ عبدُ الرحمـن بنُ مخْنَف فجـالدَهم فَقُتِلَ. وقُـتلَ معه سبـعون من القرَّاء، فـيهم نَفَرٌ مـن أصحاب علىٍّ بن أبـى طالب صلوات الله عليه، ونـفرٌ من أصحاب ابن مسعود. وبَلَغَ الخبرُ المهلّب، وجـعفرُ بن عبد الرحمن بن مخنَف عندَ المهلَّب، فجاءهم مُغَيـثا، فقاتلَهم حتى ارتُثَّ [1]وصرعَ، ووجه المهلَّـب إليهمَّ ابنَه حبيـباً فكَشَفهم، ثـم جاء المهلَّب حتى صَلَّى علـى ابن مخْنَفَ وأصحابه رحـمهم الله، وصار جُنْدُه فى جُنْد المهلَّب، فـضمَّهم إلى ابنه حبيب، فغـيرَّهم البصريون، فقال رجل لجعفر بن عبد الرحمن:

تركتَ أصـحابَـنا تَدْمَى نُحـورُهمُ وجئتَ تَسْعَى إلينا خَـضفةَ الجمَلِ[2]

قوله: «خَضْفَةَ الجملِ» يريدُ ضَرْطَةَ الجـملِ، يقال: خَضَفَ البعيرُ. وأنشدنى الرِّيَاشىُّ لأعرابىٍّ يذمّ رجلا اتَّخَذَ وليماً:

إنَّا وَجَـدْنَـا خَلَفَـاً بئسَ الخَـلَفْ أغْلَـقَ عَـنَّـا بـابَـهُ ثـم حَـلَـفْ
لا يُدْخِـلُ البـوابُ إلاَ مَنْ عَـرَفْ عَبْدا[3] إذا ماناءَ بالحمل خَضَفْ[4]

يقال: ناء بحمله. إذا حـمله فى ثقل وتكلف، وفى القرآن: **﴿ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة﴾**[5]. والمعنى أن العصبة تنوء بالمفاتيح. وقد مضى تفسير هذا.

فلاَمَهم المهلَّب. وقال: بِئْسَمَا قُلـتم! والله مافَرُّوا ولاجَبُنُوا، ولكنهم خَالفُوا أميرَهم. أفلا تذكرون فِراركم يوم دُولابَ، وفراركم بدارِس[6] عن عثمان، وفراركم عنى!

* * *

ووَجَّه الحجاجُ البَرَاءَ بن قَبيصةَ إلى المهلَّب يَسْتَحِثُّهُ فى مُناجزة القوم، وكتب إليه: إنك لتُـحبّ بقاءَهم لتأكلَ بهم. فقـال المهلَّب لأصحابه: حَرِّكـوهم، فَخرج فرسان من أصـحابه إليهم، فخرجَ إليـهم من الخوارج جَمعٌ، فاقتـتلوا إلى الليل، فقال لهم الخوارجُ: ويْلَكمْ أما تَملُّونَ! فقالوا: لا، حتى تَملُّوا، قالوا: فمن أنتم؟

(١) ارتث: حمل من المعركة وبه بقية من الحياة.
(٢) أى يا أبا خضفة.
(٣) ر: «عبد».
(٤) زيادات ر: «تقول العرب: حبج الرجل وخبق وخضف وردم. كل ذلك إذا ضرط».
(٥) سورة القصص ٧٦.
(٦) دار س: موضع قريب من البصرة.

قالوا: تميمٌ، قالت الخوارجُ: ونحن بنو تمبم، فلما أمْسوْا افترقوا، فلما كان الغَدُ خرج عشَرةٌ من أصحاب المهلَّب وخرج إليهم عشرة من الخوارج، فاحتَفَر كلٌّ واحد منهم حَفيرةً وأثبتَ قَدَمَه فيها، فكلما قُتِلَ رجلٌ جاء رجلٌ من أصحابه فاجْتَرَّهُ وقام[1] مكانُه. حتى أعْتَمُوا[2]، فقال لهم الخوارجُ: ارجعوا، فقالو: بل ارجعوا أنتم، فقالوا: ويلكم! مَنْ أنتم؟ فقالوا: تميم، قالوا: ونحن تميم، فرجَعَ البَراءُ بن قبيصةَ إلى الحجاج، فقال له: مَهْ! قال: رأيتُ قوماً لايُعينْ عليهم إلاَّ الله.

وكَتب إليه المهلَّبُ: إنى منتظرٌ بهم إحدَى ثلاثٍ: موتٌ ذَرِيعٌ، أو جوعٌ مُضِرٌّ، أو اختلافٌ من أهوائهم.

وكان المهلَّبُ لايتَّكِلُ فى الحراسة على أحدٍ. كان يتولى ذلك بنفسه، ويستعين بولده وبمن يَحُلُّ مَحَلَّهُمْ فى الثقة عنده.

وقال أبو حَرْملةَ العَبْدِىُّ يهجو المهلَّب:

عَدِمْتُكَ يامُهلَّبُ من أمير ... أمَا تَنْدَى يمينُك للفقير!
بِدُولَابِ أضعتَ دماءَ قومى ... وطِرْتَ على مُواشكَة درورِ[3]

فقال المهلَّبُ: ويحكَ! وا لله إنى لأقيكُم بنفسى ووَلَدِى. قال: جعلنى الله فداءَ الأمير! فَذَاكَ الذى نَكْرَهُ منك، ماكلنا يُحِبُّ الموتَ، قال: ويحكَ! وهل عنه مَحِيصٌ؟ قال: لا، ولكنَّا نَكْرَهُ التَّعجيلَ، وأنتَ تُقْدِمُ عليه إقْدَاماً، قال المهلَّبُ: أمَا سمعت قولَ هُبَيْرة[4] الكَلْحَبة اليَرْبُوعِىِّ:

فقلتُ لِكأس ألجميها فإنما ... نزلنا الكَثِيبَ مِن زَرود لِنَفزَعَا

قال: بلى والله قد سمعتُه. ولكنْ قولى أحَبُّ إلىَّ منه. وهو[5]:

فلمَّا وقفْتُمْ غَدْوةً وَعَدُوُّكمْ ... إلى مُهْجتى وَلَّيْتُ أعداءكم ظَهْرِى
وطِرْتُ ولم أحْفلْ مَقالةَ عاجز ... يُساق المَنايَا بالرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ

(١) ر «ووقف».

(٢) أعتموا: صاروا إلى العتمة وهى ثلث الليل الأول.

(٣) ر: «دماء قوم»، ومواشكة درور: سريعة.

(٤) ساقطة من ر.

(٥) ساقطة من ر.

فقال له[1] المهلّب: بئس حَشْوُ الكَتيبَة والله أنتَ! فإن شئتَ أذنتُ لك فانصرفتَ إلى أهلك، فقال: بل أقيمُ معك أيُّها الأميرُ. فوهبَ له المهلَّبُ وأعطاه، فقال يمدحُه:

يَرَى حَتْماً عليه أبو سَعيد ... جِلادَ القومِ فى أولى النَّفير
إذا نادَى الشُّراةُ أبا سَعيدٍ ... مَشَى فى رِفْلِ مُحْكَمَةِ القَتير[2]

الرِّفل: الذيل.

* * *

وكان المهلّب يقول: مايَسُرُّنى أن فى عسكرى ألْف شجاعٍ بدلَ بَيْهَسِ بن صُهَيْب، فيقال له: أيها الأميرُ. بيهس ليس بشجاعٍ، فيقول: أجَلْ، ولكنه سَديد الرأى مُحْكَمُ العقلِ، وذو الرأى حَذِرٌ سَؤُولٌ، فأنا آمنُ أن يُغْتَفَل، فلو كان مكانَه ألفُ شجاعٍ قلتُ: إنهم يَنْشامون[3] حين يُحْتاجَ إليهم[4]

ومَطَرَت السماءُ مطراً شديداً وهم بسابورَ. وبين المهلب وبين الشراة عَقَبةٌ. فقال المهلَّبُ: مَنْ يكفينا هذه العقبةَ الليلةَ؟ فلم يَقمْ أحدٌ. فلبس المهلّب سلاحَه وقام إلى العقبة واتَّبعه ابنُه المغيرةُ. فقال رجلٌ من أصحابه يقال له عبدُ الله: دعانا الأمير إلى ضبط العقبة. والحظُّ فى ذلك لنا فلم نُطعْهُ، فلبس سلاحَه، واتّبعه جماعةٌ من أهل العسكر فصاروا إليه. فإذا المهلَّب والمغيرة لاثالثَ لهما. فقالوا: انصرفْ أيها الأميرُ، فنحن نكفيك إن شاء الله، فلما أصبحوا إذا بالشُّراة على العقبة، فَخَرج إليهم غُلاَم من أهل عُمَانَ على فرسٍ. فجعل يَحْمِل وفرسُهُ يَزْلَق، وتَلقّاه مُدْرِكُ ابن المهلب فى جماعة معه حتى رَدَّهم.

فلما كان يوم النَّحْرِ والمهلّبُ على المنبر يخطبُ الناسَ. إذا الشَّراة قد تألّبُوا، فقال المهلَّب: سبحان الله! أفى مثلِ هذا اليومِ يامُغيرةَ! اكْفنيهمْ، فَخَرج إليهم المغيرةُ بن المهلّب وأمامَه سَعْدُ بن نَجْدٍ القُرْدوسِيُّ. وكان سعدٌ شجاعاً متقدماً فى

(١) ر: «وقال المهلب».
(٢) القتير: رءوس مسامير حلق الدروع.
(٣) ينشامون. من انشام الشىء. دخل واختبأ. يريد أنهم يكونون بمعزل مخافة أن ينتقلوا.
(٤) ر: «حتى يحتاج إليهم».

شجاعته. وكان الحجاج[1]. إذا ظَنّ برجل أن نفسَه قد أعْجَبَتْه قال له: لو كنتَ سعدَ بن نَجْدٍ القُرْدُوسِيَّ ماعَدَا - وقُرْدُوسٌ من الأزْد.

فَخَرج أمامَ المغيرةَ. وتبع المغيرةَ جماعةٌ من فرسان المهلّب، فَالْتَقَوْا، وأمامَ الخوارجِ غلامٌ جامعُ السلاحِ، مَديدُ القامة، كريه الوجه، شديدُ الحمْلة، صحيحُ الفُروسيَّة، فأقبلَ يَحْمِلُ على الناس وهويقول:

نحنُ صَبَحْنَاكُمْ غُدَاةَ النَّحْرِ ... بالخيل أمثالِ الوَشيجِ تَجْرى[2]

فخرج إليه سعدُ بن نجد القَرْدوسيُّ من الأزد، ثم تَجَاوَلا ساعة، فطعنه سعدٌ فقتَلَه، والتقَى الناسُ، فصُرِعَ يومئذ المغيرةُ، فحامَى عليه سعدُ بن بجد وذُبيانُ السَّخْتِيَانِيُّ وجماعةٌ من الفُرْسان حتى رَكِب، وانكشف الناسُ عند سَقْطة المغيرة، حتى صاروا إلى أبيه المهلّب، فقالوا: قُتِلَ المغيرةُ، ثم أتاه ذُبْيانُ السَّخْتِيَانِيُّ. فأخبره بسلامته. فأعْتَقَ كلَّ مملوكٍ كان بحضرته.

* * *

ووجَّه الحجاجُ الجَّراحَ بن عبد الله إلى المهلب يَسْتَبْطِئُه فى مناجزة القوم، وكتب إليه: أما بعدُ، فإنك جَبَيْتَ الخراج بالعَلَلِ، وتحصَّنْتَ بالخنادق، وطاوَلتَ القومَ وأنت أعزُّ ناصراً، وأكثرُ عدداً، وما أظنُّ بك مع هذا معصيةً ولا جُبْناً، ولكنك اتخَذْتَ أُكْلاً[3]. وكان بقاؤهم أيسرَ عليك من قتالهم، فناجِزْهُمْ وإلاّ أنكرتَنى، والسلام.

فقال المهلّب للجرَّاحِ: يا أبا عُقْبةَ. والله ماتركتُ حيلةً إلا احتَلْتُها، ولامكيدةً إلاّ أعْمَلْتُها. وما العَجَب من إبطاء النصر وتَراخى الظَّفَر. ولكنَّ العجب أن يكونَ الرأىُ لمن يملكهُ دونَ من يُبْصِرُهُ! ثم ناهضَهم ثلاثةَ أيام، يُغاديهم القتالَ، ولا يزالوان كذلك إلى العصر، وينصرف[4] أصحابُه وبهم قَرْحٌ، وبالخوارج قَرْحٌ وقَتْلٌ، فقال له [الجَّراحُ[5]]: قد أعْذَرْتَ.

---

(١) ر - «وكان المهلب». وما أثبته عن الأصل. س.

(٢) الوشيج مانبت من شجر الرماح ملتفا دخل بعضه فى بعض. (٣) الأكل: الرزق.

(٤) من هنا حرم فى نسخة الأصل ينتهى فى ص ٣٨٤ من هذا الجزء.

(٥) تكلمة من س

فكَتب المهلّب إلى الحجاج: أتانى كتابك تَسْتَبْطِئنى فى لقاء القوم، على أنك لاتَظُنُّ بى معصية ولا جُبْناً، وقد عاتبتنى معاتبةَ الجبان، وأوعدتنى وَعيدَ العاصى، فاسأل[1] الجرَّاحَ. والسلامُ.

فقال الحجَّاجْ للجرَّاح: كيف رأيتَ أخاك؟ قال: والله مارأيتُ أيها الأمير مثلَه قطُّ، ولاظننتُ أن أحدًا يَبْقَى على مثل ما هو عليه. ولقد شهدت أصحابَه أياماً ثلاثةً يَغْدُون إلى الحرب ثم ينصرفون عنها وهم بها يتَطَاعَنون بالرماح. ويَتَجالدون بالسُّيوف، ويتخابطون بالعَمَد. ثم يَرُوحُونَ كأن لم يصنعوا شيئاً. رَوَاحَ قومٍ تلك عادتُهم وتجارتُهم. فقال الحجاج: لَشَدَّ مامَدَحْتَهَ أبا عُقْبَةَ! قال: الحقّ أولَى.

وكانت رُكُب[2]. الناس قديماً من الخشب. فكان الرجلُ يُضْرَبُ ركابُهُ فيتقطعُ فإذا أراد الضَّربَ أو الطَّعْن لم يكن له مُعْتَمَدٌ. فأمر المهلَّبُ فضُرِبَت الرُّكُبُ من الحديد. وهو أولُ من أمرَ بطبعها. ففى ذلك يقول عِمْرانُ بن عِصامٍ العَنَزِىُّ:

ضَرَبُوا الدراهمَ فى إمارتهمْ ... وضُربت للحدثان والحرب
حَلَقاً ترى منها مَرَافِقَهم ... كَمَنَاكِبِ الْجَمَّالة الحُرْبِ[3]

وكتب الحجاجُ إلى عَتَّاب بن وَرْقاءَ الرِّياحىِّ من بنى رياحِ بن يربوعِ بن حَنْظَلة وهو وَالِى إصْبَهَانَ. يأمُرُهُ بالمسير إلى المهلَّب. وأن يضُمَّ إليه جُنْدَ عبدَ الرحمن بن مِخْنَف: فكلُّ بلد تَدْخُلانه من فتوح أهل البصرة فالمهلَّبُ أميرُ الجماعة فيه، وأنتَ على أهل الكوفةً. فإذا دخلتم بلداً فتحهُ لأهل الكوفة فأنتَ أميرُ الجماعة [فيه][4]، والمهلّب على أهل البصرة.

فقدمَ عَتَّابٌ فى إحدى جمُادَيَيْنِ من سنة ستٍّ وسبعين على المهلّب، وهو بسابوَر، وهى من فُتوح أهل البصرة فكان المهلّب أميرَ الناسِ، وعتابٌ على أصحاب ابن مِخْنَف، والخوارجُ فى أيديهم كِرْمانُ، وهم بإزاء المهلّب بفارسَ يحاربونه من جميع النَّواحى.

---

(١) س: «فسل»

(٢) الركب: جم ركاب. وهو مايعتمد عليه راكب السرج بقدميه.

(٣) أى ضربت حلقا. ومرافقهم. أى معتمدات أرجلهم. والجمالة: أصحاب الجمال.

(٤) من س.

فَوجَّهَ الحجاجُ إلى المهلّبِ رجلين يَسْتَحِثّانه مُناجَزَةَ القوم، أحدُهما يقال له زيادُ بن عبد الرحمن، من بنى عامر بن صَعْصَعَة، والآخرُ من آل أبى عَقيل جدِّ الحجاج، فضمَّ زياداً إلى ابنه حَبيب، وضَمَّ الثَّقَفىَّ إلى يزيد ابنه، وقال لهما: خُذَا يزيدَ وحبيباً بالمناجَزَة، فَغَادَوُا الخوارج فاقتَتَلُوا أشدَّ قتال، فقتلَ زيادُ بن عبد الرحمن، وفُقِدَ الثّقَفىُّ، ثم باكَروهم فى اليوم الثانى وقد وُجِدَ الثقفىُّ، فدَعَا به المهلّب ودَعَا بالغَدَاء، فجعل النَّبْلُ يقع قريباً منهم، والثقفىُّ يَعْجَب من أمر المهلّب، فقال الصَّلَتَانُ العبدىُّ:

ألاَ يااصْبحانى قبْلَ عَوْقِ العَوائق ... وقبلَ اختراط القوم مثلَ العَقَائق
غداة حبيب فى الحديد يَقُودُنا ... نخوضُ المنايَا فى ظلال الخوافِق
حَرُونٌ إذا ما الحرب طار شَرَارها ... وهاجَ عجاجُ الحرب فوق البَوارق[1]
فَمن مُبْلِغُ الحجاجِ أن أمِينَه ... زياداً أطاحتْهُ رِماحُ الأزَارق

قوله:

وقَبْلَ اختراط القوم مثلَ العقائق

يعنى السُّيوفَ، والعقائقُ: جمع عَقيقة، يقال: سيف كأنه عَقيقةُ بَرْق، أى كأنه لَمْعَةُ برق، ويقال انعقّ البرقُ إذا تَبَسَّمَ. وللعقيقة مواضعُ: يقال فلانٌ بعَقيقة الصَّبىّ[2]، أى بالشَّعْرِ الذى وُلِدَ به لم يحْلقْهُ، ويقال: عَقَقْتُ الشىء أى قطعتُه، ومنْ ذا فلان يَعُقُّ أبَوَيْه، وكذا عَقَقْتُ عن الصبىّ، إذا ذبحتَ عنه، وقال أعرابىٌّ:

ألم تَعْلَمى يادارَ بَلْجاءَ أنّنى ... إذا أجْدَبَتْ أو كان خصْباً جَنَابُها
أحَبُّ بلادَ الله مابين مُشْرِف ... إلىَّ وَسَلْمَى أن يَصُوبَ سَحَابُها[3]
بلادٌ بها عَقَّ الشبابُ تميمتى ... وأولُ أرض مَسَّ جلْدى تُرابُها

فلمْ يَزَلْ عَتّابُ بن وَرْقاءَ مع المهلَّب ثمانيةَ أشهر، حتى ظَهَرَ شَبيب، فكتب الحجاج إلى عتّابٍ يأمره بالمصير[4] إليه ليوجه إلى شبيب، وكتب إلى المهلَّب

(١) قال المرصفى: «الحرون: لقب حبيب؛ لأنه كان يحرن فى الأرض فلا يبرح». والبوارق السيوف.

(٢) ر: «الصبى» بكسر الصاد وألف مقصورة.

(٣) مشرف رمل بالدهناء

(٤) س. «بالمسير».

[يأمره][1] بأن يَرْزُقَ الجنْدَ، فَرَزق المهلّب أهلَ البصرة، وأبى أن يرزقَ أهلَ الكوفة، فقال له عتّابٌ: ما أنا ببارحٍ حتى ترزق أهل الكوفة. فأبَى. فَجَرتْ بينهما غلْظةٌ. فقال عتابٌ: قد كان يبلُغنى أنك شجاع فرأيتك جَباناً. وكان يبلُغنى أنكَ جوادٌ فرأيتك بخيلا. فقال له المهلَّب: يابن اللَّخْنَاء! فقال له عَتَّابٌ: لكنَّك مُعَمّ مُخَولٌ[2] فغضبتْ بكْر بن وائلٍ للمهلّب للْحلف. ووَثب ابنُ تَيْم بن هُبَيرة بن أبى[3] مَصْقَلةَ على عتّاب فشتمه، وقد كان المهلّب كارهاً للحلْف، فلما رأى نُصْرَةَ بكر بن وائل سرَّه الحلْف واغتَبَطَ به، ولم يزل يُؤكِّدُه، فغضبت تميمُ البصرةِ لعتَّاب. وغضبت أزْدُ الكوفة للمهلّب.

فلما رأى ذلك المغيرة بن المهلَّب مَشَى بين أبيه وبين عتّاب، فقال لعتاب: ياأبا ورْقاء، إن الأمير يَصيرُ لك إلى كلِّ ما تُحبّ، وسأل أبَاه أن يَرْزُقَ أهلَ الكوفة، فأجابه، فَصلَحَ الأَمْرُ، فكانت تميمٌ قاطبةً وعتَّابُ بن ورقاء يَحْمَدونَ المغيرةَ ابنَ المهلّب، وقال عَتّابٌ: إنى لأعرفُ فضله على أبيه، وقال رجلٌ من الأزد من بنى إيادِ بن سودٍ:

ألا أبلغْ أبَا ورَقْاَءَ عنَّا[4] ... فلولا أننَّا كُنَّا غِضَابَا
على الشيخ المهلَّب إذْ جفانا ... للاَقَتْ خيلُكم منَّا ضرابَاً

وكان المهلب يقولُ لبنيه: لاتَبْدَءوهم بقتالٍ حتى يَبْدءوكم فَيَبْغُوا عليكم. فإنهم إذا بَغَوْا نُصرتم عليهم.

فَشَخصَ عَتّابُ بن وَرْقَاء إلى الحجاج فى سنة سبعٍ وسبعين، فوجَّهَه إلى شبيب، فقتله شَبيب، وأقام المهلّب على حربهم، فلما انقضى من مُقامِه ثمانيةَ عشر شهراً اختلفوا.

وكان سببُ اختلافهم أن رجلاً حدّاداً من الأزارقة كان يَعمل نصالا مسمومة فَيرمَى بها أصحابَ المهلّب، فرُفِعَ ذلك إلى المهلَّب فقال: أنا أكْفيكمُوه إن شاء الله، فَوجَّهَ رجلاً من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر قَطَرِيٍّ فقال: ألق هذا الكتابَ فى عسكرِ قَطَرِيٍّ واحْذَرْ عليَّ نفسك- وكان الحدَّادُ يقال له أبزَى- فمَضى الرسولُ، وكان فى الكتاب: أما بعدُ، فإنَ نصَالك قد وَصَلَتْ إليَّ. وقد وجَّهْتُ إليك بألف درهمٍ، فاقبضْها وزِدْنَا من هذه النِّصَالِ، فَوقعَ الكتابُ والدَّراهمُ إلى

---

(١) تكملة ر. س.
(٢) معم مخول. أى كريم الأعمام والأخوال.
(٣) ر: «أخى».
(٤) كذا فى س، وفى ر: «بنى ورقاء».

قطرىٌّ. فدَعَا بأبزَى، فقال: ما هذا الكتابُ؟ قال: لا أدرى، قال: فهذه الدراهمُ؟ قال: ما أعْلَمُ علْمها، فـأمر به فقُتل، فجاءه عبدُ ربِّه الصغـيرُ مَوْلَى بنى قيس بن ثَعْلَبَةَ فقال له: أَقَتَلْتَ رجلاً على غيـر ثقة ولاتَبَيُّن! فقال له: ماحالُ هذه الدراهم! قال: يجوز أن يكون أمرُها كذباً ويجوز أن يكون حقًّا. فقال له قطرىٌّ: قتْلُ رجلٍ فى صلاح الـناس غيرُ مُنْكَرٍ، وللإمام أن يحكـم كذبا بما رآه صلاحـاً. وليس للرعية أن تعترض عليه. فَتَنَكَّرَ له عبدُ ربِّهِ فى جماعة [معه][(١)]. ولم يفارقوه.

فبلغَ ذلك المهلَّبَ فَدَسَّ إليه رجلا نصرانيا. فقال له: إذا رأيتَ قَطَرِيًّا فاسْجُد له، فإذا نهَاك فقل: إنما سجدت لك، ففعلَ النصرانىُّ، فقال له قطرىٌّ:

إنما السجودُ لله، فقال: ماسـجدتُ إلاّ لك، فقال له رجل من الخوارج قد عَبَدَك من دون الله، وتَلاَ: ﴿**إنَّكُمْ وما تعْبُدُونَ منْ دُون الله حَـصَبُ جهَنَّم أنْتم لها وَارِدُون**﴾[(٢)] فقال قطرىٌّ: هؤلاء النصارى قد عَبَدوا عيسى بن مريمَ فما ضَرَّ ذلك عيسَى شيئاً، فقام رجل من الخوارج إلى الـنصرانيِّ فقتَلَه، فأنكر ذلك عليه وقال: أقتلْت ذميًّا! فاخـتلفت الكلمةُ، فبلَغَ ذلك المهلَّبَ، فَوجَّهَ إليـهم رجلاً يسألهم عن شىء تَقَدَّمْ به إليـه، فأتاهم الرجلُ فقال: أرأيـتم رجلين خرجَا مُهَـاجَرين إليكم، فماتَ أحدهـما فى الطريق وبلغكُمْ الآخَر فامـتحنتموه فلم يجز المحـنة، ماتقولون فيهما؟ فـقال بعضهـم: أمَّا الميت فمؤمنٌ من أهل الجـنة، وأمَّا الآخرَ الذى لم يجز المحنة فكافرٌ حتى يُجيزَها. وقال قومٌ آخـرون: بل هما كافران حتى يجيزا المحنةَ. فكثُر الاختلافُ.

* * *

فخرج قطـرىٌّ إلى حدود إصْطَخْرَ. فأقـام شهراً والقومُ فى اختـلافهم، ثم أقـبلَ، فقـال لهم صـالح بن مخـراق: ياقـومِ، إنكم قـد قررتم أعيْنَ عـدوِّكم، وأطمَعْـتموهُم فيكـم. لمِاَ ظهرَ من اخـتِّلافكم، فعودوا إلـى سلامة القلوب واجـتماع الكلمة.

وخرج عَمرُو القَـنَا فنادَى: أيها المُحلُّونَ [(٣)]. هل لكم فى الطِّرَادِ، فـقد طال عهد به! ثم قال

ألـمْ ترَ أنّـا مُـــذْ ثلاثـون لـيلـةً قَريبٌ وأعداءُ الكتابِ على خَفْضِ

---

(١) تكلمة من س. (٢) سورة الأنبياء ٩٨.

(٣) المحلون: الذين لاعهد لهم ولا حرمة.

فَتَهايج القــومُ، وأسرعَ بعضهم إلى بعضٍ، فأبْلَى يومئـذ المغيرة بن المهلب، وصار فـى وَسط الأزارقة، فجـعلت الرِّمـاحُ تُحُطّه[1] وترْفعه، واعْـتَوَرَتْ رأسَه السُّيوفُ، وعليه سـاعدُ حديد، فوضع يَدَه على رأسه، فجَعَلـت السيوفُ لاتعملُ فيه شيئـا، واستنقذه فُرْسان منَ الأزدِ بعد أن صُرِع، وكان الذى صـرَعَهْ عَبيدة بن هلال، وهو، يقولُ:

أنـا ابن خَـيْـرِ قــومـهِ هِـلالِ ... شـيـخٌ علـى دِيـن أبـى بـلالِ

وذاك دينى آخر الليالى

فقال رجلٌ للمغيرة: كنَّا نَعْجَب كيف تصْرَعُ، والآن نَعجب كيف تَنْجُو!

وقال المهلَّب لبَنيه: إنَّ سَرْحكم لغـارٌّ، ولستُ آمَنهم عليه، أفوكَلتم به أحداً؟ قالوا: لا، فلم يَسْـتتمَّ الكلام حتى آتاه آت فـقال: إنَّ صالح بن مِخْـراق قد أغارَ على السَّرْحِ، فشق ذلـك على المهلَّب، وقال: كلُّ أمرٍ لا آليه بنفسـى فهوَ ضائعٌ، وتذَمَّر علـيهم، فقال له بِـشْرُ بن المغيرة: أرِحْ نـفسَك، فإنْ كنتَ إنما تريـدُ مثْلك فوالله لا يَعْـدِلُ أحدُنا شسْعَ نَعْلـك، فقال: خذوا عليـهم الطَّريقَ، فثـار بِشر بن المغيرة، ومُدْرِكٌ والمفُضّلُ ابنا المهلَّب، فـسَبَقَ بشرٌ إلى الطريق، فإذا رجلٌ أسودُ من الأزارقة يَشلُّ السَّرْحَ[2]. أى يَطْرُدُهُ. وهو يقولْ:

نحـنْ قـمَعْنـاكُمْ بِشَـلِّ السَّـرْحِ ... وقـد نكَأنَا الـقرْحَ بعـدَ القَـرْحِ[3]

الشَّلُّ: الطَّرْد، ويقال: نَكَأت القَرْحَةَ، مهموزٌ، ونكَيْتُ العَدُوَّ. غيرْ مهموز، منَ النِّكاية، ونكَأتُ القَرحةَ نَكأ، قال ابنُ هَرْمَةَ:

ولا أرَاهـا تَـزالُ ظَـالـمـة[4] ... تُحْـدثُ لى قَـرْحَـةً وتَـنْكَـؤهَا

ولحقـهُ المفضّلُ ومُدْركٌ، فـصاحَا برجل من طَيِّئ: اكـفنا الأسْودَ، فاعْـتَوَرَهُ الطائىُّ وبِشْـر بن المغيرة فـقتلاه، وأسرَا رجـلا من الأزارقة، فقال المهـلَّبُ: ممَّن الرجلُ؟ قال: رجلٌ منْ هَمْدان، قال: إنك لشَيْنُ هَمْدان، وخَلى سبيله.

---

(١) هنا آخر الخرم فى نسخة الأصل، وأوله فى ص ٣٧٧ من هذا الجزء.

(٢)السرح: المال الذى يسام فى المرعى من الأنعام.

(٣)أقمناكم. قهرناكم.

(٤) أى لا تزال.

وكان عَيَّاشٌ الكِنَدىُّ شجَاعاً بئيسا[1] فأبْلى يومئذٍ، ثم مـات على فراشه بعد ذلك، فقال المهلّب: لَاوَألتْ نفس الجبَانِ بعد عَيَّاشٍ!

وقال المهلَّب: مارأيتُ كهؤلاء كلما يُنْقَصُ منهم يَزِيدُ فيهم!

* * *

وَوَجَّهَ الحجـاج إلى المهلب رجلين: أحدُهما من كَـلْب، والآخَرُ من سُلَيم، يَسْتَحِثانه بالقتال، فقال المهلَّب متمثِّلاً:

ومُـسْتَـعْـجِب ممَّا يَرَى من أنـاتِنَا ... ولو زبـنتـهُ الحـربُ لـم يتَـرَمْـرَمِ

الشِّعْرُ لأوْس بن حَجَر، وقوله: «زَبَنَتْـهُ» يقول: دَفَعَتْهُ. ولـم يَتَرمْرَم، أى لم يَتَحَرَّكْ، يقال: قيلَ له كذا وكذا فما تَرَمْرَمَ.

وقال لـيزيدَ: حَـرِّكْهُم، فَـحَرَّكَهُـمْ فَتَـهَايَجُـوا، وذلك فى قرية مـن قرَى إصْطَخَر، فحَملَ رجلٌ من الخوارج على رجـل من أصحاب المهلّب فطَعَنه، فَشَكَّ فَخِذَهُ بالسَّرْجِ، فقال المهلّب للسُّلَمِيِّ والكَلْبِيِّ: كيف نقاتل قوماً هذا طَعْنُهم!

وحَمَل يزيدُ عليهم وقد جاءَ الرُّقَادُ، وهو من فرسانِ المهلّب، وهو أحدُ بنى مالك بن ربيعةَ، على فرس له أَدْهَمَ، وبه نيِّفٌ وعشرون جِراحة، وقد وَضَعَ عليها القُطْنَ، فلماحَـمَلَ يَزيدُ ولَّى الجمعُ وَحَمَاهـم فارسان، فقال يزيدُ لقَـيْس الخُشَنِىِّ مَوْلَى العَتِيك: مَنْ لهذَين؟ قال: أنا. فَحَمَلَ عليهما، فعَطَفَ عليه أحَدُهما، فطعنه قيس الخشـنىُّ فصرَعَهَ، وحملَ عـليه الآخرُ فعانَقَـه، فسَقَطا جمـيعاً إلى الأرضِ، فصاحَ قَيْسٌ الخُشَنِّى: اقتلُونا جميعـاً، فحملَتْ خيلُ هؤلاء وخيلُ هؤلآء، فحجزوا بينهما، فإذا مُـعَانِقُه امرأةٌ. فقام قيسٌ مُسْـتَحيياً، فقال له يزيدُ: أمَّـا أنت فبارَزْتها على أنها رجل. فقال: أما أنتَ لو قَتَلْتُ أمَا كان يقال: قُتِلْتُه امرأةٌ!

وأبْلى يومـئذ ابنُ المْنجبِ السَّدوسى، فقـال له غلامٌ يقـال له خِلاجٌ: والله لَوَدِدْنَا أنَّا فَضَضْنا عَسْكَـرهم حتى أصيرَ إلى مُسْتَقَرِّهمْ فأَسْـتَلبَ مما هناكَ جاريتين. فقالَ مولاه: وكيـف تَمنَّيْتَ اثنتين؟ قال: لأُعْطِيَكَ إحداهما وآخـذَ الأخرى، فقال ابنُ المْنجبِ:

---

(١) البئيس: الشديد البأس..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أخلاجُ إنَّك لن تُعانقَ طفْلَة شَرقاً بها الجَادىُّ كالتّمْثَال
حتى تُلاَقِى في الكتيبَة مُعْلمًا عَمرو القَنَا وعَبيدةَ بنَ هلال
وتَرى المُقَعْطَر في الكَتيبة مُقْدماً في عُصبَة قَسطوا مع الضُّلال
أو أن يُعَلِّمكَ المهلَّبُ غَزْوةً وتَرَى جبالًا قد دَنَتْ لجبال

قوله: «طَفْلَةً» يقول: ناعمةً، وإذا كسرتَ الطاء فقلت: «طفلة» فهى الصغيرة. والجادىُّ: الزعفرانُ، والكَتيبَةُ: الجيشُ، وإنما سُمِّى الجيش كتيبةً لانضمام أهله بعضهم إلى بعض. وبهذا سُمىَ الكتابَ. ومنه قولهم: كَتَبْتُ البغلةَ والناقةَ إذا خَرَزْتَ ذلك الموضعَ منها، وكَتَبْتُ القربَةَ، والمُعْلمُ: الذى قد شَهَرَ نَفْسه بعلاَمة، إمَّا بعمامة صَبيغ، وإمَّا بمُشَهَّرة. وإمَّا بغير لك. وكان حمزةُ بن عبد المُطَّلب رضوانُ الله عليه مُعْلماً يومَ بدر بريشة نعامة فى صدره. وكان أبو دُجَانةَ- وهو سِمَاكُ بن خُرَيشَةَ الأنصارىُّ - يومَ أحُد لَمَّا قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يأخُذ سيفى هذا بحقِّه»؟ قالوا: وما حَقُّهُ يارسولَ الله؟ قال: «أن يُضْربَ به فى العدوِّ حتى يَنْحَنى»، فقال أبو دُجَانَةَ: أنا، فَدفَعهُ إليه، فلَبسَ مُشَهَّرَةً فَأعْلَمَ بها، وكان قومُه يَعْلمونَ مابَلواْ منه أنه إذا لبسَ تلك المُشهَّرَةَ لم يبْقِ فى نفسه غايةً، ففعل. وخَرَجَ يمشى بين الصَّفَّيْن، فقال رسولُ لله ﷺ». «إنها مشيَةٌ يُبْغضُها الله عزوَجلَّ إلاّ فى هذا الموضع» ويُرْوَى أنَّ رسول الله ﷺ سَمِعَ علياً صلواتُ الله عليه يقولُ لفاطمةَ - ورَمى إليها بسيفه، فقال: هاك حَميداً فاغْسلى عنه الدَّمَ. فقال رسول الله ﷺ: «لئنْ كنتَ صدقتَ القتالَ اليومَ لقد صَدَقَهُ معك سِمَاكُ بنُ خَرشَةَ وسَهْلُ بن حُنَيْف والحارثُ بن الصِّمّة». وفى بعض الحديث «وقَيْس بن الرَّبيع» وكلُّ هؤلاء من الأنصار.

عاد الحديث إلى ذكر الخوارج:

وعَمرو القَنَا من بنى سعد بن زيد مَنَاةَ بن تميم، وعَبيدةُ بن هلال من بنى يَشْكُرَ بن بكر بن وائل، والذى طَعَنَ صاحبَ المهلَّب فى فخذه فشكَّها مع السَّرْج من بنى تميم، قال: ،لا أدرى أعَمْروٌ هو أم غيرُه. والمُقَعْطَر من عَبْد القيْس.

وقوله: «قسَطوا» أى جَارُوا، يقال قَسَط فهو قاسطٌ، إذا جار، قال اللهُ جلَّ ثناؤُه: ﴿وأَمَّا القَاسطونَ فكانوا لجَهَنَّم حطَباً﴾[1]. ويقال: أَقْسَط يُقْسِط فهو مُقْسِطٌ، إذا عَدَلَ، قال الله تَعالى: ﴿إنَّ الله يحبُّ المقْسطينَ﴾[2].

وكان بَدْرُ بن الهُـذيل شجاعاً، وكان لَّحانَـة، فكان إذا أَحَسَّ بالخوارج نادَى ياخَيْلِ[3] الله اركَبى، وله يقولُ القائلُ:

وإذا طَلَبْتَ إلى المهلَّب حاجةً ... عَرَضَتْ تَوَابعُ دُونَه وعَبِيد

العبدُ كُرْدُوس وعَبْد مِثْلُه ... وعِلاَجُ بَاب الأحْمَرينِ شَديدُ

كُرْدوسٌ: رَجُلٌ من الأزد، وكان حاجبَ المهلَّب، وقولهُ: «عِلاَجُ باب الأحمرين شديدُ»، العربُ تُسَمِّى العَجَمَ الحمراءَ، وقد مَرَّ تفسير ذا.

وقوله: «تَوابعُ» أرادَ به الرجال، فجاز فى الشِّعْر، وإنما رَدَّهُ إلى أصله للضَّرورة، وما كان من النعوت على «فَاعِل» فَجَمعه «فاعلون» لئلا يلتبسَ بجمع «فاعلة» التى هى نعتٌ. وقد قلنا فى هذا ولَمَ قالوا: فوارسُ وهَالكُ فى الهوالِك.

وكان بشرُ بن المغيرة أبلَى يومئذ بلاءً حسناً عُرِفَ مكانُهُ فيه، وكانت بينه وبين بَنى المهلب جَفْوَة، فقال لهم: يابَنى عَمٍّ، إنِّى قد قصَّرْتُ عن شكَاة العاتب، وجاوَزْتُ شكَاة المُسْتَعْتب[4]، حتى كأَنِّى لا مَوْصُولٌ ولا مَحْرُوم، فاجعلوا لى فرجَة أَعِشْ بها وهَبُونى أمْرأً رَجَوْتُم نصْرَهُ، أو خِفْتم لسانَه. فرَجَعوا له ووَصلُوا. وكلَّموا فيه المهلَّبَ فوصلَه.

ووَلى الحجاجُ كَرْدَماً فارسَ، فوجَّهه الحجاجُ إليها والحربُ قائمة، فقال رجل من أصحاب المهلَّب:

ولو رآها كَرْدَمٌ لكَرْدَمَا ... كَرْدَمَة العَيْرِ أحسَّ الضَّيْغَمَا

الضَّيْغُم: الأسدُ، والكَرْدَمةُ: النّفورُ.

* * *

(١) سورة الجن. (٢) سورة الحجرات ٩

(٣) بكسر اللام، وهو موضع اللحن. (٤) العاتب: الساخط. والمستعتب: طالب الرضا.

فكَتَب المهلب إلـى الحجاج يسأله أن يـتجافى له عن إصْطَخْـرَ ودَرَاب جرْدَ لأرْزاقِ الجُنْد ففـعل، وقد[1] كان قطَـرىٌّ هَدَمَ مدينة إصْطَـخْرَ، لأنَّ أهلهـا كانوا يكاتبونَ المهـلب بأخباره، وأراد مثلَ ذلك بمدينـة فَسَا، فاشتـراها منه آزادْ مردُ بنُ الهرْبذ بمائـة ألفِ درهمٍ فلم يهدمهـا، فواقعه المهلَّب فـهزمه، ونفاه إلـى كرمانَ، واتَّبَعَهُ ابْنه المغيرة وقد كان دفع إليه سـيفاً وجَّهَ به الحجاجُ إلى المهلّب، وأقسم عليه أن يتقلده، فدفعه إلـى المغيرة بعد ماتقلّد به، فرجع به المغيرةُ إلـيه وقد دمَّاه، فَسُرَّ المهلَّـب بذلك وقـال: مـايَسُـرُّنى أن أكـونَ كنتُ قـد[1] دَفعْـتُه إلى غـيرك من وَلَدى، اكفنى جبايـة خراج هاتين الكَورتَيْنِ، وضَمَّ إليه الرُّقَادَ، فَجَعَـلا يَجْبيَانِ ولا يُعطيَانِ الجُنْدَ شيـئاً، ففى ذلك يقول رجلٌ منهم، وأحْسِبُـه من بنى تميمٍ، فى كلمة له:

ولو عَـلم ابنُ يـوسفَ مـانُـلاَقى ... مـن الآفـات والـكُـرَبِ الشّـدَادِ
لفـاضـتْ عـينُه جَــزَعَـا علينَـا ... وأصْلَحَ مـا اسْـتطاعَ من الـفسـادِ
ألا قُلْ لـلأمـيـرِجـزيـتَ خـيـراً ... أرحْـنَا مـن مُـغـيــرةَ والرُّقَــادِ
فـمـا رَزَقـا الجنودَ بهـا قَـفـيـزاً ... وقد سـاسَتْ مَطامـير الحـصادِ[2]

يقال: سَاسَ الطعامُ وأسَـاسَ، إذا وقع فيه السُّوس، ودَادَ وأَدَادَ، من الدُّود، ورَوَى أبو زيدٍ: «دِيدَ فهو مَدودٌ» فى هذا المعنى.

فحاربهم المهـلب بالسيرَجَانِ حتى نفـاهم عنها إلى جيرفْتَ، واتبَـعهم فنزل قريباً منهم، واختلفت كلمتهم.

وكان سبب ذلك أن عـبيدة بن هلال اليشكرىَّ اتهـم بامرأة رجلٍ حدادٍ رأوه مراراً يدخل منزلَهُ بغير إذن، فأَتَوْا قَطرياً فذكروا ذلك لهُ، فقال لهم: إن عَبيدةَ من الدين بحيثُ عَلمْتم ومن الجهاد بحيثُ رأيتم فقالوا: إنَّا لانُقارُّه[3] على الفاحشة، فقال: انصرفوا، ثم بَعَثَ إلى عَبيدة فأخبره وقال: إنا لانُقارُّ على الفاحشة، فقال: بَهَتونى[4] ياأميـر المؤمنينَ. فما ترَى؟ قـال: إنى جامعٌ بينَك وبينهم، فـلا تخْضعْ خُضوعَ المذْنب، ولا تَـتطَاوَلَ تَطاولَ البرىء. فجَمَعَ بينـهم فتكلَّموا، فقام عَـبيدة

---

(١) ساقطة من ر.
(٢) المطامير: جمع مطمورة، وهى حفرة تحت الأرض تخبأ فيها الحبوب.
(٣) من المقارة وهى السكون والطمأنينة. (٤) بهتونى: قالوا على مالم أفعل.

فقال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إن الذين جاءوا بالإفْك عُصْبَـةٌ منكُمْ لاتَحْسبُوهُ شرًّا لكُمْ بلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[1] الآيات فبَكَوْا وقاموا إلَيه فاعْتَنقُوه. قالَ: استَغفرلنَا. فَفَعَلَ. فـقال لهم عبدُ رَبِّه الصغيـرُ مولى بنى قيس بن ثَعْلَبَـةَ: والله لقدخَدَعكم، فبايَعَ عـبدَ ربّه منهم ناسٌ كثيـرٌ لم يظْهروا ولم يَجِـدوا على عَبيدة فى إقـامه الحد ثَبتاً.

* * *

وكان قَطْرىٌّ قد استـعمل رجلا من الدَّهَاقين فظهرتْ له أموالُ كـثيرة. فأَتوْا قَطَرِيًّا فقالوا: إن عمر بن الخطاب لم يكن يُقارُّ عمَّاله على مثل هذا، فقال قَطَرِىٌّ: إنى استـعملته ولـه ضِيَاعٌ وتجارات، فـأَوْغَرَ ذلك صدورهم، وبَـلَغ ذلك المهلّب، فقال: إن اختلافَهم أشدَّ عليهم منِّى.

وقالوا لقطرىّ: ألاَ تَخْرُجُ بنا إلى عدوِّنا؟ فـقال: لا، ثم خرج. فقالوا: قد كذب وارتَدَّ! فـاتبعوه يوماً فـأَحَسَ بالشَّرِّ، فدخـل دارًا مع جماعة من أصـحابه، فصاحوا به: يادابَّة، خْرِج إلينا. فخرج إليهم. فقال: رجَعْتم بَعْدى كفاراً! فقالوا: أَوَلسْتَ دابَةً! قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ومَا منْ دَابَّة فى الأرض إلاّ عَلَى الله رزقُهَا﴾[2]، ولكنك قد كفـرتَ بقولك: إنَّا قد رَجَعْنا كفَّاراً، فتـب إلَى الله عزَّ وَجلَّ، فشاور عَبيدَةَ. فقال: إن تُبْت لم يَقبلُوا منك، ولكـن قُلْ: إنما استفهمتُ فقلتُ: أرجعتم بعدى كفاراً؟ فقال ذلك لهم. فقبلوا منه. فرجَع إلى منزله. وعَزَمَ أن يبايعَ المَعْطَر العَبدىَّ، فكرهه الـقومُ وأبَوْهُ، فقال له صالح بن مخـراق عنه وعن القوم: أبغِ لنا غيرَ المقعْـطَر. فقال لهم[3] قطرىٌّ: أرَى طول الـعهـد قد غَيـركُمْ، وأنتم بـصَدَد عَدوِّكُمْ. فاتَّقُوا الله وأَقْـبلُوا على شأنكم. واستعدُّوا للقاء القـوم. فقال صالح بن مخْرَاق: إن النَّاسَ قَـبْلَنَا قد[3] سَامُوا عـثمانَ بنَ عفَّـانَ أَن يَعْزلَ عنهم سعـيدَ بن العاصى فـفعَلَ، ويجب على الإمام أن يُعْـفىَ الرعيةَ مما كَرهـتْ. فأبى قطَرىٌّ أن يعزلَه، فقال له القـومُ: إنّا خلعناك وولّينا عَبْدَ ربِّه الصغيرَ، فـانفصل إلى عبد ربه أكثرُ مـن الشطْر، وجلّهُمْ الموالى والعَـجَمْ، وكان هناك منهم ثمـانية آلاف. وهم القُرَّاءُ. ثم ندم صالِحُ بنُ مخْرَاق. فقال لقـطرىٍّ: هذه نفحة من نفحات الشّيطان.

(١) سورة النور ١١ وما بعدها. (٢) سورة هود ٦.

(٣) ساقطة س ر

فأعفنَا من المُقَـعْطَرِ وسرْ بنا إلى عدوّك، فأبى قطريٌّ إلاّ المقَعْطَر، فَـحَمَلَ فتًى من العرب على صالح بن مخراق، فطعنه فأنفْذه وأجَرَّهُ الرمحَ فقتَلَه.

ومعنى «أجَرَّهُ الرمحَ» طعنه وترك الرمحَ فيه. قال عَنْترةُ:

وآخـرَ مـنهـمُ أجْـرَرْتُ رمـحى ... وفى الـبَـجَـلىِّ مَـعْـمَـلَةٌ وَقِـيع

فَنَشَبَت الحربُ بينهم، فتهايجُوا، ثم انحاز كلُّ قومٍ إلى صاحبهم. فلما كان الغدُ اجتمعو فَـاقتتلوا قتالا شديداً، فأجْلت الحربُ عن ألْفَى قـتيلٍ، فلما كان الغدُ باكروهم القتالَ، فلم ينتصف النهارُ حتى أخرجت العجمُ العربَ من المدينة. وأقام عبدُ ربـه بها. وصار قَطَرِىٌّ خارجـاً من مدينة جيـرفتَ بإزائهم، فقال له عـبيدة: ياأميرَ المؤمنيـن، إن أقمتَ لم آمَنْ هذه العبيدَ عليـك إلاّ أن تُخَنْدِقَ، فَخنْدَقَ على باب المدينة، وجعل يُناوشهم.

وارتحلَ المهلَّب فكان منهم على ليلة. ورسولُ الحجاج معه يستحثُّه فقال له: أصلح اللهُ الأميرَ! عاجلْهُمْ قبلَ أن يصطلحـوا، فقال المهلَّب: إنهم لن يصطلحوا، ولكن دَعْـهُمْ، فإنهم سيـصيرون إلـى حال لايفلحـون معها، ثـم دَسَّ رجلا من أصحابه فقال: إيت عَسْكرَ قطَـرىٍّ فقلْ: إنى لم أزلْ أرَى قطريًّا يُصيب الرّأىَ حتى نزلَ منزلهَ هذا فبانَ خَطَؤه، أنقيمُ بين المهلَّب وعَبْد ربِّه. يغاديه هذا القتالَ ويُراوحهُ هذا! فنمى الـكلامُ إلى قطَرىٍّ. فقـال: صَدَقَ. تَنَحَّـوْا بنا عن هذا الموضـع، فإن اتَّبعَنَا المهلب قاتلناه، وإن أقام على عبد ربه رأيتم فيه ماتحبون، فقال له الصَّلْتُ بن مُرَّة: ياأمير المؤمنين، إنْ كنتَ إنما[1] تريدُ اللهَ فأَقْدمْ عـلى القوم، وإن كنت إنما[1] تريد الدنيا فأعْلِمْ أصحابك حتى يَسْتأمنوا، وأنشأ الصَّلْت يقولُ:

قُل للـمُحـلِّينَ قـد قَرَّتْ عُـيـونُكُمُ ... بفـرْقة الـقومِ والبَـغْـضاء والهَـرب
كنـاَ أنَاسـاً على ديـنٍ فـغَـيَّـرنَا ... طولُ الجَـدال وخَلْطُ الجِدِّ بـاللعب
ما كـان أغنَى رجالاً ضَـلَّ سَعْيُـهُمُ ... عن الجَـدال وأغنـاهُم عن الْخَـطَب
إنى لأهْوَنُـكُمْ فى الأرض مُضْـطَرباً ... مالِى سِوَى فَرَسِى والرمْحِ مِنْ نشَب

ثم قال: أصبحَ المهلّب يرجو منّا ما كنَّا نطمعُ فيه منه، فارتحل قطرىٌّ، وبلغ ذلك المهلَّب، فقال لِهُرَيم بن عَدِىٍّ بن أبى طَحْمَةَ المُجَاشعِىِّ: إنى لا آمَنُ أن يكون

(١) ساقطة من ر.

قطريٌّ كادنَا بتركِ موضعه. فاذهب فَتَعَرَّف الخبر، فمضَى هُرَيْمٌ فى اثنى عشر فارساً. فلم ير فى العسكر إلاّ عبداً وعلْجاً. فسألهما عن قطرى وأصحابه، فقالا: مَضَوْا يرتادون غيْرَ هذا المنزل. فرجعَ هُرَيمٌ إلى المهلَّب فأخبره، فارتحلَ المهلَّب حتى نزلَ خنَدْقَ قطريٍّ، فجعل يقاتلهم أحياناً بالغداة، وأحياناً بالعشىِّ، ففى ذلك يقولُ رجلٌ من سَدُوسَ، يقالُ له المُعْنق، وكان فارساً:

ليتَ الحرائرَ بالعراق شَهدْنَنا ... ورأيْنَنا بالسَّفْحِ ذي الأجْبالِ

فَنَكَحْنَ أهلَ الجزْءِ من فرْسانِنا[1] ... والضَّاربينَ جَماجمَ الأبْطالِ

* * *

ووجّه المهلّب يزيدَ إلى الحجاج يُخْبرُه أنه قد نَزَلَ منزلَ قطريٍّ، وأنه مقيمٌ على عبد ربِّه. ويسألُه أن يُوَجِّهَ فى أثرِ قَطَرِيٍّ رجلا جَلْداً فى جيش، فسَرَّ ذلك الحجاجَ سروراً أظْهَرهُ، ثم كتب إلى المهلّب يستحثُّه مع عُبَيْدِ بن مَوْهَبٍ وفى الكتاب:

اما بعدْ. فإنكَ تَتَراخَى عن الحرب حتى تأتيك رُسُلى، فَتَرجعَ بُعذْرِك، وذلك أنّك تَمْسكُ حتى تَبْرأَ الجراحُ، وتُنْسَى القتلَى، ويَجِمَّ النَّاسُ[2]. ثم تَلْقاهم فَتَحْتَملُ منهم مثلَ مايَحْتَملُون منك من وَحْشَة القتل، وألَم الجراح، ولو كنتَ تلْقاهم بذلك الجدِّ لكان الداءُ قد حُسِمَ، والقرْنُ قد قُصِمَ[3]. ولَعَمرى ما أنتَ والقومُ سَواء؛ لأنَّ من ورائك رجالاً وأمامَك أموالاً. وليس للقوم إلاّ مامعهم. ولا يدْركُ الوَجيفْ بالدَّبيب، ولا الظّفَرُ بالتَّعْذير.

فقال المهلّبُ لأصحابه: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أرَاحكُمْ من أقران أربعَة: قطريٍّ ابن الفَجَاءَة. وصالح بن مخْراق، وعَبيدةَ بن هلاَل، وسعْد الطلائع، وإنما بينَ أيديكُم عبدُ ربِّه، فى خشارٍ من خُشَار[4] الشيطانَ. تقتلونَهم إن شاء الله. فكانوا يتغَادَوْنَ القتالَ ويتَرَاوَحُون، فتصيبُهم الجراحُ، ثم يتحاجَزُون كأنما انصرفوا من

---

(١) أهل الجزء: أهل الكفاية والغناء فى الحرب.

(٢) يجم الناس: يسترخون.

(٣) قصم قرن الخوان: كسره، ضربه مثلا لهلاك القوم.

(٤) الخشار: الردىء من كل شىء

مجلس كانوا يتحدثون فيه. فيضحك بعضهم إلى بعض، فقال عُبَيْد بنُ مَوْهب للمهلّب: قد بان عذْرُكَ. وأنا مخبرٌ الأميرَ. فكتب المهلّب إليه:

أمَّا بعدُ: فإنى لم أعْط رسلَك على قول الحقّ أجراً، ولم أحْتَجْ منهم مع المشاهدة إلى تَلْقين. ذكرتَ أنِّى أجمُّ القومَ، ولابدَّ من راحة يستريح فيها الغالب، ويحتالُ فيها المغْلوب، وذكرتَ أنَّ فى ذلك الجَمام مايُنسى القتْلى، وتبرأ منه الجراحُ، وهيهاتَ أن يُنْسَى ماييننا وبينهم، تأبى ذلك قتْلَى لم تَجَنَّ، وقروحُ لم تَتَقرَّف[١]. ونحنُ القوم على حالة، وهم يرْقُبونَ منَّا حالات، إن طَمِعُوا حَارَبُوا. وإن مَلُّوا وَقَفُوا، وإن يَئِسُوا انْصرَفُوا. وعلينا أن نُقاتلهم إذا اقاتلوا، ونَتَحرَّز إذا وَقفُوا، ونَطْلُب إذا هَرَبُوا، فإن تركْتَنى والرأى كان القَرْنُ مَقْصوماً، والداءُ بإذن الله مَحْسُوماً، وإن أعجلتَنى لم أطعْكَ ولم أعص، وجعلت وَجْهى إلى بَابك. وأنا أعوذ بالله من سخَطِ الله، ومَقْتِ الناسِ.

* * *

ولما اشتدَّ الحصارُ على عبد ربِّه قال لأصحابه: لاتفتقروا إلى من ذهب عنكم من الرجال، فإن المسلمَ لايفتقر مع الإسلام إلى غيره. والمسلمُ إذا صَحَّ توحيده عزَّ بربه. وقد أراحكُم الله من غلْظَة قطَرِىٍّ. وعَجَلَة صالح بن مخراق ونخْوته، واختلاط عَبيدَة بن هلال، ووَكَلَكُمْ إلى بَصائركم؛ فالقَوْا عَدُوَّكم بصبر ونية، وانتقلوا عن منزلكم هذا، مَنْ قُتِلَ منكم قتِلَ شهيداً، ومَنْ سَلم من القتل فهو المحرومُ.

وقَدمَ فى هذا الوقت على المهلّب عُبَيْدُ بنُ أبى رَبيعةَ بن أبىْ الصَّلْت الثقفىُّ، يَسْتَحثُّه بالقتال، ومعه أَمينَان، فقال له: خالفتَ وصيةَ الأمير، وآثرتَ المدافعةَ والمطاولةَ، فقال له المهلّب: ما تركتُ جُهْداً، فلما كان العَشىُّ خرج الأزارقةُ وقد حملوا حُرَمَهُمْ وأَموالَهم وخفَّ متَاعهم لينتقلوا، فقال المهلّب لأصحابه: الزموا مَصَافَّكُمْ، وأَشْرِعُوا رماحكم[٢]، ودَعوهم والذَّهَابَ. فقال له عُبَيْدٌ: هذا لعمْرى أيسَرُ عليك، فقال للناس: رُدُّوهم عن وَجْهِهم[٣]. وقال لبنَيه: تَفَرَّقُوا فى الناس،

---

(١) لم نتقرف: لم تنقشر ولم تيبس.

(٢) أشرع الرمح: صوبه. (٣) «وجههم».

وقال لعُبَيْد بن أبى ربيعة: كنْ معَ يـزيدَ فَخُذْهُ بالمحاربة أشدَّ الأخْـذ، وقال لأحد الأمينَيْنِ: كَن مع المـغيرة ولا تُرَخصْ له فى الفُتـور، فاقتتلوا قتـالاً شديداً، حتى عُقـرَتِ الدوابّ وصُرِعَ الفُرسـانُ، وقُتلَت الرجال، فـجعلت الخوارجُ تقـاتلُ على القَدَحِ يؤخذ منها والسَّوطِ والعلْق الخَسيسِ أشد قتال، وَسَقَطَ رمحٌ برجلٍ من مراد من الخوارجِ، فقاتَلوا عليهِ حتى كَـثَر الجراحُ والقتلُ، وَذلك مع المَغْربِ، وَالْمرادِىُّ يقولُ:

الـلـيْـلُ لـيْل فـــيـــه وَيْلٌ وَيـــل ... وسـالَ بـالقـوم الـشُّـرَاةِ السَّـيَلُ

إن جاز للأعداءِ فينا قَوْلُ

فلمـا عظـم الْحطْب فـيـه بعثَ المـهلَّب إلى المـغيـرة[١]: خَـلِّ لهـم عـن الرمح،عليهم لعنة الله[١]. فخلوا لهم عنه.

ثم مَـضَتِ الخوارج حتـى نزلوا على أربعـة فراسخَ من جـيرُفْتَ، ودخلـها المهلَّب،فأمر بجَـمع ما كان لهم فيها من المَتَاع ومـا خَلَّفُوه من دقيق[٢] وختَم عليه هو والثّقفىُّ والأمينَان، ثم اتَّبعهم، فـإذا هُم قد نَزَلُوا على عينٍ لا يَشْرَب منها إلاّ قوىٌّ، يأتى الرجلُ بالدَّلْو قد شَدّها فى طَرَف رمحه فيـستْقى بها، وهناك قرية فيها أهلها، فغاداهُم القتالَ، وضمَّ الثقفى إلى يزيدَ، وأحدَ الأمينَيْن إلى المغيرة، واقتتلَ القومُ إلى نصف النهـار، فقال المهلّب لأبى عَلْقمـة العَبْدىِّ- وكان شجاعـا عاتياً: اَمْددْ بـخَيْلِ الْيـحْمَد، وقُـل لهم: فَلْيـعيرُونَا جـمَاجـمهمْ سـاعة، فقـال له: إنّ جَمَـاجمَهُمْ ليـست بفَخـار فتُعَـار، وليستْ أعناقُـهم كَرادن[٣] فتنبُـت- قال أبو العباس[٤]: تقول العربُ لأعْذَاقِ النَّخْل: كرادن، وهو فارسىٌّ أعرِبَ-

وقال لحبيب بن أَوْسٍ: كُرَّ على القوم، فلم يفعلْ، وقال:

يقـولُ لـىَ الأمـيـرُ بغـيـر عـلمٍ ... تَـقَـدمْ حـيـنَ جَـدَّ به المـرَاسُ
فـمـالى إنْ أطَـعتُـكَ من حـيـاةٍ ... ومـالـى غَـيْـرَ هـذا الرأسِ راس

(١-١) ر«خل عن الرمح عليهم لعنهم الله» والأجود ما أثبته عن الأصل، س.
(٢) ر. «رقيق». وما أثبته من الأصل، س. (٣) ر: «كرادى».
(٤) ر «أبو الحسن الأخفش». وما أثبته من الأصل، س.

نَصب: غير، لأنه استثناءٌ مُقدّمٌ، وقد مَضَى تفسيرُه.

وقال لَمعْن بن المغـيرة بن أبى صفْرةَ: احْملْ، فـقال: لا، إلاّ أن تزَوّجَنى أمَّ مالك بنت المهلّب، ففعلَ، فحملَ على القوم فكَشَفَهم، وطَعَنَ فيهم، وقال:

لَيتَ مَنْ يَشْتَرى الغَداةَ بمال ... هُلْكَه اليومَ عندنَا فيرانا
نَصِلُ الكَرَّ عندَ ذاكَ بطَعْنٍ ... إنَّ لِلْمَوْتِ عندَنا أَلْوانَا

ثم جَالَ الناسُ جَوْلَة عند حَمْلة حَمَلَها عليهم الخوارجْ، فالتفتَ عند ذلك المهلّب إلى المغيرة فقال: ما فَعَل الأميـنُ الذى كان معك؟ قال: قتلَ، وكان الثقفى قد هَرَبَ، وقال ليزيدَ: ما فعلَ عُبَيْدُ بن أبى ربيعةَ؟ قال: لَم أَرَه منذُ كانت الجولةْ، فقال الأميـنْ الآخرْ للمغيرة: أنت قتلتَ صاحبى، فلما كان العَشىُّ رجَعَ الثقفىُّ، فقال رجلٌ من بنى عامرِ بن صَعْصَعَةَ:

مـا زلتَ يا ثَقَفىُّ تَخطب بينَنَا ... وتغُمُّنا بوصيَّة الحجَّاجِ
حتى إذا ما الموتُ أقبلَ زَاخراً ... وسمَا لنا صِرْفاً بغَير مِزَاجِ
وَلَّيْت يا ثَقَفىُّ غيرَ مُنَاظِر ... تَنْسابُ بين أحِزَّةٍ وفِجَاجِ
ليستْ مقارعةُ الكماةِ لدَى الوَغَى ... شُرْبَ المُدامَةِ فى إنَاءِ زُجاجِ

قوله: «بَينَ أحزَّة» هو جمع حَزِيزٍ، وهو مَتْنٌ يَنْقَادُ مِن الأرض ويَغلظ، والفِجَاجُ: الطُّرقْ، واحدُها فَجٌّ.

وقال المهلّبُ للأمين الآخر: ينبغي أن تَتَوَجَّهَ مع ابنى حبيب فى ألف رجل حتَى تبيِّتوا عسكرَهم، فقال: ما تُريدُ أيُّها الأميرُ إلا أن تَقْتُلَنى كما قَتَلت صاحبى قال: ذاكَ إليكَ، وضحك المهلَّبُ، ولم تَكُنْ للقوم خَنادقَ، فكان كلٌّ حذراً من صاحبه، غير أن الطعامَ والعُدَّة مع المهلب، وهم فى زهاء ثلاثين ألفاً، فلما أصبح أشْرَفَ على وادٍ، فإذا هو برجل معه رمح مكسورٌ وقد خَضَبَه بالدماء. وهو يُنْشد:

جَزَانى دوَائى ذُو الْخمَار وصَنْعتى ... إذا بات أطْواءَ بَنىَّ الأصاغرُ
أخادعُهم عنهُ ليُغبَقَ دُونَهم ... وأعْلَمُ غيرَ الظَّنّ أنّى مُغاوِرُ
كأنّى وأبدانَ السَّلاح عَشيَّةً ... يَمرُّ بنا فى بطنِ فيْحَانَ طائرُ

فدعاه المهلّب فقال: أتميمىٌّ أنت؟ قال: نعم، قال: أحَنْظَلىٌّ؟ قال: نعم، قال: أيَرْبوعى؟ قال: نَعمْ. قَال: أثَعْلَبىٌّ. قال: نعم. قال: أَمِنْ آل نُوَيْرَة؟ قال:

نَعم. أنا مِنْ وَلَد مالك بن نَوْيرَةَ، وسبحانُ اللهِ أيُّها الأميرُ! أيكونُ مثْلِي في عسكرك لاَ تعرفه! قال: عرفْتك بالشِّعْر.

قوله «ذو الخِمَار» يعني فرساً وكان ذو الخمارِ فَرَسَ مالك بن نُويرة، قال جريرٍ يهجو الفَرَزْدَقَ:

بيربوع فَخَرْتُ وآل سَعْد	فلا مَجدى بَلَغْتَ ولا افتخارى
بيربوعٍ فوارسُ كلَّ يومٍ	يُوَارى شَمْسَهُ رَهَجُ الغبار
عُتَيْبة، والأحَيْمر وابنُ عَمْرو	وعَتَّابٌ، وفارسٌ ذى الخِمَارِ

قولـه: «أطَواء» يقال: رجلٌ طَوِى البَطنِ، أى مُنْطَو، يُخْبِرُ أنه كان يؤثر فَرَسَه على وَلده، فيشبعُه وهم جياع، وذلك قوله:

*أخَادعُهُمْ عنه ليغبقَ دونهمْ *

والغَبُوقُ شرْبُ آخر النهارِ، وهذا شيءٌ تفخر(١) به العربُ، قال الأشْعَرُ الجُعْفيُّ:

لكنْ قَعيدةَ بيتنا مَجْفوَّةً	بَاد جَنَاجنُ صَدْرِها ولَهَا غنِى(٢)
تقفى بِعيشَة أهلها وثَّابةً	أو جُرْشعاً نَهْدَ المَرَاكلِ والشوى(٣)

* * *

قال: فَمكثُوا أياماً على غير خنَادقَ يتحارسون ودوابُّهم مسْرَجة، فلم يزالوا على ذلك حتى ضَعُفَ الفريقان، فلما كانت الليلةُ التى قُتل فى صبْحتها(٤) عبدُ ربِّه جَمَعَ أصحابَه وقال: يامعشرَ المهاجرين، إنَّ قطريا وعَبيدةَ هَرَبَا طَلَبَ البقاء، ولاَ سبيلَ إليه، فألقوْا عدوَّكم، فإن غلبوكم على الحياة، فلا يَغْلبنَّكم على الموت، فتَلقَّوْا الرماح بنُحوركم، والسيوفَ بوجوهكم، وهَبُوا أنفسكم لله فى الدنيا يَهَبْهَا لكم فى الآخرة.

فلما أصبحوا غَادَوُا المهلّبَ فقاتلوه قتالا شديداً، نُسىَ به ما كان قبْله، فقال رجل من الأزْدِ من أصحاب المهلَّب: منْ يبايعنى على الموت؟ فبايعه أربعونَ رجلاً

---

(١) ر: «تفتخر». (٢) الجناجن: عظائم الصدر.

(٣) الجرشع: المتفخ الجنبين. والمركل: موضع رجل الفارس من الفرس.

(٤) ر: «صبيحتها»

من الأزدِ وغيرهم، فصرع بعضهم وقتل بعضهم، وجرح بعض، وقال عبد الله بن رزَامٍ الحارثيُّ لأصحابِ المهلّب: احْملوا، فقال: المهلب: أعرابى مجنونٌ! وكان من أهلِ نَجرْان، فحَمَـلَ وحدَه، فاخترق القوم حتى نَجَمَ من نـاحيةِ أخرى ثم رجع، ثم كَرَّ ثانية ففعَلَ فَعْلَتَه الأولى، وتهايجَ الناسُ، فَتَرَجَّلت الخوارجُ وَعَقَروا دوابَّهم، فناداهم عَمْرُو القَنَا- ولـم يَتَرَجَّل هو وأصحـابُه من العرب، وكانوا زُهَاءَ أرْبَعمائة: موتوا على ظهور دوابّكم ولا تَعْقروها فقالوا: إنَّا إذا كنَّا على الدواب ذَكَرْنَا الفِرَارَ.

فاقتتلوا، ونادى المهلب بأصحـابه: الأرضَ الأرضَ، وقال لبنيه: تَفَرَّقُوا فى النَّاسِ ليَـرَوْا وجوهَـكم، ونادى الخوارجُ: ألاَ إنّ الـعيَـالَ لمن غَلب. فَـصَبَّـر بَنو المهلَّب، وَصَبَّـر يزيدُ بين يَدىْ أبيه، وقاتل قـتالاً شديداً أَبلى فيه، فـقال له أبوه: يابُنَّى إنى أرَى مَـوْطِناً لا يَنْجُـو فيه إلاَ من صَـبَرَ، وَمَـا مَرَّ بى يومٌ مـثلْ هذا منْذُ مارَسْتُ الحروب.

وكَسَرَت الخوارجُ أجفـانَ سيوفها، وتَجاولوا، فأَجْلَتْ جَـولَتهم عن عَبد رَبِّه مقتـولاً، فَهَرَبَ عَمْرُو القَنَا وأصـحابُه، واستأمنَ قومٌ، وأجلَـت الحرب عن أربعةَ آلاف قتـيل وَجَرْحَى كـثيرٍ من الخـوارج، فأَمَـرَ المهلّب بأن يُدْفَعَ كلّ جـريحٍ إلى عشيرته، وظَفرَ عـسكرهم فَحوَى ما فيه، ثم انصرفَ إلى جيـرفْتَ، فقال: الحمد الله الذى رَدّنا إلى الخَفْـض والدعَة، فما كان عـيشنا بعيشٍ، ثم نَـظَرَ إلى قومٍ فى عسكر لم يعرفْهُـم، فقال: ما أشدَّ عادة السلاح! نَاوِلْنى دِرْعى. فلبـسها ثم قال: خُذُوا هؤلاء، فـلما سيـرَ بهم إليه قـال: ما أنتم؟ قالـوا: نحن قوم جئنـا لِنطْلُب غرَّتَك لنَفْتَك بك، فأمر بهم فقُتلوا.

* * *

قال أبو العـباس: وَوَجَّهَ المهلَّب كَعْب بـن مَعْدَانَ الأشْقرى، ومـرَّةَ بن تليد الأزدىَّ. من أزدِ شنوءةَ. فوفد على الحجاج، فلما طَلَعَا عليه تقدّم كعْب فأنشده:

يا حَفْصَ إنِـى عَدَانى عنكم السـفر ... وقد سَهِرْتَ فـأَوْدَى نَوْمِىَ السَّهَرُ (١)

فقال له الحجاجُ: أشاعرٌ أم خطيب؟ قـال: كلاهما، ثم أنشده القصيدة. ثم أقبل عليه فقال له: أخبرنى عن بَنى المهلب، قال: المغيرةُ فارسُهم وسيِّدُهم، وكَفَى

(١) وضع الشطر الثانى فى ر بين علامتى الزيادة، وهو غير زائد فى الأصل، س.

بيزيدَ فارساً شجاعاً! وجوادُهم وسخيُّهم قَبيصةُ، ولا يَستَحْيِي الشجاعُ أن يَفرَّ من مُدْرِك، وعبدُ الملك سمٌّ نَاقِعٌ، وحبيب موت زُعافٌ، ومحمدٌ ليثُ غاب، وكَفاكَ بالمفضَّلِ نَجْدَةً! قال: فكيف خَلَّفْتَ جَماعةَ الناس؟ قال: خلّفْتُهم بخير، قد أدركوا ما أمَّلوا، وأمنوا ماخافوا. قال: فكيف كان بَنُو المهلّب فيهم[1]؟ قال: كانوا حماةَ السَّرْحِ نهاراً. فإذا أَليَلُوا ففُرسانُ البَيَات، قال: فأيُّهم كان أَنْجَدَ؟ قال: كانوا كالْحَلْقَة المفرَغة، لا يُدْرى أين طرفها، قالَ: فكيف كنتم أنتم وعدوّكم؟ قال: كنَّا إذا أخذنَا عفَونَا، وإذا أَخَذَوا يئسنا منهم. [2]إذا اجتهدوا واجتهدنا بلغنا فيهم[2] آمالنا إدراك الفرص منهم، فقال الحجاجُ: إنَّ العاقبة للمتقين، كيف أفلَتكُمْ قطريٌّ؟ قال: كدْناه ببعض ما كادَنَا به، فَصِرنْا منه إلى التى[3] نُحب، قال فهَلا أتَّبعتموه؟ قال: كَان الحدّ عندنا آثرَ من الفلّ. قال: فكيف كان لكَم المهلب وكنتم له؟ قال: كان لنا منه شَفَقَةُ الوالد، وله منّا برُّ الولد، قال: فكيف اغْتباطُ الناس؟ قال: فَشَا فيهم الأمْنُ، وشملَهُمُ النَّفلُ، قال: أَكنْتَ أعددتَ لى هذا الجوابَ؟ قال: لا يعلمُ الغيب إلاَّ الله، قال: فقال: هكذا تكونُ والله الرجالُ! المهلَّب كان أعلَمَ بك حيثُ وَجَّهَكَ.

وكان كِتابُ المهلب إلى الحجاج:

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الكافى بالإسلام فَقْدَما سواهُ، الذى[4]وصلِ المزيد بالشكر، والنعمة بالحمد، وقضى ألاّ ينقطع المزيد منه[4] حتى يَنْقَطِع الشُّكْر من عباده.

أمَّا بعد، فقد كان من أمرنا ما قد بَلغَكَ، وكنا ونحن وعدوُّنا على حالين مختلفين، يسرنا منهم أكثر مما يَسُوءنا، ويسوءهم منَّا أكثرْ مما يَسُرُّهم، على اشتداد شوكتهم، فقد كان علَنَ أمرهُم حتى ارتاعتْ له الفَتاةُ. ونُوِّمَ به الرَّضِيعُ، فانْتَهزْتُ منهم الفُرْصةَ فى وقت إمكانها، وأدنيتُ السَّوادَ من السَّواد، حتى تعارفَت الوجوهُ، فلم نزل كذلك حتى بَلَغَ الكتابُ أَجلُه. ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لله رب العالمين﴾[5].

---

(١) ر «فيكم».

(٢-٢) كذا فى الأصل، س. وفى ر. «وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم».

(٣) ر «الذى».

(٤-٤) كذا فى الأصل، س، وفى ر «الذى حكم بألا ينقطع المزيد منه». (٥) سورة الأنعام ٤٥.

فكتب إليه الحجاج:

أمَّا بعد، فإن الله عزَّ وجلَّ قد فَعَلَ بالمسلمين خيراً، وأراحهم من حَدّ الجهاد، وكنتْ أعلمْ بما قَبَلكَ. والحمد لله رب العالمين ـ فإذا وَرَدَ عليك كتابى هذا فاقسم فى المجاهدين فيْئَهمْ، ونفلِ الناس على قَدْرِ بلائهمْ، وفَضِّل مَنْ رأَيْتَ تفضيله، وإن كانتْ بقَيتْ من القوم بَقيةٌ فخَلِّف خيلا تقومْ بإزائهم، واستَعْمِل على كَرْمَانَ مَنْ رأَيْتَ وَوَلِّ الخيلَ شهْمًا من ولَدكَ، ولا تَرَخَّصْ لأحد فى اللحَاقِ بمنزله دون أنَ تَقْدَمَ بهم عليَّ، وعَجِّل بالقدوم. إن شاء الله.

فولى المهلب ابنه يزيدَ كرْمَانَ. وقال له: يا بُنَيَّ، إنك اليومَ لست كما كنتَ، إنما لَكَ من مال كِرْمَانَ ما فَضَلَ عن الحجَّاج، ولن تُحْتَمَلَ إلاَّ على ما احتُملَ عليه أبوك، فأَحْسنْ إلى مَنْ معك، وإن أنكرت من إنسان شيئًا فوجهه إليّ، وتَفضَّلْ على قوْمِك[(١] إن شاء الله[١)].

* * *

قال أبو العباس: وَقَدِمَ المهلبُ على الحجَّاج فأجلسه إلى جانبه، وأظهر إكرامَه وبرَّهُ، وقال: يا أهلَ العراق، أنتم عبيدُ المهلب، ثم قال: أنت والله كما قال لَقيطُ الإيادىُّ:

وقلِّدوا أمركم لله دَرُّكمْ	رَحْبَ الذِّراعِ بأمْرِ الحرْب مُضْطَلعَا
لا يَطعَمُ النومُ إلاَّ رَيْثَ يبعثه	هَمٌّ يكادُ حَشاهُ يَقصِمُ الضِّلَعَا
لا مُتْرَفًا إنْ رخاء العيش ساعَدَهُ	ولا إذا عضَّ مكروهٌ به خَشَعَا
مازال يَحْلُبُ هذا الدهر أَشْطُرَه	يكون مُتَّبعًا طورًا ومُتَّبعَا
حتى استمرَّتْ على شَزْرٍ مَريرتُه	مُسْتَحْكِمَ الرأى لا قَحْمًا ولا ضَرَعَا

فقام إليه رجل، فقال: أصلحَ الله الأمير! والله لكأنى أسمعُ الساعةَ قطَريًّا وهو يقولُ: المهلَّب كما قال لَقيطٌ الإيادىُّ. ثم أنشد هذا الشعرَ، فسرَّ الحجَّاجُ حتى امتلأ سرورًا.

قوله: «نَفِّل» أى اقْسِمْ بينهم، والنفَلُ: العطيةُ التى تَفْضُلُ. كذا كان الأصلْ. وإنما تفضَّل الله عز وجل بالغنائم على عباده، قال لَبيدُ:

(١ ـ ١) ساقط من ر.

إنَّ تقْــوى ربِّنا خـــيْــرُ نـفَلْ   وبـإذن الله رَيْثُ وَعَـــــجَـل[1]

وقال جل جلاله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ﴾، ويقال: نفَّلْتكَ كذا وكذا. أى أعطيتُك، ثم صار النَّفَلُ لازمًا واجبًا.

وقول الإيادىِّ: «رَحْب الذراع». فالرَّحْب: الواسع، وإنما هذا مَثَلٌ.

يريد واسعَ الصَّـدر متـباعد مـا بين المَنْكِبَـيْن والذراعين، وليس المعنى على تَباعد الخلْق، ولكن على سهولة الأمر عليه. قال الشاعر:

رَحـيـبُ الذراع بالتى لا تَشـيـنُه   وإن قيلَت العَوراْء ضـاق بها ذَرْعا

وكـذلك قـوله جل وعـز: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[2]. وقوله: «مضطَلـعًا» إنما هو «مُفْـتَعِل» من الضَّليع، وهـو الشديد. يريد أنه قـوىٌّ على أمر الحرب، مستقل بها. وقوله: «يكون متَّبعًا طورًا ومتَّبعًا» أى قد اتَّبَعَ الناسَ فعَلِم ما يَصلُحُ به أمـرُ الناس. واتَّبع فعَلَمَ مـا يصلِحُ الرئيسَ. كمـا قال عمـر بن الخطاب رضى الله عنه: قـد ألْنَاوَإيل[3] علينا. أى قـد أصلَحْـنا أمْـورَ الناسَ. وأصلَحتْ أُمُورُنا. وقوله: «على شَـرز مَريرتُه» فهذا مَثلٌ، يقال: شَـزرْتُ الحبل، إذا كَرَّرْتَ فتْله بعـد استحكامه راجـعًا عليه. المَريرةَ: الحبلْ، والضَّـرَعُ: الصَّغيرْ الضـعيفْ، والقحْم: آخر سِنَّ الشيخ، قال العجَّاج:

رأينَ قَـحْـمًـا شـابَ واقلَحـمًـا   طالَ عليـه الدهرُ فـاسْلَهَـمَّـا

وَالْمُقْلَحِمُّ مثل القَحْمِ. وهو الجافُّ، ويقـال للصبىّ مُقلَحمّ. إذا كان سيِّىء الغذاء، أو ابنَ هَرِمَيْن، ويقال: رجلٌ إنقَحْلٌ وامرأة إنقَحْلَةٌ. إذا أَسَنَّ حتى يَيْبَسَ. والمسْلَهِمُّ: الضامر. قال الشاعر:

* لَمَّا رَأَتْنى خَلَقًا إنقحْلا *

ويقال فـى معنى: «قَـحْم» قَحْرٌ، ويقـال: بعيـرٌ قُحَـاريةٌ، فى هذا المعنى. وقـوله: لا يَطْعَمُ النَّوْمَ إلا رَيثَ يَبْـعَـثُـهُ هَمّ. فـ«ريث» وعَـوَضٌ مما يضـاف إلى الأفعال، وتأويلُه أنه لا يَطْعَمُ النومَ إلاَّ يسيرًا حتى يَبعثَه الهمُّ، فمعناه مقدار ذلك.

---

(١) الشطر الثانى ساقط من ر.

(٢) سورة الأنعام ١٢٥.

(٣) س الإبالة: وهى سياسة الحكم.

ومما يضاف إلى الأفعال أسماءَ الزمان، كقوله عز ذكره: ﴿هذا يومُ يَنْفعُ الصادقينَ صدْقهمْ﴾[1]، فأسماء الزمان كلُّها تضافُ إلى الفعل، نحو قولك: آتيكَ يومَ يخرج زيدٌ، وجئتُك يومَ قامَ عبدُ الله، وما كان منها في معنى الماضي جاز أن يضافَ إلى الابتداء والخبر، فتقول: جئتكَ يومَ زَيدٌ أميرٌ، ولا يجوز ذلك في المستقبل، وذلك لأن الماضيَ في معنى «إذ»، وأنت تقول: جئتك إذا زيدٌ أميرٌ، والمستقبلُ في معنى «إذَا»، فلا يجوز أن تقول: أجئتُك إذا زيدٌ أمير، فلذلك لا يجوزُ: أجئتك يومَ زيدٌ أميرٌ. فأما الأفعال في «إذَا» و«إذ» فهي بمنزلة واحدة، تقول: جئتك إذْ قام زيد، وأجيئك إذَا قام زيد، فهذا واضحٌ بَيِّنٌ، ومما يضافُ إلى الفعل «ذو» في قولك: افعلْ ذاكَ بذي تَسْلَمُ، وافعلاَه بذي تسلَمَانِ، معناه: بالذي يُسَلمكماَ، ومن ذلك «آية» في قوله:

بآية تقْدمُون الخيلَ شُعْثًا   كأنّ على سَنَابكها مُدَامَا[2]

والنحو يتَّصلْ ويكثُر، وإنما تركنا الاستقصاءَ لأنه موضعُ اختصار، [3]وقد أتينا على جميع هذا في الكتاب المقتضب[3]. فقال المهلَّب: إنَّا والله ما كُنا أشد على عدونا ولا أَحَدَّ، ولكنْ دَمَغَ الحق الباطلَ، وَقَهَرَت الجماعة الفتنة، والعاقبة للتقوى. وكان ما كرهناهُ من المطاولة خيرًا مما أحببناهُ من العجلة. فقال له الحجاج: صدقتَ، اذكُرْ لي القوم الذين أبلواْ، وصفْ لي بَلاَءَهُمْ، فأمَرَ الناسَ فكتبوا ذلك للحجاج، فقال لهم المهلَّبُ: ما ذَخَرَ الله لكم خيرٌ لكم من عاجل الدنيا إن شاء الله. ثم ذكرهم للحجاج على مَرَاتبهم في البَلاء وتَفاضلهمْ في الغَنَاء. وقَدَّمَ بَنيه: المُغيرَة، ويَزيد، ومُدْركا، وحَبيبًا، وقَبيصَةَ، والمُفَضَّلَ وعبدَ المَلك، ومحمدًا وقال: إنا والله لو تقدّمَهُمْ أحدٌ في البلاء لقدّمتهُ عليهم، ولولا أَنْ أظلمَهم لأخرتُهم. قال الحجاجُ: صدقت. وما أنتَ بأعلمَ بهم مني، وإنْ حضرت وغبْت إنهم لَسُيوفٌ من سيوف الله. ثم ذكرَ مَنْ ابن المغيرة بنَ أبي صُفْرَة والرقَادُ وأشباهَهُما، فقال الحجّاج: أين الرُّقادُ؟ فدخَلَ رجلٌ طويلٌ أَجْنَأ[4]، فقال المهلَّبُ هذا فارسُ العرب، فقال الرقادُ: أيها الأمير، إني كنتُ أُقاتل مع غير المهلَّب، فكنت

(١) سورة المائدة ١١٩.

(٢) نسبه سيبويه في الكتاب (١: ٤٦٠) إلى الأعشى.

(٣ ـ ٣) ساقط من ر.

(٤) من الجنأ؛ وهو ميل في الظهر.

كبعض الناسِ، فلما صِرْتُ مع مَنْ يُلْزِمُنى الصَّبر ويجعلُنى أسوَة نفسه وولده ويجازينى على البلاء، صرتُ أنا وأصحابى فُرْسانًا، فأمر الحجَّاجُ بتفضيل قوم على قومٍ على قَدْرِ بلائهم، وزادَ وَلَدَ المهلبِ ألفينِ، وفعل بالرُّقَّاد وجماعةٍ شبيها بذلكَ.

قال يزيد بن حَبْنَاء من الأزارِقَة:

دَعى اللَّوْمَ إنَّ العَيْشَ ليس بدائمٍ ... ولا تعْجَلى باللومِ يا أمَّ عاصمِ
فإذْ عَجلْت منك الملامة فاسمَعى ... مقالةَ مَعْنىٍّ بحقِّك عالمِ
ولا تَعْذُلينَا فى الهَدية إنما ... تكون الهدايَا من فضول المغانم
فليس بمُهْدٍ مَنْ يكون نَهَارُهُ ... جِلادًا ويمْسى ليلَهُ غير نائمِ
يريدُ ثوابَ الله يومًا بطَعْنة ... غموس كَشَدْق العَنْبَرِى بن سالمِ
أبيتُ وسِرْبالى دلاَصٌ حَصِينةٌ ... ومغْفَرُها والسيفُ فوقَ الحيازمِ[1]
حلفتُ برب الواقفين عَشيَّةً ... لَدَى عرفات حَلْفَةَ غير آثمِ
لقد كان فى القوم الذين لقيتهُم ... بسابور شغلَ عن بروز اللَّطَائمِ
توقَّدُ فى أيديهم زاعبيَّةٌ ... ومُرْهَفَةٌ تَفْرى شئُونَ الجمَاجِمِ

قلت: «مَنْ يكون نهارُه جلادًا ويُمْسى ليلَهُ غيْرَ نائمِ» يريد يمسى هو فى ليله ويكون هو فى نهاره. ولكنه جعلَ الفعلَ لليلِ والنهارِ على السَّعة، وفى القرآن: ﴿بل مكرُ الليلِ والنهار﴾[2]. والمعنى بل مكرُكم فى الليل والنهار، وقال من أهل البَحْرَيْنِ من اللصوص:

أمَّا النهارُ ففى قَيْدٍ وسِلسِلةٍ ... والليُل فى جوفِ مَنحوتٍ من السَّاجِ

وقال آخر:

قد لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلاَنَ فى السُّرى ... ونِمْتِ وما ليلُ المِطىّ بنائم

ولو قال: «مَنْ يكونُ نهارَه جلادًا ويُمْسى ليلَهُ غير نائم».

لكان جيدًا، وذاك أنه أراد من يكون نهاره يجَالِدُ جلادًا، كما تقول: إنما

(١) الدلص من كل شيء البراق، ومنه سميت الدرع دلاسا.
(٢) سورة سبأ ٣٣.

أنت سيَراً، وإنما أنتَ ضربًا، تريد تَسير سَيْرًا، وتضرب ضربًا، فأضمر لعلم المخاطَب أنه لا يكون هو سيرا، ولو رَفَعَه على أن يجْعَلَ الجلاَدَ فى موضع المجالدِ، على قوله: أنت سيْرٌ، أى أنت جائزٌ كما قالت الخنساء:

* فإنما هيَ إقبالٌ وإدبَار *

وفى القرآن: ﴿قُل أَرَأَيْتُمْ إنْ أَصبَحَ مَاؤُكم غَوْرًا﴾[1] أى غائرا، وقد مضى تفسير هذا بأكثر من هذا الشرح. ولو قال: «ويُمْسى ليلَه غير نائم» لجازَ، يصير اسمه فى «يمْسى»، ويجعل «ليلَه»، ابتداءً، و«غير نائمٍ»، خبره على السعة التى ذكرنا.

وقوله: «غمُوس» يريدْ واسعةَ محيطَة، والعَنْبَرِىُّ بن سالم رجلٌ منهم كان يقال له الأشدَقُ، واللَّطَائم: واحدتها: لَطيمةٌ، وهى الإبلْ التى تَحْملْ البزَّ والعطْرَ. وقوله: «تَوَقدُ فى أيديهمْ زاعبيَّةٌ» يعنى الرِّماحَ، والتَوَقدُ للأسنَّة، والزَّاعبيةَ منسوبةٌ إلى زاعب، وهو رجلَ من الخَزْرَجِ كان يعملْ الرماحَ. وتَفْرى: تقَدُّ، يقال فَرَى إذا قَطعَ، وأَفْرى إذا أَصْلحَ.

وقال حَبيبْ بن عَوفٍ من قُوَّاد المهلَّب:

أبا سَعيد جَزَاكَ اللهُ صالحَةً	فقد كفَيْتَ ولم تَعْنف على أحَدَ
دَاوَيْتَ بالْحلْمِ أهلَ الجهلِ فانْقمعُوا	وكنتَ كالوالدِ الحَانى على الولدِ

وقال عَبيدَة بن هلال فى هربهم مع قطرى:

مازالت الأقدارُ حتى قَذَفْتَنى	بقُومَس بين الفُرَّخَان وصُول

ويُرْوَى أنَّ قَاضِىَ قطَرِى، وهو رجلٌ من بنى عبد القيس، سمع قول عَبيدة ابن هلال:

عَلاَ فوقَ عَرْشٍ فوقَ سبعٍ ودُونَه	سَماءٌ تَرى الأَرواحَ من دُونها تجْرِى

فقال له العبدىُّ: كَفرتَ إلاَّ أَنْ تأتىَ بمَخرَج، قال: نعم، رُوحُ المؤمن تعرجُ إلى السماء، قال: صدقت. وقال يذكُر رجلا منهم:

---

(١) سورة الملك ٣٠.

يَطْوى وترفعه الرِّماحُ كأنه ... شِلْوٌ تَنَشَّبَ في مخالب ضارِ[1]
فثوى صَرِيعًا والرماحُ تنُوشه ... إنَّ الشراةَ قصيرةُ الأعمارِ

تَنُوشُهُ: تأخذُه وتتناولُه، وقال الله عز وجل: **﴿وأنى لَهُمُ التناوُش مِنْ مكان بَعيد﴾**[2] أي التناولُ، ومثلُ بيته هذا قولُ حَبيب الطائي:

فيمَ الشَماتَةُ إعْلانًا بأُسْدِ وَغى ... أفْنَاهُمُ الصَّبْرِ إذْ أبقاكُمُ الجزَعُ

وقال أيضًا في شبيهٍ بهذا المعنى:

إنْ يَنْتَحِلْ حَدَثَانَ الموت أنْفسَكُمْ ... ويَسْلَم الناسُ بَيْنَ الحوض والعَطَن
فالماءُ ليس عَجِيبًا أن أعذبه ... يَفْنَى ويَمْتَدُّ عُمْرُ الآجِن الأسِنِ

وقال أيضًا:

عليك سلام الله وَقْفًا فإنني ... رأيتُ الكريمَ الحُرَّ ليس له عُمْرُ

وقال القاسمُ بن عيسى:

أُحِبُّك يا جَنَانُ فأنْت مِنِّي ... مكانَ الرُّوح من بَدَنِ الجبان
ولَوْ أنى أقول مكانَ رُوحى ... لَخِفْتُ عليك بادرةَ الزمان[3]
لإقدامى إذا ما الحرب جاشت ... وهاب حُمَاتَها حُرُّ الطعَانِ

وقال معاوية بن أبي سفيان في خلاف هذا المعنى:

أكان الجبانُ يُرى أنَه ... يُدَافِعُ عَنْهُ الْفِرَارُ الأجَلْ
فقد تدرك الحادثاتُ الجبان ... ويَسْلَمُ مِنْهَا الشجاعُ البَطَلْ

* * *

رجع الحديث:

وقال رجل من عبد قيس من أصحاب المهلَّب:

سَائِلْ بنا عَمْرَو الْقَنَا وَجنُودَهُ ... وأبَا نعامةَ سَيِّدَ الكُفَّارِ

أبو نعامَة: قطريّ.

* * *

(1) الشلو: العضو. (2) سورة سبأ ٥٢.

(3) بادرة الرجل: ما بدر منه من قول أو فعل.

وقال المغيرة بن حَبْنَاء الحنظلىّ من أصحاب المهلَّب:

إنى امرُؤٌ كفَّنى ربِّى وأكرمَنى ... عن الأمور التى فى رَغْيِهَا وَخَمُ
وإنما أنا إنسانٌ أعيشُ كما ... عاشتْ رجال وعاشَتْ قَبْلَهَا أمَمُ
ما عاقنى عن قُفُولِ الْجُنْد إذ قفلوا ... عنى بما صنعوا عَجْزٌ وَلا بَكَمُ
ولو أردتْ قُفولاً ما تَجَهَّمنى ... إذْنُ الأمير ولا الكتاب إذ رقموا
إنّ المهلَّب إن أَشْتَقْ لرؤيَتِه ... أو أَمتدحْه فإنّ الناس قَدْ علموا
إن الأريب الذى تُرْجَى نوافله ... والمستَعانَ الْذى تَجْلَى به الظُّلَمُ
القائلُ الفاعلُ الميمون طائره ... أبو سعيد إذا مَا عُدَّت النعم
أزْمَانَ أَزْمَانَ إذ عَضَّ الحديد بهم ... وإذْ تَمَنَّى رِجالٌ أنهم هُزِموا

* * *

قال أبو العباس: وهذا الكتاب لم نبتدئه لتتصل فيه أخبار الخوارج ولكن ربما اتصل الشىء بالشىء، ويقترح المقترح ما يفسَخُ به عزمَ صاحب الكتاب، ويصده عن سنته، ويزيلُه عن طريقه.

ونحن راجعون إن شاء الله إلى ما ابتدأ له هذا الكتاب، فإن مرَّ من أخبار الخوارج شىء مرَّ كما مرَّ غيره، ولو نَسَقناه على ما جرى من ذكرهم لكان الذى يلى هذا خَبَرُ نَجْدَة، وأبى فديك، وعمارة الرجل الطويل. وشبيب. ولكان يكون الكتاب للخوارج مخلصا.

تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع

وأوله:

باب فى اختصار الخطب والتحميد والمواعظ.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الكامل

في اللغة والأدب

لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد

عارضه بأصوله وعلق عليه

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الرابع

الطبعة الثالثة

١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة .

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٢٧٨٠١

باب

فى اختصار الخُطب والتحميد والمواعظ

(نبذ من كلام الحكماء فى الموعظة)

قال أبو العباس: كان الحسنُ يقول: الحمد لله الذى كَلَّفَنا ما لو كَلَّفَنا غيرَه لَصِرْنَا فيه إلى معصيته، وآجَرَنا على ما لا بُدَّ لنا منه.

يقول: كلَّفَنا الصبرَ، ولو كلَّفنا الجَزعَ لم يمكنا أن نُقيم عليه وآجَرَنا على الصبر، ولابدَّ لنا من الرجوع إليه.

وكان علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه [1] يقول عندَ التعزية: عليكم بالصبر، فإنَّ به يَأْخُذُ الحازمُ، وإليه يَلجَأُ [2] الجازعُ.

وقال للأشْعَث بن قيْس: إنْ صبَرْتَ جَرَى عليكَ القَدَرُ وأنتَ مَأجورٌ وإنْ جزَعْتَ جَرَى عليك القَدَرُ وأنت مَوْزور.

وقال الخُزَيْمىُّ:

ولو شئت أن أَبْكِى دَمًا لبكيتُهُ عليه، ولكِنْ ساحةُ الصَّبرِ أوْسَعُ [3]

وفى هذا الشعر وإن لم يكن من هذا الباب:

وَأَعْدَدْتُهُ ذُخْرًا لكلِّ مُلِمَّةِ وسَهْمُ المَنايَا بالذَّخائِر مُولَعُ

---

(١) ر: «صلوات الله عليه».

(٢) ر، س: «يعود».

(٣) قبله:

وانى وإن أظَهَرْتُ فىَ جَلاَدَةً وَصَانعتُ أعْدَائى عَلَيْه لَمُوجَعُ
ملكتَ دُمُوعَ العَيْنِ حَتَّى رَدَدْتُها إلى نَاظِرِى وَأَعيُنُ القَلْبِ تَدْمَعُ

خطبة لأبي طالب

وخَطب أبو طالب بنُ عبد المُطَّلب لرسول الله ﷺ في خَديجة بنت خوَيْلد رحمة الله عليها، فقال: الحمد لله الذي جعلَنا من ذرية إبراهيمَ وزَرْع إسماعيلَ، وجعلَ لنا بلدًا حرامًا، وبيتًا محْجُوبًا، وجعلَنَا الحُكام على الناس؛ ثم إن محمد بن عبد الله، ابن أخي، مَنْ لا يُوازَنُ به فتًى من قريش إلاَّ رَجَحَ عليه برًّا وفضلا، وكرمًا وعقْلاً، ومَجْدًا ونُبْلاً، وإن كانَ في المال قُلٌّ[1]، فإنما المال ظلٌّ زائلٌ وعاريةٌ مسترجَعةٌ، وله في خديجة بنتِ خُوَيْلدٍ رغبةٌ، ولها فيه مثلُ ذلك، وما أحببتم من الصَّداقِ فعَليَّ.

وهذه الخطبة من أقْصَد خُطبِ الجاهلية.

وفود النابغة الجعدي على ابن الزبير

ومن جميل محاورات العرب ما رُوِي لنا عن يحيى بن محمد بن عُروَةَ، عن أبيه عن جَدّه، قال: أَقْحَمت السَّنَةُ علينا النابغَةَ الجَعْديَّ. فلم يَشعُر به ابنُ الزُّبَيْر حين صلى الفجر حتى مَثَلَ بين يديه يقول:

حكَيْتَ لنا الصِّديق حين وَليتَنا ... وعثمانَ والفاروقَ فارْتاح مُعْدِمُ

وسَوَّيتَ بين الناسِ في العَدْلِ فاستَوَوا ... فعادَ صبَاحًا حالكُ الليلِ مُظْلِمُ

أتاكَ أبو ليلى يَشُقُّ به الدجى ... دُجى الليل جَوابُ الفلاة عَثَمْثَمُ

لتَرْفَعَ منه جائعًا ذعذَعَت به ... صُرُوفُ الليالي والزمانُ المُصَمِّمُ

فقال له ابنَ الزبير: هوِّن عليك أبا ليْلى، فأيْسَرُ وسائلك عندنا الشِّعر. أمَّا صفوةُ أموالنا فلِبَني أسَد، وأما عفْوتُها فلآل الصدِّيق، ولكَ في بيت المال حَقَّان: حَقٌّ لصحبتك رسولَ الله ﷺ، وحقٌّ بحقك في المسلمين. ثم أمر له بسبع قلائص وراحلة رَحيل، ثم أمر بأن تُوقَرَ حَبًّا وتمرًا، فجعل أبو ليلى يأخذُ التمر فيَستَجمعُ به الحَبَ فيأكله، فقال له ابنُ الزبير: لشدَّ ما بلغ منك الجَهدُ يا أبا ليلى! فقال النابغة: أمَّا عليَّ ذَاكَ لَسَمعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما استَرْحمتْ قريشٌ

---

(١) قل: «قليل».

فرَحمَت وسُئلتُ فأعطت، وحَدَّثَتْ فصَدَقَتْ، ووعَدَتْ فأَنجَزَتْ، فأنا والنَّبِيُّون على الحوض فرَّاط لِقَادمِينَ».

قوله: «أقْحَمَت السَّنَةُ» يكونُ على وجهين: يقال: اقتَحَم، إذا دخل قاصداً، وأكثر ما يقال من غيـر أن يدخَل، ويكون مِنَ القُحْمَةِ، وهى السَّنة الشديدة، وهو أشبه الوجهين، والآخر حَسَنٌ.

والسَّنة: الجَدْبُ، يقال: أصابتْهم سَنَةٌ إذا أصابهم [1] جَدْبٌ، ومن قوله عز وجل: ﴿ولقد أَخَذْنَا آلَ فِرعَونَ بالسِنينَ﴾ [2]، أى بالجَدْب.

وقوله: صِفوة، فهى فى معنى الصَّفو، وأكثرُ ما يُستعمل الكسْرُ، والبابُ فى المصادر للحال الـدائمة (الكَسْرُ [3]) كقولك: حسَنُ الجِلْسَـةِ والرِّكبةِ (والمِشيَةِ [3])، والنِّيمَة، كأنها خِلْقَةٌ.

والعفْوةُ إنما هو ما عَفَـا، أى ما فَضَلَ، و﴿خذ العَفْوَ﴾ [4]، قالوا: الفضل، وكذلك قوله جل اسمه: ﴿وَيَسأَلُونَكَ ماذا يُنفقونَ قُلِ العَفْوَ﴾ [5].

وقولهُ: «عَثَمْثَمٌ»، يريد الموَثَّقَ الخَلْقِ الشديدَ.

وذَعْذَعت، أي أذهبت مالَهُ وفرَّقَتْ حاله.

وقوله: «راحلة رَحِـيل»، أى قوية على الرِّحلة مُـعَوَّدَة لهَا، ويقـالُ: فَحلٌ فَحيلٌ، أى مستَحكمٌ فى الفحلَـة، وفى الحديث أنَّ ابن عمر قال لرجل: «اشتَرِ لِى كبشًا لأضَحِّى به أَمْلَحَ، واجْعَلْهُ أقرَنَ فَحيلا».

وقوله: «فـأنا والنبيون على الحَـوض فُرّاطٌ لِقَادمين»، الفارط: الذى يتـقدمُ القومَ فـيُصْلِحُ الدلآءَ وَالأَرْشِيةَ ومـا أشبه ذلك من أمـرهم حتى يَردُوا، ومن ذلك قول المسلمين فى الصـلاة على الطفل: «اللهم اجْعلَهُ لنَا سَلَفًا وفَـرَطًا». وجاء في

(١) كذا الأصل، س، وفى ر: «أى جدب»

(٢) سورة الأعراف «١٣».

(٣) تكملة من ز.

(٤) سورة الأعراف ١٩٩.

(٥) سورة البقرة ٢١٩.

الحديث عن النبى ﷺ: «أنا فرَطُكم عَلَىَ الحَوضِ» وكـان يقال: يكفيكَ من قريش أنها أقربُ الناس من رسول الله ﷺ نسبًا، ومن بيت الله بيتًا، ويقال: إنَّ دارَ أسَد بن عبد العُزَّى كان يقال لها: رَضيعُ الكَعْـبَة، وذلك أنها كانت تَفىء عليها الكعبة صباحًا، وتفـىء على الكعبة عَشيًّا، وإن كـانَ الرجلُ من ولَد أسد ليَطوفُ بالبيت فينقطع شِسْعُ نعله فيَرْمى بنعله فى منزله فتُصلَحُ له، فإذا عاد فى الطواف رُمِى بها إليه، وفى ذلك يقولُ القائلُ:

لِهَـاشِمٍ وزُهَيْـرٍ فَـضلُ مكرُمَـةٍ ... بحيثُ حَلّتْ نُجـومُ الكبْشِ والأَسَدِ[1]

مجَاورُ البيتِ ذى الأركـان بيتهما ... ما دُونَهُم فى جوَارِ الـبيت من أحَد

وقال آخرُ:

سـمين قرَيْشٍ مـانعٌ منك لَحْمَـهُ ... وغَثُّ قـريش حيـثُ كان سَـمِينُ

وقال آخرُ:

وإذا مـا أصــبـتـه مـن قـريشٍ ... هاشِـميًّـا أصَـبْتَ قَصْـدَ الطريق

وقال حرب بنُ أمية لأبى مَطر الحَضرَمىِّ يدعوه إلى حِلْفِهِ، ونزول مكة:

أبا مـطر هَـلمَّ إلـى صــــلاح ... فَـتكْنُفكَ الـنَّدامى من قــرَيْش

وتأمَنَ وَسْطَهُـمْ وتَعـيشَ فـيـهم ... أبَا مَطرٍ هُـديتَ لِخَيـرْ عـيش

وتَسْـكنَ بلدةً عَـزَّتْ قـديمًا ... وتأمَـن أن يَزُورَكَ رَبُّ جَـيش

صَلاَح: اسم من أسماء مكة، وكانت مكة بلدًا لَقَاحًا، واللقاحُ: الذى ليس فى سلطان مَلك، وكانت لا تُغزَى تعظيمًا لها، حـتى كان أمرُ الفجَار، وإنما سُمِّى الفجـارَ لفُجـورهم إذ قاتلوا فى الحَرَم، وكـانت قريشٌ تَعـزُّ الحَليفَ وتُكرِمُ المَولى وتَكادُ تُلْحقُهُ بالصَّميم، وكانت العربُ تفعلُ ذلك ولقريش فيه تَقَدمٌ.

(١) حاشية الأصل: «هما هاشم وزهير، ابنا الحارث بن أسد».

(تحريض سديف على بني أمية)

ودخل سُدَيْفٌ مَولى أبى العباس السَّفَّاحِ على أبى العباس أمير المؤمنين، وعنده سليمانُ بن هشَام بن عبد الملك، وقد أدناه وأعطاه يَدَهُ فقبَّلها، فلمَّا رأى ذلك سُدَيْفٌ أقبلَ على أبى العباس، وقال:

لا يَغُرَّنْكَ ما تَرَى من أنَاس ... إنَّ تحتَ الضُّلوع دَاءً دَويًّا
فَضع السَّيف وارْفَعِ السَّوط حتى ... لا تَرَى فَوقَ ظهرها أمَويًّا

فأقبلَ عليه سليمانُ فقَالَ: قَتَلْتَنى أيها الشيخُ قَتَلَكَ اللهُ! وقام أبو العباس فدخلَ، فإذا المنديلُ قد ألقى فى عُنقِ سليمان ثم جُرَّ فقُتلَ.

(تحريض شبل بن عبد الله على بني أمية)

ودخل شِبْلُ بن عبد الله مولى بنى هاشم على عبد الله بن على، وقد أجلَس ثمانين رَجلاً من بنى أميةَ على سُمط الطعامِ، فَمثَلَ بين يديه، فقال:

أصْبح المُلكُ ثابتَ الآسَاس ... بالبهاليل من بنى العَبَّاس
طلبوا وِتْرَ هاشمٍ فَشَفوْهَا ... بعد ميل من الزمان ويَاس
لاَ تُقيلنَّ عبدَ شَمس عِثارًا ... واْقطَعَنْ كلَّ رَقْلَة وأوَاسى
ذلُّها أظهَرَ التَّوَدُّدَ منها ... وبها منكُمُ كَحَزِّ المواسى
ولقد غَاظَنى وغاظَ سَوَائى ... قُربُهُم من نَمَارقٍ وكَرَاسى
أنزِلُوهَا بحيثُ أنزلها الله ... بدارِ الهَوان والإتعاس
واذكروا مصرع الحُسَيْن وزَيدًا ... وقَتيلاً بجانب المِهرْاس
والقتيل الذى بِحَرانَّ أضحَى ... ثاويًا بين غُربَة وتَناسى
نِعمَ شبْلُ الهراش مولاك شِبلٌ ... لو نَجا من حَبائل الإفْلاسِ!

فأمر بهم عبد الله فشُدخُوا بالعَمَد، وبُسطت عليهم البُسُطُ، وجَلَسَ عليها، ودعا بالطعام، وإنه لَيَسْمَعُ أنِين بعضهم حتى ماتوا جميعًا، وقال لِشبل: لولا أنك

خَلَطْت كلامَكَ بالمسألة لأَغْنمتُكَ جميعَ أمـوالهم، ولَعَقَدتُ لك على جميع موالى بنى هاشم.

قوله: «الآساس» واحدها أسٌّ، وتقديرها، «فعلٌ وأفعالٌ» وقد يقال للواحد: أساسٌ، وجمعه أسُسٌ.

والبُهْلُولُ: الضحَّاكُ.

وقوله:

* بعد مَيل منَ الزمان ويَاس*

يقال: فيك مَيْلٌ علينا، وفى الحائط مَيْلٌ، وكذلك كلُّ مُنتصب.

وقـوله: «واقْطَعْن كلَّ رَقْـلَة»، الرَّقْلَةُ: النخلة الطـويلة، ويقـال إذا وُصفَ الرجلُ بالطول: كأنه رَقْلَةٌ.

والأوَاسِّى، ياؤه مشددة فى الأصل وتخفيفها يجوزُ، ولو لم يَجُزْ فى الكلام لجاز فى الشـعر؛ لأن القافـية تَقْتَطِعُـه، وكلُّ مُثَقَّلٍ فـتخفـيفه فى القـوافى جائزٌ، كقوله:

أصَـحَوْت اليـومَ أمْ شَاقَـتْك هِرْ   ومنَ الحُبِّ جُنونٌ مُـسْـتَـعِـرْ [1]

ووَاحِدُها «آسيَّة» وهى أصل البناء بمنزلة الأساس.

وقوله: «وغَـاظَ سَوَائى» تقـول: ما عندى رجلٌ سوَى زيـد، فتَقْـصُرُ، إذا كسرت أوله، فإذا فتحت أولَهُ على هذا المعنى مددتَ، قال الأعْشى:

تَجانـفُ عن جوِّ اليـمامة ناقـتى   وما قَـصَدَتْ من أهلِهَـا لِسَوائِكا [2]

والسَّـواءُ ممدود فى كل مـوضع وإن اختلـفت معـانيـه، فهـذا واحـدٌ منه. والسَّـواء: الوسَطُ، ومنه قـوله عز وجل: ﴿فـرآه فى سَـواَه الجَحِـيم﴾ [3]، وقال حَسَّانٌ:

---

(١) مطلع قصيدة لطرفة: ديوانه ٣٦.

(٢) تجانف: تميل وتعدل

(٣) سورة الصافات ٥٥

يا وَيْحَ أنصـــارِ النَّبيِّ ورَهْـطِهِ بعـدَ المغـيَّب فى سَـوَاءِ المَلْحَـدِ

والسَّـواءُ: العدلُ والاسـتـواءُ، ومنه قولـه عز وجل: ﴿إلى كَلَمَـةٍ سَـواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكم﴾ [١]، ومن ذلك: عمرو وزيدٌ سَواءٌ، والسَّـواءُ: التَّمامُ، يقالُ: هذا درهم سَوَاءٌ، وأصلُهُ من الأول، وقوله عز وجل: ﴿في أربَـعَةِ أيَّامٍ سَوَاءً للسَّائلينَ﴾ [٢]، معناه تمامًا، ومن قرأ ﴿سَوَاءٍ﴾ فإنما وَضَعَه فى موضع «مستوياتٍ».

والنَّمارقُ، واحدتها نُمرُقة، وهى الوسائد، قال الفرزدقُ:

وإنَّا لتَـجرى الكَأسُ بين شَـرُوبِنَا وبينَ أبى قـابُوَس فـوقَ النَّمـارِقِ

وقال: نُصيبٌ:

إذا مَـا بِسَاطُ اللَّهْـوِ مُدَّ وقُـرِّبَتْ لِلَذَّاتِـهِ أنمـاطُـه ونَمَـارِقُـــهْ

وقوله: «مَصْرَعَ الحُسَيْـنِ وزَيْد» يعنى زيدَ بن علىّ بن الحسين، كان قد خَرَجَ على هشام بن عبد الملك، وقَتَلَهُ يوسف بن عُمَر الثقفى وصَلَبَهُ بالكُنَاسة[٣] عُريانا، هو وجماعة من أصحابه.

ويروى الزُّبيريونَ أنـه كان بين يوسفَ بن عُمَـرَ وبين رجل إحنَة فكان يطلب عليـه علَّة، فلما ظفـرَ بزيد بن علىّ وأصحـابه أَحَسُّـوا بالصَّلب، فأصلَحُـوا من أبدانهم واسْتحَدُّوا [٤]، فصُلبوا عُراة، وأخذ يوسفُ عَدوَّه ذلك، فنحَلَهُ أنه كان من أصحاب زيد فقتلَهُ وصَلَبهُ، ولـم يَكن استَحد [٥]، لأنه كان عندَ نفـسه آمنًا، وكان بالكوفة رجلٌ معـتوهٌ عَقْدُهُ [٦] التَّشَـيُّع، فكان يجىء فيقف على زيد وأصـحابه، فيـقولُ: صلى الله عليك يا بن رسـول الله، فقـد جاهدت فى الله حق جـهاده، وأنكرت الجوْرَ ودَافـعَت الظالمين، ثم يُقبلُ عـليهم رجلا رجـلا فيـقول: وأنتَ يا

(١) سورة آل عمران ٦٤

(٢) سورة فصلت ١٠.

(٣) الكناسه: محلة بالكوفة

(٤) الاستحداد: الحلق.

(٥) ر: «استمد».

(٦) عقده: اعتقاده

فلانٌ، فجزاك الله خيرا، فقد جاهدت فى الله حقّ جهاده، وأنكرت الجورَ ونَصرت ابن رسول الله ﷺ، حتى يقف على عَدوٍّ يوسف فيقولُ: فأما أنت يافلان، فَوُفورُ عانَتِكَ يدُلُّ على أنك برىء مما قُرِفْتَ [1] به !.

قال أبو العباس: وقال حَبيبُ بنُ جَدَرَةَ- ويقال: ابن جُدْرَةَ، وهى السِّلعةُ [2] - الهلالى.

(قال الأخفش: الصحيح عندنا «ابن خدرة» بالخاء وكسرها، وقال المبردُ: لم أسمعه إلاَّ «جدَرَة» ويقال: «جُدَرَة») [3].

وهو من الخوارج، يعنى زيدَ بن علىّ:

يَابَا حُسَيْنٍ لو شَراةُ عِصَابةٍ صَحِبُوك كانَ لِوِرْدِهِمْ إِصْدَارُ [4]

يَابَا حُسَيْن والجديدُ إلى بِلى أولادُ دَرْزَةَ أسلموك وطَارُوا

تقول العربُ للسِّفْلَة والسُّقَّاط : أولادُ درزةَ ، وتقول لمن تَسُبُّه : ابن فَرْتنَى، وأولاد فرتَنى، وتقول للصوص: بنو غيراءَ، وفى هذا بابٌ.

ويُروى أنّ شاعرًا لبنى أمية قال معارضًا للشِّيع فى تسميتهم زيدًا المهدى [والشاعرُ هو الأعورُ الكَلْبى] [3]:

صَلَبنا لكم زيدًا على جِذعِ نخلةٍ ولم نَرَ مَهْديًّا على الجذع يُصلْبُ

ونظر بعد زمين إلى رأس زيدٍ مُلقى فى دارِ يوسفَ وديكٌ ينقُره، فقال قائل من الشِّيعَة:

اطْرُدُوا الديكَ عن ذُؤَابةِ زيدٍ طَالَ ما كانَ لا تطاهُ الدَّجَاجُ

وقوله:

* وقتيلا بجانب المِهراس *

(١) قرفت: اتهمت..

(٢) السلعة: خلقة فى البدن من ضرب أو جراحة.

(٣) ما بين العلامتين من زيادات ر.

(٤) ر: «صبحوك» والبيت لم يذكر فى س.

يعنى حمـزَة بنَ عبد المطلـب، والمِهْراسُ ماءٌ بأُحـد، ويُروى فى الحديث أن رسول الله ﷺ عَطَشَ يـومَ أُحُدٍ، فجـاءه علىٌّ فى دَرَقةٍ بماءٍ من المِهـرَاس، فعـافه فَغَسَلَ به الدمَ عن وجهه.

وقال ابن الزِّبَعْرى فى يوم أُحد:

ليتَ أشـيـاخـى ببَـدْر شَـهِـدوا　　جَـزَعَ الخَـزْرجِ مـن وَقْعِ الأَسَلْ

فـاسـأل المِهـراسَ مَنْ سـاكِنُهُ　　بعـدَ أَبْدَانٍ وهـامٍ كـالحَـجَلْ

وإنما نسب شِبْلٌ قتل حمزة إلى بنى أميّـةَ، لأن أبا سفيان بنَ حَرْبٍ كان قائدَ الناس يومَ أحُدٍ.

والقـتيل الذى بِحـرَّانَ هو إبراهيمُ بن محـمد بن علىّ، وهو الذى يقـال له الإمامُ.

وكان يُقال: ضَحَّى بنو حَرْبٍ بالدِّين يوم كرْبَلاَء، وضَحى بنو مروانَ بالمُرُوءَة يوم العَقْرِ؛ فـيوم كرْبلاءَ يومُ الحسين بن على بن أبى طالب وأصحـابه ويومُ العَقر يومُ قُتِلَ يزيدُ بن المهلب وأصحابُهُ.

وإنما ذكرنا هذا لِتَقَدُّم قريشٍ فى إكرام مواليها.

[من أخبار الموالى]

ولَّى رسولُ الله ﷺ جيش مُؤْتَةَ زيدًا مولاه، وقال إن قُتِلَ فأميرُكم جعفرٌ.

وأمَّرَ رسولُ الله أسامةَ بن زيد، فبلغـه أن قومًا طعَنُوا فى إمارته، وكان أمَّرَهُ على جيش فيه جِلّةُ المهاجرين والأنصار، فقال عليه السلامُ: «إن طعنتم فى إمارته لَقد طَعَنتُم فى إمارة أبيه قبله، ولقد كـان لها أهلا، وإن أسامة لها لأهل»، وقالت عائشـة: لو كان زيدٌ حَيًّا مـا استخلف رسولُ الله غـيرَهُ، وقال عبد الله بـنُ عمر لأبيه: لِمَ فَضَّلْتَ أسامةَ علىَّ وأنَا وهو سِيَّان؟ فقال: كان أبوه أحَبَّ إلى رسول الله من أبيك، وكان أحبَّ إلى رسول الله منكَ، وأوصى رسول الله ﷺ بعضَ أزواجه لِتَميط عن أسامةَ أذًى من مُخاطٍ أو لعابٍ، فكأنها تكَرَّهَتْهُ، فَتَولَّى منه ذلك رسول

الله ﷺ بيده، وقال لـه يومًا، ولم يكن أسامةُ من أجملِ الناس: «لو كنت جاريةً لنَحَلْنَاكَ وحَلَّيناكَ حتى يَرْغَبَ الرجالُ فيكَ» وفى بعض الحديث أنه قال: «أسامة مِنْ أحَبِّ الناسِ إلىَّ».

وكان ﷺ أدَّى إلى نبى قُرَيظَة مكاتبة سَلْمَان، فكان سلمانُ مَوْلَي رسول الله ﷺ، فقال علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام: سلمان مِنَّا أهلَ البيتِ.

***

ويروى أنَّ أمير المؤمنين المهدىَّ نظر إليه ويَد عُمارَةَ بن حمزة فى يده، فقال له رجلٌ: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: أخى وابنُ عمِّى عُمارةُ بن حمزة، فلما ولَّى الرجلُ ذَكرَ ذلك المهدى كالمازح لعمارة، فقال له عُمَارةُ: انتظرت والله أن تقول: «ومولاى» فَأنْفضَ والله يَدَكَ من يدى، فتبسمَ أميرُ المؤمنين المهدى.

ولم يكن الإكرام للموالى فى جُفاة العرب، زَعَمَ الليثى أنه كانت بين جعفر ابن سليمان وبين مِسْمَع بن كردِين منازعة، وبين يدى مِسْمَع مَوْلى له، له بَهاءٌ ورُواءٌ ولَسَنٌ، فوجَّهَ جعفرٌ إلى مِسْمَع مَوْلَى له ليُنازعَه، ومجلسُ مِسْمَعٍ حافلٌ، فقال: إنَ أنصفنى وَالله جعفرٌ أنْصَفْتُهُ، وإن حَضَرَ حضرت معه، وإن عَنَدَ عن الحق عَنَدْتُ عنه، وإن وَجَّهَ إلى مولى مثلَ هذا - وأومأ إلى مولى جعفر فقال: مَوْلَى مثل هذا! عاضًّا لما يكْرَهُ - وجَّهْتُ إليه، وأومأ إلى مولاه [١] مولَى مثل هذا، عاضًّا لما يكره-[١] فَعَجِبَ أهلُ المجلس من وضعه مولاه الذى تبهى بمثله العربُ.

وقد قيلَ: الرجلُ من أبيه، والمولَى من مواليه، وفى بعض الحديث [٢] أنَّ المعتق من فضلِ طِينَةِ المعْتق.

ويُروى أنَّ سَلْمان أخَذَ من بين يَدى رسولِ الله ﷺ تمرةً من تمر الصدقة فوضعها فى فيه، فانتزعها منه رسول الله ﷺ، فقال: «يا أبا عبد الله، إنما يَحلُّ لك من هذا ما يَحلُّ لنا».

(١-١) ساقط س ر.

(٢) ر: «الأحاديث».

ويُرْوى أن رجلاً من موالى بنى مـازن، يُقال له عبد الله بن سليـمانَ، وكان من جلَّة الرجال، نازعَ عَمْرَو بن هدَّاب المازنيَّ، وهو فى ذلك الوقت سيِّدُ بنى تميم قاطبة [1]، فظهَرَ عليـه المولى حتى أُذنَ له فى هدم داره فَأَدْخَلَ الفَعَلَـة دارَ عمْرو، فلما قَلَع من سَطحهـا سآفاً [2] كَفَّ عنه، ثم قال: يـا عَمرو! قـد أريتك القُدْرَةَ، وسأريك العفوَ.

وقد كان فى قريش مَن فيه جَفْـوَةٌ ونبْوة، كان نَافع بن جُبَيْرٍ، أحد بن نَوْفل ابن عبد مناف، إذا مُرَّ عـليه بالجنازة سأل عنها، فإن قيل: قـرشى قال: واقوماه! وإن قيلَ: عربى قال: وامادَّتاهُ! وإن قيل: مَوْلى أو عجمى. قال: اللهم هُم عبادُك تَأْخذ منهم من شئت وتَدَعُ مَنْ شئْتَ!.

ويُروىٌ أنَّ ناسكًا من بنى الجهم بن عَمْرو بن تميم كان يقول فى قصَصه:

اللهم اغفر للعربِ خـاصة وللموالى عامة، فأمّا العَجَمُ فـهم عَبيُدك والأمر إليك.

وزَعَم الأصمعىّ قـال: سمعتُ أعرابيًّا يقـول لآخر: أتُرى هذه العَجَمَ تَنْكحُ نساءَنا فى الجنة؟ قـال: أرى ذلك والله بالأعمال الصالحة، قـال: توطأ والله رقابُنا قبلَ ذلك.

وهذا بابٌ لم نكن ابتدأنا ذكـره، ولكن الحديث يَجُرُّ بعـضه بعضًـا ويحملُ بعضه على لفظ بعضٍ.

***

(١) قاطبة، أى جميعهم

(٢) الساف: كل سطر من الطين واللبن.

ثم نعود إلي ما ابتدأناه إن شاء الله، وهو ما نختارُه من مختصرات الخُطَبِ وجميل المواعظ، والزُّهد فى الدنيا لنتصل بذلك، وبالله التوفيق.

«بسم الله الرحمن الرحيم»

قال أبو العباس: قد ذكرنا فى صدر كتابنا هذا، أنا نذكرُ فيه خطبا ومواعظ:

فمما نذْكره في[1] ذلك أمرُ التعازى والمرَائى، فإنَّهُ بَابٌ جامعٌ، وقد قيل إنه لَمْ يُقل فى شيء قَطُّ كما قيل فى هذا الباب؛ لأن الناس لا يَنْفكُّون من المَصائب، ومن لم يَثكَلْ أخاه ثكله أخوه، ومن لم يَعدَم نفيسًا كان هو المعدوم دونَ النفيس، وحقُّ الإنسان الصبرُ على النوائب، واستشعار ما صدَّرناه، إذ كانت الدنيا دار فراق ودار بوار، لا دار استواء، وعلى فراق المألوف حُرقَةٌ لا تُدفَعُ، ولَوْعَةٌ لا تُرَدُّ، وإنما يتفاضل الناسُ بصحة الفكر، وحسن العَزاءِ، والرغبة فى الآخرةِ، وجميل الذِّكر.

[من مراثى الآباء والإخوة والأبناء]

فقد قال أبو خراشٍ الهُذلى، وهو أحدُ حُكماء العربِ، يَذْكُر أخاه عروة بن مُرَّةَ:

تَقُولُ أرَاهُ بعدَ عروَةَ لاهيًا ... وذلكِ رُزْءٌ لو عَلِمْتِ جَليلُ

فلا تَحْسَبِى أنى تناسَيْتُ عهدَهُ ... ولكنَّ صَبرِى يا أمَيْمَ جَميلُ

***

وقال عمرو بن معدى كَرِبَ:

كم من أخٍ لىَ حَازمٍ ... بوَّأته بيَدىَّ لحدًا

أعْرَضْتُ عن تذْكارِهِ ... وخُلِقْتُ يوم خُلِقْتُ جَلْدًا

وكان ويقال: من حدثَ نفسَهُ بالبقاء، ولم يُوطئها على المصائب فعاجزُ الرأى.

***

(١) ـ «ص».

وعَزَّى رَجُلٌ رجلا عن ابنه فقال: أكان يَغيبُ عنك؟ قال: كانت غيبتُهُ أكثَرَ من حضوره قال: فأَنزِلْهُ غائبًا عنك، فإنه إن لم يَقْدَمْ عليك قَدِمْتَ عليه.

***

وقال إبراهيمُ بنُ المَهدْيِّ يذكرُ ابنه:

وإنِّى وإنْ قُدِّمْتَ قَبلِى لَعَالِمٌ   بأنِّى وإن أبطَأتُ عنكَ قريبُ [1]

وإنَّ صَبَاحًا نَلْتَقى فى مَسَائِهِ   صباحٌ إلى قلْبى الغَدَاةَ حَبِيبُ

وكفى باليأس مُعزِّيا، وبانقطاع الطمع زاجرًا ! كما قال الشاعر:

أيَا عَمْرُو لم أَصْبِرْ ولى فيك حِيلةٌ   ولكن دعانى اليأسُ منكَ إلى الصَّبرِ

تصبرتُ مغلوبًا وإنى لموجَعٌ   كما صَبَرَ العطشانُ فى البَلَدِ القَفْرِ

***

وقال بعض المحدثين وليس بناقصه حَظُّهُ من الصوابِ أنه مُحدَثٌ، يقول لرجل رثاه [قال أبو الحسن: وهو أبو تمام]:

عَجِبتُ لِصبْرِى بعدهُ وهْوَ مَيِّتٌ   وقد كنتُ أبْكيه دَمًا وهو غائبُ

على أنها الأيامُ قد صِرْنَ، كلها   عجائِبَ حتى ليسَ فيها عجائبُ

***

وحُدِّثتُ أنَّ عمر بن عبد العزيز لـمَّا مات ابنهُ عبد الملك خطَبَ الناسَ فقال: الحمدلله الذى جَعَلَ الموت حَتْمًا وَاجِبًا على عباده، فسوَّى فيه بين ضعيفهم وقويِّهم، ورَفيعهم ودنِّيهم، فقال عز وجل: ﴿كل نَفْسٍ ذَائِقَة الموْتِ﴾ [2] فَلْيَعلَم ذَوُو النّهى منهم أنهم صائرون إلى قبورهم، مُفردون بأعمالهم، واعلموا أن الله

(١) ر: «منك».

(٢) سورة: آل عمران ١٨٥.

مسألة فاحصة، قال عز وجل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* عَمَّا كَانُوا يَعمَلُون﴾[1]، وله يقولُ القائلُ:

تعزَّ أميرَ المؤمنين فإنَّه ... لِمَا قَدْ تَرَى يُغْذى الصَّغيرُ ويُولَدُ

هَل ابْنُكَ إلاَّ مِنْ سُلالةِ آدَمٍ ... لِكُلٍّ على حَوْض المَنيَّةِ مَوْرِدُ

***

وقال رجلٌ من قريش يرثى ابنه [قال أبو الحسن: هو العُتْبِيُّ]:

بِأَبِي وأُمِّي مَنْ عَبَأْتُ حَنُوطَهُ ... بيدى وودَعَّنى بِمَاءِ شَبَابِهِ[2]

كيف السُّلوُّ وكيفَ صَبْرِى بعدَه ... وإِذَا دُعِيتُ فإنما أكْنى به!

***

وقال ابن لعمر بن عبد العزيز يرثى عاصم بن عُمَرَ:

فإنْ يك حُزْنٌ أَوْ تَجَرُّعُ غَصّةٍ ... أمارًا نَجيعًا مِنْ دَمِ الجَوْفِ مُنْقَعَا

تَجرَعْتُهُ فِى عاصِمٍ واحْتَسَيْتُهُ ... لأعْظمُ منه ما احْتَسى وتَجَرّعا

***

وقال أبو سعيد إسحاق بن خلفٍ يرثى ابنةَ أخته، وكان تبَّناهَا، وكان حدبًا عليها كلِفًا بها:

أَمْسَتْ أُمَيْمَةُ معموراً بها الرَّجمُ ... لَقى صَعيد عليها التّرْبُ مُرتكِمُ[3]

يا شِقَّةَ النَّفْسِ إنَّ النَّفسَ وَالِهَةٌ ... حَرَّى عليكِ ودمعُ العين مُنْسَجِمُ[4]

قد كنت أخشى عليها أن تقدَّمنى ... إلى الحمام فيبْدِى وجْهَهَا العَدَمَ

---

(١) سورة الحجر ٩٢.

(٢) يقال: عبأت الطيب عبئًا؛ إذا صنعته وخلطته.

(٣) الرجم. القبر، واللقى: الشيء الملقى لهوانه.

(٤) الشقة. نصف الشيء

فــالآن نْمِتُ فــلاهَمٌّ يُـؤرِّ قُنِى   يَهْدَا الغَيُـورُ إذا ما أودَتِ الحُرَمُ[1]

لِلَمـوْت عندى أَيَادٍ لست أُنْكِرهَا   أَحْـيـا ســروراً وبى مِمَّا أتى أَلَمُ

وهذه المرثِّيـة ليست مِمّا تَقعُ مـع الجزَع القَـرَاح والحزن المفـرط، ولكنه باب للمَرَاثى يجمع إفرَاطَ الجزَعِ، وحُسن الاقـتصاد، والميلَ إلى التشكى، والركون إلى التَّعَـزِّى، وقَول مَنْ كان له واعظٌ من نفـسه، أو مُذكرٌ مـن ربه، ومَنْ غلبت عليه الجَساوة [2]، وكان طبعُه إلى القساوة، فقد اختلط كلٌّ بكلٍّ.

***

وقال رجل من المحدثين يرثى أباه [3]:

تَجلُّ رزيَّاتٌ وتَعـرُو مَصـائبٌ[4]   ولا مِثْلُ مَا أنْحَتْ علينا يَدُ الدَّهْرِ

لقـد عَــركَـتْنا للزمـــان مُلمَّـةٌ   أذمَّتْ بمحمود الجـلادَةِ والصَّبْرِ[5]

فهذا يَحْسُـــنْ من قائلِهُ أنَّ الرزءَ كان جليلاً بإجماعٍ، فللقــائل أن يتفَسَّح فى القول فيه.

***

وهذا يقوله عبد العزيز بن عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس، وكـان عبد الرحيم من جلة أهله لَسَنًا ونعـمةً وسنًّا وولاية، ومات معزولا عن اليمن فى حبس الخليفة، وأمُّ جعفر بن سليمان أمُّ حسنٍ بنتُ جعفر بن حســن بن حسـن بن عـلى بن أبى طالـب، صـلوات الله عـليهم؛ فلذلك يـقولُ عبد العزيز فى هذه القصيدة:

---

(١) الهت: هلكت.

(٢) الجساوة : الغلظ .

(٣) ر : «أخاه».

(٤) حاشية الأصل: «ش : تحل».

(٥) أذمت: تركته مذمومًا. .

بموتِكَ يا عبدَ الرحيم بنَ جعفرِ تَفَاحَشَ صَدْعُ الدين عن الألم الكسْرِ
فيا بنَ النبى المصطفى وابنَ بنته ويا بنْ عَلىٍّ والفواطِم والحَبْرِ [1]
ويا بْنَ اختيار الله من آلِ آدَمِ أبًا فأبًا طُهرًا يؤدِّى إلى طهرِ
ويا بنَ سليمانَ الذى كان مَلْجَأً لِمَنْ ضاقت الدنيا به من بَنِى فِهْرِ
ومنْ مَلأ الدنيا سَماحًا ونائلاً ورَوَّى حَجيجًا بالملمعة القَفْرِ [2]
لعَزَّ بِما قد نَالَنا مِن رَزِيئة بموتِكَ محبوسًا على صاحب القبْر
فإن تَضحَ فِى حبس الخليفة ثاويًا أبيًّا لِمَا يُعطى الذَّليلُ على القَسْرِ
لكمُ من عدوٍّ للخليفة قد هوَى بكفِّك أوْ أعْطى المَقَادَة عن صُغْرِ
فوَاحزنَا! لو فِى الوَغى كان مَوْتُهُ بكَيْنَا عليه بالرُّدينِيَّة السُّمْرِ
وكنَّا وَقَيناه القَنَا بنُحُورِنَا وفاتَ كذا فى غَيْرِ هَيْجٍ ولا نَفْرِ

***

وحُدِّثْتُ أنَّ عمرَ بن الخطاب لمَّا وَلَّى كَعْبَ بن سُور الأرذىَّ قضاء البصرة، أقام عاملاً له عليها إلى أن اسْتُشْهِدَ، على أنه كان قد عزله ثم ردّه، فلما قام عثمان بن عَفانَ أَقَرَّه، فلما كان يومُ الجَمَلِ خرج مع إخوة له - قالوا ثلاثةٌ، وقالوا أربعة - وفى عنقه مُصْحَفٌ، فقُتلوا جميعًا، فجاءت أمُّهم حتى وقفتْ عليهم، فقالت:

يا عين جُودى بدمعٍ سَرِبْ على فتْيَةٍ من خيار العَرَبْ
وما لهُم غيْرَ حَيْنِ النُّفو سِ أىُّ أَمِيرَىْ قريش غَلَبْ!

هذه الرواية «سَرِب» وقالوا معناه: جار فى طريقه، من قولهم: انسَرَبَ فى حاجته، وبيت ذى الرُّمَّة يُختارُ فيه الفتحُ:

* كأنَّه من كلى مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ *

(١) الحبر: هو عبد الله بن العباس.

(٢) الملمعة: الأرض يلمع فيها السراب.

لأنه اسمٌ، والأول المكسورُ نعتٌ، ويقبح وضعُ النعتِ موضع [1] المنعوت غير المخصوص.

***

[قال أبو الحسن: حقُّ النعت أن يأتي بعدَ المنعوت، ولا يقع فى موقعه حتى يَدُلّ عليه فيكون خاصًّا له دون غيره، تقول: جاءنى إنسانٌ طويلٌ. فإن قلت جاءنى طويل لم يجز؛ لأن «طويلا» أعم من قولك: إنسان، فلا يدل عليه فإن قلتَ: جاءنى إنسانٌ متكلمٌ، ثم قلت بَعْدُ: جاءنى متكلمٌ جازَ؛ لأنك تَدُلُّ به على الإنسان، فهذا شرحُ قوله: «المخصوص»].

***

وقولها: «غَيْرَ حَيْنِ النُّفوسِ» نَصْبٌ على الاستثناء الخارج من أول الكلام، وقد ذكرناه مشروحًا.

والمراثى كثيرةٌ كما وصفنا، وإنما نكتبُ منها المختارَ والنادرَ والمتَمَثَّلَ به السائرَ.

***

فمن مَليح ما قيلَ قولُ رجلٍ يرثى أباه:

[قال أبو الحسن: يقال إنه [2] لأبى العتَاهِيَة)

قَلْبِ يا قَلْبِ أَوْجَعَكْ ... مَا تَعَدَّى فَضَعْضَعكْ

يَا أبى ضَمَّكَ الثَّرى ... وطَوَى الموتُ أَجْمَعَكْ

ليتَنى يومَ مُتَّ صِرْ ... تُ إلى حُفرَةٍ معكْ [3]

رَحِمَ اللهُ مَصْرَعَك ... بَرَّدَ اللهُ مَضْجَعَكْ

***

(١) ر: «موضع».

(٢) ر: «يقال إنه ابن لأبى العتاهية».

(٣) ر: «تربة معك».

وقال إبرهيم بنُ المهدىِّ يرثى ابنَه، وكان مات بالبصرة:

نَأَى آخِــرَ الأيامِ عنك حَبيبُ ... فلِلعَينِ سَحٌّ دائمٌ وغرُوبُ (١)

دَعَتَـهُ نَوًى لاَ يُرتَجى أَوْبةٌ لها ... فَقلبُكَ مسلوبٌ وأنتَ كئيبُ

يَؤُوبُ إلى أَوْطانِه كلُّ غائبٍ ... وأحمدُ فى الغُيابُ ليسَ يؤُوبُ

تَبَدَّل دَارًا غيرَ دَارى وجِيرَةً ... سِوَاىَ، وأحداث الزمان تَنوبُ

أَقام بها مُستوْطنًا غيرَ أَنَّه ... على طول أَيَّامِ المُقامِ غَرِيبُ

كأَن لم يكن كالغُصن فِى مَيعَةِ الضحى ... سَقَاهُ النَّدى فاهْتَزَّ وهْو رَطِيبُ (٢)

كَأَن لَمْ يكُن كالدُّر يَلمَعُ نُورُهُ ... بأصدافِه لمَّا تشِنْهُ ثقُوبُ

كأن لم يكن زيْن الفِناءِ ومعقل النساءِ ... إذا يومٌ يكونُ عَصِيبُ

ورَيْحَانَ صَدْرى كَانَ حين أَشُمُّهُ ... ومُؤنِسَ قَصْرى كان حينَ أغيب

وكانت يَدى مَلأَى به ثم أصبحتْ ... بحمد إلهى وهْىَ منه سَلِيبُ

قليلاً من الأيَّام لم يَرْوَ ناظِرى ... بها منه حتى أعلقَتْهُ شَعوبُ (٣)

كَظلٍّ سَحَابٍ لم يقُم غيرَ ساعةٍ ... إلى أن أَطَاحَتْهُ فطَاحَ جَنُوبُ

أوِ الشمس لَمَّا منْ غمام تَحَسَّرتْ ... مَساءً وقد ولَتْ وحان غُروبُ

سَأبكيك ما أَبقَتْ دموعى والبكا ... بعينىَّ ماءً يا بُنَىَّ يُجيبُ

وما غار نجمٌ أَوْ تَغَنَّتْ حمامة ... أو اخضَرَّ فى فرْعِ الأرَاكِ قضيبُ

حياتى ما دامت حَياتى فإنْ أمُتْ ... ثَويتُ وفى قلبى عليكَ ندوبُ

وأُضْمرُ إنْ أنْفذْتُ دَمعى لَوْعَةً ... عليك لها تحتَ الضُّلوع وَجِيبُ

دَعَوتُ أَطباءَ العراقِ فلم يُصِبْ ... دَوَاءَكَ منهم فى البلاد طَبيبُ

---

(١) السح: الصب، وغروب: جمع غرب وهو الدمع حين يجرى

(٢) ميعة كل شيء: أوله؛ أى فى أول شبابه.

(٣) شعوب: اسم للموت.

ولم يَمْلكِ الآسُونَ دفعًا لِمُهجَةٍ   عليها لأشراكِ المَنُون رَقيبُ
قَصَمْتَ جَنَاحِي بعدَ ما هد مَنْكبى   أَخُوكَ، فَرأسى قد علاه مَشيبُ
فأصْبَحْتُ فى الهلاَّكِ إلاَ حُشاشةً   تُذابُ بنار الحُزنِ فَهْى تَذوبُ
تَوَلَّيتُما فى حِقْبَةٍ فَتَرَكْتُمَا   صَدى يَتَولى تَارَةً ويَثُوبُ
فلا مَيْتَ إلاّ دونَ رُزْئكَ رُزْؤُه   ولو فُتِّتتْ حُزنًا عليه قلوبُ
وإنى وإنْ قُدمْتَ قبْلى لَعالمٌ   بأنِّى وإنْ أَبْطأْتُ منكَ قَريبُ
وإنَّ صباحًا نلتقى فى مَسائِهِ   صباحٌ إلى قلبى الغداة حَبيب

***

وقال أبو عبد الرحمن العُتْبى وتَتَابَعَ له بنُونَ:

كَلَّ لسانى عن وصفِ ما أَجِد   وذُقْت ثُكلاً ما ذاقه أَحَدُ
وأُوطِنَتْ حُرْقَةً حَشَايَ فقد   ذاب عليها الفُؤادُ والكبد
ما عَالَج الحُزْنَ والحرارةَ فى   الأحشاء من لم يَمتُ له ولَدُ
فجِعتُ باثنين ليس بينهما   إلاَ لَيالٍ ليستْ لها عدَدُ
فَكلُّ حُزنٍ يَبْلَى عَلى قِدمِ الدّ   هْر وحزنى يُجِدّه الأبدُ

***

وذكر بعضُ الرواة أن عُبَيْدَ الله بن العباس بن عبد المطلب - وكان عاملاً لعلىّ بن أبى طالب على اليمن، فَشخَص إلى علىّ، واستخلفَ على اليمن عمَرو ابن أَرَاكةَ الثّقفىّ، فوَجّهُ معاوية إلى اليمن ونواحيها بُسرَ بن أَرْطاةَ، أحدَ بنى عامر ابن لؤَىٍّ، فقَتَلَ عَمرو بن أَرَاكةَ، فَجزِعَ عليه عبد الله أخوه جَزَعًا شديدًا، فقال أبوه:

لَعمْرِى لَئِنْ أَتبْعت عينيك مَا مَضى   به الدهرُ أو ساق الحِمامُ إلى القبرِ
لَتسْتَنفِدنْ ماءَ الشؤُونِ بِأَسْرِه   ولو كنتَ تَمريهن من ثبَجِ البحرِ

لعمـرى لقد أَرْدى ابنُ أرطأة فـارسًا بصَنعَـاءَ كـالليث الهِـزَبْر أبى أَجْـر
وقلتُ لعـبـد الله إذْ حَنَّ باكـيًّـا تَعَـزَّ، ومـاءُ العين مُنهـمـرٌ يَجـرى
تَبَـيَّن فـإنَ كـان البُكـا ردَّ هالكًا على أهله فـاشْدُدْ بكَاَك على عـمرو
ولا تَبْكِ مَـيْـتًـا بـعـد مَـيْتٍ أَجَنَّهُ علـىٌّ وعـبـاسٌ وآلُ أبى بَـكر

قـوله: «من ثَبَج البحـر» فثَـبَجُ كلِّ شىءٍ وَسَطُهُ، ويروى فى الحـديث[(١)]: «كنت إذا فاتحـتُ الزُّهرىَّ فَتَحْتَ مـنه ثَبَجَ البحـر»، وقوله: «تَمْريهـنَّ» هو مَثَلٌ، يقال: «مَرَيتُ الناقَةَ» إذا مسحتَ ضَرْعَهـا لتدرَّ، فإنَّما هو استخراج اللبن، ويقال: «مَـرَّيتُ برجلى الأرض»، إذا مسـحـتهـا، والأصل ذلك، فـإنما أراد، ولو كنت تستخرجُ الدموعَ من ثبجِ البحر.

***

وكان بُسْرُ بن أَرْطأَةَ فى تلك الحروب أُرْشِدَ عَلَى ابنينِ لعـبيد الله بن العباس ابن عبـد المطلب، وهمـا طفلانِ وأمُـهما من بـنى الحارث بن كـعب، فوارتهـما الحارثية، فيقال إنه أخذهما من تحت ذَيْلِهَا فقتلهما، ففى ذلك تقول الحارِثَّيةُ:

ألا مَـنْ بَيَّـنَ الأَخَـويْـنِ أُمُّـهـمـا هِـى الثَّكْـلى
تسَـائِلُ مَـنْ رَأى ابنيـهـا وتَسْـتـبـغى فَـمـا تُبْـغَى

***

وفى ذلك تقول أيضا:

يا مَنْ أَحَسَّ بُـنَيَّىَّ اللذينِ همـا كالدرَّتين تَشظى عنهما الصَّدَف[(٢)]
يا من أَحَسَ بُـنَيَّىَّ اللذَينِ همـا سمعِى وطَرْفى فطَرْفى اليـومَ مُخْتَطَفُ

(١) قال المرصفى: «الصواب ما ذكره ابن الأثير فى نهايتـه، قال: «وفى حديث أم حرام قوم يركبون ثبج هذا البحر»، أى معظـمه ووسطه، ومنه حديث الزهرى: كنت إذا فاتحت عروة بن الزبير فـتقت به ثبج بحر» يريد غزارة علمه وفهمه».

(٢) تشظى: تشقق وتفرق شظايا.

يا مـن أَحَسَّ بُنَيَّـىَّ اللذيـن همـــا ... مُخُّ العظام فَـمُخِّى اليـومَ مُزدَهَفُ[1]

نُبِّئْتُ بُسْرا، وما صَـدَّقْتُ مَا زعموا ... مِن قولهم ومِنَ الإفْكِ الذى اقْـتَرَفُوا

أَنْحى علـى وَدَجى طِفلى مُـرْهَـفَـةً ... مَـشحـوذةً، وعظيمُ الإفْكِ يُقْتَـرَفُ

مَنْ دلّ وَالهـة حَـرّى مُـــفـجَـعّـةَ ... على صبـيَّين غابا إذْ مَـضى السَّلَفُ

***

ويُروى أن معاوية لَمَّا أتاه موتُ عُتْبَةَ تَمَثَّلَ:

إذا سار مَنْ خَلْفِ امـرِئ وأَمامَهُ ... وأوحِشَ من أصحـابه فهـو سائرُ

فلما أتاه موتُ زيادٍ تمَثّل:

وأُفرِدْتُ سَهْـمًا فى الكنانة واحدًا ... سيُرمى به أو يَكْسِـرُ السَّهمَ كاسِرُ

***

وماتت امرأةٌ للفـرزدق بِجُمْعٍ - ومعنى «جُمْعٍ» وَلَدُها فى بـطنها وإن شئت قلتَ: «جِمْعٌ» يا فتى، فقال الفرزدق:

وجفن سِـلاح قد رُزِئتُ فلم أَلُحْ ... عليـه ولم أَبْعَثْ عليـه البَـواكيَـا

وفى جوفـه من دارمٍ ذو حَفـيظةٍ ... لوَ انَّ المَنَـايا أنسَــأَتْهُ لَيَــاليـــا!

وهذا من البَغْى فى الحكم والتقدم.

***

وقال رجلٌ من المُحـدثينَ فى ابنين لعبـد الله بن طاهر أصيبـا فى يومٍ وَاحدٍ وهما طفلان شَـبيهًا بهذا، ولكنه اعـتذر فَحَسُنَ قولهُ وصحّ مـعناه باعتذاره، وهو الطائى:

لَهفِى على تلك الشـواهد فيهـما ... لو أمـهلَت حتـى تكونَ شَمَـائلا

---

(١) مزدحف: أصيب به .

إن الهـــلالَ إذا رأيـتَ نُمُـــوَّهُ أيقنتَ أنْ سـيـكونُ بَدْرًا كـامـلاً

[الفرزدق يرثي حدراء الشيبانية]

وقال الفرزدق يرثي حَدراء الشْيبانية:

يقـول ابن صفـوان بكيتَ ولم تكُن على امـرأةٍ عَـيْنى إخـالُ لتـدمَـعَـا

يقولـون زر حَدْراءَ، والتربُ دونَـهَا وكـيفَ بشـئ عَـهْـدُهُ قـد تَقَـطعَـا

ولَسْـتُ وإنْ عـــزَّتْ عَـلىَّ بـزائرٍ ترابًا على مَرْمُـوسةٍ قد تَضعـضَعَا[1]

وأهونُ مَــفْــقـــودٍ إذا المـوتُ نالهُ على المَرءِ من أصـحـابـه مَنْ تَقَنَعَـا

ومـا مـاتَ عندَ ابنِ المراغـةِ مـثلُهـا ولاَ تَبـعَــتْــهُ ظاعـنًا يوم وَدَّعــا

[جرير يرثي امرأته]

وقال جرير يرثى امرأته:

لولا الحَـياء لَهَـاجنى اسْـتِـعبَـارُ ولزُرتُ قـبْـرِك والحـبـيبُ يُزارُ

نِعْمَ الخَلَـيلُ وكنت عِلْق مَـضِنَّة ولَدَى مـنك سَـكِينـةٌ ووقـــارُ

لن يُلْبِث الـقـرَنَاءُ أن يَتَـفـرَّقـوا ليـلٌ يكُرُّ عـلـيــهمُ ونــهـــارُ

صلىّ الملائـكةُ الذين تُخُـــيِّـرُوا والصــالحــون علـيكِ والأبرارُ

أفـأمَّ حـزْرَةَ يا فـــرزدقُ عِـبـتُمْ غَـضبَ المَليكُ عليكمُ الجَـبَّـارُ[2]

[الرجل من خزاعة يرثي عمر بن عبد العزيز]

وقال رجـلٌ من خزاعــة - وينحله كَثـيِّرٌ - يرثى عـمرَ بن عـبد العـزيز بن مَرْوان:

[[3] قال أبو الحسن: الشعرُ لقُطْرب النحوىّ، وهو الذى صَحَّ عنه [3]].

---

(١) المرموسة: يقال رمس الميت يرمسه، إذا دفنه.

(٢) حزرة، هو ابن جرير.

(٣-٣) ر: «قال أبو الحسن: الذى صح عندنا أن هذا الشعر لقطرب النحوي».

أمَّـا القـبـور فـإنـهنَّ أوَانسٌ ... بجـوار قـبـرك والديارُ قُـبـورُ
جَلّتْ رزيتُهُ فَعَمَّ مُصابهُ ... فالنـاسُ فيـه كُلُّهم مـأجـورُ
والناسُ مَأتَمُهُمْ عليه واحدٌ ... فى كـلِّ دارٍ رنَّة وزفـيـرُ
رَدَّت صنائعـه إليـه حياتهُ ... فكـأنّه من نَشـرهـا مَنْشـورُ
يُثْنى عـليك لسـانُ مَنْ لم تولِه ... خـيـراً لأنك بالثَّناء جـديرُ

***

ومثله قولُ عُمارَةَ يمدح خالد بن يزيد بن مَزْيد:

أرَى الناسَ طُرَّاً حـامـدينَ لخـالدٍ ... ومـا كُلُّهـم أفَـضْتْ إليـه صَنائعُـهْ
ولن يَتْـرُكَ الأقوامُ أن يمدحوا الـفتى ... إذا كَـرُمَتْ أخـلاقُـه وطَبـائعـهْ
فـتًى أمْـعنَت ضَـرَّاؤهُ فـى عـدوِّه ... وخَصَّتْ وعَمَّتْ فى الصـديق منافعهْ

ومن قوله:

* والناسُ مَأتمهم عليه واحدٌ *

أخَذ الطائى فى مَرثيته:

لئن أُبْغِضَ الدهرُ الخَؤُونُ لفـقده ... لعـهدى به حَيّـا يُحَبُّ به الدَّهرُ
لئن عَظَمتْ فـيهِ مُـصـيبـةُ طيئٍ ... لَمَـا عـرِّيَتْ منـهـا تميمٌ ولا بَكرُ

وقال القرشى :

قد كنت أبكى على مَن كان[1] من سَلَفِى ... وأهلُ وُدى جـمـيعٌ غـيـرُ أشتـاتِ
فـاليـوم إذ فَـرَّقَتْ بيـنى وبينَـهمُ ... نَـوًى بكَـيْـتُ عـلى أهـل المروءاتِ
ومـا بـقـاءُ امـرئ كـانت مَـدامـعـهُ ... مـقـسـومـةً بين أحـيـاء وأمـوات!

(١) ر: «من فات».

[ما تمثل به على بن أبى طالب عند قبر فاطمة]

ويُروى أنَّ علىَّ بن أبى طالب رضوانُ الله عليه تمثل عند قبر فاطمةَ رحمها الله .

[لِكُلِّ اجتماعٍ من خليطين فُرقَةٌ   وإنّ الذى دُونَ الفِراقِ قَليلُ] [1]

وإنّ افتقادِى واحدًا بعد واحدٍ   دليلٌ على ألا يدومَ خليلُ

[العقيل بن علقة يرثى ابنه]

وقال عُقيل بن عَلَقةَ المرِّىُّ، من غطَفَانَ:

لَعَمْرى لقد جاءَتْ قوافلُ خَبَّرَتْ   بأمرٍ من الدنيا علىَّ ثقيل

وقالوا ألاَ تَبْكى لمصْرع هالكٍ   أصاب سبيل الله خيرَ سَبيلِ!

كأنَّ المَنايا تبْتَغِى فى خِيارنَا   لَها تِرَةً أو تهتدِى بدليل

لتَأْتِ المنايا حيثُ شاءَتْ فإنها   مُحَلَّلَةٌ بعدَ الفَتى ابن عَقِيل

فتى كان مولاها يحلُّ بِنَجْوةٍ   فَحَلَّ المَوَالِى بعدَه بمسيل

[ما تمثلت به عائشة على قبر أخيها]

وتمثلت عائشةُ رحمها الله عندَ قبر عبد الرحمن بن أبى بكر بقول مُتَمِّم بن نُوَيْرَةَ:

وكُنا كَنَدْمَانَى جَذِيمةَ حِقْبَةً   من الدهر حتى قيلَ لن يَتَصدَّعا

وعِشْنا بخيرٍ فى الحياة وقَبْلنا   أصَابَ المنايا رَهْط كِسْرى وتُبعَا

فلمَّا تفرقنا كأنِّى ومالكا   لطُولِ اجتماعٍ لم نَبتْ ليلةً مَعًا

***

ومات صَديقٌ لسليمانَ بن عبد الملك، يقال له شرَاحِيلُ، فتمَّثلَ عندَ قبرِه:

وهَوَّنَ وجْدى عن شرَاحِيلَ أنَّنى   إذا شئتُ لاقيتُ امْرأ مات صاحبُهْ

---

(١) البيت من زيادات ر.

[الأعرابي]

وقال أعرابيٌّ:

ألا لَهْفَ الأَرَامِلِ واليَتَامى	ولهف الباكياتِ على قُصَيٍّ!
لَعَمرُكَ مَا خشيتُ على قُصيٍّ	مَتَالفَ بين حجر والسُّلى [1]
ولكنى خَشيتُ على قُصيٍّ	جَريرةَ رُمْحِهِ فى كل حَيّ
فَتى الفِتْيانِ مُحلَوْلٍ مُمِرٌّ	وأَمَّارٍ بإرشادٍ وغَيٍّ [2]

فهذا من أجفى أشعار العرب، ينبئ صاحبُه أنَّ تقديره فى المرثى أن تكون منيَّتُهُ قتلا، ويتأسَّفُ من موته حَتْفَ أنفه، ويقول فى مدحه:

* وأمار بإرشاد وغيّ *

[خبر عامر بن الطفيل وأربد أخي لبيد]

وشبيهُ بهذا قول لبيد فى أخيه أربد، لـمَّا أصابته الصاعقة وأصابت عامرًا الغُدَّة[3] بدعوة رسول الله ﷺ، وكان عامرُ قد قدم إلى رسول الله ﷺ [4] ومعه أربدُ، فقال لأربد: أنا أشْغَلُهُ لكَ واضربهُ أنت بالسيف من ورائه، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام على أن يجعل له أعِنَّةَ الخيل، فقال عامر: ومن يمنعها منى اليوم! ولكن إن شئت فَلَكَ المَدَرُ ولى الوبَرُ، أوْ لىَ المَدَرُ ولك الوَبَرُ. فأعرض عنه رسول الله ﷺ، فقال: فاجعل لى هذا الأمرَ بعدكَ، فأعلمه النبيُّ أنَّ ذلك ليس بكائنٍ، قال: فأبْشِرْ بخيل أوَّلُها عندكَ وآخرُها عندى، فقال رسولُ الله ﷺ: «يأبى الله ذلكَ وابنا قَيْلَةَ»- يعنى الأوس والخَزْرَج.

ويُروى أنَّ سعدَ بن عُبادَةَ قال: يا رسول الله، عَلامَ يَسْحَبُ هذا الأعرابى لسانَه عليكَ! دَعْنى أَقْتُلْهُ.

ويُروى أن عامرا قال للنبى عليه السلام: لأَغْزُوَنَّكَ على ألف أَشْقَرَ وألف شَقْراءَ، فلما قال، قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إكفنيهما». وتَروى قيسٌ أنه قال:

---

(١) حجرة: موضع باليمامة، والسلى: واد بها أيضًا.

(٢) ممر من أمر الشيء، ضد حلا ه.

(٣) الغدة: طاعون الإبل.

(٤) ر: «وكان عامر بن الطفيل صار إلى رسول الله ﷺ».

«اللهم إن لم تَهْد عامـرًا فاكفنيه»، وقـال عامرٌ لأرْبَد: قد شغلتـه عنك مرارًا فألا ضربَتَهُ! قال أرْبَدُ: أردتُ ذلك مرتين فاعـترض لى فى إحداهما حائطٌ من حديد، ثم رأيْتُكَ الثانيةَ بينى وبينه، أفأقتلك! فلم يصل واحـد منهما إلى منزله، أمَّا عامرٌ فغُدّ فى ديار بنى سَلول بن صعصَعَةَ، فجـعلَ يقول: أَغَدّة كغُدَة البعير، وموتا فى بيت سَلُولِيَّة! وأمَّا أرْبَدُ فارتفعت له سحابة فَرَمَتْهُ بصاعِقَة فأحرَقَتْهْ، وكان أخا لبيد لأمه، فقال يرثيه:

أخـشى على أرْبَدَ الحُـتُـوفَ ولا ... أرْهَبُ نَوْءَ السِّـمـاك والأسَـد
مـا إن تُـعَـرى المَنُونُ مـن أحـد ... لا والد مُـشـفِـق ولا وَلَد
فَجَّـعَنِى الرَّعدُ والصـواعقُ بالفار ... س يومَ الكـريهَـة النَّـجُـد [1]
يا عَـيْنُ هَـلاَّ بَكَيْـتِ أرْبَدَ إذ ... قُـمْنا وقـام العَـدوُّ فى كـبَـد [2]

وقال أيضاً:

ذهبَ الذين يُعـاشُ فى أكنافـهمْ ... وبَقيت فى خَلَفٍ كَجِلْدِ الأجْرَبِ
يتـحـدَّثون مَـخَـانَةً ومَـلاذَةً ... ويُعـاب قـائلهم وإن لم يَشْـغَب
يَا أرْبَدَ الخيـرِ الكريمَ جُـدُودُهُ ... غـادرْتَنى أمْـشى بقـرْن أعْـضَب
إنَّ الرَّزيئـةَ لا رزيئَـةَ مـثلهـا ... فـقدانُ كلِّ أخٍ كَـضَـوْء الكَوْكَبِ

قـوله: «فى خلف» يقـال: هو خَلَفُ فـلانٍ لمن يَخْلُفُـهُ من رهطه، وهؤلاء خَلْفُ فُلانٍ، إذا قاموا مَقامه من غـير أهله، وقلما يستعمل «خَلْفٌ» إلاَّ فى الشرّ، وأصلُه مـا ذكرنا، والمخَانة: مـصدرٌ من الخـيانة، والـمَلوذ: الذى لا يَـصْدُقُ فى مودَّته. يقـال: رجال مَلوذ ومَلَذَانٌ، ومَلاذةٌ مصـدرهُ، والأعضَبُ: المقطوعُ، وفى الحديث: «لا يُضحى بعَضْبَاءَ».

ويُروى أن رجـلا قال لِمَـعْنِ بن زائدة فى مـرضه: لولا مـا مَنَّ الله به من بقائكَ، لكُنَّا كما قال لَبيد:

(١) النجد: البطل الشجاع.
(٢) الكبد: الجهد والمشقة.

ذهب الذين يُعاش فى أكنافهم   وبقيتُ فى خَلْفٍ كجِلْدِ الأجْربِ

فقال له مَعْنٌ: إنما تَذكُرُ أنى سُدْتُ حين ذهبَ الناسُ، هلا قلتَ كما قال نهارُ بن تَوْسِعَةَ:

قَلَّدَتْهُ عُرَى الأُمورِ نِزارٌ   قبلَ أن تهلكَ السَّراةُ البُحورُ

ثم نَرجِعِ إلى ذكر المراثى:

[الأعرابى]

وقال أعرابى:

لعمرى لقد نادَى بأرفعِ صوته   نَعِىُّ حُنَيى أن سيِّدكم هَوَى

أَجَل صادقًا والقائل الفاعلُ الذى   إذا قال قولاً أَنْبَط الماءَ فى الثَّرى(١)

فتى قَبَلٌ لم تعنس السِّن وَجْهَهُ   سِوَى وَضَح فى الرأسِ كالبَرقِ فى الدُّجَى(٢)

أشارتْ له الحربُ العَوَانُ فجاءها   يُقَعقِعُ بالأقرابِ أوَّلَ مَنْ أَتَى(٣)

ولم يَجْنِها لكنْ جَناها وَلِيُّهُ   فآسَى وآداهُ فكان كَمن جَنَى(٤)

[صدار الخنساء]

ويُروى أنَّ عائشة رضى الله عنها نظرتْ إلى الخنْساء وعليها صِدَارٌ(٥) من شَعَرٍ، فقالت: يا خنساء، أَتَلْبسينَ الصِّدارَ وقد نَهَى رسولُ الله ﷺ عنه ! فقالت:

(١) أنبط الماء فى الثرى، قال المرصفى: «مثل لإنجاز ذلك الوعد، وإنباط الماء استخراجه كاستنباطه» واسم ذلك الماء النبط، بالتحريك.

(٢) قبل، قال المرصفى: «هو فى الأصل أن يرى الهلال ساعة يطلع من غير أن يتطلب لوضوحه؛ يريد أنه حين يبدو واضح الوجه ظاهره، ولم تعنس السن وجهه؛ أى لم تحوله إلى الكبر، والوضح: بياض الشيب.

(٣) القعقعة: اضطراب السلاح بعضه ببعض، والأقراب: جمع قرب بسكون الراء وضمها، يريد أقراب الخيل.

(٤ آداه: أعانه

رجلا متْلافًـا فأَخْفَقَ [١]، فأراد أن يسـافرَ، فـقلت له: أقم وأنا آتى أخى صَـخرًا فأسألُهُ، فأتيته فشاطرَنى مالهُ فـأتلفه زوجى، فَعُدَتُ له فعَادَ لى بمثل ذلك، فأتلفه زوجى، فعدتُ له. فلمـا كان فى الثالثة أو الرابعـة، قالت له امرأة: إن هذا المال مُتلَفٌ، فامنَحهْا شِرَارَها، فقال صخرٌ:

والله لا أمْنحُـــهـــا شِـــرارَها ... ولو هَلَكتُ خَـــرَّقَتْ خِـمَـارَها

واتخذت من شَعَرٍ صِدارَها

فلما هلكَ اتخذتُ هذا الصِّدارَ، وكان صخرٌ أخَا الخنساء لأبيها فقط.

ويُروى عن بعض نساء بنى سُلَيْمٍ أنها نظرتْ إليها فى صِدار وهى تَصنع طيبًا لابنتـها لتَنقلَهـا إلى زوجها، فَـقاولَتْـهَا فى شىء كـرهَتْه الخنسـاء، فقالـت لها: اسكتى، فوالله لقد كنتُ أبسطَ منك عَرْفًا [٢]، وأَطيب منكِ وَرْسًا، وأَحسنَ منك عُرْسًا، وأَرَقَّ منك نَعْلاً، وأكرمَ منكَ بَعْلاً.

وكان بَشّارٌ يقول: لـم تُقل امرأةٌ شعـرًا قَط إلا تبينَ الضعفُ فيه، فقيل له: أوَ كذلكَ الخنساء! فقال: تلك كان لها أربعٌ خصىً.

[لبعض القرشيين يرثى أخاه]

وقال القرشى - وتَتَابَع لَهُ بَنونَ:

أَسُكانَ بَطَنِ الأرضِ لو يُقـبلُ الفدا ... فُديتُم وأَعْطينا بكم ساكنى الظَّهرِ

فيا ليت مَن فيها عليها ولَيتَ مَن ... عليها ثَوى فيها مـقيما إلى الحشر

فماتُوا كأنْ لم يَعْرفِ الموتُ غيرَهم ... فَثكل على ثـكل وقبرٌ على قـبر

لقد شَـمت الأعداءُ بى وتَغَـيَّرتْ ... عُيونٌ أَراها بعـد موتِ أبى عَمْرو

تَجَـرَّى عـلَىَّ الدَّهر لَمَّا فَـقَـدْتُهُ ... ولو كان حيًّـا لاجترأت على الدهْر

وقـاسَـمنى دهرى بَنِىَّ مُـشـاطرًا ... فلمّا تَوفى شَطْرَهُ مالَ فى شَطْرى [٣]

---

(٦) أخفق: ذهب ماله.

(١) العرق. الرائحة.

(٢) توفى أى استوفى، وشطر الشىء: نصفه.

[لآخر يرثى أبناءه أيضًا]

وحدثنى العباسُ بن الفَرَجِ الرّياشيِ قال: قَدَم رجلٌ من البادية، فلما صارَ بِجَبَل سَنَامٍ مات له بنونَ، فدفنهم هناك، وقال:

دفَنْتُ الدافعين الضَّيْمَ عنّى   برابيةٍ مُجاورةَ سَنَاما

أقولُ إذاذ كرتُ العَهْد منهمْ   بنفسى تلك أَصْداءً وهاما

فلم أرَ مثلَهم ماتوا جميعًا   ولم أرَ مثل هذا العامِ عاما

***

[قال أبو الحسن الأخفشُ: وفيها عن غير أبى العباس:

فَلَيْتَ حِمَامَهُم إذْ فارقونى   تلَقَّانَا فكانَ لنا حِمامًا]

[للحارث بن عبد الله الباهلى يرثى أبناءه].

قال أبو العباس: ويُروى أنَّ رجلاً كان له بنونَ سبعةٌ - يَرْوِى ذلك أبوالحسن المَدَائنى - قال أبو العباس: فاختُلفَ علىَّ فيهم، فقال قوم: كانوا تحت حائط، وقال قومٌ آخرون: بل حُلبَ لهم فى علبةٍ فمجَّ فيها أفعى فبُعثَ بها إليهم فشربوها فماتوا جميعًا.

والرجلُ يقالُ له الحارثُ بن عبد الله الباهلى، وهَلَكت لجارٍ له شاة فجعَلَ يُعلنْ بالبكاء عليها، فقال قائلٌ:

يأيُّها الباكِى على شَاتِهِ   يَبْكى جِهَارًا غيرَ إِسَرارِ

إنّ الرَّزيئاتِ وأمثالها   مَا بقِى الحارثُ فى الدَّار

دَعَا بنى مَعْنٍ وإِخوانهم   فكلهم يَغْدوُ بِمحْفارِ

***

قال أبو العباس: والمصائب ما عَظُم منها وما صَغُرَ تقع على ضربين، فالحَزْمُ التَّسَلى عمَّا لا يُغنى الغَمّ فيه، والاحتيال لدفعِ ما يُدْفَعُ بالحِيلة.

ومنْ أَحْسَنِ القولِ فى هذا المعْنَى فى الإسلام، قولُ على بن الحسين بن علىّ ابن أبى طالب عليهم السلام، حينَ مات ابنهُ فلم يُرَ منه جَزَعٌ، فَسئُلَ عن ذلك، فقال: أَمْرٌ كُنا نتوقعه، فلما وَقَع لم نُنْكِرهُ، وفى هذا زيادة تُنتَظَرُ، وفضْلُ تسليم لقضاء الله عز وجل.

والعربُ تقولُ: الحَذرُ أشدّ من الوَقيعَة. وقال رجلٌ من الحكماء: إنما الجَزَعُ والإشْفاق قبل وقوع الأمر، فإذا وقع فالرضا والتسليم.

ومن هذا قولُ عمرَ بن عبد العزيز رحمه الله: إذا استأثر الله بشىء فَالْهَ عنه. يقال: لَهِيتُ عن الأمر أَلْهَى؛ إذا أضربت عنه، ولهَوتُ أَلْهُوا، من اللعب.

[لأوس بن حجر يرثي فضالة بن شريك]

ومن أقْدَمِ ما قيلَ فى هذا المعنى قولُ أوْس بن حجرِ الأَسَيْدىّ، من بنى أُسَيِّد ابن عمروْ بن تَميم، يرثى فضالةَ بنَ كَلَدَة، أحدَ بنى أَسَدِ بنْ خزيمَة:

أيتُها النفسُ أَجْمِلِى جَزَعَا ... إن الذى تَحْذرينَ قد وَقَعَا
إن الذى جَمَعَ السَّماحَـ ... ـة والنَّجدة والحَزْم والقُوى جُمعَا
[أَوْدى فَمَا تَنْفعُ الإشَاحةُ من ... شَىْء لِمَن قد يُحَاوِلُ البِدَعَا] (١)
الألمعى الذى يظن بكَ الظَّنَّ ... كأنْ قد رأى وقد سَمِعَا
المُخْلِفُ المُتْلِفُ المُرزأ لَمْ ... يُمْتَعْ بِضَعْفٍ ولم يَمُتْ طَبَعَا
والحافظ الناسَ فى تَحُوطَ إذا ... لم يُرسلوا خَلْفَ عائذ رُبَعَا
وعَزَّت الشَّمْألُ الرياحَ وقد ... أَمْسَى كَمِيعُ الفتاة مُلْتَفِعَا
وشُبِّه الهَيْدَبُ السّبامُ منَ الأَقوَامِ ... سَقبا مُلبَّسًا فَرعًا
وكانت الكاعبُ المُمنَّعةُ الحَسْنَاءُ ... في زادِ أهلها سُبُعا
لِيبكِكَ الشَّرْبُ والمُدامةُ والفتيانُ ... طرًّا وطامعٌ طمعَا
وذاتُ هِدْمٍ عارٍ نواَشِرُهَا ... تَصمِتُ بالماء تَوْلبا جَدِعَا

(١) البيت من زيادات ر.

وفيها زيادةٌ لكنَّا اخترْنَا.

قوله: «الألمعى» الحـديدُ اللسانِ والقلبِ، وقد أبانـهَ بقوله: «الذى يَظُنُّ بك الظَّنَّ كأن قدْ رأى وقد سَمِعَا».

وقوله: «المخـلِفُ المتلفُ» أراد أنه يُتْلَفُ ماله كـرَمًا ويُخْلِفـهُ نَجَدَة، . كـما قال[1]:

ناقَــتُــه تُرقِلُ فـى النِّقــالِ [1] مُـتْـلِفُ مَـالٍ ومُــفِـيــد مــالِ

وقال آخر:

* فأتلف ذاكَ متْلافٌ كَسُوبُ *

والمُرَزَّأُ: الذى تنالهُ الرَّزيئـاتُ فى ماله لما يُعطى ويُسـألُ، والإمتاعُ: الإقـامة فيقول: لم يُقِمْ وهو ضعيفٌ.

والطَّبع: أسوأ الطَّمَع، وأصلُه أن القلْبَ يعتادُ الْخَلَّةَ الدنيئـةَ فتركبه كالحائل بينه وبين الفهم لقُـبْح ما يَظهر منه، وهذا مـثلٌ، وأصلُه فى السيف وما أشبـهه، يقال: طَبِعَ السَّيـفُ، إذا ركبه صَدأ يَسْتَـرُ حَدَيدَهُ، و﴿طَبَعَ الله على قُلوبهِمْ﴾ [2] مِنْ ذا.

وتحُوط وقَحُوطُ: اسمان للسَّنَة الجَدبةِ، كما يقال: جَحْرَةٌ وكَحْلٌ.

وقوله:

لم يُرْسِلُوا خَلفَ عائذ رُبعَا

فالعائذ الحديثـة النتاجُ، والرُّبع: الذى يُنْتَجُ فى الربيعِ، ومن شأْنِهِم فِى سَنَةِ الجَدْبِ أن يَنحرُوا الفصَالَ، لئلاّ ترْضَعَ فَتَضرَّ بالأُمَّهات.

وقوله: «وعَـزَّتِ الشمْأَلُ الرِّياحَ»، يـقول: غَلَبَتْـها، وتلك علامـةَ الجَدْبِ،

(١) النقال: وانظر رغبه الأمل.

الإرقال: ضرب من المشى، والنقال: الحجارة.

(٢) سورة محمد ١٦.

وذَهابِ الأمطار، ومن ذلـك قـولُهم: «من عـزَّ بزَّ» أى مَنْ غَلَـبَ اسـتَلَبَ، وفى القرآن: ﴿وعَزّنى فى الخطاب﴾ [(١)]، أى غَلَبَنى فى المخاطبة.

وقوله: «وقـد أَمْسَى كَمِـيعُ الفَتاةِ»، فـالكميع الضجـيعُ، وهو الكِمْعُ، قال الشاعر[(٢)]:

ومشحوذ الغِرارِ يبيت كِمْعى

يعنى السَّيفَ، أى يَبِيتُ مُضاجعى.

مُلْتَفِعًا، يقال: تَلَفَّعَ فى مُطرَفِهِ وفى كـسائه، إذا تلَفَّفَ وتَزَمَّلَ فيه، فيقول: من شِدَّةِ الصِرِّ يَلتفعُ به دون ضَجيعه.

والكاعبُ: التى كَعَبَ ثَدْيُهـا، يقول: تصيرُ: كالسَّـبُعِ فى زادِ أهلها بعد أن كانت تعافُ طَيِّبَ الطعامِ.

وقوله: «وذاتُ هِـدْمٍ» يعنى امرأة ضـعيفـة، والهِدْمُ: الكسـاء الخَلَقُ الرَّثُّ، وقوله: «عارٍ نواَشِرُهـا»، النواشرُ: عروقُ الساعد، والتَّوْلَبُ: الصـغيرُ، والجدعُ: السيئ الغذاءً، وهو الجَحنُ والقَتِينُ.

[الأعرابى]

وقال أعرابىٌّ [(٣)]:

خَليلى عُـوجَـا باركَ الله فيكمـا	على قـبر أهْبَـان سقَـتْهُ الرَّوَاعِـدُ
فَذَاكَ الفَـتَى كلُّ الفتى كـان بينه	وبينَ المُزجَّى نَفنَفٌ مُـتَـباعِـدُ [(٤)]
إذا نازع القومَ الأحاديث لم يكنْ	عَيـيًّا ولا عـبئًـا على مَنْ يُقَـاعِدُ

---

(١) سورة ص ٢٣.

(٢) فى ر: «الراجز»، والصواب ما أثبته من الأصل، والبيت من البحر الوافر.

(٣) نسبـه أبو تمام فى (الحماسة ٢: ٩٧٧ - شـرح المرزوقى) إلى امرأة من بنى أسـد، ونقل المرصفى عن الأغانى أن الأبيات لهفان بن همام.

(٤) النفنف: المهواة بين الجبلين..

[ليلى الأخيلية في رثاء توبة]

وقالت ليلى الأخيَليَّة:

دعـا قـابضًـا والمُرْهَـفَـاتُ يَنُشْنَهُ فَقُـبِّحْت مـدعوًّا ولَـبَّيكَ دَاعـيًا!

فَلَيت عُـبـيـدَ الله كـانَ مكانه صَريعًـا ولم أسمع لِـتَوْبَةَ نَاعـيَا

وكان سببُ هذا الشعـر أنَّ تَوْبَةَ بن حُمَيِّر العقَيلى ثم الخـفاجىَّ، غَزَا فغنم، ثم انصرف فعرّسَ [1] فى طريقه فـأَمِنَ فقال [2]، فَنَدَّت فرسُه، فـأحاط به عدوُّه، ومعه عبيدُ الله أخوه وقابضٌ مولاه، فدعاهمـا، فَذَبَّبَ عُبيدُ الله شيئًا وانهزَما وقُتِلَ توبةُ، ففى ذلك تقولُ ليلى الأخيلية:

أعينى أَلاَ فابكى على ابن حُـمَيِّر بدمعٍ كَـفَيْضِ الجَـدْولِ المُتَـفَجِّـر

لِتَـبْك عليه مـن خَفَـاجة نِسـوَةٌ بماءِ شَـؤُونِ الـعَـبْـرَةِ المُتَـحَـدِّر

سمـعن بِهَيْجًـا أزَحفَتْ فـذكَرْنَهُ وقد يَبعَثُ الأحـزان طولُ التَّذكرِ

كـأنَّ فَتى الـفِتْـيانِ تَوْبَةَ لم يُنخ بِنَجـدٍ ولم يَطْلُع مع المتَـغَـورِ

ولـم يـرد الماءَ السَّـدامَ إِذَا بَدَا سَنَا الصُّبح فى أعـقاب أَخْضَـرَ مُدْبِرِ

ولـم يَقدَعِ الخَصْمَ الألَدَّ ويَمْلأ الـ جفـانَ سَدِيفًا يومَ نكْبَاءَ صَـرْصرِ

أَلاَ رُبَّ مكروبٍ أجبـت وخائفٍ أجَـرْتَ ومـعـروفٍ لديكَ ومنْكر

فَيا تَوْبَ لْلمَولى ويَا تَوبَ للنَّدى ويَا تَوْبَ للمُـسـتنبحِ الـمُـتَنَورِ

قولها:

* لِتَبْكِ عليه من خفاجةَ نسوةٌ *

تعنى، خفاجة بن عقيل بن كَعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة، والهيجاء تُمد وتُقصر، وقد مَرّ هذا وقولها:

* بنَجدٍ ولم يَطلعْ مع المتَغَوّر *

---

(١) التعريس: نزول المسافر أى حين.

(٢) فقال: من القيلولة؛ وهى النوم نصف النهار.

فالنَّجْـدُ كلُّ ما أَشْـرفَ من الأرضِ، والغورُ كلُّ مـا انخفض، ويقـال: ماءٌ سِدَامٌ ومياهٌ سُدُمٌ، وهى القديمة المَنْدفنة، قال الشاعرُ:

وعِلْمى بأســدام المـيـاه فلم تَزَل ... قلائص تُحـدَى فى طريق طَلاَئح

وسَنَا الصـبح، ضَـوءُه، وهو مـقـصـورٌ، فـإذا أردتَ الحَـسَبَ مـددتَ. والأَخْضَـرُ: الذى ذكَرتْ الليل، والعـربُ تُسَمِّى الأسودَ أخـضَرَ، وقـولها: «ولم يَقْدَع الخَصْمَ الألَدَّ» فالألدُّ الشديد الخصام: والسَّديف: شِقق السَّنامِ.

والنَّكباءُ: الريحُ بين الرِّيحَيْنِ الشديدة الهُبوبِ.

والصَّرصـر: الشديدة الصّوت، والمُسْتَنْبِحُ: الذى يَسْـرِى فلا يَعْرِفُ مـقصدًا فَيَنْبحُ لتُجيبه الكلابُ فيقصدَها.

والـمُتَنَوِّرُ: الذى يلتـمس ما يَلوح له من النارِ فيـقصده، قال الأخطل يعَـيِّرُ جَرِيرًا:

قومٌ إذا استَنْبَحَ الأضـياف كَلْبَهُمُ ... قـالـوا لأُمِّـهِمُ بُولى عـلى النارِ

فيقال إن جريرا توجَّع من هذا البيتِ، وقـال: جَمَعَ بهذه الكلمة ضروبًا من الهجاء والشتم؛ منهـا البخلُ الفاحشُ، ومنها عقوقُ الأم فى ابتـذالها دونَ غيرها، ومنها تقذيرُ الفِنَاء، ومنها السَّوْءَة التى ذكرها من الوالدة.

وقال آخرُ:

وإِنِّى لأطوى البَطْنَ من دُونِ مِلئِهِ ... لِمُـخـتـبطٍ فى آخـر الليلِ نَابِحِ

وإنّ امتلاء البطنِ فـى حَسَبِ الفَتَى ... قليل الغَنَاءِ وهو فى الجسمِ صالحُ[1]

***

وقالت ليلى الأخيَلِّيَّة:

نَظَـرْتُ وركُنٌ مـن بوَانَـةَ دونَنَـا ... وأركانُ حِسْمى أىّ نَظْرَةَ ناظِرِ![2]

(١) الغناء: الإجزاء.

(٢) بوانة وحسمى: موضعان.

إلى الخيل أجلى شَأوُها عن عَقيرة   لعاقرها فيها عَقيرةُ عاقر
كأنَّ كأن فتى الفتْيَانِ تَوْبَةَ لَم يُنِخْ   قلائصَ يَفْحَصْنَ الحَصَى بالكَراكِر
ولم يَبْنِ أَبْرَادًا رِقَاقًا لِفتْيَة   كرامٍ ويَرْحَلْ قَبْلَ فيء الهَواجِر
فتى لا تخطاهُ الرِّفَاقُ ولاَ يَرَى   لِقِدْرٍ صِيالاً دونَ جارٍ مُجاوِر
وكنت إذا مَوْلاكَ خَاف ظُلامةً   دعاكَ ولم يَقْنَع سِواكَ بِنَاصِر

قولها: «أى نَظرَة ناظرٍ»، يصلح فيه الرفعُ، والنصبُ على قوله: نظرتُ أىَّ نظرة، وأيَّةَ نظرة، وأَيَّتَما نظرة، كما تقول: مررت برجلٍ أيَّما رجل، وتأويله: مررت برجل كامل. فأيما في موضع «كامل»، وتقول: مررت بزيد أَيَّما رجلٍ، على الحال، ومن قال: «أيُّ نظرة ناظرٍ» فعلى القطع والابتداء، والمُخْرَجُ مَخْرَجُ استفهام، وتقديرُه: أيُّ نظرةٍ هي! كما تقول: سبحانَ الله، أي رجل زيدٌ! وهذا البيتُ يُنْشَدُ على وجهين:

فأَوْمَأتُ إيماءً خَفيًّا لِحَبْتَرٍ   ولله عَينَا حَبْتَرٍ أَيَّما فَتى

«وأيُّما» إن شئتَ على ما فسرنا.

وقولها:

* إلى الخَيْلِ أَجْلى شَأْوُها عن عَقيرَةٍ*

شأوُها: طَلَقُها [1].

وقولها:

* لعَاقِرها فيها عَقِيرَةُ عَاقِرٍ*

أي قد أصابوا عقيرةً نَفيسةً؛ كقول القائل: نعمَ غَنِيمةُ المُغْتَنِم، وكقولهم: عقيرةٌ وكما تكونُ. وهذا نظيرُ قولِه:

ولما أصابوا نَفْسَ عمرِو بن عامرٍ   أَصَابوا به وتْرًا ينيمُ ذوى الوتْرِ

---

(١) الطلق: الشوط والغاية.

يقال: ثأرٌ مُنيمٌ إذا أصابه المثئرُ هَدَأَ وَاستقرَّ، لأنه أصاب كفئا، وهذا خلافُ قولِ الآخرِ:

قومٌ إذا جَرَّ جانى قومِهِم أَمِنُوا ... للؤم أحسابهمْ أن يُقْتَلُوا قَوَدًا

وخلاف قول الحَارث بن عبادٍ:

لا بجير أغنى قتيلاً ولا رَهْـ ... ـطُ كُلَيْبٍ تَزاجَرُوا عن ضلالِ

ولكن كما قال دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ:

قتلت بعبدِ الله خيرَ لِدَاتِه ... ذؤابًا فلم أفْخَرْ بذاكَ وأَجزَعا

وكما قال عُبيد الله بن زياد بن ظبيانَ التَّيْمىُّ، من بنى تَيْمِ اللات بن ثعلبةَ، حيث قَتَلَ مُصعَبَ بن الزُّبَيْر بأخيه النَّابى بنِ زيَادٍ:

إنَّ عبيدُ الله ما دامَ سَالِمًا ... لسَار عَلى رَغْمِ العدوِّ وغَادِى

ونحن قتَلْنا ابنَ الزُّبير ورأسَهُ ... حززْنَا برأسِ النابِى بنِ زيادِ

كسر الياء على الأصل، كما قال ابنُ قيس الرُّقَيَّات:

لا بارك الله فى الغوانِى هَلْ ... يَصْبحنَ إلاَ لَهُنَّ مُطَّلَب

ومَنْ أخذه من نَبأتُ على القوم، أى طلعت عليهم، ، فلا علة فيه ولا ضرورة.

[قال الأخفشُ: المعروف فيه الهمزُ، والمراد لم يَهْمِزْهُ، فإنما أخذه من نَبا يَنْبُو، فصارَ مثلَ رامٍ وقاضٍ وما أشبههما].

***

وقال أبو الأسد مَوْلى خالد بن عبد الله القَسْرىِّ، لمَّا قَتلوا الوَليدَ بنَ يزيد ابن عبد الملك بخالدِ بن عبد الله:

فإن تَقتُلوا مِنَّا كَريمًا فإنَّنَا ... قَتَلْنَا أميرَ المؤمنين بخالدِ

وإن تَشْـغلونا عـن ندانَا فـإننا شَـغَـلنا وَلِيـدًا عن بِـنَاءِ الوَلائدِ
تَركْنَـا أمـيـرَ المؤمـنينَ بخـالدٍ مكبًّا على خَـيشُومِهِ غيـرَ سَاجِد

وقال الخزاعىُّ [1] بعد:

قَـتَلنَـا بالفَـتى القَسْـرِىِّ منهمْ وَليـدَهُم أمـيـرَ المؤمنيـنَا
ومَـرْوانًـا قَـتَلـنَا عن يـزيد كـذاكَ قَـضاؤنا فى المعـتـدينَا
وبابن السِّـمط منَّا قـد قَـتْلنا مـحـمـدًا بنَ هارونَ الأمـينَا
فـمن يَـكُ قَـتْلُهُ سُـوقًـا فـإنَّا جَـعَلنَا مَـقْـتَـل الخُلَفَـاءِ دينَا

وقولهـا: «ويَرْحَلْ قَبلَ فَىءِ الهَـوَاجِرِ» تريد أنه مـتيقظٌ ظعَّـانٌ، والمولى فى قولهـا «إذا مولاك خـاف ظلامةً» يحـتمل ضروبـا، فالمولى ابنُ العَمِّ، وقـوله عز وجل: ﴿وَإِنِّى خِـفْـت المَوَالىَ مِنْ وَرَائى﴾ [2]، يريدُ بنى العمّ: قـال الفَـضلُ بن العباس:

مَـهلاً بَـنى عَمِّنـا مهـلا مَـوالينا لا تَنْبُـشُوا بينَنـا ما كـانَ مَدْفُـونَا

ويكونُ المولى المُعْتَقُ، ويكون المَولَى من قـوله جَلَّ ثناؤُه: ﴿وَأَنَّ الكافرينَ لا مَوْلَى لَهُم﴾ [3]، ويكون المَوْلَى الذى هو أحقُّ وَأولَى، مـنه قوله: ﴿مَـأْوَاكُـمُ النار هِىَ مَوْلاَكُمْ﴾ [4]، أى أَوْلَى بكم، والمَولَى: المالكُ، وقولها: «ولم يبن أَبْرَادًا» تريدُ الخِيامَ.

***

قال أبو العباس: وكـانت الخَنساء وليلى بائنَتَيْنِ فى أشعارهما، متـقدِّمَتَيْنِ، لأكثر الفحول، ورُبَّ امرأة تتقـدم فى صناعة، وقَلما يكونُ ذلك، والجملة ما قال الله عز وجل: ﴿أَوَ مَنْ يُنَشأ فى الحِلْيَة وهو فى الخصام غَيْرُ مُبين﴾ [5].

وقال النبىُّ ﷺ: «إن المرأة خُلِقَتْ مَن ضِلعٍ عَـوْجَا، وإنكَ إن تُرِدْ إقامَـتَهَا، تكْسِرْها، فَدارها تَعِشْ بها».

---

(١) هو دعبل.

(٢) سورة مريم ٥ (٣) سورة القتال ١١

(٤) سورة الحديد ١٥ (٥) سورة الزخرف ١٨

فَممن نَدَرَ [1] من النساء فى باب مـن الأبواب: أُمُّ أيوبَ الأنصارية [2]، وأم الدَّرْدَاء [3]، ورابعة القَيسيَّةُ [4] ومُعاذَةُ العَدَوِيةُ [5]، فإنّ هؤلاء النسـوةَ تقدَّمن فى الفضلِ والصلاحِ، على تَقَدم بعضهنَّ بعضًا.

حدثنى الجـاحظ عن إبراهيم بن السِّندى، قال: وكانت تـصيرُ إلىَّ هاشمـيةُ جارية حَـمْدونَةَ فى حاجات صـاحبتهـا، فأَجْمَعُ نفسى لهـا، وأطرُد الخواطرَ عن فكرى، وأَحْضرُ ذهْنى جُهدى، خوفًا من أن تُوردِ علىّ ما لا أفهمه، لبُعد غَوْرها، واقتدارها على أن تُجْرى على لسانها ما فى قلبها.

وكذلك مـا يُؤثرُ عن خالصةَ وعُـتبَةَ جـاريَتْى رَيْطة بنتِ أبى العباس. فـأما النساءُ الأشراف فإنَّ القولَ فيهنّ كثيرٌ مُتسعٌ.

[من مراثى الخنساء]

فمما نَدَرَ من شعر الخنساء قولُها ترثى صخرًا:

يا صـخرُ ورَّاد ماء قـد تَناذرَهُ [6] ... أهلُ الميـاهِ ومـا فى وردهِ عـارُ
مَشْىَ السَّبَنْتَى إلى هَيْجَاء مُعضَلَة ... له سـلاحان: أنيابٌ وأظـفارُ [7]
ومـا عَـجُـولٌ علـى بَوٍّ تَحِنُّ له ... لهـا حنينان: إعـلانٌ وإسـرارُ
تَرْتَعُ ما غَفَـلَتْ حتَّى إذا ادَّكرتْ ... فـإنما هـى إقـبـالٌ وإدْبارُ
يومًـا بِأَوْجَعَ مِنِّى يومَ فـارقَنى ... صَخْـرٌ، ولِلْعَيش إحْـلاَءٌ وإمَرارُ
وإنَّ صـخـرًا لَوالينا وسـيِّدُنا ... وإنَّ صـخـرًا إذَا نَشـتُـو لَنَحَّـارُ
وإنَّ صـخـرًا لَتَـأْتَمُ الهُـدَاةُ به ... كـأنه عَلَـمٌ فى رأسـه نارُ
لم تَرَهُ جـارةٌ يَمشى بِـساحَـتِهـا ... لريبـةٍ حين يُخـلى بيـتَـهُ الجـارُ

(١) ندر: ظهر وبرز

(٢) أم أيوب بنت قيس الخزرجية، زوج أبى أيوب الأنصارى الصحابى.

(٣) أم الدرداء: زوج أبى الدرداء الخزرجى الصحابى

(٤) رابعة بنت إسماعيل العدوية من ولد سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس

(٥) معاذة بنت عبد الله العدوية

(٦) تناذره، أى أنذر بعضهم بعضًا وأخافه (٧) الهيجاء: الحرب.

قولها:

يا صَخرُ ورَّادَ ماءٍ قد تَنَاذَرَهُ أَهْلُ المياهِ ومَا فِي وردِه عارُ

تعنى الموت، أى لإقدامه على الحرب.

والسَّبْتنى والسَّبَنْدَى واحدٌ، وهو الجرىء الصَّدر، وأصْله فى النَّمر، والعجُولُ: التى فارقها ولدُها.

والبَوُّ، قد مضى تفسيره، وكذلك: «فإنما هىَ إقبالٌ وإدْبارُ»، وقد شرَحْنا كيف مَذْهَبُه فى النحو.

وقولها: «إلى هيجاءَ مُعْضلة» تعنى الحَربَ.

وقولها: «كأنه عَلَمٌ فى رأسه نارُ» فالعَلَمُ الجبلُ، قال الله جل وعز: ﴿وله الجَوارِ المُنشآتُ فى البَحْرِ كالأعْلامِ[1]﴾، وقال جرير[2]:

* إذا قطعن عَلَمًا بدَا عَلمْ *

***

ومن حَسَن شعرِها قولها:

أَعَينَىَّ جودَا ولا تَجْمُدَا ألاَ تَبْكيانِ لِصَخْرِ النَّدى

ألاَ تَبْكيانِ الجَرِىءَ الجَميلَ ألاَ تَبكيانِ الفَتَى السَّيِّدَا

طويلَ النِّجادِ رَفيعَ العِمَا دِ سادَ عَشيرَتَهُ أَمْردَا

إذَا القومُ مَدُّوا بأيديهِمُ إلى المَجْدِ مَدّ إليه يَدَا

فنالَ الذى فوقَ أيديهِمُ منَ المجدِ ثم مَضَى مُصْعِدًا

يُكَلِّفُهُ القومُ ما عَالَهمْ وإن كان أصغرَهم مَوْلِدَا

(١) سورة الرحمن ٢٤.

(٢) من أرجوزة له فى ديوانه ٥٢٠، وبعده:

* فَهُنَّ بَحثًا كمضلاتِ الخَدَمْ *

تَرَى الحـمـدَ يَهْـوِى إلى بيتـه ... يَرَى أفـضلَ الكَسْبِ أن يُحـمَـدَا

قولهـا: «طويل النِّجاد»، النِّجاد: حَـمَائِلُ السَّيْـفِ، تريدُ بطولِ نجاده طولَ قامتهِ، وهذا مما يُمدَحُ به الشريفُ، قال جريرٌ:

فـإنى لأَرْضى عبـدَ شـمْسٍ وما قـضَتْ ... وأَرْضَى الطّـوال البِـيضَ مـن آل هاشم

وقال مَرْوانُ لأمير المؤمنين المهدى [1]:

قَصُـرَتْ حمـائلُهُ عليه فَـقَلّصَتْ ... ولقـد تَأَنَّقَ قَـيْنُـهـا فَـأطالَـهَـا

وقال رجلٌ من طَيئ:

جَـديـرٌ أن يُقِلَّ السـيفَ حـتى ... يَنُوسَ إذا تَمطـى فى النِّجـادِ [2]

وقال الحَكَمىُّ [أبو نواس] [3]:

سَـبِطُ البَنَانِ إذا احْـتَـبى بِنجـادهِ ... غَمَـرَ الجَمَـاجِمَ والسِّـماطُ قـيامُ

وقال عنترة:

بطلٌ كَـأَنَّ ثيـابَه فى سَـرْحَـةٍ ... يُحْذَى نِعالَ السِّبْتِ ليس بتَوْءَمِ [4]

وقولها: «رَفيع العِمَـاد» إنما تريدُ ذاك، يقال: رجل معُمَّد أى طويل، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿إِرَمَ ذاتِ العِمادِ﴾ [5]، أى الطّوال.

وقولها: «ما عَالهم» أى ما نَابَهُم، ونَزَلَ بهم، تقـول العربُ: ما عالك فهو عائلى، أى ما نَابَكَ فهو نائبى، ومنْ ذا قولُ كُثَيِّرٍ.

يا عَـيْنُ بكّى لِـلَّذى عَـالـنى ... مِنـكِ بدمعٍ مُـسْـبَلٍ هـامِلِ

***

(١) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «المهدى».
(٢) قل الشىء: رفعه، وينوس: يتحرك.
(٣) مكتملة من ر.
(٤) السرحة: الشجرة العظيمة
(٥) سورة الفجر ٧.

ومن جيد قولها:

أَبَعْـدَ ابنَ عَمْـرو مِنَ الِ الشَّـريدِ حَلَّـت به الأرضُ أثقـالَـهـا

لعَمْـرُ أَبـيـهِ لِنعْمَ الـفَـتَى إذا النفس أَعَـجـبـهـا مـا لَهَـا

فـإن تَكُ مُـرَّةُ أَوْدَتْ به فـقـد كـان يُكْثـرُ تقْـتَـالَهـا

فَـخَـرَّ الشَّـوامِخُ من فـقْـدهِ وزُلْزِلَـت الأرضُ زِلْزَالَـهـا

هَمَـمْتُ بِنَفْـسِيَ كلَّ الهُـمُـومِ فَـأَوْلَى لِنـفْـسيَ أَوْلَى لَهـا !

لأَحْـمِلَ نـفْـسى علـى آلةٍ فَـإمّـا عَلَيـهـا وإمَّـا لَهـا!

قـولهـا: «حلت به الأرضُ أثقـالهـا» حلَّت من الحَلى [1]، تقـولُ زَينت به الأرض الموتى، وقـال المفـسـرون فى قـول الله عـز وجل: ﴿وأَخْـرَجَـتِ الأرْضُ أَثْقالَها﴾ [2]، قالوا: الموتى.

وقولها: «لَنعمَ الفَتَى إذَا النفسُ أَعجبَـها ما لَها»، تقول: يَجودُ بما هُوَ له فى الوقت الذى يُؤثِرُهُ أهلهُ على الحمد.

والشوامخُ: الجبالُ، والشامخُ: العالى، ويقال للمتكبر: شَمَخَ بأنفه.

وقولها: «على آلـةٍ» أى على حالةٍ وعلى خُطةٍ، هى الفَيْصَلُ، فـإمَّا ظَفَرتْ وإمَّا هلكت.

وقولها: «فأَولى لنَـفسيَ أَولَى لها»، يقولُ الرجلُ إذا حاول شيـئًا فأفلَتَهُ من بعدِ ما كـادَ يصيبهُ: أَوْلَى له ! وإذا أَفْلَتَ من عظيـمةٍ قال: أَوْلَى لِى ! ويروى عن ابنِ الحَنَفيَّـة أنه كان يقول إذا مات ميتٌ فى جـوارِهِ أو فى دارِه: أَوْلَى لى ! كِدْت والله أكونُ السَّواد المُختَرَمَ، وقد مضَى هذا مُفَسَّرًا.

وأَنْشِدَ لرجلٍ يَقْتَـنِص، فإذا أَفْلَتَهُ الصيدُ، قـال: أَوْلَى لكَ ! فكَثُر ذلك منه فقال:

---

(١) الحلى: اسم لكل ما يتزين به.

(٢) سورة الزلزلة ٢.

فلو كان «أولى» يُطعمُ القومَ صِدْتهم[1] ولكنَّ «أولى» يَترُكُ القومَ جُوَّعًا

***

وقالت الخنساءُ ترثى أخاها معاويةَ بنَ عَمْرو – وكان معاويةُ أخاها لأبيها وأمِّها، وكان صخر أخاها لأبيها، وكان أحبَّهما إليها بعيدا [2]، وكان صخرٌ يستحقّ ذلك منها بأمور، منها أنه كان موصوفًا بالحلم، ومشهورًا بالجُود، ومعروفًا بالتقّدمِ فى الشجاعة، ومَحْظوظًا فى العشيرة– :

أَريقى من دُموعكِ وَاستَفيقى وصبرًا إن أطَقْتِ، ولَن تُطيقى

وقُولى إنَّ خَيْرَ بنى سُلَيمٍ وفارِسَهَا بصَحْراءِ العقيق

ألاَ هَلْ تَرْجِعَنَّ لَنَا الليَالى وأيامٌ لنا بِلَوى الشَّقيق[3]

وإذْ نحنُ الفوارسُ كلَّ يومٍ إذا حَضَرُوا وفتيانُ الحُقوقِ

وإذْ فِينَا معاويةُ بن عمرو على أدْمَاءَ كالجَمَلِ الفَنِيقِ[4]

فَبكِّيهِ فقد أوْدَى حَميدًا أمين الرَّأيِ محمودَ الصَّديق

فلا واللهِ لا تَسْلاكَ نفسى لِفَاحِشَةٍ أتيتَ ولا عُقوقِ

ولكنّى رأيتُ الصبرَ خيرًا من النَّعْلَينِ والرأسِ الحَليقِ

قولها:

* أريقى من دموعكِ واستفيقى*

معناه أنَّ الدَّمْعَةَ تُذْهِبُ اللّوعَةَ

ويُروى عن سليمانَ بن عبد الملك أنه قال عند موت ابنه أيوبَ، لعمرَ بن

---

(١) قال المرصفى: «يريد صدت لهم»

(٢) ساقطة من ر.

(٣) العقيق: ماء لبنى أسيد بن عمرو بن تميم.

(٤) أدماء؛ أى ناقة أدماء، والأدمة فى الإبل: البياض مع سواد المقلتين، والجمل الفنيق: كريم على أهله لا يهان..

عبد العزيز ورَجَاء بن حيْوَة: إنى لأجدُ فى كبِـدى جَمَرةً لا تطفئها إلاّ عَبْرَةٌ، فقال عمرُ: اذكُرِ الله يا أمير المؤمنين وعليك الصبر. فنظر إلى رجاء بنَ حَيْوة كالمستريح إلى مَشـورَته، فقال له رجاءٌ: أفـضْهَا يا أمـيرَ المؤمنين، فما بذاك من بأس، فـقد دَمَـعَتْ عـينا رسـول الله ﷺ عـلى ابنه إبراهيم، وقـال: «العينُ تَـدْمَعُ، والقلبُ يُوجَعُ، ولا نقولُ ماَ يُسْخطُ الربَّ، وإنَّا بكَ يا إبراهيمُ لَمَحزونونَ» فأرسلَ سليمانُ عـينَه فبكى حـتى قَضى أَرَبًا، ثم أقْـبَل عليـهمـا فقـال: لو لـم أنْزِفْ هذه العَبْـرَةَ لانصَدَعَت كَبِـدى، ثم لم يَبْك بعدَها، ولكنَّه تمَّثل عند قبره لـمَّـا دَفَنَه وحثَا على قبره الترابَ، وقال: يا غلامُ، دابَّتى ثم التفت [1] إلى قبره فقال:

وَقـفْتُ على قـبر مُـقيم بِقَفْـرَةٍ   مَـتَاعٌ قليلٌ من حَـبـيبٍ مُفَـارِقِ

رجعنا إلى تفسير قولها، وقولها:

* وصَبْرًا إن أطَقْتِ ولن تُطيقى *

كقول القائل: إن قَدَرْتَ على هذا فافعل، ثم أبَانَت عن نفسها فقالت: «ولن تُطيقى».

وقولها:

* فلا والله لا تَسْلاكَ نفسِى *

تريد: لا تَـسْلُو عنك، كـقـوله عـز وجل: ﴿وإذا كَـالُوهُـمْ أوزَنُوهُم يُخْسِرُونَ﴾[2]، أى كالَوا لهم أو وزَنَوا لهم.

وقولها:

* لفاحشةٍ أتيتَ ولا عُقُوقِ *

معناه: لا أَجِـدُ فيكَ مـا تسلو عنك له، ثم اعتـذرتْ من إقصارهـا بفضلِ الصَّبْرِ، فقالت:

---

(١) كذا فى الأصل، س، وفى ر، «ثم وقف متلفتا»

(٢) سورة المطففين ٣.

ولكنّى رأيتُ الصَّبْر خيرًا — من النعلَين والرأسِ الحَليق

تأويلُ «النعلين» أنَّ المرأة كانت إذا أُصيبتْ بحَميمٍ جعلت فى يديها نعلين تصّفق [1] بهما وجهَهَا وصدرَها.

قال عبد منافِ بن رِبْعٍ الهُذَلِىُّ:

مـاذَا يَغيـرُ ابْنَتَىْ رِبعٍ عَـويلُهُمـا — لا تَرقُـدَان ولا بُؤسَى لِمَنْ رَقَـدا

كلتاهمـا أُبْطِنَتْ أَحشاؤها قَصـبًا — من بَطنِ حَلْيـةَ لا رَطبًا ولا نقـدًا

إذا تَأَوّبَ نَوْحٌ قـامتَـا مَـعَـهُ — ضَـربًا أليمًـا بِسِـبْتٍ يَلمَعَ الجِلِدَا

قوله:

ماذَا يَغيرُ ابْنَتَىْ رِبْعٍ عَويلُهمًا

يعنى أُختَيه، يقولُ: ماذا يَرُدُّ عليهما العويلُ والسهرُ!

وقوله:

* كلتَاهُمَا أُبطنَتْ أحشاؤُها قَصبًا *

أراد لترديد النائحة صوتًا كأنه زَميرٌ، وإنما يَعنى بالقصبِ المَزَاميرَ، كما قال الراعى:

زَجِلُ الحُـداء كأنَّ فى حَـيْزُومِـهِ — قَـصبًا ومُـقْنِعَـةَ الحَنينِ عَجُـولا

***

[قال الأخفشُ: الزَّجَلُ: اختلاط الصـوت الذى لصوته تطريبٌ. والحَيزوم: الصَّدرُ، «وقصبًا»، يعنى زمارًا [2]، شَبَّهَ صوتَ الحادى بالمزْمار، ومُقنعة، أراد: وصوت مُقْنَعَةٍ، يعنى ناقة، ثم حذَفَ الصوتَ وأقام «مُقنعة» مَقامَه.

***

(١) تصفق: تضرب؛ «من صفق الطائر بجناحيه» أى ضرب بهما.

(٢) قال المرصفى: «صوابه مزمارًا، فأما الزمار، فهو صوت النعامة».

وقال عَنتَرةُ:

بَرَكَتْ على مـــاء الرِّدَاعِ كـأنَّمـا   بَرَكْت على قَصَب أجشَّ مُـهضَّم

قال الأصمعى: نَرْمَنَاىْ [1]

وقوله: «لا رطبـا ولا نقدًا» يقـول: ليس برْطب لا يَبينُ فيـه الصوتُ، ولا يمؤتكلٍ، يقال: نَقَدَتِ السِّنُّ، إذا مَسَّهَا ائتكال، وكذلك القرْنُ، قال الشاعر [2]:

* يألمُ قَرْنًا أرومُهُ نقِدُ *

وقوله: «بسبْت» يعنى النعلَ المُنجردَة.

ويَلعجُ: يؤثِّرُ، واحتاج إلى تحريك «الجلد» فـأتبَعَ آخرَه أوله، وكذلك يجوزُ في الضرورة فى كلّ [شىء] [3] ساكن

وأمَّا قولْ الفرزدق:

خَلَعْـنَ حُلِيَّـــهنَّ فَــهُـنَّ عُطلٌ   وبِعْنَ بـه المُقَـــابَلَةَ التّـــؤامَـــا [4]

يعنى اشتـريْنَ النعالَ، فليس [هذا] [5] من هذا الباب، وإنما سُبِينَ فـاشْتَرَيْنَ نعالاً للخدمة.

وكذلك قوله:

أُخِــذْنَ حَــرِيراتٍ وأَبْدَيْنَ مِــجْلَدًا   ودَارَت عليهنَّ المُقَشَّــةُ الصفُّرُ [6]

يعنى القِداح، يقول: سُبِينَ فاقْتُسِمْنَ بالقِدَاح.

---

(١) نرمناى: هو الناى

(٢) حاشية الأصل:

* تَيْسُ تيوس إذا يناطِحُها*

وهو لصخر الغى.

(٣) من ر.

(٤) عطل: جمع عـاطل بدون هاء؛ وهن اللوائى لم يكن عليـهن حلى، وخلـت أجيـادهن من القـلائد، والمقابلة، النعال؛ التى جعل لها قبالان.

(٥) من ر.

(٦) حريرات: حزينات؛ جمع حريرة، وهى التى تجد حر الحزن فى صدرها

وإنما قالت الخنساءُ هذا الشعرَ فى معاوية أخيها قبلَ أن يُصاب صَخْرٌ أخوها، فلمَّا أُصيبَ صخرٌ نسيت به مَنْ كان قبله.

وكان معــاويةُ فارسًا شجــاعًا، فأغار فى جَــمْعٍ من بنى سُليمٍ على غطَفَانَ، وكان صَميمَ خيلِهم، فَنَذَرَ به [1] القومُ فاحْتــرَبوا، فلم يَزَلْ يَطعنُ فيهم ويضرب، فلما رأوا ذلك تهيَّــأ له ابنا حَرْملة: درَيْدٌ، وهاشم، فاستطرد له أحدهمــا، فحمل عليه معاويةُ فطَعَنَه، وخرجَ عليه الآخر، وهو لا يَشْــعُر فَقَتَلَه، فتنادَى القومُ: قُتِلَ معاويةُ ! فقال خُفَافُ بنُ نَدَبْة: قَتلنى الله إن رمْتُ حتى أثأر به! فَحَمَلَ على مالك ابن حِمَار، وهو سيِّدُ بنى شَمْخِ بن فَزَارَة، فطعنه فقتله، وقال:

فإن تَكُ خَــيْلى قد أصيبَ صَــمِيمُــها ... فَــعَمْــدًا على عَــيْنى تَيَــمَّمتُ مــالكًا

وَقَفْــتُ لهُ عَلْوَى وقد خَــامَ صُحْبَــتى ... لأبنــيَ مَــجــــدًا أو لأثْأرَ هالــكا [2]

أقــولُ لــه والرُّمْحُ يأطِرُ مَــتْنَه [3] ... تَأَمَّل خُــفــافًــا إننى أنــا ذلكا

فَلَمَّا دخلت الأشهرُ الحُرُمُ وَرَدَ عليهم صَــخْرٌ، فقال: أيُّكم قاتلُ أخى؟ فقال أحدُ ابْنَى حَرْمَلَة للآخــر: خبِّرَه، فقال: اسْــتطرَدْتُ له فطعنَنى هذه الطعنةَ وحَمَلَ عليه أخى فَقَتَله، فأينَا قتلتَ فهــو ثأرُك، أمَا إنا لم نَسْلب أخاكَ، قال: فما فعلت فرسُه السُّمَّى؟ قالوا: ها هى فَخُذها، فانصــرفَ بها، فقيل لصخرٍ: ألاَ تَهْجُوهُم؟ قال: ما بينى وبينهَم أقذَعُ من الهجاء، ولو لم أُمْــسِكْ عن سَبِّهم إلاَ صيانة لِلسانى عن الخنا لفعلتُ، ثم خاف أن يُظَنَّ به عِيٌّ فقال:

وعــــاذلة هَــبَّتْ بليــل تَلُومُــنى ... ألاَ لاَ تَلُومينى كَفَــى اللَّوْمَ ما بيَا

تقــولُ ألا تَهْجُــو فــوارسَ هاشمٍ ... وَمَــالىَ إذْ أَهْجــوهُمُ ثم مَــاليَــا!

أبى الشَتْمَ أنّى قد أصابوا كَريمتى ... وأَنْ ليس إهداءُ الخنَا من شِمــاليَا

إذا مــا امــرُؤٌ أهدَى لِمــيْتٍ تَحيــةً ... فَــحَيَّــاكَ رَبُّ الناس عنى مــعاويَا [4]

(١) نذر به القوم: علموا.

(٢) علوى: اسم فرسه، وخام القوم: جبنوا وخافوا.

(٣) يأطر رمحه: يثنيه. (٤) ر: «رب العرش».

وهَوْنَ وَجْـــدِى أَنّنى لـم أَقُل له ... كَذَبْت، ولم أَبْـخَلْ عليه بِمـاليَا

قال أبو عبيدة: فلما أصاب دُرَيْدا زاد فيها:

وذى رَحم قطَّعتُ أرحـــامَ بَيْنهمْ ... كما تَركُونـى وَاحِدًا لا أخا ليَا[1]

***

[قال أبو الحسن الأخفش: وزادنى الأحْولُ بعد قوله: «معاويا»:

لنِعْـمَ الفَـــتى أدْنى ابـنُ صـــرْمَـــةَ بَزَّهُ ... إذا راح فَحْلُ الشَّـوْل أجْدَبَ عارِيَا][2]

***

قال أبو العباس: فلمَّا انقَضت الأشهرُ الحُرُم جَمَع لهم ليُغير عليهم، فنظرتْ غَطفَانُ إلى خيله بموْضعها، فقال بعضُهم لبعض: هذا صخرُ بن الشَرِيد على فرسه السُّمَّى، فقيلَ: كلاّ السُّمى غَرَّاءُ [3] وهذه بهيمة [3]، وكان قَد حَمَّم غُرَّتها، فأصاب فيهم، وقـتلَ دُرَيْدَ بنَ حَرْمَلَة، وأما هاشم، فإنّ قَيَسْ بن الأسْـوار الجُشَمىَّ - من بنى جُشم بـن بكرٍ بن هَوازنَ بن خَصَفَـة بن منصور، والخنسـاءُ من بنى سُليم بن منصور - لقيهَمَ منصرفينَ، كلٌّ واحد منهم من وجـهه، فرآهُ، وقد انفردَ لحاجته، فقال: لا أُطْلَبُ بمعـاويةَ بعدَ اليوم، فأرسل عليه سـهمًا ففلق قُحـقحه [4] فقتلَه، فقالت الخنساءُ:

فِـدًى للفـارس الجُشَـمِىِّ نفـسِى ... وأَفْـــدِيه بِمنْ لى من حـــمِـــيم

فـــــداك الحىُّ حَىُّ بـنى سُلَـيم ... بظـاعنهـمْ وبالأنَـسِ المقــــيم

كـمـا مِنْ هاشمٍ أَقْـرَرْتَ عَـيْنى ... وكـــــانتْ لا تَنَـام ولا تُنـيم[5]

***

(١) «وذى إخوة»

(٢) ما بين العلامتين لم يذكر فى الأصل، وهو فى ر، س.

(٣-٣) لم يرد فى ر، س.

(٤) القحقح: العظم الناتئ من الظهر بين الأليتين.

(٥) فى البيت إقواء.

فأما صخرٌ فسنذكر مَقْتَلَه مع انقضاء ما نذكرُ من مراثى الخنساء إياه. قالت الخنساءُ:

أَلاَ يا صخرُ إن أَبكَيتَ عَينى ... لقد أضحكتنى دهرًا طويلاَ

بكيتُكَ فى نساء مُعْولات ... وكنتُ أَحَقَّ مَنْ أَبْدَى العويلا

دَفَعتُ بك الجليلَ وأنت حَىٌّ ... فمن ذا يدفعُ الخطبَ الجليلاَ!

إذا قَبُحَ البكاءُ على قتيل ... رأيتُ بكاءَكَ الحسنَ الجميلاَ

***

وقالت أيضًا:

تَعَرَّقنى الدهرُ نَهْسًا وحزًّا ... وأوجعنى الدهرُ قرْعًا وغَمزًا[1]

وأفنى رجالى فبادوا مَعًا ... فَأَصْبَحَ قَلْبى بهمْ مُسْتَفَزًّا

كأَنْ لم يكونوا حِمًى يُتَّقى ... إذ الناسُ إذ ذاك مَنْ عَزَّ بَزَّا

وكانوا سَراة بنى مالك ... فخر العشيرة مَجْدًا وعِزًّا[2]

وهمْ فى القديم سَرَاةُ الأديمِ ... والكائنون مِنْ الخوْف حِرْزًا[3]

وهمْ مَنَعوا جارَهُمْ والنِّسـ ... ـاءُ يُحفِزُ أَحْشاءَها الخوفُ حَفْزَا

غداة لقوهم بملمومة ... رَدَاحٍ تغادرُ للأرض رِكزًا[4]

وَخَيْل تكَدَّسُ بالدَّارعين ... تحتَ العَجاجة يجْمِزْنَ جَمزَا[5]

ببِيضِ الصِّفَاحِ وسُمْرِ الرِّماحِ ... فبالبيض ضَربًا وبالسُّمْر وَخزَا[6]

(١) النهس: أخذ الشيء بمقدم الأسنان، وتعرقنى الدهر: نالنى، من قولهم: تعرق العظم إذا أخذ ما عليه من اللحم.

(٢) ر «زين العشيرة»

(٣) الأديم الجلد، قال المرصفى: تكنى بذلك عن أنهم أشراف، لم تدنس أعراضهم.

(٤) الململومة: الكتيبة مجتمعة، رداح: ضخمة.

(٥) تكدس: يركب بعضها بعضًا، والجمز: نوع من العدو.

(٦) الوخز: الطعن.

جَزَزْنَا نَوَاصِىَ فُرْسَانهم   وكانوا يَظنونَ ألاّ تُجَزّا

ومنَ ظَنَّ ممن يُلاقِى الحروبَ   بألاّ يُصابَ فقد ظنَّ عَجزا

نعفُّ ونعرف حق القِرَى   ونَتَّخِذُ الحمدَ ذُخرًا وكَنزا

ونلْبَسُ طورًا ثيابَ الوَغى   وطورًا بياضًا وعَصبًا وخزًّا (١)

***

وكان سببُ قتل صخرِ بن عمرو بن الشَّريد، أنه جَمَعَ جمعًا وأغار على بنى أسد بن خُزَيْمَةَ، فَنَذِرُوا به فالتَقَوْا، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فارفَضَّ أصحاب صخرٍ عنه، وطُعِن طعنة (٢) فى جنبه استَقَلَّ بها، فلمَّا صار إلى أهله تَعالج منها، فنَتَأ من الجرح كمثل اليَد، فأضناه ذلك حَوْلاً، فسمع سائلاً يسألُ امرأته وهو يقول: كيف صَخر اليومَ؟ فقالت: لا مَيّتٌ فينعَى، ولا صحيحٌ فيُرجى ! بَرِمَتْ به، ورأى تَحَرقَ أمِّه عليه، فقال:

أَرَى أمّ صخرٍ ما تَجفُّ دُموعُها   ومَلّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعى ومكانى

وما كنتُ أخشَى أن أكون جنازةً   عليك، ومَنْ يَغْتَرُّ بالحدثان!

أَهُمُّ بأمر الحزْمِ لو أستطيعه   وقد حيل بين العَيْرِ والنَّزَوَانِ

لعَمْرِى لقد أنْبهْتِ مَنْ كان نائمًا   وأسمعتِ منْ كانتْ له أُذُنَانِ

فأىُّ امرِئٍ ساوَى بأُمٍّ حَليلة   فلا عاشَ إلاّ فى شقًى وهَوانِ

ثم عزمَ على قطع ذلك الموضع، فلمّا قَطَعه يَئسَ من نفسه فبكاها، فقال:

أَيَا جَارتَا إنَّ الخطوبَ قريبُ   منَ الناس، كلَّ المُخطئينَ تُصيبُ

أَيَا جَارتَا إنَّا غَريبان ها هنا   وكلُّ غَريب للغريب نَسيبُ

كَأنِّى وقد أدنوا إلىَّ شِفَارَهُمْ   من الأدمِ مَصْقُولُ السَّراةِ نكِيبُ

---

(١) هذا البيت لم يرد فى ر، وهو فى الأصل، س.

(٢) ر: «وطعنه أبو ثور».

[مرثية ابن مناذر لعبد المجيد بن عبد بن الوهاب الثقفي]

قال أبو العباس: ومن حُلو المراثي وحَسن التَّأبين شِعْرُ ابن مُناذِر، فإنه كان رجلاً عالمًا مُقَدمًا وشاعرًا مُفلقًا، وخطيبًا مصقعًا، وفي دهر قريب، فله في شعره شدةُ كلام العرب بروايته وأدبه، وحلاوةُ كَلام المُحْدَثِينَ بعصره ومشاهدته، ولا يزالُ قد رَمَى في شعره بالمثَلِ السائر، والمعنى اللطيف، واللفظ الفَخْم الجليلِ، والقول المُتَّسَقِ النَّبيل، وقصيدَتُهُ لها امتدادٌ وطولٌ، وإنما نُمْلى منها ما اخترنا مِنْ نحو ما وصفنا.

قال يرثي عبد المجيد بن عبد الوهاب الثَّقفي - وكان به صبًّا، واعْتَبَطَ عبدُالمجيد لعشرينَ سنة من غير ما علَّةٍ، وكان من أجمل الفِتْيان وآدبهم وأظرفهم، فذلك حيثُ يقولُ ابن مُناذِرٍ:

حين تَمَّتْ آدَابُه وتَرَدَّى ... برداءٍ منَ الشباب جَديدِ

وسَقَاهُ ماءُ الشبيبةِ فاهتزَّ ... اهتَزاز الغُصْنِ النَّدى الأمْلودِ

وَسَمتْ نَحْوَهُ العيونُ وما كا ... نَ عليه لزائد من مَزيد

وكأني أدعوهُ وهو قريبٌ ... حين أدعوهُ من مكان بعيد

فلئن صار لا يُجيبُ لقد كا ... ن سميعًا هَشًّا إذا هُوَ نودي

يا فتى كان للمُقامات زَينا ... لا أراهُ في المَحْفلِ المشهود

لَهْفَ نفسي أمَا أراكَ، وما عندك ... لِي إن دعوت من مردود !

كان عبدُ المجيد سُمَّ الأعادي ... ملء عَيْنِ الصديق رَغْمَ الحَسود

عاد عبد المجيد رُزْءًا وقد كا ... ن رَجاءَ رَيْبِ دَهْرٍ كَنُودِ[1]

خنتُكَ الوُدَّ لم أمُتْ كمَدًا بعدَكَ ... إني عليكَ حقٌّ جَليدُ[2]

لو فَدَى الحيُّ ميتًا لفَدَتْ نفسكَ ... نَفسي بطارِفي وتَليدي

ولئن كنتُ لم أمُتْ من جَوَى الحز ... ن عليه لأبْلُغن مَجْهُودي

---

(١) كنود. معاند

(٢) قال المرصفي: «يريد جليد حق جليد».

لأقيـمنَّ مَـأْتمًا كنجـوم الليل زُهراً يَـلْطِمْنَ حُـرَّ الخَـدود
مـوجعـاتٍ يَبْكِينَ لِلْكَبِد الحَـرَّى عليـه وللـفُـؤاد الـسَّـمِـيـد
ولِعَـين مَطروفـة أبدًا قـا لَ لهـا الدَّهرُ: لا تَقَرِّى وجـودى
كُلمـا عَـزَّكِ البُكاء فـأنفَـدْ تِ لعبـد المجيـد سَجلاً فَـعُودى
لِفـتى يَحْـسُنُ البـكاءُ عليـه وفَـتى كان لامـتـداحِ القـصيـدِ

وأول هذا الشعر:

كلُّ حَى لاقِى الحِمـامِ فَمُـودى مـا لِحَىٍّ مُـؤَمَّلٍ من خُـلودِ
لا تَهـابُ المَنونُ شـيـئًـا ولا تُرْ عى عـلى والـدٍ ولا مَـولْودِ
يَقدَحُ الدهرُ فى شمَارِيخَ رَضْوى ويُحط الصُّـخـورَ من هَبُّـودِ(١)
ولقـد تَـتْـركُ الحـوادثُ والْـ أيّامُ وَهيًـا فى الصخـرة الصَّيْـخودِ(٢)

***

وفى هذا الشعر مما استحسنتُه:

أَيْنَ رَبُّ الحِصْـنِ الحَصِينِ بِـسُورَا ءَ وربُّ القَصْـرِ المنيف المَشـيدِ(٣)
شَـادَ أركَـانَـهُ وبوَّبَـهُ بَا بَىْ حَـديدٍ وحَـفَّـهُ بـجنُود
كـان يُجْبَـى إليه مـا بين صَنعـا ءِ فـمِـصـرِ إلى قُـرَى بَيْـرُودِ(٤)
وتَرَى خَلْـفـه زرافـات خـيلٍ جـافـلات تَعْـدُو بمثلِ الأسـودِ
فَرَمى شَـخْصـه فأَقـصَدَهُ الدَّهرُ بسـهمٍ من المـنايا سَـديد
ثم لم يُنجِـه من الموت حِـصْنٌ دونَه خَـنْدقٌ وبَـابًا حَـديـد

(١) يقدح : يؤثر، شماريخ: جمع شمراخ، وهو رأس مستدير طويل دقيق في الجبل من أعلاه، ورضوى: جبل بالمدينة، وهبود: جبل أيضًا.

(٢) صيخود: الصخرة الملساء.

(٣) سوراء موضع قريب من بغداد.

(٤) بيرود: ناحية بين الأهواز ومدينة الطيب.

ومُلوكٌ من قبـله عَـمَـرُوا الأر ضَ أُعينوا بالنَّصر والتأييد

فلو انَّ الأيامَ أَخْلَدنَ حيًّا لعلاَءٍ أَخلدنَ عبدَ المجيد

ما دَرَى نَعشُهُ ولا حاملوه ما على النعشِ من عَفافٍ وجُودِ!

وَيْحَ أَيْدٍ حَثَتْ عليه وأيدٍ دفَنَتْهُ، ما غَيَّبَتْ في الصَّعيدِ!

إنَّ عبدَ المجيد يوم تولَى هَدَّ رُكنًا ما كان بالمَهْدودِ

[وأرانا كالزّرع يَحصُدُه الدّهرُ فَمِنْ بين قائمٍ وحَصيدِ

وكأنا للموت رَكبٌ مُخبُّو نَ سِراعًا لِمَنْهلٍ مَوْرُودِ[1]]

هدَّ ركني عبدُ المجيدِ وقد كُنتُ بِرُكنٍ أَنُوءُ منهُ شديدِ

فبعبدِ المَجيدِ تَامُورُ نفسي عَثَرَتْ بي بَعَدَ انتعاشِ جُدودي[2]

وبعبد المجيدِ شلَّتْ يدي اليُمنى وشَلَّتْ به يمينُ الجُودِ

وفي هذا الشعر:

فبرَغمي كنتَ المُقَدَّم قَبْلي وبكُرهي دُلِّيتَ في المَلْحودِ

كنتَ لي عِصمَةً وكنتَ سَماءً بك تَحْيا أرضي ويَخضَرُّ عُودي

[مرثية أعشى باهلة للمنتشر بن وهب]

قال أبو العباس: وكانت العربُ تُقدِّمُ المراثي وتُفضّلها، وتَرَى قائلَها بها فوقَ كلِّ مُؤبِّن، وكأنهم يَرَونَ ما بعدَها من المراثي منها أُخذَتْ، وفي كَنَفِها تَصلُح. فمنها قصيدةُ أَعْشَى بَاهِلَةَ، ويُكْنى أبا قُحَافَةَ، التي يَرثي بها المُنتشر بن وهب الباهليَّ، وكان أحدَ رِجْلِيِّ العرب[3]. [قال الأخفشُ: هو منسوبٌ إلى الرِّجلِ]، وهم السعاة السابقون في سعيهم.

وكان من خبَره أنَّه أَسَرَ صلاءَةَ بن العنبَرِ الحارثي، فقال: افتد[4] نفسَك، فأبَى، فقال: لأقطعنك أنمُلَةً أنمُلَةً، وعُضوا عُضوًا ما لم تَفْتَد نفسَك، فجعلَ يفعلُ

(١) من زيادات ر (٢) التامور: دم القلب

(٣) الرجلي: الشديد العدو. (٤) ر: «أفد».

ذلك به حتى قتله، ثم حَجَّ من بعدِ ذلك المُنتشرُ ذا الخُلصة- وهو بيتٌ كانت خَثْعَمٌ تَحجُّه، زعم أبو عبيدة أنه بالعَبَلاَت، وأنه مسجد جامعَهـا، فَدَلَّتْ عليه بنو نُفْيل ابن عمرو بن كلاب الحارثِّيينَ، فقبضوا عليه فقالوا: لنفعلنَّ بك كما فعلتَ بصلاءة، ففعلوا ذلك به، فلقى راكب أعشى باهلة، فقال له أعشى باهلة: هل من جائية بخبر؟ قال: نعم، أسرت بنو الحارث المنتشر، وكانت بنو الحارث تسمى المنتَشرَ مُجْدَعًا، فلمَّا صار فى أيديهم قالوا: لَنُقطّعَنكَ كما فعلت بصلاءة، فقال أعشى باهلةَ يرثى المنتشرَ:

إنى أتَتْنِي لِسَانٌ لا أُسرُّ بهـا ... مِنْ عَلُ لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ

فبِتُّ مُرتَفِقًا للنَّجمِ أرْقُبُهُ ... حَيْرانَ ذا حَذَرٍ لو ينفعُ الحذرُ!

فجاشَتِ النفسُ لَمَّا جاء جَمْعُهُمُ ... وراكبٌ جاء مِنْ تَثْليث مُعتَمِرُ

يأتى على الناسِ لا يَلْوِى على أحد ... حتى التَقَيْنا وكانتْ دونَنا مُضَرُ

يَنْعَى امْرأ لا تُغِبُّ الحيَّ جفنته ... إذا الكواكب أخْطأ نَوءها المَطرُ

مَنْ ليس فى خيره شَرٌّ يُكدِّرُهُ ... على الصديقِ ولا فى صَفوِه كَدرُ

طَاوِى المَصيرِ على العَزَّاء مُنصَلِتٌ ... بالقومِ ليلةَ لا ماءٌ ولا شَجَرُ

لا تُنْكِرُ البازلُ الكَوْمَاءُ ضَربَتَهُ ... بالمَشرَفِىِّ إذَا ما اجْلَوَّذَ السَّفَرُ

وتَفزَعُ الشولُ منه حينَ تُبصِرُهُ ... حتى تَقَطَّعَ فى أعناقها الجِرَرُ

لا يُصعبُ الأمرَ إلاَّ رَيْثَ يَركَبُه ... وكلّ أمر سوَى الفحشاء يَأتَمِرُ

تكفيه فلذَةُ كِبْدٍ إن ألَمَّ بها ... من الشِّواء ويكفى شُربه الغُمَرُ

لا يَتأرَّى لما فى القِدرِ يَرْقُبُهُ ... ولا تَراهُ أمَامَ القومِ يَقتَفِرُ

لا يَغمِزُ الساق مَن أيْنٍ ولا وَصَبِ ... ولا يَعَضُّ على شَرسُوفِه الصَّفَرُ

مُهفَهَفٌ أهضمُ الكشْحَيْنِ مُنخَرِق ... عنه القميصُ، لسَيرِ الليل مُحتَقِرُ

عِشنا بذلك دَهرًا ثم فارَقَنا ... كذلك الرُّمحُ ذُو النَّصلين يَنْكسِرُ

[فإن جزِعْنَا فقد هَدَّتْ مُصيبتُنا ... وإن صَبَرنَا فإنا مَعشرٌ صُبُرُ

إنى أشُدُّ حَزِيمِى ثم يُدْرِكنى ... منكَ البلاَءُ ومن آلائك الذِّكَرُ]

لا يَأْمنُ الناسَ مُمَسَاهُ ومَصْبَحَهُ ... من كلِّ أوب وإنْ لم يَأتِ يُنتظرُ
إمّا يُصبكَ عَدُوٌّ فى مُباوَأة ... يومًا فقد كنتَ تَسْتَعْلى وتَنْتَصِرُ
لو لم تَخُنْهُ نُفَيْل وهىَ خائنَةٌ ... أَلَمَّ بالقومْ وِردٌ منه أوْ صَدَرُ
ورَّادُ حَرْبَ شِهَابٌ يُستضاء به ... كما يُضىء سَوادَ الطَّخية القَمَرُ
إمَّا سلكتَ سبيلاً كنتَ سالكها ... فاذهب فلا يُبعدنكَ اللهُ مُنتشرُ
مَن لَيس فيه إذَا قاولتَهُ رَهقٌ ... وليس فيه إذا عاسَرْتَهُ عَسَرُ

وقوله: «إنِّى أَتْتى لسانٌ» يقال: هو اللسان وهى اللسانُ، فمنَ ذَكَرَ فجمعهُ أَلسنَةٌ، ونظيره حِمَارٌ وأَحْمِرَةٌ، وفراش وأَفْرِشةٌ، وإزارٌ وآزِرَة ومن أَنَّثَ قال: لسانٌ وأَلْسنٌ، كما تقول: ذراعٌ وأَذْرُعٌ، وكُراعٌ، وأكرُعَ، لا تُبالى أَمَضمُومَ الأوَّل كان أو مفتوحا أو مكسورًا، إذا كان مؤنثًا، ألاَ تَرَى أنك تقول: شمالٌ وأَشْمُلٌ[1] قال أبو النَّجمْ:

* يأتى لها مِنْ أَيْمُنٍ وأَشْمُلٍ *

وقال آخرُ، أنشدنيه المازنى:

فَظَلَّتْ تكُوسُ على أكْرُعٍ ... ثلاثٍ وكانَ لها أربَعُ[2]

وأرَادَ باللسان ها هنا الرسالةَ..

وقوله: «مِنْ عَلُ» يقولُ: مِنْ فَوْقُ، فإذا كان معرفةً مفردًا بنى على الضم، كقبلُ وبعدُ، وإذا جعلته نكرة نَوَّنْتَه، وصرفته، كما قال جريرٌ:

إنِّى انْصبَبْتُ من السماء عليكمُ ... حتى اختطفتك يا فَرَزْدَقُ مِنْ عَلِ

والقوافى مجرورةٌ، وإن شئتَ رددتَ ما ذهبَ منه، وهى ألفٌ منقلبة من واو، لأنَّ بناءَه «قبلُ» من «علاً» يا فتى، قال الراجز:

---

(١) فى وصف الإبل، وبعده:

* ذُو خرَق طُلس وَشَخص مذأَل *

(٢) قال المرصفى: «يريد عفرت إحدى قوائمها الأربع، وتكوس كوسًا: مشى على ثلاث قوائم».

وهى تَنَوشُ الحَـوْضَ نَوْشًـا مِنْ عـلاَ　　نَوشًـا بِهِ تَقطَعُ أَجْـوازَ الفَـلاَ[1]

وقوله: «فَبَتُّ مُرتَفـقًا» وهـو المتكئُ على مرفقه، وإنما أرادَ السَّهَـرَ كما قال أبو ذؤيبٍ:

إنى أرقْتُ فَـبتُّ الليلَ مُـرتَفـقًـا　　كأنَّ عَيْنى فيـها الصَّابُ مَذْبوحُ[2]

وقوله : «جاشت النَّفسُ» يقولُ: «خَبُثَت، يكون ذلك من تذكُّرها للتهوعِ[3] ومن جزَعَها منه.

ويُروى عن معاويةَ أنه قال: اجعَلوا الشِّعرَ أكثر هَمِّكم وأكثرَ آدابكم، فإنَّ فيه مآثَر أَسْلافكم ومواضعَ إرشادكم، فلقد رأيتنى يوم الهَرير وقد عَزَمْتُ على الفِرار، فما يَرُدُّنى إلا قول ابن الإطنابة الأنصاريِّ:

ابتْ لى عِـفَّـتى وأَبَـى بَلاَئِى　　وأَخْـذى الحَمـدَ بالثَّمَن الرَّبيحِ

وإجـشـامى على المكروه نَفْسى　　وضَـربى هامةَ البَطلِ المَشِـيحِ[4]

وَقـولِي كُلَمَا جَـشَأَتْ وجـاشت　　مكانَكَ تُحمَـدِى أو تَستَرِيحى[5]

---

(١) نسبه صـاحب اللسان (٨: ٢٥٥) إلى غيلان بن حريث، وقـال فى شرحه: «الضميـر فى قوله: «فهى» للإبل، وتنوش الحوض، تتناول مـلأه، وقوله: «من علا» أى من فـوق؛ يريد أنها عالية الأجسام طوال الأعناق، وذلك النوش الذى تـناله هو الذى يعـينهـا على قطع الفلوات، والأجـواز: جـمع جـوز وهو الوسط، أي تتناول ماء الحوض من فوق، وتشرب شربا كثيرًا، وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج إلى ماء آخر».

(٢) ديوان الهذليين ١ : ١٠٤، وروايته هناك:

نَامَ الخَلَيُّ وَبَتُّ اللَيْلَ مُشْتَجرًا　　كأنّ عَيْنى فيهَا الصَّابُ مذبوحُ

والصاب: شجرة مرة؛ لها لبن يمض العين إذا إصابها، ومذبوح: مشقوق.

(٣) التهوع: التقيؤ.

(٤) المشيح: المجد .

(٥) جشأت: نهضت.

يقال: «جشأت» مهموزٌ، و«جاشَتْ» غير مهموز، و«تثليثٌ» موضعٌ بعينه[1]

وقـوله: «لا يَلْوِى على أحدٍ» يقـال: اسـتقـام فلانٌ فـما لَوَى على أحـدٍ، ويقال: ألْوى بالشيء إذَا ذهبَ به.

وقوله:

* إذَا الكواكب أخْطا نوءَهَا المطرُ *

فالنَّوءُ عندهم طلـوعُ نجمٍ وسقوط آخرَ، وليس كـلُّ الكواكب لها نوءٌ، وإنما كانوا يتـقوَّلون هذا فى أشيـاء بعينها، ويُروى عن النبى ﷺ أنه قـال: «إذا ذُكِرَت النجومُ فـأمْسِكُوا» يعنى أمْـرَ الأنْواءِ، لم يختلـف فى ذلك المفسرون، وعنـه عليه السلام فى غب سَمـاء: «أتدرون ما قال ربُّكم تبارك وتعالى؟ قال: أصـبَحَ عِبادى مؤمنًا بى وكافـرًا بالكواكب، وكافرًا بىِ ومؤمنًا بالكواكب. فـأما المؤمنُ بى الكافرُ بالكواكب فهو الذى يقول: مُطرنا بنوءِ الرَّحمةِ، والمؤمنُ بالكواكب الكافر بى الذى يقول: مُطرنا بَنْوء كذا».

والنوء، مـهمـوزٌ، وهو من قولك : ناء بحـمله، أى استَـقَلَّ به فى ثقل، فالنوءُ مهموزٌ، وهو فى الحقيقة الطالعُ من الكواكب لا الغائرَ، وكان الأصمعى لا يُفِّسرُ من الشِّعر ما فيه ذكرُ الأنوَاء، بل كـان لا يسمعُ ما كان فيه هجاءٌ أو كان فيه ذِكرُ النجوم، ولا يُفسـر ما وافق تفسيرُه بعضَ ما فى القرآن إلاَّ ساهيًـا، فيما يذكر أصحابه عنه، ويُروى أنه سُئل عن غير شيء من ذلك فأباه وزجر السائل.

قوله: «طاوى المصير» يقـال لواحد المُصران مَصيرٌ، وتقـديره صاير، قَضيبٌ وقُضبانٌ، وكثيب وكثبانٌ.

والعزَّاء: الأمـرُ الشديد، يقال: فـلان صابرٌ على العَـزَّاء، وكذلك اللأْواء، وكذلك الجُلَّى مقصورٌ، فأما العزَّاء واللأْواءُ فممدودان.

وقوله: مُنْصلت، يقال: سيفٌ مُنصَلَتٌ وصلتٌ: إذا جُرِّدَ من غِمْدِه.

---

(١) تثليث: موضع بالحجاز قرب مكة.

وقوله: «ليلة لا ماءٌ ولا شجرُ» يريد: القَفْرَ، ووقت الصُّعوبة.

وقوله: «لا تُنكرُ البازلُ الكوْماءُ ضربْتَه بالمشرفى».

يقول: قد عوَّد الإبلَ أن ينحرها، ومنْ شأنهم أن يُعرْقُلوها قبل النحر، والمشرَفى: السيفُ، وهو منسوبٌ إلى المشارف [1]

وقوله: اجْلَوذَ، وأنشدنى الزّيادى لرجل من أهل الحجاز، أحَسبُهُ ابن أبى رَبيعة:

ألاَ حَبَّذَا حبَّذَا حبَّذا   حَبيبٌ تَحَمَّلْتُ منه الأذَى

ويا حبذا بَردُ أنْيَابِهِ   إذا أظلمَ الليلُ واجْلَوَّذَا

وقوله:

* حتى تَقَطّعَ فى أعناقها الجِرَرُ [2] *

يقول: حتى اعتادتْ أن ينحرَها، فهى تَفْزَعُ منه حتى تَقَطّعَ جرتُها، ومثلُ هذا قولُ الخَنَّوتِ [3]:

سأبكى خليلى عَنْتَرًا بعد هَجَعة   وسَيفى مِرْداسًا قَتيلَ قنَان [4]

قَتيلانِ لا تبكى اللقاحُ عليهما   إذا شَبِعَتْ من قرْمَلٍ وأفانِ

يقول: كانا يَنْحَرانِ الإبل، فهى لا تجزع لفقدهما، وقَرْمَلٌ وأفانِ: ضربانِ من النَّبتِ، وشبيهٌ بهذا قوله حيث يقول:

فلو كان سَيْفِى باليمينِ تَبَاشَرَت   ضِبابُ المَلا من جمعهم بقتيلَ

(١) المشارف: قرى من أرض العرب تدنو من الريف.

(٢) والجرر: جمع جرة، وهى ما يفيض من البعير من كرشه، فيقرضه.

(٣) الخنوت: لقب ربيعة بن مضرس، شاعر جاهلى

(٤) قنان: جبل لبنى أسد.

يقول: هؤلاء قومٌ كانوا يـحترشون الضبابَ، فكلما قُـتِلَ منهم واحدٌ سُرَّتْ بذلك الضِّبابُ واستبشرتْ.

وقوله:

* لا يتأرى لِمَا فِي القِدْرِ يَرْقُبُهُ *

يقول: لا يَتَحَبّسُ له، ومن ذا سُمِّي الآرِيّ[1]، لأنه مَحْبَسُ الدابة.

وقوله:

* ولا تَرَاه أمامَ القومِ يَقْتَفِرُ *

يقول: لا يسبقهم إلى شيء من الزاد.

وقوله:

* ولا يَعَضُّ على شَرْسُوفه الصَّفَرُ *

الشراسيـف، أطراف الضلوع، والصّفر ها هنا: حَيَّـةُ البطن، وله مواضع.

وقوله: «مُهَفْهَفٌ» يعني ضامِرًا، وأَهْضَمُ الكَشْحَيْن توكيد له.

وقوله:

* إما يُصبكَ عَدُّو في مُباوَأَةٍ *

يقـول: في وتْرٍ، يقـال: باءَ فـلان بكذا، كـما قـال مُـهَلْهَلٌ: «بُؤ بِشِـسعِ كُلَيْب».

أي هو ثأرٌ بالشِّسع.

والطَّخيَـة، والطِّخيَـة، والطُّخية، ثلاثُ لغـاتٍ: شدة الظُّلْمَـةِ، وكان الذي أصابَهُ هندَ بنَ أسماءَ الحارثيَّ، ففي ذلك يقولُ:

أَصَـبْتَ في حَـرَمٍ مِنّا أَخَـا ثِقَـةٍ   هندَ بن أسماءِ لا يَهْنِي لك الظَّفَرُ

يقال: هَنَأَهُ ذلك وهَنَأَ له، كما تقولُ «هَنيئا له»، قال الأَخْطَلُ:

---

(١) الآري: الآخية.

إلى إمـــامٍ تُغـــادِينـا فَـــواضِلُهُ   أَظْفَـرَهُ اللهُ فَـليـهنئْ له الـظفـرُ

وقوله:

* وليسَ فيه إذا عاسَرْتَهُ عَسَرُ *

مَدَحٌ شريفٌ، مـثلُ قولهم: «إذا عَزَّ أَخُوكَ فهُنْ» وإنما هذا فـيمنْ لا يخافُ استذلاله، بأن يخـرُجَ يصاحبه عند مـساهلتَه إلى باب الذُّلِّ، فأمـا مَنْ كان كذلك فمُعاسَرَتُهُ أَحْمَدُ، ومُدافعته أَمْدَحُ، كما قال جريرٌ:

بِشـــرٌ أبو مَـرْوَانَ إنْ عَـاسَـــرتَهُ   عَـسِـرٌ، وعندَ يَسَـارِهِ مَـيْـسُــورُ

[مراثي متمم بن النويرة في أخيه مالك]

قال أبو العـباس: ومن أشعار العـرب المشهورة المُتـخيرة في المراثي قصـيدة مُتَمِّمُ بن نُويرَةَ في أخيه مالك، وسنذكر منها أبياتًا نختارُها، من ذلك قولهُ:

أَقـولُ وقـد طارَ السَّـنا في رَبابه   وغَـيْثٌ يَسَحُّ المـاءَ حـتى تَربَّعـا

سَقى اللهُ أرضًـا حلَّها قبـرُ مالكٍ   ذِهَابَ الغَوادي المدْجنات فـأَمْرَعَا

وآثرَ ســــــيلَ الواديـيْن بـديمَةٍ   تَرَشِّحُ وسمـيًّا مَنَ انَّبت خـروَعًا

تحـيـــتـه مـني وإن كـان نائـيًـا   وأضحَى تُرابًا فوقَهُ الأرضُ بلْقَعَا

فــمـا وَجْــد أظآرٍ ثلاث رَوَائم   رأَينَ مَـجرًّا مِنْ حُـوارٍ ومَصـرعًا

يَذَكِّـرْنَ ذَا البَثِّ الحـــزينَ بِبَـثِّـهِ   إذا حَنَّتِ الأولى سَجَعْنَ لهـا مَعًا

بأوجعَ مني يـوم فـارقت مـالكا   ونادَى به الناعي الرفـيعُ فأسمـعا

وفيها:

وكنَّا كَندمَـانَـي جُـذَيمةَ حِـقـبـة   منَ الدَّهر حتى قيل لن يَتَـصَدَّعَا

فلمـــا تَفَـرقْنـا كَـأنِّي ومــالكا   لطول اجتـماعٍ لم نَبتْ ليلة مَـعًا

وعِـشنا بخيـرٍ في الحـياة وقـبْلنا   أصابَ المَنايا رَهـطَ كِسرى وتُبـعَا

فإن تكــنِ الأيــامُ فَـرَّقْـنَ بينَـنَـا ... فقد بان محـمودًا أخى يوم وَدَّعَا

تقول ابنةُ العَـمْرِىِّ مالكَ بعـدَما ... أراكَ حـديثَـا ناعِمَ البـال أُفرعَـا

فقلتُ لها طولُ الأسَى إذْ سألتنى ... ولَوعة حُـزْن تترك الوجهَ أسْفـعَا

وفَـقْـد بَنى أمٍّ تَفَـانوا فلم أكُنْ ... خِـلافَهُمُ أن أسْتَكين، وأُضرَعَـا

ولستُ إذا ما الدَّهرُ أحـدَثَ نَكبَة ... ورزءًا بزوار القـرَائب أخـضـعـا

ولا فَـرِحٍ إن كنتُ يومًـا بِغـبطة ... ولاَ جَـزِعٍ إن نابَ دَهْرٌ فـأَوجَعَـا

ولكَّنِى أمـضى على ذاك مُقـدمًا ... إذا بعض مَنْ لاَقى الخُطُوب تكعكعـا

فـعَمْـرَكِ ألا تُسمـعـينى مَلامـةً ... ولا تَنْكَئِى قَـرْحَ الفؤاد فيَـيجـعا

وقصرَكِ إنِّى قد شهدتُ فلم أجِدْ ... بكَفَّىَّ عـنه للمنِّيـــة مَـــدْفـعَـــا

فلو أنَّ مـــا ألْقى أصاب مـتَالِعًـا ... أوَ الرُّكْنَ من سَلْمى إذا لَتضعضعا

وفى هذه القصيدة:

لقــد كَـفَّنَ المِـنْهـالُ تحتَ ردَائه ... فتى غيـرَ مِبْطان العشـيات أَرْوَعَا

ولا بَرَمٍ تَهْـدِى النسـاءُ لِعـرْسِـه ... إذا القَشْعُ من بَرْد الشِّتَاء تَقَـعقْعا

لبـيبـا أعان اللُّب منه سـماحـةٌ ... خَصيبًا إذَا ما رائدُ الجَدْبِ أَوْضَعَا

تَرَاُه كنَصل السـيفِ يَهْتَـزُّ للنَّدَى ... إذا لم تَجِدْ عند امْرِئ السَّوءِ مَطْمـعًا

إذا ابْتَـدَرَ القومُ القِـداَحَ وَأُوقدتْ ... لهمْ نارُ أَيْسار كَـفَى مَنْ تَضَجَّـعَا

بمَثْـنَى الأيادِى ثم لم تُـلْف مـــالـكا ... على الفَرْثِ يحمِى اللحمَ أن يَتَـمَزَّعَا

قوله: «وقـد طـارَ السَّنا فى رِبَابِه»، السَّنا: الضـوءُ، وهو مقصـور قال الله عـز وجل: ﴿يكَادُ سَنَا بَرْقِـه يَذْهَبُ بالأَبْصـارَ﴾ (١)، والسَّناء من الحـسب ممدودٌ، والربابُ: سحابٌ دون السحَابِ كالمتعلِّق بما فوقه، قال المازنىُّ:

(١) سورة النور ٤٣.

كَأن الرَّبَابَ دُوَيْنَ السحابِ نَعامٌ تَعلَّقُ بالأرْجُلِ[1]

وقوله: «يَسُحُّ» معناه يَصُبُّ، فإذا قلت: يَسْحو، أو يَسْحَى، فمعناه يَقْشِرُ، ومن ذا سُميت سحاءَةُ القِرْطاسِ وسحابَتُهُ، ومنه قيل للحديدة التى يُقْشَرُ بها وجهُ الأرضِ مِسحاةٌ، قال عَنترة:

سَحًّا وسَاحِيَةً فكل قَرارَةٍ يَجْرى عليها الماءُ لم يَتصَرَّمِ[2]

وقوله: «تَرَيَّعُ» أى كَثُر حتى جاء وذهبَ، يقال: رَاعَ يَرِيعُ إذا رجعَ، ومنه سُمِّى رَيعَ الطعام، لأنه يرجع بفَضل. قال مُزَرِّدٌ:

خَلطْتُ بِصَاعَىْ عَجْوَةٍ صاعَ حنطةٍ إلى صاعِ سَمنٍ فوقَهُ يَتَرَيَّعُ

والذِّهابُ: الأمطارُ اللينة، والمُدجنَاتُ من السحاب: السُّودُ، وهو مأخوذٌ من الدَّجَنِ والدُّجُنَّة، ومعناه إلْبَاس الغيم وظلمته، قال طَرَفَة:

وتَقصيرُ يوم الدُّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجب بِبَهْكَنَة تحتَ الطِّرافِ المُمَدِدِ[3]

ويقال: أَمْرَعَ الوادى، إذَا أَخْصَبَ، من ذلك قولُ مولاة بن الأجيَد عن أَوْفى ابن دَلْهَمٍ، قال أبو العباس: حدثنى به ابنُ المهدَىِّ أحمدُ بن محمد النحوىُّ، يُحدِّثُ به عن الأصمعّى عن أبيه، عن مولاة بن الأجْيد عن أوفَى، قال: فى النساء أربعٌ، فمنهن الصَّدَعُ[4]، تُفرِّق ولا تَجْمَعُ، ومنهن مَنْ لها شَيئها أجْمَعُ، ومنهنَّ غَيْثٌ وقَعَ فى بلد فأمْرَعَ، ومنهنَّ التبَعُ[5]، تَرَى ولا تَسْمَعُ. قال: فذكرتُ ذلك لرجلٍ فقال: ومنهنَّ القرثَعُ، قلتُ: وما هى؟ قال: التى تكْحَلُ عينًا وتَدَعُ الأخرى، وتَلبسُ ثوبَها مقلوبًا.

***

(١) نسبه المرصفى إلى زهير بن عروة بن جلهمة المازني

(٢) الساحية: المطرة الشديدة الوقع تقشر وجه الأرض.

(٣) البهكنة: الجارية المليحة، والطراف: البيت من الجلد.

(٤) قال المرصفى: «يريد ذات الصدع (بسكون الدال وحركها للسجع، وهو مصدر صدع الشيء فتصدع، فرقه فتفرق».

(٥) التبع: العجوز.

[قال الأخفشُ: حدثنى بذلك أبو العَيْنَاءِ عن الأصمعى، وذكر نحو ذلك]

***

وقوله:

* وآثرَ سَيْلَ الواديِين بديمة *

زعمَ الأصمعىُّ وغيرهُ من أهل العلم أن الدِّيمَةَ المطرُ الدائمُ أيامًا برفق.

وقوله: «تُرَشِّحُ وَسميًّا» أى تُهيئه لذلك، يقال: فلانٌ يُرَشَّحُ للخلافة، والوسْمى: أوّلُ مَطَرٍ يَسِمُ الأرْض، والولِىُّ: كلُّ مَطْرةَ بعد مطْرةٍ، فالثانية وَلِىٌّ للأخرى، لأنها تليها.

والخِرْوعُ: كلُّ عودٍ ضعيفٍ.

وقوله:

* فمَا وَجْدُ أظْآرٍ ثلاث روائمٍ *

أَظْآرٌ: جمعُ ظئرٍ، وهىَ النّوقُ تَعطِفُ على الحُوار فَتَألفُه، ورَوائِمُ واحدتها رَءومٌ، ومعنى تَرأمُهُ، تشمُّه.

والحُوارُ: وَلَدُ الناقة، ويقال له حيثُ يَسْقُطُ من أُمِّه سَليلٌ، قبل أن تقعَ عليه الأسْمَاءُ، فإن كان ذكرًا فهو سَقْبٌ، وإن كانت أُنثى فهىَ حَائلٌ، وهو فى ذلك كله حْوارٌ سَنَةً.

وقوله: «نَدْمَانى جَذيمَةَ» يعنى جَذيمَةَ الأبرَش الأزدى، وكان مَلِكًا، وهو الذى قتلتْهُ الزَّبَّاءُ، وهو أولُ من أَوْقَدَ بالشَّمْعِ، ونصَبَ المجَانيق للحربِ، وله قصص تطُولُ، وقد شرحنا ذلك فى كتاب «الاختيار» ونديماه يقالُ لهما مالك وعَقيلٌ، ففى ذلك يقولُ أبو خِرَاشٍ الهُذَلِىُّ:

أَلَمْ تَعْلَمِى أنْ قد تَفَرَّق قبلنَا ... خَليلاَ صَفَاء مالكٌ وعَقيلُ

والمَثَلُ يُضربُ بهما لِطول ما نَادَماهُ، كما يُضرب باجتماع الفرْقَدَين. قال عمرُو بن مَعْدِى كَرِبَ:

وكلُّ أخٍ مُـفَـارِقُـهُ أخـوه   لعَـمـرُ أبيكَ إلاّ الفَـرْقَـدانَ

قال هذا من قبل أن يُسْلِمَ، وقال إسماعيل بن القاسم:

ولم أرَ مـا يَدُومُ لـه اجتـمـاعٌ   سَيَفْتَـرِقُ اجتـمـاعُ الفَرْقَـدَين

وقوله:

* أراك حديثًا ناعمَ البال أَفْرعَا *

الأَفْرَعُ: التـامُّ شَعَرِ الرأس، وقـيل لعمـرَ بن الخطاب #: الفُرْعان خـير أم الصُّلعَان؟ فقـال: بل الفرعان، وكان أبو بكر أَفْرَع، وكان عـمرُ أصلَع، فوَقَع فى نفسه أنه يسـأل عنه وعن أبى بكر. والأسفع: الأسودُ، يقال: سَفَـعَتْه النارُ، أىْ غيرَّتَ وجهه إلى السَّواد.

وقوله: «فعمرك» يُقسمُ عليها، ويقال: «عَمرَكَ الله» أىْ أُذكِّرُكَ الله؛ قال:

عَـمَّـرْتُك الله إلاّ مـا ذكـرتِ لنا   هل كنت جـارتَـنا أيَّام ذى سَلَم!

وقوله: «غيـرَ مبْطانِ العشيَّات»، يقول: كـان لا يأكلُ فى آخر نهارِه انتظارًا للضـيفِ، ويروى أن عمر بن الخـطاب سأله فقـال: أكذَبت فى شيء مما قلـته فى أخيك؟ فقـال: نعم فى قولى: «غير مبْطان»، وكان ذا بَطنٍ، ويقـال فى غير هذا الحديث: إنَّ مِنْ سِيمـا الرئيس السيِّد أن يـكونَ عظيمَ البطنِ ضَخمَ الرأس، فـيه طَرَشٌ.

وقال رجلٌ لفـتى: والله ما أنتَ بعظيم الرأسِ فتكونَ سـيدًا، ولا بأَرْسح[1] فتكون فارسًا.

وقـال رجلٌ لرجل: والله ما فَـتقتَ فَـتَقَ[2] السَّـادَة، ولا مُطلت[3] مَطْلَ الفرسانِ. والأَرْوعُ: ذو الرَّوعَةِ والهيْئة.

(١) الرسح: قلة لحم العجز والفخذين؛ وذلك لملازمته الركوب.

(٢) ما فتـقت، قال المرصفى: من الفـتق، وهو شق العصا وتصدع الكلمـة ووقوع الحرب تسيل منهـا الدماء وتكثر الجراحات».

(٣) مطلت، بالبناء للمجهول، قال المرصـفى: وهو فى الأصل ضرب الحداد الحديدة لتطول، يريد ليس بذى رأى يرتق ما فتق بين القوم، ولا بفارس يناله قرع السيوف.

والبَرْم: الذى لا يَنْـزلُ مع الناسِ ولا يأخذُ فى الميسـر، ولا ينزعُ إلاَّ نكدًا، قال النابغةُ:

هلاَ سَـألتِ بنى ذُبيانَ مـا حَسَبِى   إذا الدُّخان تَغشَّى الأسمَط البرما[1]

وقوله: «إذا القَشعُ» وهو الجلدُ الـيابسُ، ويقال لكُنَاسةِ الحمَّـام القِشعُ، قال أبو هريرة: «وكَذَّبَتُ حتى رُميتُ بالقِشع».

***

وحدثنى العـباسُ بن الفَـرَجِ الرِّياشيُّ، عن محمـد بن عبـد الله الأنصارى القاضى، فى إسنادٍ ذَكرَه، قال: صلَّى مُتـممٌ مع أبى بكر الصديق الفَجْرَ فى عَقب قتل أخيه، وكان أخوه خَرَجَ مع خالد مَرْجِعهُ من اليَمَامَة، يُظْهرُ الإسلامَ، فظن به خالدٌ غـيرَ ذلك، فأمـر ضِرار بن الأزوَرِ الأسَدى فـقتلهُ، وكـان مالكٌ من أردَاف الملوك، ومن مـتقـدِّمى فُرسـانِ بنى يَرْبوع، قـال: فلمَّا صلَّى أبو بكر قـامَ متِّـمم بحذائه، واتكأ على سِيَةِ [2] قوسِهِ، ثم قال:

نِعْمَ القَـتِـيلُ إذا الرِّياحُ تناوحَتْ   خَلْفَ البُيُوتِ، قَتَلتَ يَابْنَ الأزورِ
ولِنعْمَ حَشْو الدِّرْع كنتَ وحَاسِرًا   ولِنَـعمْ مَـــأْوى الطارِقِ المُتَـنورِ
أدعـــــوته بالله ثـم غَـــــرْرتَهُ   لَوْ هُو دَعَـــاكَ بذمـة لم يَـغْـدِرِ

وأومأ إلى أبي بكر، فقال: والله ما دَعَوتُهُ ولا غَرَرْتُهُ، ثم أَتمَّ شعرَه، فقال:

لا يُمسك الفـحـشـاء تحتَ ثيـابِهِ   حُلوٌ شَـمـــائلُهُ عَـفـيـفُ المئْـزر

ثم بكى وانْحَط على سِيَةِ قـوسه - وكان أعورَ دَميمًا - فـما زال يَبْكى حتى دَمَعَتْ عينهُ العَوراءُ، فقام إليه عمر بن الخطاب فقال: لوَددْتُ أنّى رثَيتُ أخى زيدًا بمثل ما رَثَـيَت به مالكًا أخاك ! فـقال له: يا أَبَا حَـفْصٍ! والله لو علمتُ أنَّ أخى صارَ بحيثُ صارَ أخوك مـا رَثَيْتهُ، فقال عمر: مَا عَـزَّانى أحدٌ بمثل تعزيتك. وكان

(١) تغشى: تلبس والأشمط الذى خالطه الشيب.

(٢) سية القوس: ما عطف من صرفيها..

زيد بنُ الخطاب قتلِ شـهيدًا يومَ اليـمامة، وكان عـمرُ يقول: إنى لأهَشُّ للصَّـبا، لأنها تأتينا من ناحيـة زيد. ويُروى عن عمرَ أنه قال: لو كنت أقولُ الشـعر، كما تقولُ لرَثيتُ أَخى كما رثيت أخاك، ويُروى أنَّ مُتَـمِّمًا رثى زيدًا، فلم يجدْ، فقال له عمر: لم تَرْثِ زيدًا كما رثيت أخاكَ مـالكا ! فقال: لأنه والله يُحركنى لمالِكٍ ما لا يَحرِّكُنِى لزيدٍ.

***

ومن طريف شِعرِه:

لَعمْـرِى وما دهرى بتَـأْبين هالكٍ ... ولا جَـزَعٍ والموتُ يَذْهبُ بالفَـتى[1]

لئِنْ مَـــالكٌ خَلّـى عَلىَّ مكـانَه ... لفى إسْـوةٍ إنْ كُنت باغيـةَ الأسَا

كُهُـولٌ ومُردٌ من بنى عـمِّ مالكٍ ... وأَيْفاعُ صِدْقٍ قد تَمَـلَّيْتُهُم رضا[2]

سُقوا بالعُقارِ الصِّـرفِ حتى تتَابَعُوا ... كدَأبِ ثُمود إذْ رَغَا سَـقْبهُم ضُحى[3]

إذَا القوْم قـالوا: مَنْ فَتىً لُمِـلمَّةٍ ... فمَـا كُلّهم يُدْعى، ولكنَّه الفَـتى

ومثلُ هذا الشعر قولُ النَّهْشَلىّ:

لو كانَ فى الألفِ مِنَّا واحـدٌ فَدَعوا ... مَنْ فــارسٌ خـالَهُمْ إيَّاهُ يَـعنُونَا

وأوَّلُ هذا المعنى لطَرَفَةَ:

إذا القومُ قـالوا من فَتىً خِلْتُ أنَّنِي ... عُنيـتُ فلم أكـــسَلْ ولم أتبـلدِ

***

وقال متممٌ أيضاً فى كلمة له يرثى بها مالكًا:

جَميلُ المَحيَّا ضـاحكٌ عند ضيفِهِ ... أغرُّ جَميعُ الرَّأْى مُـشْتَرَك الرَّجْلِ

---

(١) ما دهرى: ما همى وغايتى.

(٢) أيفـاع: جمع يفع؛ وهو الشـاب الذى شارف البلوغ، وتمليـتهم: عـشت معـهم وتمتعت بهم مـلاوة من الدهر.

(٣) العقار: الخمر، والصرف. التى لم تمزج، ويريد به الموت، على الاستعارة.

وَقُورٌ إذَا القومُ الكِرامُ تقاولُوا فَحُلَّت حُبَاهم واستُطيرُوا من الجهَل[1]

وكنتَ إلى نَفسِى أشَدَ حلاوةً من الماءِ بالماذىِّ من عَسَلِ النَّحْلِ[2]

وكلُّ فَتًى فى الناسِ بعدَ ابن أُمِّه كساقطة إحَدى يدَيْه من الخَبْلِ

وبعضُ الرجالِ نَخْلة لا جَنى لها ولاَ ظِلَّ إلاّ أنَ تُعَدَّ من النَّخْلِ

وقال له عمرُ بن الخطاب: إنك لَجَزْلٌ، فأينَ كان أخوك منك؟ فقال: كان والله أخى فى الليلة المُظلمة ذات الأزيز والصُّراد[3] يركبُ الجملَ الثَّفَالَ، ويَجنُبُ[4] الفَرسَ الجَرورَ، وفى يَده الرُّمح الثَّقيلُ، وعليه الشمْلةُ الفلوتُ، وهو بَيْنَ المَزَادَتَيْنِ حتى يُصبح، فَيصبِّح أهلَه مُبتسمًا.

الجملُ الثفَالُ: البطيء الذى لا يكاد يَنْبَعَثُ.

والفرسُ الجَرُور: الذى لا يكادُ يَنقادُ مع مَنْ يَجنبُه، إنما يَجُرُّ الحبلَ.

والشَّمْلَةُ الفَلوتُ: التى لا تكادُ تَثبتُ على لاَبسها.

وذَكَرَ لنا أن مالكًا كان من أرْداف الملوك، وفى تَصْدَاق ذلك يقولُ جَريرٌ يَفْخرُ ببنى يَرْبُوعٍ:

منهم عُتَيبَة والمُحِلُّ وقَعتَبٌ والحنتفان ومنهمُ الرِّدفَان[5]

فأحَدُ الرِّدْفين مالكُ بن نوَيْرَة اليربُّوعىُّ، والرِّدف الآخر من بنى رياح بن يَرْبوعٍ، وللرِّدَافة موضعان: أحدهما أن يُرْدفَه المَلكُ على دابَّته فى صَيد أو تَرَيُّفٌ أو ما أشبه ذلك من مواضع الأُنسِ، والوجه الآخرُ أنبلُ، وهو أن يَخْلُفَ المَلكَ إذا قَامَ عن مجلسِ الحُكم فينظرَ بَيْنَ الناسِ بَعْدَهُ.

---

(١) حباهم: جمع حبوة؛ وهى الثوب الذى يحتبى به الرجل يجمع به ظهره وساقيه.

(٢) الماذى: العسل الأبيض.

(٣) الأزيز: البرد، والصراد: سحاب بارد ندى ليس فيه ماء.

(٤) يجنب الفرس: يقوده إلى جنبه.

(٥) عتبة بن الحارث بن شهاب، والمحل وقعنب: رجلان من بنى حنظلة بن يربوع.
الحنتفان: الحنتف وأخوه ابنا أوس بن حميرى بن يربوع (رغبة الآمل).

بابـ

[من أخبار من جزعوا عند الموت]

قال أبو العباس: لـمَّا احْتضـرَ إبراهيمُ النَّخعي رحـمه الله، جَزعَ جَـزَعًا شديدًا، فقـيل له في ذلك، فقال: وأيُّ خَطرٍ أعظمُ من هذا ! إنَّمَا أتَوَقَعَ رسولاً يَردُ عليَّ من ربي، إما بالجنةِ وإما بالنارِ.

ولما احتُـضرَ ابنُ سيـرين، جعلَ يقولُ: نفـسي والله أعَزُّ الأنْفس عليَّ. ولما احتُضرِ حُجْرُ بنُ عَدى ليُقتلَ، سَألَ أن يُمهَلَ حتى يصلي ركعتين، وظهرَ منه جزعٌ شديدٌ، فـقال له قائلٌ: أتَجزَعُ! فـقال: وكيف لا أجْـزَعُ! سيفٌ مشهـورٌ، وكفنٌ منشورٌ، وقبرٌ محفورٌ، ولستُ أدرى أيودينى إلى جنةٍ أم إلى نار.

[قال أبو الحـسن: ما يقومُ بقـتل حُجر بنِ عـدِيٍّ شيءٌ! وإنى لأعْجَبُ من قوله هذا: «ولستُ أدرى أيدنينى إلى جنةٍ أو إلى نارٍ»، وهو شهيدُ الشهداءِ، رحمه الله!].

وقد ذكرنا موتَ عَمْرو بنِ العاصِ وكلامه عند الموت.

[ممن ظهرت عليهم القسوة عند الموت]

وممن ظَهَرتْ منه عـند الموت قَسْوةٌ، حَلَحَلَةُ الفَـزاري، وسعـيد بن أبانَ بن عيينة بن حصن الفزاري، فإن عبدَ الملك لـمَّا أحـضَرهما ليُقيدَ منهما قال لحلحلة: صَبْرًا حَلَحَلَ! فقال إى والله!.

أصْـبَرُ منْ ذى ضَـاغطٍ عَرَكـرَكِ ... ألْقى بَـواني زَورِهِ للمـبَـرك[1]

ثم قال لابن الأسـود الكَلْبي: أجدِ الضَّرْبَةَ، فإني والله ضـربت أباكَ ضربةً

(١) قال المرصفي: يريد: من بعير ذى ضاغط، والضاغط: أن يتحرك مرفق البعير حتى يقع فى جنبه فيخرقه، وعركرك: به أثر من العرك؛ وهو أن يعرك البعير جنبه بمرفقه فيؤثر فيه. وبوانى زوره: أضلاعه، الواحدة بانية، وزوره: صدره.

أَسْلَحْتُهُ، فعددت النُّجومَ فى سَلحتِه، ثم قال عبدُ الملك لسَعيد بن أبانَ: صبرًا سعيدُ ! فقال: إِى والله !.

أَصَـبرُ مِنْ عَـوْدٍ بِجَنْبَيـه الجُلَبْ قـد أَثَّرَ البِطَانُ فيه والحَقبَ [1]

***

ومنهم وكيعُ بن أبى سُودٍ، أحدُ بنى غُدَانَةَ بنْ يَرْبُوعٍ، فإنه لما يُئِسَ منه خرجَ الطبيبُ من عنده، فقال له محمدُ ابنهُ: ما تقولُ؟ قال: لا يُصلى الظُّهر، وكان محمدٌ ناسكًا، فدخلَ إلى أبيه، فقال له أبوه وكيع: ما قال لك المَعْلوجُ؟ قال: وعَدَ أنكَ تَبرأ، قال: أسألك بحقِّى عليكَ! قال: ذَكَرَ أنكَ لا تصلى الظهرَ، قال: وَيْلِى على ابنِ الخَبيثةِ! والله لو كانتْ فى شِدقِى لَلُكْتُها إلى العَصرِ.

***

ويروى أَنَّ إبراهيم النَّخْعِى قال فى الحديث الذى ذكرناه: والله وَدَدْتُ أنها تَلَجلجُ فى حَلقى إلى يوم القيامة، وفى وكيعِ بن أبى سُودٍ يقولُ الفرزدق:

لقد رُزِئَتْ بأسًا وحَزْمًا وسُودَدًا تَميمُ بن مُرٍّ يومَ ماتَ وَكيعُ
وما كان وقَّافًا وَكيعٌ إذا دَنَتْ سحائب مَوْتٍ وَبلُهنَّ نَجيعُ
إِذَا التقتِ الأبطالُ أَبْصَرْتَ لونَهُ مُضيئًا وأعناقُ الكُماة خُضُوعُ
فصبرًا تَميمٌ إِنَّما الموتُ مَنْهَلٌ يَصيرُ إليه صابرٌ وجَزُوعُ

وقال أيضًا:

لتَبْكِ وَكيعًا خَيْلُ ليلٍ مُغَيرةٌ تَساقِى المَنايا بالرُّدَينيَّةِ السُّمرِ [2]

(١) العود. الجمل المسن: والجلب: جمع جلبة، وهى القرحة تعلوها قشرة البره، والبطان: حزام الرجل. والحقب: الحزام الذى يلى حقو البعير.
(٢) الوبل: غزارة المطر، والنجيع: الدم.

لَقُوا مِثْـلَهُمَ فاستَهزَمُـوهم بدَعوَةٍ　　دَعوْهَا وكيعًـا والجيادُ بهم تَجْرِى[1]

***

ومن الجُـفَاة عندَ الموتِ هُدْبَةُ بن خَـشْرَمِ العـذرىُّ، وكان قَـتَلَ زيادَةَ بنَ زيد العُذْرِىَّ، فلمـا حُمِلَ إلى معـاوية، تقدمّ معـه عبد الرحـمن أَخُو زيادةَ بنِ زياد، فأدعى عليـه، فقال له معاويَـة: ما تقولُ؟ قال: أتحبُّ أن يكونَ الجـوابُ شعرًا أم نثرًا؟ قال: بل شعرًا، فإنه أَمْتَعُ. فقال هُدْبَةُ:

فَلمَّـــا رأيتُ أنّمَـــا هِـى ضَــرْبَةٌ　　منَ السـيفِ أو إغضاءُ عَـيْنٍ على وترْ

عَـمَـــدتُ لأمـرٍ لا تُعـيِّـرُ والدِى　　خَــزَايـنُهُ ولا يُسَبُّ به قـــبـــرى[2]

رُمـيِثنَـا فَرَامَـيْنَا فـصادَفَ سَـهْـمُنا　　مَنيَّـــةَ نَفْسٍ فى كـتـابٍ وفى قَــدْرِ

وأنت أمــيـــرُ المؤمنين فـــمـــا لَنا　　وراءَكَ من مَعْدَى ولا عنك من قَصرْ[3]

فـإن تَكُ فى أمْـوالنـا لا نَضِقْ بهـا　　ذراعًـا، وإن صَبْـرٌ فنَصبـرُ للصبَّـرِ[4]

فقال له معاوية: أَرَاكَ قد أَقْرَرْت يا هدبة! قال: هو ذاك، فقال عبدُالرحمن: أقدنـى، فكره ذاكَ وضَنَّ بِهُدبَةَ عنِ القَـتْلِ - وكان ابنُ زيادة صـغيـرًا - فقـال له معاوية: أوَمَا عليكَ أَنْ تَشْفِىَ صَدْرَك وتَحْـرم غيرَك! ثم وَجَّهَ به إلى المدينة فقال: يُحْبَس إلى أن يَبْلَغَ ابنُ زِيادَةَ، فبَلَغَ..

وكان والى المدينة سعيدَ بنَ العاصي، فممَّا وُقِفَ عليه من قسوته قوله:

ولـمَّا دخلتُ السجنَ يا أُمَّ مالكٍ　　ذكرتُكِ والأطرافُ فى حَلَقٍ سُمْرِ

(١) قال المرصفى أنه لما مات منع والى البـصرة عدى بن أرطاة الفزارى أن يناح عليه، فوضعـوا نعشه وقالوا: لا يحمل حتى يجىء الفـرزدق، فجاء وعليه قمـيص أسود مشقوق، والناس، يترحـمون ويذكرون الله، فأخذ بقائمة السرير فنهض به، ثم أنشأ يقول: لتبك وكيعا... البيتين.

(٢) الخزاية: الاستحياء.

(٣) من معدى: من متجاوز إلى غيرك، ولا عنك من قصر؛ يريد ولا منع فى أمرى عنك (رغبة الآمل).

(٤) فإن تك؛ يريد الدية، والصبر: الحبس.

وعند سَعيدٍ غيرَ أنْ لم أَبُحْ به ذَكرتُك إن الأمرَ يُذْكر بالأمرِ

فسُئِلَ عن هذا القول، فقال: لـمَّا رأيتُ ثَغْرَ سعيدٍ - وكان سعيدٌ حسنَ الثغر جدا - ذَكَرْتُ به ثَغْرَها.

ويقال إنه عُرِضَ على ابن زيادةَ عَشْر ديات فأبَى إلاَّ القَوَدَ، وكان ممن عَرَضَ الديات عليه ممن ذُكِرَ لنا، الحسينُ بن علىّ وعبدُ الله بن جعفر، عليهما السلام، وسعيدُ بن العاصى، ومروانُ بن الحكم، وسائرُ القوم من قريش والأنصار، فلما خُرِجَ به ليُقاد بالحَرَّة جَعَلَ يُنشدُ الأشعارَ، فقالت له حُبَّى المَدَنِيَّة: ما رأيت أقسَى قلبًا منك! أَتُنْشِدُ الأشعَارَ وأنتَ يُمضى بك لتُقتَلَ، وهذه خلفكَ كأنها ظَبْىٌ عَطْشانُ تَوَلْولُ! تَعْنى امرأتَهُ، فوَقفَ، ووقفَ الناسُ معه، فأقبل على حُبَّى فقال:

ما وَجَدَتْ وَجْدِى بها أمٌّ واحدٍ ولا وَجْدَ حُبَّى بابنِ أُمِّ كِلابِ

رأته طويلَ الساعدَيْن شَمَرْدلاً كما انْتَعَتَتْ من قُوَّةٍ وشَبابِ[1]

فأغلقت حُبَّى الْبابَ فى وجهه وسَبَّتْهُ.

وعَرَضَ له عبدُ الرحمنِ بنُ حَسَّانٍ، فقال: أنشدنى، فقال له: أعَلى هذه الحال! قال: نعم، فأنشده:

ولَسْتُ بمِفراحٍ إذا الدهرُ سرَّنى ولا جازعٍ من صرْفِهِ المتقلِّبِ

ولا أتبَغَّى الشرَّ والشرُّ تاركى ولكن متى أحْملْ على الشرِّ أرْكَبِ

وحَرَّبَنِى مولاى حتى غَشيتُهُ متى ما يُحربكَ ابنُ عَمِّكِ تَحْرَبِ[2]

***

فلما قُدِّم نَظَرَ إلى امرأته، فدخلته غَيرةٌ، وقد كان جُدِعَ فى حَرْبِهِم، فقال:

فإنْ يَكُ أَنفى بانَ منه جَمالُه فما حَسَبى فى الصالحين بأجدَعا

(١) الشمردل: الفتى القوى الجلد. وانتعشت.

(٢) حربنى: حملنى على الغضب.

فـلا تَنْكحى إنْ فَـرَّقَ الدهرُ بيننا ... أَغَمَّ القَـفَا والوجـهِ ليس بأنْزَعـا

فقالت: قفُوا عنه ساعة، ثم مـضتْ ورَجَعَت وقد اصْطَلَمَت أنْفَها! فقالت: أهذا فِعلُ مَنْ له فى الرجـال حاجة! فقـال: الآنَ طابَ الموتُ. ثم أقبل على أَبَويه فقال:

أَبْليـانِى اليـومَ صَبْـرا منكمـا ... إنَّ حُـزنًا مـنكمـا اليـومَ لَشَـرْ

مـــا أظـنُّ الموتَ إلاَّ هَـيِّنـا ... إنَّ بعـدَ الموتَ دارَ المُسْـتَـقَـرْ

ثم قال:

أَذَا العَـرْشَ إِنِى عائذٌ بكَ مـؤمنٌ ... مُـقِـرٌّ بزَلاتـى إليكَ فَـقـيـرُ

وإنى وإنْ قـالوا أَمِـيـرٌ مُـسَلَّط ... وحُـجَّـابُ أبوابِ لَهنَّ صَـريرُ

لأَعْلَمُ أَنَّ الأمْـرَ أمَـرُك إن تدن ... فـربٌّ وإنْ تَغْـفرِ فـأنت غـفـورُ

ثم قال لابن زِيادَةَ: أثْبت قَـدَمَيْكَ، وأجِدِ الضربَةَ، فـإنى أيْتمْتُكَ صـغيرًا، وأرْمَلتُ أمَّكَ شابَّةً.

ويزعُم بعضُ أصحاب الأخبـار أنه قال: ما أجْزَعُ من المْوت، وآيةُ ذلك أنِّى أضْربُ برجـلى اليُسرى بعـد القتل ثلاثًا، وهـو باطلٌ موضوعٌ، ولكـنْ سَأل فَكَّ قيودِه، فُفكتْ، فذلك حيث يقولُ:

فـإن تَقْتُلونى فـى الحَديدِ فـإنَّنى ... قَـتَلْتُ أخـاكم مُطلَقًا لـم يُقيَّـدِ

[من أخبار من وقفوا على القبور]

قال أبو العـباس: ووقفَ خبَّار بنُ سَلْمى عـلى قبرِ عامـرِ بن الطُّفيل، ولم يكن حَضَـرَهُ، فقـال: أنْعِمْ صبـاحًا أبَا علىٍّ! فـوالله لقد كنت سريعـاً إلى المولى بوَعْدكَ، بَطيئًا عنه بإيعـادك، ولقد كنتَ أهْدَى من النَّجمِ، وأجْرَى من السَّيلِ. ثم التفت إليهم فقال: كان ينبغى أن تَجعَلوا قبر أبى علىٍّ ميلاً فى ميلٍ!.

***

وذَكر الحـرْمازىُّ أن الأحنفَ بن قيْس لما مـات، وكان موتهُ بالكوفـة، مَشَى المُصَعبُ بن الزُّبير فى جنازته بغير رداء، وقال: اليـومَ ماتَ سيدُ العرب، فلمَّا دُفِنَ قامت امرأة علـى قبره- أَحْسَبُـها من بنى مِنْقَر - فقـالت: لله دَرُّك من مُجنٍّ فى جَنَنٍ [1]، ومُدرَجٍ فى كَفَن ! فنسألُ الذى فَجَعنا بموتكَ، وابتلاَنَا بفقدكَ، أن يَجْعَلَ سبيل الخيرِ سَبيلك، ودَليل الخيرِ دليلَكَ، وأن يُوسعَ لك فى قبرك، ويغفرَ لك يومَ حَشرِكَ، . فوالله لقد كنتَ فى المحـافلِ شريفًا، وعلى الأراملِ عَطوفًا، ولقد كنتَ فى الحَىِّ مُسـودًّا، وإلى الخليفـةِ مُوفَدًا، ولقـد كانوا لقولك مـستـمعين، ولرأيك مُتَّبعين، قال: فقال الناس: ما سمعنا كلام امرأةٍ أبلغ ولا أصدقَ معنى منها.

***

ووقفَ رجلٌ على قبـر النجاشيِّ فَـتَرَحَّم وقال: لولا أنّ القـولَ لا يُحيطُ بما فيكَ، والوصفَ يَقْصِـرُ دونَك لأَطنَبْتُ، بل لأَسْهَبْتُ، ثم عَقَر ناقتَـه على قبره، وقال:

عقرتُ على قبـر النَّجاشى نَاقتى | بأبْيَضَ عَضْبٍ أَخـلَصْتْهُ صَـياقلُهْ
على قَـبرِ مَنْ لو أنَّنى مِتُّ قَـبْلَهُ | لهانَتْ عـليه عندَ قبـرِى رَوَاحِلُهُ

***

وروى ابن دَأْبٍ أنَّ حَسَّـان بن ثابت الأنصارىَّ اجتـاز بقبر رَبِيـعَةَ بن مكدمٍ فأنشدَ:

لا يبـعـدن رَبِيـعَــة بن مُكدَّمٍ | وسَـقَى الغَـوادِى قَـبْـرَهُ بِذَنوبِ
نَفَرَتْ قُـلوصِى من حِجـارة حَرَّةٍ | نُصبَتْ على طَـلقِ اليدين وَهُوبِ
لا تَنْـفُـرِى يا نَـاقَ منه فـإنه | شرِّيبُ خَـمْرٍ مِسْعَـرٌ لِحُروبِ [2]
لولاَ السِّفـارُ وطولُ قفْـر مَهْـمَه | لتركتـها تحبوُ على الـعُرْقُوبِ [3]

(١) مجن: اسم مفعول، من أجنه إذا ستره، والجنن: القبر.
(٢) مسعر للحروب: أى يسعرها ويشبها.
(٣) المهمه: القَفْر من الأرض.

نِعْمَ الفَتى أدَّى نُبَيْشةُ رَحْلَه   يومَ الكَديدِ نُبَيْشَةُ بنُ حبيبِ

وربيعةُ بن مكدَّم - رجلٌ من بنى كِنَانَةَ، وكان قتله أُهبانُ بن غَادية الخُزاعىّ، وقَيْسٌ تقولُ: قتله نُبَيْشَةُ بن حبيبَ السُّلمىُّ، وكان أهبانُ أخَا نُبَيْشَة لأمِّه، وكان أتاه زائرًا، وأغارَ ربيعة بن مُكدم على بنى سُلَيم، فخرج أهبانُ مع أخيه، فحمَلَ عليه فقتله، وحملَ أخو رَبيعة على أُهبان ففاتَه، فلأنهُ فى بنى سليم، قال حسانٌ:

* نَفَرتْ قُلوصِى من حِجَارَةِ حَرَّةٍ *

لأنَّ الحرَّةَ هناكَ لبنى سُلَيمٍ، وفى تَصْدَاقِ ما تَدَّعيه خُزاعة يقولُ أُهبانُ:

ولقد طَعنتُ رَبيعَة بنَ مُكدَّمٍ   يومَ الكَديدِ فَخرَّ غيرَ مُوَسَّدِ

فى عارضٍ شَرقٍ بَنَاتُ فؤادهِ   منه بأحْمر كالنَّقيع المُجسَدِ[1]

ولقد وَهَبْت سلاَحَهُ وجَوادَهُ   لأخِى نُبَيْشَةَ قبلَ لوْم الحُسَّدِ

وقال أخُو ربيعةَ يجيبهُ:

فاتَ ابنُ غادِيَةَ المَنيَّة بعدَ ما   رَفَّعْتُ أسفلَ ذيلِه بالمطرَدِ[2]

قلْ لابْنِ غَادِيَةَ المُتاحِ لقتْلنَا   ما كان يَقْتُلُنا الوَحيدُ المُفردُ

يريدُ أنَّ أهبَانَ مُفردٌ من قومه فى أخواله.

وقال أيضًا:

فإنْ تَذْهَبْ سُلَيمُ بِوتْرِ قَوْمى   فأَسْلَمُ مِنْ مَنَازِلَنا قَريبُ

[ليلى الأخيلية ترثى توبة]

وقالت ليلى الأخيَليَّةُ:

آلَيْتُ أبْكى بعد توبَةَ هالكًا   وأحْفِلُ مَنْ دارَتْ عليه الدَّوائرُ

لَعَمركَ ما بالموت عار على الفَتى   إذا لم تَصِبهُ فى الحياةِ المَعَايرُ

(١) المطرد: الرمح القصير يطارد به الفارس.

فـلا يُبْـعِـدَنكَ الله يا تَوْبَ إنما | لِقـاءُ المَنَايَا دَارِعًـا مـثلُ حـاسِـرِ

ويُروى :

فـلا يُبعِـدنْكَ الله يا تَوْبَ هالكا | أخا الحربِ إنْ دارتْ عليه الدَّوائرُ

فكلُّ جَـديدٍ أو شبَـاب إلى بِلًى | وكلُّ امْـرئٍ يومًا إلى الله صـائرُ

* * *

وذَكَر المدائنى أنَّ رجلاً عَزَّى رجلاً أفْرَط عليه الجَزعُ على ابنه فقال: يا هذا، سُرِرْتَ به وهو حُزنٌ وفتنة، وجَزَعت عليه وهو صَلاةٌ ورحمةٌ، فَسُرِّى عنه.ويُروَى أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «تعَزَّوا عن مصـائبكم بى»، وقال رجلٌ لابن عمرَ: أُعظمَ الله أَجْرَكَ، فقال: نَسْألُ الله العافـية! معناه: أنه لـمَّا قال له: «أعظم الله أجركَ»، إنما دعا بأن يكثر ما يُؤجَرُ عليه، ودلَّ على أنه من باب المصائب تعزيتُهُ إيَّاهُ.

وهذا بابٌ طريفٌ من أشعارِ المُحْدَثين

[مطيع بن إياس فى يحيى بن زياد]

قال مُطيعُ بنُ إياسٍ اللَّيثى يَرثى يحيى بنَ زِيادٍ الحارثىَّ - وكان صَديقَهُ، وكانا مَرميَّين جميعًا بالخروج عن الملة:

يَا أَهلَ بَكُّوا لِقَلْبِىَ القَرِحِ ... وللدُّمُوعِ الهواملِ السُّفَحِ [1]

رَاحُوا بيَحيى إلى مُغَيَّبهِ ... فى القبرِ بينَ التُّرابِ والصُّفَحِ [2]

رَاحُوا بيحيى ولو تطاوعنى الأقـ ... دارُ لم يَبْتَكِرْ ولم يَرُحِ

يا خيرَ مَنْ يَحَسُنُ البُكاءُ له الـ ... يَوْمَ وَمَنْ كانَ أَمْسِ للمِدَحِ [3]

***

وفى يحيى يقولُ مطيعٌ لنَبْوةٍ كانتْ بينهما:

كنتُ ويَحيى كَيَدى واحدٍ ... نرمى جميعًا ونُرامى مَعَا

إن سَرَّهُ الدَّهرُ فقد سَرَّنى ... أو حادثٌ نابَ فقد أَفْظَعَا

أو نامَ نامتْ أعينٌ أربعٌ ... منَّا، وإن هَبَّ فلَنْ أَهْجَعَا

حتى إذا ما الشَّيبُ فى عارضى ... لاحَ وفى مَفْرِقِهِ أَسْرَعَا

سَعَى وُشاةٌ طُبَّنٌ بيْننا ... فكادَ حَبْلُ الوَصْلِ أن يقْطَعَا [4]

فلم أَلُمْ يَحيى على حادثٍ ... ولم أقلْ خَانَ ولا ضَيَّعَا

---

(١) الهوامل: الذوارف.

(٢) الصفح: جمع صفيحة، وهى القطعة العريضة من الصخر.

(٣) ذكر المرصفى بعده:

قَدْ ظَفِرَ الحُزْنُ بالسُّرور وَقَد ... أديلَ مكرُوهُنَا منَ الفَرَحِ

(٤) طبن: جمع طابن، وهو الفطن.

[لأبي عبد الرحمن العتبي يرثي علي بن سهل]

وقال أبو عبد الرحمن العُتَبِيّ يَرْثِي عليَّ بن سَهْلِ بن الصَّباح - وكان له صَديقًا:

يا خَبْرَ إخوانه وأعطفَهُمْ ... عليهمُ راضيًا وغضبانَا

أمْسَيْتَ حُزنًا وصار قُربُكَ لى ... بُعْدًا وصارَ اللِّقاءُ هجْرانا

إنَّا إلى الله راجعون لَقد ... أصبَحَ حزنى عليكَ ألوانَا

حُزنُ اشتياقٍ وحزنُ مرزِئةٍ ... إذا انقضى عادَ كالذى كانا

***

قوله: «يا خَبْرَ إخوانَه» محالٌ وباطلٌ، وذلك أنه لا يضافُ «أفعَلُ» إلى شيءٍ إلاّ وهو جزءٌ منه، وقال أيضًا:

دَعَوتُكَ يا أخَيّ فلم تجبْنى ... فردَّتْ دَعْوَتى حُزنًا عَلَيّا

بموتِكَ مَاتتِ اللذاتُ منِّى ... وكانتْ حَيَّةً إذْ كنتَ حَيّا

فيَا أسَفِى عليكَ وطولَ شَوقِى ... إليكَ لوَ انَّ ذاك يَرُد شَيّا

[وقوف رجل على قبر عدوه]

وحدثنى رجلٌ من أصحابنا، قال: شهدتُ رجلاً فى طريق مكة معتكفا على قبرٍ، وهو يُرَدِّدُ شيئًا ودمُوعُه تَكفُ من لحيته، فدنوت إليه لأسمع ما يَقولُ، فجعلت العَبْرَةُ تَحُولُ بينَهُ وبينَ الإبانة، فقلتُ له: يا هذا! فرَفَعَ رأسَه إليَّ، وكأنما هَبَّ من رَقدة، فقال: ما تشاءُ؟ فقلت: أعلىَ ابنك تبكى؟ قال: لا، قلتُ: فعلى أبيك؟ قالَ: لا، ولا على نَسيب ولا صديقَ، ولكن علَى مَن هو أخَصُّ منهما، قلتُ: أوَ يكونُ أحدٌ أخَصَّ ممَّن ذكرتَ؟ قال: نعم، مَنْ أخبرُكَ عَنْه، إنَّ هذا المَدْفونَ كان عدواّ لى من كل باب، يَسعَى عَلى فى نفسى وفى مالى وفى وَلَدى، فخرجَ إلى الصَّيْد أيْأسَ ما كنتُ من عَطَبه، وأكمَلَ ما كان من صحته، فرَمَى ظَبيًا فأقْصَدَه[1]، فذهبَ ليأخذَه، فإذا هو قد أنْفَذَهُ حتى نَجَمَ[2] سهمهُ مَن

(١) أقصده: لم يخطئه (٢) نجم سهمه: ظهر وبرز

صَفْحَةَ الظَّبْى [١]، فعَثَرَ فتلقى بفؤاده ظُبَةَ [٢] السَّهمِ، فَلَحقهُ أولياؤُهُ، فانتزعوا السهمَ، وهو والظَّبىُ مَيِّتان، فنَمى إلىَّ خبرهُ، فأسرعت، إلى قبره مغتبطًا بفقده، فإنى لَضَاحكُ السِّنِّ، إذ وقعت عينى على صخرةٍ، فرأيتُ عليها كتابًا، فَهَلُمَّ فاقرأهُ، وأومأ إلى الصخرة، فإذا عليها:

وما نحنُ إلاَّ مِثْلُهُمْ غيرَ أَنّنا ... أَقَمْنَا قليلاً بعدَهُم وتَقَدَّمُوا

قلتُ: أشهدُ أنك تبكى على مَنْ بُكاؤكَ عليه أَحقُّ من النَّسيب.

[مراثى يعقوب بن الربيع فى جارية له]

وما استطرفنا من شعر المُحْدِثين قولُ يعقوبَ بنِ الرَّبيع فى جاريةٍ طالبَها سبعَ سنينَ، يَبْذُلُ فيها جاهه، ومالَه، وإخوانه حتى مَلَكهَا، فأقامت عنده ستة أشهر ثم ماتت، فقال فيها أشعارًا كثيرةً، اخترنا منها بعضَها من ذلك قوله:

لله آنسةٌ فُجعتُ بها ... ما كان أبعَدَها من الدَّنَس!

أَتت البِشارة والنَّعى معًا ... يَا قُربَ مأتَمِها من العُرسِ !

يا مُلْكُ نالَ الدَّهرُ فُرصتَهُ ... فرَمَىَ فؤادًا غير مُحترسِ

كم من دُموعٍ لا تجفُّ ومن ... نَفْسٍ عليكِ طويلةِ النَّفَسِ

أبكيكِ ما ناحتْ مُطوَّقَةٌ ... تحت الظَّلام تَنُوحُ فى الغَلَسِ

يا مُلْكُ فىَّ وفيكِ مُعتَبَرٌ ... ومواعظٌ يُوحِشْنَ ذا الأُنسِ

ما بعدَ فُرقةِ بَيْننا أبدًا ... فى لَذَّةٍ دَرَكٌ لُملتَمِسِ

وأَخذَ ما فى صدرِ هذا الكلام من قول القائل:

رُبَّ مَغروسٍ يُعاشُ به ... فَقَدتْهُ كفُّ مُغترِسِه

وكذاكَ الدَّهرُ مَأْتَمُه ... أَقْرَبُ الأشياء من عُرُسِه

---

(١) صفحة الظبى: جانبه.

(٢) ظبة السهم: حده.

وقريبٌ من هذا قولُ امرأةٍ شريفةٍ تَرثى زوجها - ولم يكن دخل بها [1]:

أبْكيكَ لا لِلنَّعيمِ والأنَسِ بل للمعالى والرُّمْحِ والفَرَسِ
أبْكِى على فارسٍ فجعتُ به أرملنى قبلَ ليلة العُرسِ
يا فارسًا بالعَراء مُطَّرحًا خانتهُ قُوادُهُ مع الحَرَسِ
مَنْ لليتامىَ إذا هُمُ سَغِبُوا وكلِّ عانٍ وكُلِّ مُحْتَبَسِ!
أم مَنْ لِبرٍّ أم مَنْ لفائدةٍ أم مَنْ لِذِكرِ الإلَه والغَلسِ!

***

ومما أستطرفه من شعرِ يعقوب قوله:

ليتَ شِعرِى بأىِّ ذنبٍ لِمُلكٍ كانَ هَجْرِى لِقَبرْها، واجْتنابى!
ألِذَنْبٍ حَقَدتْهُ كانَ منها أمْ لِعلْمِى بشُغْلها عن عِتابى!
أمْ لأمنِى لسُخطِها ورضاها حين واريتُ وَجْهها فى التراب!
ما وَفى فى العباد حَىٌّ لِمَيتٍ بعد يَأسٍ منه له فى الإيَابِ

وفى هذا الشعر:

إنما حَسْرتى إذا ما تَذَكرْ تُ غنائى بها وطولَ طِلاَبى
لم أزَلْ فى الطّلابِ سبعَ سِنينٍ أتأتى لذاكَ من كلِّ باب [2]
فاجتمعنا على اتفاقٍ وقدْرٍ وغَنينا عن فُرقَةٍ باصطحابِ
أشْهُرًا سِتَّة صَحِبتُكِ فيها كُنَّ كالحُلْمُ أو كَلمعِ السَّرابِ
وأتانِى النَّعى منكِ مع البُشْرَى فيا قُربَ أوبةٍ من ذَهابِ!

***

(١) نسبه بعضهم إلى لبانة بنت موسى الهادى فى محمد الأمين.
(٢) أتأتى: أتعرض له.

ومن مَليحِ شعرهِ قوله يرثيها:

حتى إذا فَـترَ اللسانُ وأصـبحت ... للموتِ قـد ذَبَلَتْ ذُبولَ النَّرجسِ

وتَسَهَّلتْ منهـا محاسنُ وجهـها ... وعَـلا الأنينُ تَحـثـهُ بتـنَفُّس

رَجَعَ اليقينُ مَطـامِعِى يَأسًا كـما ... رَجَعَ اليـقينُ مَطامِعَ المُـتَلمِّسِ[1]

ومن مليح شعرهِ أيضًا قولهُ:

فُـجِـعْتُ بملْك وقـد أَيْـنَعتْ ... وتمَّتْ فـأعظِمْ بها مِنْ مُـصيبهْ!

فـأصـبحتُ مُـغْـتربًا بعـدَها ... وأمـست بحُلوان ملكٌ غريبَـهْ[2]

أرَاني غـريبًا وإن أصبـحَتْ ... مَنـازلُ أَهلى مِـنى قـريبَـه

خلفتُ علـى أُختـهـا بـعـدَها ... فـصادفتُـهـا ذاتَ عَـقْلٍ أديبـه

فـأقْبَلَتْ أبـكى وتَبْكِى مَـعِى ... بُكاءَ كـئيبٍ بِحُـزْنٍ كَـئيبـهْ

وقلتُ لهـا مَـرْحبًـا مـرحبًـا ... بوجـهِ الحبـيبة أُخْتِ الحَـبيبه

سـأَصْـفيكِ وُدِّى حِـفاظًا لهـا ... فـذَاكَ الوَفـاءُ بِظـهَـرِ المَغـيبَـهْ

أَرَاكِ كـمُلْكِ وإن لم تـكنْ ... لملكٍ من النـاس عِندى ضَـريبَـهْ

[مرثية يزيد المهلبى فى المتوكل]

ومما اخترنا من مَرْثِيّةِ يزيدِ المُهلَبى للْمتوكل على الله قوله:

لا حُـزنَ إلاَّ أرَاهُ دُونَ مـا أَجـدُ ... وهَلْ كَمَنْ فَقَدَتْ عَيـناى مُفْتَقَدُ!

لا يَبْـعَدَنْ هـالكٌ كانتْ مَنـيَّتـهُ ... كمـا هوَى عن غِطاء الزُّبيـة الأسَدُ[3]

لا يَدْفَعُ الناسُ ضَيمًـا بعدَ لَيْلَتِهِمْ ... إذْ لا تُمَـدُّ إلى الجـانى عليكَ يَدُ

لوْ أنَّ سيفى وعَـقْلى حاضران له ... أبْلَيْـتُـهُ الجُـهْـدَ إذ لم يُبْلهِ أَحَـدُ

(١) المتلمس: المتطلب.

(٢) حلوان: مدينة فى آخر حدود العراق..

(٣) الزبية: حفيرة تحفر للأسد فى عال من الأرض تغطى، فيمر بها الأسد فيهوى ويصاد.

جـاءت مَـنِيَّـتُـهُ والـعَـيْنُ هاجِـعَـةٌ ... هَلاَّ أَتَتْـهُ المَنايَا، والقَضـا قِصَـدا![1]

هلاَّ أَتَـتْـهُ أَعـادِيه مُـجـاهرةً ... والحـربُ تَسْـعَـرُ والأبْطـالُ تَجـتَلدُ

فَـخـرَّ فـوقَ سـرير المُلك مُـنجَـدلاً ... لم يَحـمِـهِ مُلكهُ لَمَّا انقَـضى الأمَـدُ

قـد كـان أنصـارهُ يَـحـمُـون حَـوزَتَهُ ... وللرَّدى دون أرْصـادِ الفَتى رَصَـد[2]

وأصـبحَ الناسُ فـوضى يَعجـبـونَ له ... لَيـثًـا صريعًـا تَنَزى حَـولهُ النَّقَـد[3]

عَلَتْـكَ أسـيـافُ مَنْ لا دُونهَ أحـدٌ ... وليسَ فـوقك إلاّ الواحـدُ الصَّـمـدُ

جـاءوا عَظيـمًـا لِدُنيا يَـسْعَـدون بهـا ... فقد شقوا بالـذى جاءُوا وما سعدُوا

ضَـجَّت نساؤُكَ بـعدَ العـزِّ حين رأتْ ... خـدًّا كـريمًا علـيـه قـارتٌ جَـسـدُ

أَضْـحَى شهـيدُ بنى العـباس مـوعظة ... لكلِّ ذِى عِـزَّةٍ فى رأسِـهِ صَـيَـدُ[4]

خَليـفـةٌ لم يَنلْ مـا نـالهُ أحـدٌ ... ولـم يضع مـثله رُوحٌ ولا جَـسَـد

كم فـى أديمكَ مِنْ فـوْهـاءَ هادِرَةٍ ... من الجَـوائف يَغلِى فـوقهـا الزَّبَدُ[5]

إذا بُكـيتَ فـإن الدمعَ مُنْهَـمِلٌ ... وإن رُثِيـتَ فـإن الـقـولَ مُـطَّرِدُ

قد كنت أسْرف فى مالى، وتُخلف لى ... فـعَلَّمـتْنى لليـالى كـيفَ أَقـتَـصِـدَ

لَمَّا اعـتـقَـدْتُمْ أُناسًـا لا حُـلومَ لهمْ ... ضِعـتُم وضَيعـتُمُـو مَنْ كان يُعتَـقدُ

ولو جَـعلتُم على الأحـرار نعـمـتكم ... حَـمَـتكُمُ السـادةُ المذكورةُ الحُـشـد

قـومٌ همُ الجِذمُ والأنسـابُ تجـمَعـهُمْ ... والمجـدُ والدِّين والأَرْحـامُ والبَلَدُ[6]

---

(١) قصد: جمع قصدة: وهى ما تكسر من الرماح.

(٢) الرصد: القوم الراصدون

(٣) تنزى: تثب، والنقد: جنس من الغنم قصار الأرجل.

(٤) الصيد: مصدر صيد يصيد، فهو أصيد، والأصيد: الذى يرفع راسه كبرًا.

(٥) فوهاء؛ يريد طعنة واسعة، وهادرة، من هدر الشراب، إذا غـلا وقذف بالزبد، والجوائف: جمع جائفة، وهى التى تبلغ الجوف.

(٦) الجذم: الأصل.

إذا قـــريشٌ أرَادُوا شَــدَّ مُــلكِهم ... بغـيـرِ قَـحطانَ لم يَبْـرَحْ به أَوَدُ

قد وُتِرِ الناسُ طرًّا ثُمَّ قد صَـمتُوا ... حـتى كَـأنّ الذى نِـيلُوا به رَشَـدُ

مِنَ الألى وَهَبُوا للمْجَـد أنفسهم ... فمـا يُبالون مـا نَالوا إذا حُـمدوا

***

[قال أبو الحسن قوله: «قَارَتٌ»، يقـال: «قرت الدمُ يَقْرُتُ قَروتًا ودمٌ قارتٌ»، قد يَبسَ بين الجِلْدِ اللحم، ومِسْكٌ قارتٌ، وهو أخفُّهُ، وأجودُهُ، قال:

* يُعل بُقرَّاتٍ من المسكِ قاتنٍ *

وقَرَّاتٌ، «فعَّالٌ»، وقاتنٌ، مسكٌ قاتنٌ قد قَتَنَ قُتونًا أى يابسٌ لا نُدوَّة فيه]

بابُ

[ذِكرُ الأذواءِ مِنَ اليمنِ في الإسلام]

[فأما في الجَاهلَيَّة فيكثُرونَ نحو ذي يَزنٍ وَذي كَلاعٍ وَذي نواسٍ وَذي رُعَينٍ، وذَي أَصْبَحِ وَذي المنَارِ وَذي القَرنَين، أمَّا في الإسْلامِ فمنهُمْ خُزيمَةُ بنُ ثابتٍ ذو الشهادتَيْنِ، سَمَّاهُ رَسُولُ الله ﷺ، وَهُوَ أنصَاريٌّ، ومنهُمْ قَتَادةُ بنُ النُّعمان الأَنْصاريُّ ذُو العيْنِ، كَانَتْ عَينَهُ أُصِيبَتْ فردَّهَا رَسُولُ الله ﷺ فكَانَتْ أحْسنَ عَيْنَيه، وكانتْ تعتلُّ عَيْنُهُ الصَّحيحَةُ فلاَ تَعْتَلُّ المرْدُودَةُ مَعَهَا، وَمنهُمْ أَبُو الهَيْثَم ابنُ التَّيهان الأنْصاريُّ ذو السَّيْفَيْنِ، كَانَ يتقلَّدُ سَيْفَين في الحَرْبِ، وَمنهمْ حُبَابُ بنُ المنذر بنُ الجمُوح ذُو الرَّأْيِ وَهُوَ صَاحبُ المشُورة يَوْمَ بَدْرٍ أَخَذَ برأْيه رَسُولُ الله ﷺ، وكَانَتْ له آرَاءٌ في الجاهليَّة مَشهُورَةٌ، ومنهُمْ سَعْدُ بْنُ صُفَيحٍ ذُو السَّيال، ومَنْهُمْ ذُو المشهَّرة وَهُوَ أبو دُجانة سمَاك بنُ خَرَشَةَ، وَكَانَتْ لَهُ مُشهَّرَةٌ إذَا لبسَهَا وَخَرَجَ يختالُ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ لَمْ يُبْقِ وَلَمْ يَذَرْ. وَكُلُّ هَؤُلاَءِ منَ الأنصَارِ].

ومن اليمن من غيرهم عبد الله بن الطُّفيل الأزدي ثم الدَّوسي ذو النُّور أعطاه رسولُ الله ﷺ نوراً في جبينه ليَدعُو به قومَهُ، فقالَ: يا رسول الله، هذه مُثْلَةٌ [1]، فجعله رسول الله ﷺ في سَوْطه، فلما وَرَدَ على قومه بالسَّراة [2] جعَلوا يقولون: إنَّ الجبلَ ليلتَهِبُ، وكان أبو هريرة ممن اهتدى بتلك العلامة.

ومنهم، ثُمَّ من خُزَاعَة، ذو اليَدينْ، سماه رسول الله، ذا اليدين، وكان قبلُ يُدْعى ذا الشمالين، وكان رسول الله ﷺ صلى بهم الظُّهر فسلمَ في الركعة

---

(١) مثلة: أى تنكيل.

(٢) السراة: الجبل المشرف على عرفة، ويمتد إلى صنعاء.

الثانية. فـقال ذُو اليدينْ: يا رسولَ الله أقـصرتِ الصلاة أم نَسيتَ؟ فقـال: ما كان ذاكَ، فقال: بَلى يا رســول الله، فالتفتَ إلى أصحابه فقال: مـا يقولُ ذو اليدين؟ فقالوا: صَدَقَ يا رسولَ الله، فنهض فَأَتَمَّ، ثم قال: إنِّى لأنْسى أو أنسَّى لأستَنَّ[1].

(١) لأستن: من السنن وهو المذهب.

وهذه تسمية من كان بينه وبين الملائكة

سَبَبٌ من اليَمَانية

منهم سعدُ بن معاذ الأنصارى، وهبط لموته سبعون ألفَ ملك لم يهبطوا إلى الأرض قبلهــا، وقَبَضَ رَســولُ الله ﷺ من رجليه فى المشى لئـلاَّ يَطأ على جناحِ مَلَكٍ، واهتزَّ لموته عَرْشُ الله جل وعز وفى ذلك يقولُ حسانٌ:

وما اهتزَّ عَرشُ الله مِنْ مَوْتِ هالكٍ … سَمِـعْنَا به إلاَّ لِسَـعدٍ أبى عَـمرِو

وكبَّرَ عليه رسول الله ﷺ تِسعًا، كما كبَّر على حمزة بن عبد المطَّلب، وشَمَّ من تُراب قبرِه رائحةَ المِسْكِ.

ومنهم حسانُ بن ثابت الأنصــارىُّ، قال له رسول الله ﷺ: «اهجهم ورُوحُ القُدُس معك»، وقال فى حديث آخر: «إن الله مُـؤيدا حَسَّانًا بروح القُدسُ ما نافح عن نبيــه» وقالت عائشة: كــان يوضَع لحسانَ مِنبــرٌ فى مُؤَخَّرَ المسجـد فَينافحُ عن رسول الله ﷺ.

ومنهم حنظلة بن أبى عامر الأنصــارىُّ، غسَّلتهُ الملائكةُ، وذاك أنه خَرجَ يوم أُحد فأصــيبَ، فقال رسول الله ﷺ: «صــاحبكُم هذا قد غَسَلَتْهُ المـلائكة»، فسئل عن ذلك، فقــالت امرأتُهُ: كــان معى على ما يكونُ الرجلُ مــع امرأته، فأعــجلتْهُ حَطْمَةُ بَلغتْه فى المسلمين، فخرج فأصيب، ففى ذلك يقولُ الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبى الأقْلَح حَمىُّ الدَّبرِ [1]، وكان خالَ أبيه:

غَــسلَتْ خَــالِيَ الملائـكة الأبـ … رارُ مَـيـتًا أكـرِمْ به من صــريع!

وأنَّا ابنُ الذى حَمْـت ظهرَه الدَّبْـ … ـرُ قَتَـيلِ اللِّحيـانِ يومَ الرَّجيعِ !

ومنهـم حارثةُ بن النُّعمان، رأى جبريل ﷺ مرَّتين وأقرأه جبريلُ السلامَ.

(١) الدبر: النحل.

ومنهم، ثمَّ من خُزاعة عمْرانُ بن حُصـين، كانت تصافحه الملائكة وتَعودُهُ، ثم افتَقدها، فأتى رسولَ الله ﷺ، فـقال: يا رسول الله ؛ إن رجالاً كانوا يأتوننى لم أرَ أحْسَن منهم وُجوهًا، ولا أطيبَ أرواحًا، ثم قـد انقطعوا عنى، فقال رسول الله ﷺ: أصابك جُرحٌ، فكنتَ تكْتُمهُ؟ فـقال: أَجَلْ، قال: ثم أظهرته؟ قال: قد كان ذلك، قال: أمَا لو أقَمتَ على كتْمانه لزارَتْكَ الملائكة إلى أن تموت.

ومنهم جَريرُ بن عـبد الله البَجلى، قـال رسول الله ﷺ: «يطلع عليكم من هذا الفَجِّ خَيْرُ ذى يَمَنٍ، عليه مَسْحَةُ ملك».

ومنهم دِحْيـةُ بن خليفة الكَلبىُّ، كـان جبريلُ ﷺ يَهبطُ فى صـورته، فمن ذلك يوم بنى قِربَـطةَ لـمَّا انصرفَ رسـولُ الله ﷺ من الخَنْدَق وهَبَط عليه جـبريل عليـه السلام فقـال: يا محـمد، أقـد وَضعتُمْ سـلاحكم ! ما وَضَـعَت الملائكة أسلحتَها بَعْـدُ، إنَّ الله يأمرُك أن تَسير إلى بنى قُرَيظَةَ، وهأنذا سائـر إليهم فمزلزل بهم، فأمَرَ رسولُ الله ﷺ الناسَ ألاَّ يُصلوا العصـر إلاَّ فى بنى قرَيظة، فجعل يَمرُّ بالناس فيقـول: أَمَرَّ بكم أحَد؟ فيقـولون: مرَّ بنا دحْيَةُ بن خليفـةَ على بغلة عليها قطيفة خزٍّ نحو بنى قُريظة، فيقول: ذاك جَبْرَئيلُ، ثم مَرَّ دحيةُ بعدَ ذلك، وكان لا يزال عليه السلام فى غـير هذا اليوم ينزلُ فى صورته، كمـا ظَهرَ إبليس فى صورة الشيخ النَّجدىِّ.

وهذا بابٌ قد تقدّم ذكرُنا إياه ووعدنا استقصاءه

[الفرق بين تعريف الحيوان وتنكيره، وبين تذكيره وتأنيثه].

قال أبو العباس: اعْلَمْ أنَّ كل شيء من الحيوانِ، كان مِمَّا يخبرُ الناسُ عليه كما يخبرونَ عن أنفسهم، ومِمَّا يَقْتَنونَه، ويَتَّخذونه، فبهم حاجة إلى الفصْلِ بين معرفته ونكرته، ومُذَكَّرِه، ومؤنَّثُه، تقولُ: جاءنى رجلٌ إذا لم تَدْرِ مَن هو بعينه أو دَرَيتَ فلم تُرِدْ أن تُبيِّنَ، ثم تَعَرَّفُهُ لصاحبك إذا أردتَ ذلك إمَّا بألفٍ ولامٍ، وَإمَّا باسمٍ معروفٍ، أو إضافةٍ أو غير ذلك.

وكذلك يَفْصلُ الناسُ بين الخيل بأسماءٍ أو نعوتٍ يَعرفُونَ بها بعضَها من بعضٍ، وكذلك الشَّاءُ والكلابُ والإبلُ، ولولا تمييز بعضها من بعضٍ لم يَستقم الإخبارُ عنها والاختصاصُ بما أُرِيدَ منها، فإذا كان الشيءُ ليس مما يتَّخذونه لم يحتاجوا إلى التمييز بين بعضه وبعضٍ، يقولُ الرجلُ: «رأيتُ الأسدَ» فليس يعنى أسدًا بعينه، ولكن يريدُ الواحدَ من الجنس الذى قد عَرَفتَ، وكذلك الذئبُ والعقربُ والحيةُ، وما أشبه ذلك، ألا ترى أنَّ ابن عرس وسامَّ أبرَصَ وأمَّ حُبَين وأبا الحارث، وأبا الحُصين، معارف لا على أن تَميزَ بعضها من بعضٍ ولكن تعريفَ الجنس، وقولك: ابنُ مَخاضٍ وابن لَبونٍ، وابن ماءٍ نكراتٌ، لأنَّ هذا مما يتَّخذهُ الناس، و«ابن ماء» إنما هو مضاف إلى الماء الذى يعرف.

فإذا أردت التعريف من هذا لهذه النكرات أدخلتَ فيما أُضيفت إليه الألفَ واللامَ، أو لَقَّبتها ألقابًا تُعرف بها، كزيدٍ وعمرو.

واعلمْ أنَّ كلَّ جمعٍ مؤنثٌ، لأنك تُريدُ معنى جماعةٍ، ولا تُذكرُ من ذلك إلاَّ ما كان فعلُهُ يَجْرى بالواو والنون فى الجمع، وذلك كلُّ ما يَعقلُ، تقولُ: مسلمٌ ومسلمون، كما تقول: قومٌ يُسلمونَ، وتقول للجَمَال: هِى تَسيرُ، وهُنَّ يَسِرنَ،

كما تقـول للمؤنثّ، لأن أفعالَها على ذلك، وكذلك الـمَـواتُ، قال الله عز وجل فى الأصنام : ﴿رَبِّ إنَّهُنَّ أَضْلَلنَ كـثيـراً من الناس﴾ [1]، والواحدُ مذكر، وقال المفسـرون فى قوله: ﴿إنْ يدعُـونَ من دُونه إلاَ إناثًا﴾ [2] قالوا: المَوات، فـكلُّ ما خَرَجَ عمَّا يَعـقِلُ فَجمْعهُ بالتأنيث وَفعلُهُ عـليه، لا يكونُ إلا ذلك، إلاَّ ما كان من باب المنقوص، نحـو «سنين وعزينَ» وليس هذا موضعه، وجـملته أنه لا يكونُ إلاَّ مـؤنثًا، فلهـذا كان يقـعُ على بعض هذا الضرب الاسـم المؤنثُ، فيـجْمَعُ الذَّكـر والأنثى، فمـن ذلك قولهم: عقَـرَبٌ، فهـو اسمٌ مؤنثٌ إلاَّ أنك إن عَـرَّفْتَ الذَّكرَ قلتَ: هذا عقربٌ، وكذلك الحيةُ، تقولُ للأنثى: هذه حيةٌ، وللذَّكر هذا حَيةٌ، قال جرير:

إن الحَـفافـيثَ منكم يا بَنِى لَجـإ ... يُطرقنَ حيثُ يَصُولُ الحـيّة الذَّكرُ

[قال الأخـفش: الحفافـيثُ: ضربٌ من الحـيَّاتِ يكونُ صغـير الجـرمِ يَنْتَفِخُ ويَعظمُ ويَنفُخُ نفخًا شديدًا، لا غائلة له] [3]

***

وتقول: هذا بطةٌ للذكر، وهذه بَطة للأنثى، وهذا دَجـاجةٌ، وهذه دَجَاجة، قال جريرٌ:

لـمَّـــا تَذَكَـرتُ بالديْـرين أَرَّقنى ... صوتُ الدَّجـاجِ وقرْعٌ بالنـواقِيسِ

يريد زُقاء الديوك، فالاسم الذى يجمعهما دجاجة للذكر والأنثى، ثم يَخصُّ الذَّكر بأن يقـال: ديكٌ، وكذلك تقـول: هذا بقرة: [4]وهذه بقرة [4] لهما جميعًا، وهذا حُبَارى، ثم يُخَص الذَّكر، فتقول: ثَورٌ، وتقولُ للذكر من الحُبارى: خَرَبٌ، فعلى هذا يَجرِى هذا البابُ، وكلُّ ما لم نذكره فهذا سبيله.

***

(١) سورة النساء ١١٧

(٢) سورة إبراهيم ٣٦

(٣) هذه الزيادة ليست فى الأصل

(٤-٤) ما بين الرقمين مما لم يرد فى ر.

قال أبو العباس: وقد كُنَّا أَرْجأنَا أشياءَ ذكرنا أنا سَنَذْكُرها في آخر الكتاب، منها خُطبٌ، ومواعِظُ ورسائلُ، ونحن ذاكرونَ ما تَهَيأَ من ذلك إن الله.

[خطبة لأعرابي بالبادية]

قال الأصمعيُّ فيما بلغني: خَطبنا أعرابي بالبادية، فحمدَ الله واست ووَحدهُ، وصلى على نبيه، فَبَلَغ في إيجاز، ثم قال: أيُّها الناسُ، إنَّ الدنيا بلاغَ، وإنَّ [1] الآخرة دارُ قرار، فخذوا من مَفركم لمقَركمُ، ولا تهتكوا أستا عندَ من لا تَخفى عليه أسراركم، في الدنيا كُنتمْ، ولغيرهَا خُلقتُم، أقول قو هذا وأستغفر الله لي ولكم، والمُصلى عليه رسول الله والمَدعُوُّ له [2] الخلي والأميرُ جعفرُ بن سليمان.

[خطبة لعمر بن عبد العزيز]

وحُدِّثت في بعض الأسانيد أنَّ عمر بن عبد العزيز قال في خطبة له:

أيها الناس إنما الدنيا أمل مختَرمٌ، وأجلٌ مُنتَقصٌ، وبَلاغٌ إلى دارِ غير وسيرٌ إلى الموت ليس فيه تعريجٌ، فرَحمَ الله امرءًا فكَّرَ في أمره، ونَصَحَ لنفس وراقبَ ربَّه، واستقالَ ذنْبَه، ونَورَ قلبه! أيها الناسُ، قد علمتم أنَّ أباكم قد أُخ من الجنة بذنبِ واحد، وأنَّ ربَّكم وَعَدَ على التوبة، فليَكُنْ أحدُكم من ذنبه ع وَجل، ومن ربه على أملٍ

***

ويُروَى أنّ رجلاً معروفًا، ذَهَب اسمهُ عَني، قال: أتيتُ ابنَ عُمر فقلت أتَجِبُ الجنَّة لعامل بكل الخيرات وهو مُشرِك؟ فقال: لا، فقلت له: أتَجبُ ا

(١) ساقطة من ر:

(٢) قال المرصفي: «المدعو له الخليفة يريد به أبا جعفر المنصور وقد ولى ابن عمه جعفر بن سليمان بن ع المدينة سنة ست وأربعين ومائة»

لعاملٍ بالشّرِّ كُلّه وهو مُوَحِّدٌ؟ قال: عَشِّ ولا تَغْتَر، قال: وأتيتُ ابنَ عباس، فسألتهُ فأجابنى بمثلِ جوابه سَواء، وقال: عَشِّ ولا تَغتَر[١]

قال: وحدثنى بهذا الحديث القاضى [يعنى إسماعيل بن إسحاق]

[خطبة لعتبة بن أبي سفيان بالموسم]

وذكر العتبى - أحسبهُ عن أبيه عن هشام بن صالحٍ عن سَعد القَصر قال: خَطَبَ الناسَ بالمَوسْمِ عُتبَةُ فى سنة إحدى وأربعين، وعَهْد الناس حديث بالفتنة[٢]، فاستفتح ثم قال:

أيها الناسُ، إنّا قد وَلينا هذا الموضع الذى يُضاعفُ اللهُ فيه للمحسن الأجرَ وعلى المسىء الوزرَ، فلا تَمُدوا الأعناقَ إلى غيرنا، فإنها تَنْقَطِعُ دونَنا، ورُبَّ مُتَمنٍّ حَتفُهُ فى أُمنيته، اقبلوا العافية ما قبلناها منكم، وفيكم وإياكم، و«لَوْ» فقد أتعَبتْ مَنْ قبلكم، ولن تَريح مَنْ بعدكم، فأسأل الله أن يُعين كُلاً على كلٍّ. فَنعَقَ به أعرابىٌ مُؤَخر المسجد فقال: أيُّها الخليفةُ! فقال: لَستُ به ولم تُبْعد، قال: فيا أخاه! قال: قد أسمعتَ فقلْ، فقال: والله لأنْ تُحسنوا وقد أسَأنا خيرٌ لكم من أن تسيئوا وقد أَحْسنَّا، فإن كان الإحسانُ لكم فما أحقّكم باستتمامه، وإن كان لنا فما أحقّكم بمكافأتنا! رجلٌ من بنى عامرٍ يَمُتُ إليكم بالعمومة، ويَختَصُّ إليكم بالخؤولَة، وقد وطئهُ زمانٌ وكثرةُ عيال، وفيه أجرٌ، وعنده شكرٌ. فقال عُتبَةُ: أستَعيذُ بالله منك، وأستعينُه عليك، قد أمَرتُ لك بِغناكَ، فليت إسراعنا إليك، يقومُ بإبطائنَا عنك!.

[خطبة لعتبة أيضا بمصر]

وذكر العُتبى أنَّ عتبة خَطب الناسَ بمصر عن مَوْجدة، فقال:

يا حاملى ألأمَ آنف رُكبِّتْ بين أعيُن، إنى إنما قَلّمْتُ أظفارى عنكم لِيلين مسِّى لكم، وسألتُكم صَلاَحكم إذْ كان فسادُكم باقيًا عليكم، فأمَّا إذا أبيتم إلاَّ

---

(١) عش ولا تغتر؛ مثل يضرب فى التوصية والأخذ بالأحوط.

(٢) يريد فتنة على ومعاوية.

الطعنَ علـى السلطان والتّنـقص للسّلف؛ فـوالله لأقـطَعنَّ بطونَ السِّيـاط على ظهوركم، فإن حَسمَتْ أدواءكـم، وإلاّ فإن السيفَ من ورائكم فكم من حكمة منّا لم تَعـهَا قـلوبُكم، ومن موعـظة منّا صَمّت عنها آذانكم، ولَسـتَ أبخلَ عليكم بالعقوبة إذ جُـدتمْ بالمعصية، ولا أُويسكُم من مراجعـة الحَسنى إن صرتُم إلى التى هى أبَرُّ وأتْقى.

ثم نزل.

[خطبة لداود بن علي العباسي]

وذكر العُتبى أو غيـرهُ أن داودَ بن علىّ بن عبد الله بن العباس خطبَ الناسَ فى أول موسم مَلَكهُ بنو العباس بمكة، فقال:

شُكرًا شُكرًا، إنّا والله ما خَرَجنا لنحفر فـيكم نهراً، ولا لنبنى فيكم قصرًا، أظَنَّ عـدوُّ الله أن لن نَقدر عليـه أن رُوخى له من خِطامـه، حتى عَـثَرَ فى فـضل زِمامه! فـالآن حيثُ أخذ القوسَ باريها، . وعـادت النبلَ إلى النَّزعة، ورجَعَ المُلك فى نَصـابه فى أهل بيت النبوة، والرحـمة، والله لـقد كنّا نتـوجَّع لكم ونحن فى فُرشنا، أمِنَ الأسْودُ والأحمرُ، لكم ذمَّةُ الله ، لكم ذمةُ رسول الله ﷺ، لكم ذمةُ العباسِ، لا ورَبِّ هذه البَنية - وأومأ بيده إلى الكعبة - لا نهيج منك أحدًا.

[خطبة لمعاوية بن أبي سفيان]

قال: وخطب الناسَ معاويةُ بن أبى سفيـان، فحمدَ الله وصلى على نبيه ثم قال:

أيها الناسُ! إنى من زرعٍ قد استحصد، ولن يأتيكم بعـدى إلاّ مَنْ أنا خير منه، كما لو لم يكن قبلى إلا من هُو خيرٌ منى.

[ما قاله معاوية عند موته وتعزية الناس ليزيد من بعده]

وفى غير هذا الخـبر أنه قال لبناته عند وفاته: قلّبننى، فَفَـعلنَ، فقال: إنكنَّ لَتُقَلِّبْنهُ حُولاً قُلّبًا، إن وقِى كَبَّةَ النارِ، ثم قال متمثلاً:

لا يَبْعدَنَّ رَبيعةُ بنُ مكَدَّمٍ وسَقى الغوادى قَبرهُ بِذنوبِ

وقال لابنة قَرظة [١] : ابكينى فقالت:

ألاَ ابكيه ألاَ ابكيه ألاَ كلُّ الفَتى فيه

فلما مات دخل الناس على يزيدَ يعزُّونَه بأبيه ويُهنئونه بالخلافة، فجعلوا يقولون، حتى دخل رجلٌ من ثقيف فقال: السلامُ عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، إنكَ قد فجعت بخير الآباء، وأعطيتَ جميعَ الأشياء. فاصبر على الرَّزيَّة، واحمَد الله على حُسْنِ العطية، فلا أُعطى أحدٌ كما أعطيت، ولا رُزى كما رُزيتَ، فقام ابنُ هَمامٍ السلوليُّ فأنشده شعرًا كأنما فاوضَهُ الثقفى فقال:

اصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثقة واشكر بَلاءَ الذى بالمُلك أصفاكَا

أصبحتَ تملكُ هذا الخلقَ كلهمُ فأنت تَرعاهُمُ والله يَرْعاكا

ما إنْ رُزى أحد فى الناس نَعلمهُ كما رُزئتَ ولا عُقبى كَعقْباكا

وفى معاوية الباقى لنا خلَف إذا نعيت ولا نَسمع بمَنَعاكا

الحُوَّلُ: معناه ذُو الحيلة، والقلبُ: الذى يقلبُ الأُمورَ ظهرًا لبطن.

وقوله: «إن وُقى كبَّةَ النار» فكبة النارُ مُعظمها، وكذلك كبَّة الحرب، ويقال: لقيتهُ فى كَبَّة القوم، ويُروى عن بعض الفرسان أنه طَعن رجلا فى حرب فقال: طعنته فى الكَبَّة، فوضعتُ رمحى فى اللبّة، وأخرجتهُ من السبَّه. والسَّبَّةُ الدبرُ.

[حديث خالد بن صفوان عن الطعام]

ويروى أن خالد بن صَفوان دخل علي يزيد بن المَهلب وهو يتغدى فقال: ادنُ فكلْ يا أبا صفوان، فقال: أصلح الله الأميرَ، لقدَ أكلتُ أكلة لستُ ناسيها، قال: وما أكلتَ؟ قال: أتيتُ ضيعتى لإبان الغراس، وأوان العمارة، فجُلتُ فيها جَوْلَة، حتى إذا صَخَدت [٢] الشمسُ وأزْمعتِ [٣] بالرُّكود، ملتُ إلى غرفةٍ لى

(١) قرظة، هى إحدى زوجاته، واسمها فاختة بنت قرظة.

(٢) صخدت الشمس: اشتد حرها.

(٣) أزمعت بالركود: عزمت على السكون؛ يريد: قامت وقت الظهيرة.

هفَّافة[1] فى حديقة قد فتحت أبوابُها ونُضح بالماء جوانبها، وفرِشت أرضُها بألوان الرَّيَاحين، من بين ضَيْمران[2] نافحٍ، وسُمسُق[3] فاتحٍ، وأقحوان زاهر، وورد ناضر، ثم أتيت بخبز أرز كأنه قطَعُ العَقيق، وسَمَك بُناتى[4] بيض البُطُون، زرق العُيون، سُود المتُون، عِرَاض السُّرر، غلاظ القصَر، ودقة وخُلُول، ومُرى وبُقولُ، ثم أتيتُ برُطَب أصفر، صافٍ غير أكْدَر، لم تَبتَذِلهُ، الأيدى، ولم يَهشِمهُ كيلُ المكاييل، فأكلتُ هذا ثم هذا. فقال يزيد: يا بن صفوان، لألف جريب من كلامك مزروع خير من ألف جريب مذروع.

[الرسائل التى دارت بين المنصور وبين محمد بن عبد الله بن الحسن]

ونحن ذاكرونَ الرسائلَ بين أمير المؤمنين المنصور، وبين محمد بن عبد الله ابن حسن العَلوِىِّ، كما وَعْدنا فى أول الكتاب، ونختصر ما يجوز ذكره منه، ونُمسك عن الباقى، فقد قيلَ: الراوية أحدُ الشاتمين، قال:

لـمَّا خرجَ محمدُ بن عبد الله على المنصور كَتَب إليه المنصورُ:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين، إلى محمد بن عبد الله أما بعد:

﴿إنَّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويَسعونَ فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يُصلبوا أو تُقطعَ أيديهم وأرجلهم من خلاَف أو يُنفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذابٌ عظيم* إلاّ الذين تابوا من قبل أن تَقدرُوا عليهم فاعلَموا أن الله غفورٌ رحيمٌ﴾[5]، ولكَ عهدُ الله وذمتُهُ وميثاقه وحقُّ نبيه محمد ﷺ إن تُبْتَ من قَبلِ أنَّ أقْدرِ عليك أن أؤمنك على نفسك وولدكَ وإخوتك ومَن بايعك وتابعك، وجميع شيعتك، وأن أعطيك ألفَ ألفِ درهم،

---

(١) هفافة: تهف فيها الريح.

(٢) الضيمران: نوع من الرياحين.

(٣) السمسق: الياسمين.

(٤) بناتى: قال المرصفى: منسوب إلى بناة محلة بالبصرة.

(٥) سورة المائدة. ٣٣، ٣٤.

وأنزلك من البلاد حيث شئتَ، وأقضى لك ما شئت من الحاجات، وأن أُطلق مَنْ في سجنى من أهل بيتك وشيعتك وأنصارك، ثم لا أتتبَّع أحدًا منكم بمكروه، فإن شئت أن تتوثَّقَ لنفسك، فَوجِّهْ إلىَّ من يأخذ لكَ من الميثاق والعهد والأمان ما أحببتَ، والسلامُ.

***

فكتب إليه محمد بن عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله محمد المهدى أمير المؤمنين إلى عبد الله بن محمد:

أما بعدُ ﴿طسم* تلك آياتُ الكتاب المبين* تتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحقِّ لقوم يؤمنونَ* إنَّ فرعونَ عَلاَ فى الأرضِ وجَعَلَ أهلَها شيعًا يَستَضعف طائفة منهم يُذبِّحُ أبناءهم ويَسْتَحيى نساءَهم إنه كان من المُفسدين* ونُريد أنْ نمن علَى الذين استضعفوا فى الأرضِ ونَجعلَهم أئمَّة ونجعلهم الوارثينَ* ونُمكِّنَ لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامانَ وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾[1] وأنا أعرضُ عليك من الأمان مثل الذى أعطيتنى وقد تَعلَمُ أنَّ الحقَّ حقنا، وأنكم إنّما طلبتموه بِنَا، ونَهَضْتُمْ فيه بشيعتنا وخبطتموه[2] بفضلنا، وأن أبانا عليًا عليه السلام كان الوصىَّ والإمامَ، فكيف ورثْتُمُوهُ دُونَنا ونحن أحياءٌ ! وقد علمتَ أنه ليس أحدٌ من بنى هاشم يَمُت بمثل فضلنا، ولا يَفخرُ بمثل قَديمنا، وحديثنا ونَسَبنا وسببنا!، وأنا بَنُور أُمِّ رسول الله ﷺ فاطمة بنتَ عمرو فى الجاهلية دونكم، وبنو ابنته فاطمةَ فى الإسلام مِنْ بينكم.

فأنا أوسطُ بنى هاشم نسبًا، وخيرهم أمًّا وأبًّا، لم تَلدنى العَجَمُ، ولم تَعرِقْ فىَّ أُمهاتُ الأولاد، وأن الله تبارك وتعالى لم يزل يختار لنا، فولدنى من النبيين أفضلهم محمد ﷺ ومن أصحابه أقدمُهم إسلامًا وأوسعهم علمًا، وأكثرهُم جهادًا، على بن أبى طالب، ومن نسائه أفضلهنَّ خديجة بنتُ خويلد، أولُ من آمن بالله وصلى القبلة، ومن بناته أفضلهن وسيدة نساء أهل الجنة، ومن المولودين

(١) سورة القصص ١- ٥.

(٢) خبطتموه: قال المرصفى: «من خبط، وهو فى الأصل ضرب الشجر بعصا يتناثر ورقه فتطعمه الدواب، يريد: جاهدوا فيه حتى جنوا ثماره».

فى الإسلام الحسنُ والحسينُ سَيِّدا شباب أهل الجنة، ثم قد علمت أن هاشمًا ولَدَ عَليًّا مرَّتين، وأن عبد المطلب، ولَد الحسنَ مرتين، وأنّ رسولَ الله ﷺ ولدنى مرتين، من قبل جدّى الحسن، والحسين. فما زال الله يختار حتى اختارَ لى فى النار، فوَالدى أرفعُ الناس درجة فى الجنة وأهونُ أهل النار عذابًا، فأنا ابنُ خير الأخيار وابن خير الأشرار، وابنُ خير أهل الجنة وابن خير أهل النار.

وعلىّ عهد الله إنْ دخلت فى بيعتى أن أؤْمنك على نفسك، وولدك وكل ما أصبته، إلا حَدًّا من حدود الله أو حقًّا لمسلمٍ أو مُعاهِد، فقد علمت ما يَلزمك فى ذلك، فأنا أوفى بالعهد منكَ، وأحرَى لِقُبول الأمان.

فأما أمانك الذى عرضت على فأى الأمانات هو ! أأمانُ بن هبيرة [1] أم أمان عمكَ عبد الله بن على [2]؟ أم أمانُ أبى مسلم! [3] والسلامُ.

***

فكتب إليه المنصور: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله أما بعدُ:

فقد أتانى كتابُك، وبلغنى كلامُكَ، فإذا جُلُّ فخركَ بالنساء لتضلَّ به الجفاة والغَوغاء، ولم يَجعل الله النساء كالعمومة ، ولا الآباء كالعصبَة والأولياء، ولقد جَعَلَ العَمْ أبًا، وبدأ به على الوالدِ الأدنى، فقال جل ثناؤهُ عن نبيه عليه السلام: ﴿واتَّبعت مِلَّةَ آبائى إبراهيم وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ﴾ [4] ولقد علمتَ أن الله تبارك وتعالى بعثَ محمدًا ﷺ وعُمومته أربعة، فأجابه اثنان: أحدهما أبى [5]، وكَفَرَ اثنان [6] أحدهما أبوكَ.

---

(١) هو عمرو بن هبيرة الفزارى عامل العراق لمروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية، بذل له السفاح الأمان، ثم غدر به وأمر أخاه المنصور بقتله سنة ١٣٢.

(٢) هو عبد الله بن على عم المنصور؛ كان دعا لنفسه بعد موت السفاح؛ فحاربه المنصور ثم بعث له بأمان إن قدم عليه؛ فلما قدم أمر بقتله هو وأصحابه سنة ١٤٠.

(٣) أبو مسلم الخراسانى، وشى به عند المنصور؛ فاحتال لمقدمه حتى استمكن منه، وقتله سنة ١٣٧.

(٤) سورة يوسف ٣٨.

(٥) هما الحمزة والعباس.

(٦) هما أبو طالب ،وأبو لهب.

فأمـا ما ذكرت من النسـاء وقَراباتهن فلو أعطين على قُـرب الأنساب وحقِّ الأحْساب لكان الخـير كله لآمنة بنت وَهب، ولكنَّ الله يختـارُ لدينه من يشاء مِن خَلْقِه.

فأمَّـا ما ذكرتَ من فـاطمة أم أبي طالب، فإن الله لم يهـد أحدا من ولدها للإسلامِ، ولو فَـعَلَ لكانَ عبـدُ الله بن عبـد المطلب أولاهُم بكلِّ خيـر في الآخرة والأولى، وأسعدهم بدخول الجنة غدا، ولكن الله أبى ذلك فقال: ﴿إنكَ لا تَهدى مَنْ أحببتَ ولكن الله يهدى من يشاء﴾ [1].

فأمَّا ما ذكرت من فاطمة بنت أسد أمِّ عليّ بن أبي طالب، وفاطمة أم الحسن وأن هاشـمًـا وَلَد عليًّا مـرتين، وأنّ عـبدَ المطــلب وَلَد الحســن مـرتين، فـخيـرُ الأوَّلين والآخرين مـحمدٌ رسولُ الله ﷺ لم يَلدهُ هاشمٌ إلا مَـرَّةً واحدةً ولم يَلِدْهُ عبد المطلب إلاَّ مَرةً واحدةً.

وأما ما ذكـرت من أنك ابن رسول الله، فإن الله عزَّ وجل أبـى ذلك فقال: ﴿ما كانَ محمدٌ أبَا أحد من رجالكم ولكنْ رسولَ الله وخاتم النبيينَ﴾ [2]، ولكنكم بنو ابنته، وإنهـا لقرَابَةٌ قريبةٌ، غـيرَ أنها امرأةٌ لا تَحوزُ الميراث ولا يجوزُ أن تؤُم، فكيفَ تورَث الإمـامَةُ من قـبلها؟ ولقـد طَلَبَ بها أبوك بـكل وجه، فـأخرجـها تُخاصم، ومرضـها سرًّا، ودَفَنها ليلاً، فأبَى الناسُ إلاَّ تقـديم الشيخَين [3]، ولقد حضر أبوك وفاة رسـول الله ﷺ فَأمَر بالصلاة غيرهُ، ثم أخـذ الناس رَجُلا رَجلا، فلم يأخـذوا أباكَ فيـهم، ثم كان في أصـحـاب الشورى فكل دفـعه عنهـا، بايع عبدالرحمن عثمانَ وقبلها عثمان، وحارب أباك طَلَحَةَ والزُّبير، ودعا سعدًا [4] إلى بيعته فأغلَقَ بابه دونَهُ، ثم بايع معـاويةَ بعدهَ، وأفضى أمرُ جدكَ إلى أبيك الحسنِ، فسلَّمـه إلى معاوية بخرق ودراهم، وأسْلَـم في يديه شيعتـه، وخرج إلى المدينة، فَدَفَعَ الأمرَ إلى غير أهله، وأخذ مالا من غيـر حِله، فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه.

(١) سورة القصص ٥٦.
(٢) سورة الأحزاب. ٤٠.
(٣) هما أبو بكر وعمر.
(٤) هو سعد بن أبي وقاص.

فأما قولكُ: إن الله اختار لـكَ فى الكفر، فجعل أباك أهونَ أهلِ النار عذابًا فليس فى الشرِّ خيارٌ، ولا من عـذاب الله هينٌ، ولا ينبغى لمسلم يؤمنُ بالله واليوم الآخـر أن يَفخـرَ بالنارِ، وسَـتَردُ فـتعـلـم، ﴿وسيـعلم الّذين ظلمـوا أى منقلب ينقلبون﴾[1].

وأما قـولك: إنكَ لم تَلدكَ العَجمُ، ولم تُعـرِقْ فيك أُمـهاتُ الأولاد وأملك أوسطُ بنى هاشم نسبًا وخيرهمَ أمًّـا وأبًا، فقد رأيتكَ فَخرْتَ على بنى هاشم طرًّا، وقدَمتَ نفـسَكَ على مَنْ هو خيـرٌ منكَ أولاً وآخرًا، أصلاً وفـصلاً، فـخرتَ على إبراهيم بن رسول الله ﷺ وعلى والد ولده، فانظر ويحكَ أين تكون من الله غداً! وما ولد فيكم مولودٌ بعد وفاة رسول الله ﷺ أفضلُ من علىّ بن الحُسين، وهو لأم ولَد، ولقد كان خيـرًا من جَدِّكَ حسنِ بن حسنٍ، ثم ابنهُ محمـد بن علىٍّ خيرٌ من أبيك، وجدتهُ أمُّ ولد، ثم ابنه جعفرٌ، وهو خيرٌ منك، ولقد علمت أن جدك عليًّا حكم حكمين وأعطاهما عـهده وميثـاقهُ على الرِّضا بما حكمَـا به، فاجتمـعَا على خَلعه، ثم خَـرَجَ عَمُّكَ الحسينُ بن على على ابن مَـرجانَةَ[2]، فكان الناسُ الذين معه عَليه حتى قَتلُوه، ثم أتوا بكم على الأقتاب[3] بغير أوطية، كالسَّبى المجلوب، إلى الشأم.

ثم خرج منكم غيرُ واحدِ فقتلكم بنو أمية، وحرقوكم بالنار، وصلبوكم على جُـذوع النخل، حتى خـرجنا عليـهم، فـأدركنا بثأركـم إذ لم تُدركوه، ورفـعنا أقداركم، وأورثناكم أرضهم وديارهم، بعـدَ أن كانوا يلعنون أباك فى أدبار الصلاة المكتوبـة كما تُلعنُ الـكَفَرةُ، فَعنفنـاهـم وكفرناهم، وبَـيَّنَّا فَضلَه، وأشـدنا بذكره، فاتّخـذتَ ذلك علينا حـجةً، وظننت أنا لما ذكـرنا من فضل علىٍّ أنَّا قـدَّمناه على حمـزة والعباس وجـعفر، كلُّ أولئك مَـضَوا سالمين مَـسلمًا منهم، وليـبتلى أبوك بالدماء، ولقد علمت أن مآثرنا فى الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم، وولاية زمزم، وكانتْ للعبـاس دونَ إخوته، فنارعنا فيـها أبوكَ إلى عمـر، فقضى لنا عمـرُ عليه وتُوفى رسولُ الله ﷺ وليس من عُمـومته أحدٌ حيًّـا إلاَّ العباسُ، فكان وارثه دونَ بنى عبد المطلـب، وطَلَبَ الخلافة غيرُ واحـدٍ من بنى هاشم، فلم يَنَلْهَا إلاَّ وَلَدُهُ،

---

(١) سوره الشعراء ٢٢٧.

(٢) ابن مرجانة: هو عبيد الله بن زياد.

(٣) الأقتاب. جمع قتب، وهو الرحل على قدر سنام البعير.

فاجتــمع للعباس أنه أبو رسول الله ﷺ خــاتم الأنبياء، وبنوه القادة الخلفــاء، فقد ذهب بفضل القديم والحـديث، ولولا أنَّ العباسَ أخرجَ إلى بدرٍ كـرْهًا لماتَ عَماكَ طالبٌ وعقيلٌ جُوعًا أو يَلحَسا جفانَ عُتبة وشيبة،[1] فأذهب عنهما العارَ والشنارَ، ولقد جاء الإسلامُ والعباسُ يَمُونَ أبا طالب للأزمــة التى أصابتهم، ثم فدى عقيلاً يومَ بدر، فـقـد مُنَّا كُمْ فى الكفـر، وفـديناكم من الأسْـر، ووَرِثنا دونكم خَـاتِمَ الأنبيــاء، وحُزنا شَـرَفَ الآباء، وأدَركنا من ثأركم ما عَـجزتَم عنه، ووضـعناكم بحيثُ لم تضَعوا أنفسكم، والسلامُ.

[رسالة هشام إلى خالد بن عبد الله القسرى]

قال أبو العـباس: وقـد ذكرنا [2] رسـالةَ هشام إلى خـالد بن عبـد الله وإنَّا سنذكرها بتمامها فى غير الموضع[3] الذى ابتدأنا ذكْرها أوَّلا فيه، وكان سببُ هذه الرسالة إفـراط خالد فى الدالة على هشـام، وأنه أخذ ابن حـسَّان النَّبطى فـضربهُ بالسِّيـاط، وكان يقالُ له سُهيـلٌ، قال: فبعثَ بقـميصه إلى أبيه، وفـيه آثارُ الدم، فـأدخلهُ أبوه إلى هشامٍ، مـع ما قـد أوغَرَ صـدرَ هشـامٍ عليه من إفـراط الدالة، واحتجـان الأموال، وكُفر ما أسـداهُ إليه من توليته إياه العِـراقَ، فكتبَ هشامٌ إلى خالدٍ:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعدُ، فقد بلغ أميـرَ المؤمنين عنك أمرٌ لا يحتَملُهُ لكَ، إلا لمَا أَحبَّ من رَبِّ [4] الصَّنيعـة قِبلكَ، واستـتمام معـروفهِ عندكَ، وكان أمـيرُ المؤمنين أحقَّ من

---

(١) عتبة وشيبة ابنا ربيعة من عبد شمس؛ كانا من المطعمين لقريش يوم بدر.

(٢) قال المرصفى: «نسى أبو العبـاس أنه لم يذكر شيئًا منها فيما سلف، وإنما أشـار إليها بقوله هناك: «وبما يشاكل هذا المعنى ويجانس هذا المذهب ما كان من خالد بن عبد الله القـسرى فإنه كان متقدمًا فى الخطابة متناهيًـا فى البلاغة، فـخرج عليه المغيـرة بن سعيـد بالكوفة فى عشرين رجـلا فعطعطوا، فقـال خالد: أطعمونى مـاء، وهو على المنبر، فعير بذلك فكتب به هشـام إلبه فى رسالة يوبخه فيـها، وسنذكرها فى موضعها إن شاء الله».

(٣) ر: «فى غير هذا الموضع».

(٤) رب الصنيعة واضعها ومنميها.

استصلح ما فَسَدَ عليه منك، فإن تَعدْ لمثل مقالتك، ومــا بلغ أميرَ المؤمنين عنك، رأى فى معالجتك بالعقوبة رَأْيَهُ.

إنَّ النعمة إذا طالــت بالعبد مُمتــدة أبْطرتَهُ، فأساء حَمْلَ الكرامــة، واستَقَلَّ العافية، ونَسَبَ ما فى يديه إلي حيلته وحسـبه، وبيته ورَهطه وعَشيرته، فإذا نزلَتْ به الغيرُ، وانكَشَطتْ عنه عَمَايةُ الغَـيِّ والسلطَانِ، ذلَّ مُنقاداً ونَدمَ حَسيراً، وتمكن منه عدوُّهُ قادراً عليه قاهراً به، ولو أرادَ أمــير المؤمنين إفسادك لَجَمَعَ بينكَ وبين من شهد فَلَتاتَ خَطلكَ، وعظيمِ زَلَلكَ، حيثُ تقول لجلسائك: «والله ما زادتنى ولاية العراق شــرَفًا، ولا وَلأنى أميرُ المؤمــنين شيئًا لم يكن مَــنْ قَبْلى ممن هو دُونى يلى مثلهُ» !.

ولعمرَى لو ابتليتُ ببعض مَقــاومِ الحجاج فى أهل العراق، فى تلك المضايق التى لَقِى لعلمت أنك رجلٌ من بَجـيلة، فقد خَــرَجَ عليك أربعون رجلاً فـغلبوك على بيت مالك وخزائنكَ، حتى قلت: «أطعــمونى ماءً»، دهشًا وبعلاً [1] وجبنًا، فما استطعتهم إلَّا بأمان، ثم أخْفَرْتَ ذمَّتَكَ منهم، زرينٌ وأصحابهُ.

ولعــمــرى أن لو حــاول أميــر المؤمنين مــكافأتــك بخطلك فى مــجلسك، وجحودك فضله إليك، وتصغيرمــا أنعم به عليكَ، فَحلَّ العُقدة، ونَقَضَ الصَّنيعة، وأخرك إلى منزلة أنت أهلها، كنتَ لذلك مــستحقًّا، فهــذا جَدكَ يزيد بن أسد قد حَشَدَ مع معاوية فى يوم صفين، وعرض له دينه ودمه، فما اصطنع إلاَّ عنده، ولا ولاه ما اصطنع إلــيك أمير المؤمنين وَوَلاك، وقــبلهُ من أهل اليمن، وبيــوتاتهم منْ قَبيله أكرمُ من قبــيلتك، من كندة وغسَّان وآل ذى يَزَن وذى كَلاع وذى رُعين، فى نظرائهم من بيوتات قومهم كلهم أكْرمُ أوَّليــة، وأشرفُ أسلافًا، من آل عبد الله بن يزيد.

ثم آثرك أمير المؤمنين بولاية العراق، بلا بيت رَفيعٍ، ولا شرفٍ قديمٍ، وهذه البيوتات تعْلوكَ وتَغمرُكَ وتَسكتُك، وتتقدمك فى المحفل والمجامع عند بدأة الأمورِ وأبواب الخلفاء، ولولا مــا أحَبَّ أميــرُ المؤمنين منْ ردِّ غربْك فعــاجَلَكَ بالتى كنت أهلها، وإنها منك لقريبٌ مأخذها سريــعٌ مكروهها، فيها إن أبْقى الله أمير المؤمنين

(١) البعل: الدهش عند الروع.

زوال نعمه عنكَ، وحلولُ نقمه بك، فيما صنعت وارتكبت بالعراق، من استعانتك بالمجوس والنصارى، وتوليتهم رقابَ المسلمين وجبوةْ [١] خراجهم، وتسلطهم عليهم، نَزَعَ بك إلى ذلك عِرقُ سوءٍ فيهم من التى قامت [٢] عنك، فبئس الجَنينُ أنت يا عُدَىَّ نفسه! .

وإن الله عز وجل لَمَّا رأي إحسانَ أميرِ المؤمنين إليك، وسوءَ قيامكَ بشكره، قَلَبَ قلبه، فأسخطه عليك. حتى قبُحت أُمورك عنده، وآيسه من شكرك ما ظهر من كفرك النعمةَ عندك، فأصبحت تنتظر سقوطُ النعمة، وزوال الكرامة، وحلولَ الخزى، فتأهب لنوازل عقوبة الله بك، فإن الله عليك أوجدُ، ولما عَملت أكْرَهُ، فقد أصبحت وذُنوبك عند أمير المؤمنين أعظمُ من أن يبكتك، إلا راتبًا [٣] بين يديه، وعنده من يُقررُكَ بها ذنبًا ذنبا ويُبكتك بما أتيت أمرًا أمْرًا، فقد نسيته، وأحصاه الله عليكَ، ولقد كان لأمير المؤمنين زاجرٌ عنك فيما عَرفَكَ به من التَّسرُّع إلى حَماقتك فى غير واحدة.

منها القرشي[٤] الذى تناولته بالحجاز ظالمًا، فضربك الله بالسَّوط الذى ضربته به مفتضحا على رءوس رعيتك. ولعلَّ أميرَ المؤمنين يعودُ لكَ بمثل ذلك، فإنْ يفْعل فأهله أنتَ، وإنْ يَصفحْ فأهله هُوَ! .

ومن ذلك ذكرك زَمزَمَ، وهى سُقيا الله وكرامتهُ لعبد المطلب، وهذا الحى من قريشٍ تُسَميها أمَّ جَعَار [٥] فلا سَقاك الله من حوضِ رسوله، وجَعَلَ شرَّكما لخيركما الفداء، ووالله أن لو لم يستدلل أميرُ المؤمنين على ضَعف نحائزكَ وسُوء تدبيرك إلا بفَسالة، دَخائلكَ وبطانتك وعُمالك، والغالبة عليك جاريتُك الرائفة[٦]،

(١) الجبوة: مصدر جبا الخراج يجباه.

(٢) قال المرصفى: «كنى بذلك عن أمه، وكانت رومية نصرانية، وهبها عبد الملك لأبيه»

(٣) راتبا: واقفًا.

(٤) هو رجل من بنى عبد الدار بن قصى، وكان وفد علي سليمان بن عبد الملك فسأله عن خالد، فذكره بشر، فلما سمع خالد بذلك أخذ ابنا له ومولي فضربهما بالسياط ضربًا مبرحًا، فشكا القرشى إلى سليمان، فأمر رجلاً من كلب فسار إلي خالد، فضرب خالدا وأمر أن يشهر به ويلبس مدرعة ويمشى إلى الشام، ورآه الفرزدق فنال منه، فى أبيات معروفة.

(٥) أم جعار: اسم للضبع (٦) الرائفة: النازلة الريف.

بائعة الفُهُودُ، ومستعملة الرجالِ، مع ما أتلفت من مال الله فى المبارك[1]، فإنك ادعيت أنك أنفقت عليه اثنى عشر ألف ألف درهم، والله لو كنت من ولد عبد الملك بن مروان ما احتَمَلَ لكَ أميرُ المؤمنين ما أفسدت من مال الله وضيعت من أُمور المسلمين، وسَلَّطت من وُلاة السُّوءِ على جميع أهل كُورِ عَملكَ، تجمع إليك الدهاقين[2] هدايا النيروز والمهرجان، حابسًا لأكثره، رافعًا لأقله، مع مخابث مساويك التى قد أخر أمير المؤمنين تقريرك بها، ومناصبتك أمير المؤمنين فى مولاه حسَّان، ووكيله فى ضياعه وأحوازه فى العراق، وإقدامك علي ابنه بما أقدمت به، وسيكون لأمير المؤمنين فى ذلك نبأ إن لم يعف عنك، ولكنّهُ يظنُ أنَّ الله طالبك بأمور أتيتها، غير تارك لتكشيفك عنها، وحَملَكَ الأموالَ ناقصةً عن وظائفها التى جباها عُمرُ بن هبيرة، وتوجيهك أخاك أسَدًا إلى خراسان، مُظهرا العصبية بها متحاملاً على هذا الحيٍّ من مُضرَ، قد أتت أميرَ المؤمنين بتصغيره بهم واحتقاره لهم وركُوبه إياهم الثقات، ناسيا لحديث زرنبَ [3] وقصص الهَجَريين كيفَ كانت فى أسَد بن كرز، فإذا خلوتَ أو توسطت ملأً فاعرف نفسك، وخَف رواجعَ البَغْى عليك، وعاجلات النّقم فيكَ. واعلَمْ أن ما بعدَ كتابِ أمير المؤمنين هذا أشد عليك، وأفسد لك، وقِبل أمير المؤمنين خلَفٌ منك كثيرٌ، فى أحسابهم، وبيُوتاتهم، وأديانهم، وفيهم عوضٌ منك، والله من وراء ذلك.

وكَتَبَ عبدُ الله بن سالم سَنَةَ تسع عشرة ومائة.

***

(٤ وهذا بابٌ من متنَخَّل طَريفِ الشعر، وذكر آيات من القُرآن ربَّما غلط فى مجازها النحويون ٤).

قال أبو العباس: هذا الكتاب قد وفيناه جميع حقوقه، ووفينا بجميع شروطه، إلا ما أذهل عنه النسيان، فإنه قلما ما يُخلى من ذلك، ونحنُ خاتموهُ

(١) المبارك: نهر بالبصرة، احتفره خالد القسرى لهشام بن عبد الملك.

(٢) الدهاقين التجار.

(٣) زرنب، مولاه تزوجها أحد أجداد خالد فى الجاهلية، وكانت بغيًا يعير بها.

(٤ ٤) ما بين الرقمين مما لم يذكر فى ر

بأشعار طَريفة، وآخرُ ذلك الذى نختم بــه آياتٌ من كتابِ الله عز وجل، بالتوقيف على معانيها إن شاء الله

[مختارات متفرقة من الشعر]

قال الشاعر:

اذكــر مَــجــالــسَ من بنى أســد ... بَعـــــدُوا وحَنَّ إليــــهم القــلبُ
الشــــرقُ منــزلنــا، ومنزلــهُم ... غــربٌ، وأنى الشــرقُ والغَــربُ!
مِن كــلِّ أبَيــض جُلُّ زِينتــــــهِ ... مِـــسكٌ أحَمُّ وصـــارِمٌ عَــضب

***

وقال آخرُ

حــيــاةٌ أبى العَــوَّام زينٌ لقــومــه ... لكلِّ امــرئ قاس الأمور وجــربَا
ونَعــتِبُ أحيــانًا عليه ولو مَــضى ... لكنَّا على الباقى من الناس أعْــتبا

***

وقال مُسلم:

حيــاتك يَا بْن سَعــدانَ بنِ يحيى ... حــيــــــاةٌ للمــكارم والمعــــــالى
جَلبتُ لك الثــناء فجــاء عَــفْــوًا ... ونفس الشُّــكر مُطلقــة العِــقــالِ
وتَرْجــعنــى إليكَ، وإن نأتِ بى ... ديارى عنكَ، تَــجــرُبَةُ الرِّجـــالِ

***

وأنشدنى العباسُ بن الفرَجِ الرِّياشيُّ:

وكم سُقتُ فى آثاركم مِن نصــيحةٍ ... وقــد يَسْــتَــفــيــدُ الظِّنَّــة المُتَنَصِّحُ

***

وأنشدنى الرياشىُّ:

إذا الأمرُ أغنى عنكَ حِنويِه فاجْتنبْ مَعَرَّة أمرٍ أنتَ عنه بِمعزِلِ

وقال العتابى:

لا تَرْجُ رَجعَةَ مُذنِبٍ خَلَطَ احتجاجًا باعتْذارْ

***

وقال أيضًا:

وفيتُ كلَّ خليلٍ ودِّنِى ثَمنًا إلا المُؤملَ دُولاتى وأيامى

***

- وقيل للعتابى: ما أقربُ البلاغةِ؟ قال: ألاَّ يؤتى السامعُ من سُوءِ إفهام القائل، ولا يُؤتى القائلُ من سوء فهم السامع. وقال ابن يَسير:

اقْدَرْ لرجلك قبلَ الخَطْو منزلها فمن عَلاَ زَلقًا عن غِرَّةٍ زلِقَا

وكان يقالُ: اصمت لتفهم، واذكر لتعلم، وقل لتذلق.

[آيات من القرآن الكريم، وبيان ما فيها من المجاز]

ونذكر آيات من القرآن ربما غلط في مجازها النحويون، قال الله عز وجل: ﴿إنما ذلكمُ الشيطان يخوِّفُ أولياءهُ﴾ [1] مجاز الآية أنَّ المفعول الأول محذوفٌ، ومعناه: يخوفكم من أوليائه.

وفى القرآن: ﴿فمن شهدَ منكُم الشهرَ فليصَمْهُ﴾ [2]، والشَّهْرُ لا يَغيبُ عنه أحدٌ، ومجازُ الآية: فمن كان منكم شاهدًا بلده فى الشهر فليصمه، والتقديرُ ﴿فمن شهد منكم﴾ أى فمن كان شاهدًا فى شهر رمضان فليصمه، نصبَ الظُّروف لا نصب المفعول به.

(١) سورة آل عمران: ١٧٥.

(٢) سورة البقرة: ١٨٥.

وفى القرآن فى مخاطبة فرعـونَ: ﴿فاليوم ننجيك ببدنكَ لتكونَ لِمَنْ خلفك آية﴾ [1]، فليس مـعنى «ننجِّـيكَ» نخلصك، لكن نلقـيك على نجـوة من الأرض ببدنك: بدرعك، يدلُ على ذلك «لتكون لمن خلفك آية».

وفى القرآن: ﴿يخرجـون الرسولَ وإيَّاكم أن تؤمنوا بالله ربِّكم﴾ [2] فالوقف ﴿يخرجون الرسولَ وإيَّاكم﴾ أى ويخُرجونكم لأن تؤمنوا بالله ربكم.

***

هذا آخر الكتـاب الكامل، والشُّكْرُ لله والحمـدُ له، وصلى الله على رسول الله. ونستغفر الله مما قُلناه من عَمْدٍ وقصدٍ وزلل.

---

(١) سورة يونس: ٨٢.

(٢) سورة الممتحنة: ١



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

باب في اختصار الخطب والتحميد والمواعظ

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة

باب



الفهارس العامـــة



١- فهرس الآيات القرآنية

١- ســــورة الفاتحة

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١	الحمد لله رب العالمين	١: ٣٠٠
٤	مالك يوم الدين	١: ٢٥٩
٦	اهدنا الصِّراط المُستقيمَ	٢: ١٠٦/٣: ١٤
٧	صِرَاطَ الذَّين أَنْعَمْتَ عَلَيهْم	٣: ١٤

٢- سورة البقرة

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١، ٢	الـمّ ذَلكَ الكتاب	٣: ١٦٦
٧	ختم الله عَلى قُلوبهم وعَلَى سَمْعِهِم	١: ٢٢٥/٣: ٦٣
١٨	صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ	٢: ١١٥
١٩	أَوْ كَصَيِّب منَ السَّمَاء	١: ٦٠
٢٦	مَثَلاً مَا بَعُوضَةً	١: ٢٦٩
٣٦	اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ	١: ٢٥٤/٣: ٣٩
٤٩	يَسُومونكُم سُوء الْعَذَاب	١: ٢١
٦٨	لا فارضٌ ولاَ بِكْرٌ عوَانٌ بَيْنَ ذَلكَ	١: ١٦٠
٧٢	فادَّرَأْتُمْ فيهَا	١: ١٧
٨٣	وَقُولوا للنَّاسِ حُسْنًا	٣: ٢٠٣
٨٩	فلمَّا جَاءهُمْ ما عرَفُوا كَفَرُوا به	٣: ١٦٦
١١٠	قلْ هَاتُوا بُرهانكُم إنْ كُنْتُم صَادقين	٣: ٤٤
١١٢	بَلى مَنْ أَسْلَم وَجَهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أجرُهُ عندَ ربِّه	١: ٢٩٢
١٤٤	فَوَلِ وَجَـهَكَ شطرَ المَسجْـد الحَرَام وَحَيْثُ مَـا كُنتم فولُّوا وُجوهكُمَ شطْرَهُ	١: ١٥٥/٢: ٢١١

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١٤٦	يَعرِفونَه كَمَا يَعرفونَ أبناءَهُمْ	٣: ١٦٦
١٧١	كمَثَلِ الَّذى يَنْعَقُ بما لا يَسْمَعُ إلا دُعاء ونَدَاء	٢: ١١٥
١٧٧	وَالمُوفونَ بِعَهْدهمْ إذَا عاهَدوا	٢: ١٣٩
١٧٧	ولَكنَّ البرَّ مَنْ آمَنَ باللهِ	١: ٢٢٨
١٨٠	إنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصيَّة	١: ٢٨٢
١٨٥	فَمَنْ شَهدَ منْكمُ الشَهْرَ فلْيصُمْهُ	٤: ١٠٤
١٨٧	أُحلَّ لَكمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفثُ إلى نِسَائِكمْ	٢: ٩٧
١٩٧	وتَزَوَّدُوا فَإنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى	٣: ٢١١
٢٠٠	وهُوَ ألدُّ الخصام	٣: ٤٤
٢٠٧	إنَّ اللهَ رَءُوفٌ بالعِبَادِ	٢: ١٠٥
٢١١	سَلْ بَنى إسرائيل	٢: ١٧٠
٢١٧	يَسْأَلُونَكَ عَنْ الشَّهرِ الحَرَامِ قتَال فيه	٣: ١٥
٢١٩	وَيسأَلُونَكَ مَاذا يُنفقُونَ قُل العَفْوَ	٤: ٥
٢٣٥	أوْ أَكْنَنْتُم فِى أنفسكُمْ	١: ٢٣٥/ ٢: ٢٢٦، ٣: ٥٥
٢٣٥	ولَكِنْ لا تُوَاعدُوهُنَّ سراًّ إلاَّ أنْ تَقولوا قَولاً مَعروفًا	٢: ٢٣٢
٢٤٥	مَنَ ذا الذَّى يُقرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسنًا فيضاعفهُ لَهُ	١: ٢٧٦
٢٤٩	كَمَ مِنْ فئَةٍ قَلِيلة غَلَبَتْ فِئةً كثيرَةً بإذْنِ اللهِ واللهُ مَعَ الصَّابرِينَ	١: ٣٠٦
٢٤٩	فَشَرِبُوا منْهُ إلاَّ قَليلاً منْهُمْ	٢: ٦٨
٢٥٥	لاَ تَأخُذُهُ سِنَةٌ ولاَ نَومٌ	١: ١٢٢
٢٥٩	لَمْ يَتَسَنَّه وانْظُرْ	٣: ٥٢
٢٦٦	فأَصَابَهَا إعْصارٌ فيه نارٌ فاحترقتْ	١: ٢٥٣
٢٧٤	الَّذين يُنفقُونَ أمْوالَهُمْ بالليلِ والنَّهارِ سِرًا وعلانية	٢: ١٩٧
٢٧٢	ممَّن ترضَونَ مِن الشُهداء	٢: ٣٦

٤ - ســورة النســاء

٧- سورة الأعراف

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١٥٥	واختارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً	١: ٣١، ٣٢، ٣٣، ٢٦٣، ٢٩٠
١٨٣	وَأُمْلِى لَهُم إنَ كَيْدِى مَتِينٌ	١: ١٩٥
١٨٨	وَلَوْ كُنتُ أَعلَمُ الغَيبَ لاستَكْثرتُ مِنَ الخَيْرِ	٢: ٢٢٢
١٩٩	خُذِ العَفُو	٤: ٥

٨- سورة الأنفال

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١	يَسألُونَكَ عَنْ الأَنْفَالِ	٣: ٢٨٨
٧	وَإذْ يَعدُكُم الله إحدى الطَّائفتينِ أنهَا لَكمْ	١: ٢٦٥
٧٢	مَا لَكُم مِنْ ولاَيَتِهِم مِنْ شَىْءٍ	٣: ١٢٩

٩- سورة التوبة

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٣	أن الله برىء مِنَ المُشركينَ وَرَسُولُهُ	١: ٢٥٤
٦	وَإنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْركين اسْتَجارَكَ فأَجِرْهُ حَتى يَسْمَعَ كَلامَ الله	٣: ١٢٢
٣٦	وَقَاتلُوا المشركينَ كَافَّة	٣: ٢١٠
٣٧	إنَّمَا النَسِىءُ زيادة فِى الكُفرِ	٢: ٤٦
٤١	انْفُروا خِفَافًا وَثِقَالاً	٣: ٢١٠
٤٩	وَمنهُم مَنْ يَقُولُ ائذن لِى وَلاَ تَفتنى	١: ٢٩٢
٨١	فَرِحَ المُخلفُونَ بِمقْعدهم خلافَ رَسُول الله	٢: /٣: ٢٠٩
٩٠	وَجَاء المُعذرون مِنَ الأَعرابِ ليُؤْذَنَ لَهُمْ	٣: ٢٠٩
٩٠	سَيُصيبُ الَّذينَ كَفَرُوا منْهُمَ عَذَابٌ أَليمٌ	٣: ٢٠٩
٩١	لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء ولاَ عَلَىَ المَرْضَى ولاَ على الَّذين لا يَجدونَ مَا يُنفقُونَ حَرَجٌ إذَا نَصَحُوا لله وَرَسُولِه	٣: ٢٠٨
٩١	مَا عَلَى المُحَسنِينَ مِنْ سَبِيلِ	٣: ٢٠٨

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
	١٢- سورة يوسف	
٢٠	وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دراهِمَ	١: ٩٦
٢١	أَكْرِمِى مَثْواهُ	٣: ٧٦
٣٦	إِنِّى أَرَانِى أَعْصِر خَمرًا	٣: ٦٩
٤٣	إِنْ كُنتُم للرؤيا تَعبرُونَ	١: ٢٤٧/٣: ٧٣
٨٠	فَلمَّا استَيْأَسُوا منهُ خَلَصُوا نَجيًّا	١: ٢٢٥
٨٢	وَاسأَل القَرْيَةَ	١: ١٢٤/٢: ١٠٤
١٠٧	وَمَا أَنتَ بِمُؤمنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادقِينَ	١: ٢٢٠
	١٣- سورة الرعد	
١١	لَهُ مُعقبَاتٌ مِنْ بَيْنَ يَدَيهْ وَمِنَ خَلفِه يَحفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ الله	٣: ٧٣
٢٣	وَالمَلائكَةُ يَدخُلُونَ عَلَيْهِم مِنْ كلِّ بابٍ	١: ٢٩٦
٢٤	سلامٌ عليكم	١: ٢٩٦
	١٤- سورة إبراهيم	
٣٦	إنْ يَدْعُونَ من دُونِه إِلاَّ إِنَاثًا	٤: ٨٩
٤٣	مُقنعى رءوسِهِم	٣: ٩١
٤٣	وَأَفئدَتُهم هَوَاءٌ	١: ٢٦٢
	١٥ - سورة الحجر	
٢	رُبَّما يَوَدّ الَّذينَ كَفَروا	١: ٢٦٩
٢٦	من صَلْصَالَ مِنْ حَمإٍ مَسْنُونٍ	٣: ٧٥
٦٥	فَأَسْرِ بأَهلكَ	١: ٨٩
٩٢	فَوَرَبِّكَ لَنسألَنهُمْ أَجمْعينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلونَ	٤: ١٦
٩٤	فَاصدَعْ بِمَا تؤمَرُ	١: ٧٥

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
	١٦- سورة النحل	
٩١	وأوفوا بِعهْدِ الله إِذَا عَاهدتُمْ	٢ : ١٣٩
	١٧- سورة الإسراء	
١٦	وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهلك قَرْيَةً أمرنَا مُترفيها فَفَسقُوا فيها	١ : ٢٦٤
٢٨	وَإِمَا تُعرضنَ عَنْهُمَ ابْتغَاءَ رَحمَةٍ مِنْ ربِّكَ تَرْجوهَا	١ : ٢٣٠
٣١	وَلاَ تقتلُوا أَولادكُم خَشيَةَ إملاَقٍ	٢ : ٦٣
٣٦	وَلاَ تَقْفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ	٣ :
٩٣	أَو تَرْقَى فِى السَّماء	٢ : ٨٠
١٠٠	قُلْ لَوْ أَنتُم تَملكُونَ خزَائنَ رحمة ربِّى	١ : ٢٢١
	١٨- سورة الكهف	
١٢	لِنعْلَمَ أَىُّ الحِزبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أمدًا	١ : ١٤
١٩	فلينَظُرْ أَيُّها أَزْكى طَعَامًا	١ : ١٤
٤٥	فأصبحَ هَشيمًا تَذْرُوهُ الرِّياحُ	١ : ٤١، ٧٣
٧٨	هَذَا فراقُ بَيْنى وبَيْنِكَ	٣ : ١٧٢
٧٩	وكَانَ وَرَاءهُمْ مَلكٌ يأْخُذُ كلَّ سَفينَة غَصبًا	٢ : ٧٧
٨٦	إمَّا أنَّ تُعذِّبَ وَإمَّا أَنْ تَتخذَ فيهم حُسنًا	١ : ٢٢٩
١٠٣	قُلْ هَلْ نُنَبِّئكُم بالأَخْسَرِينَ أَعمالاً	٣ : ١٣٩
١٠٤	الَّذينَ ضلَّ سَعْـيهم فِى الحيـاة الدُّنيا وَهُمْ يحسـبونَ أنهم يحسنون صُنعًا	٣ : ١٣٩

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة

١٩- سورة مريم

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٥	وَإِنِّى خِفتُ المَوَالِى مِنْ وراَئى	٢ : ٧٧/ ٤ :٣٩
١٣	وَحنَانًا مِنْ لدُنَّا	٢ : ١٤٧
٢٤	قَدْ جَعَلَ رَبُّك تَحْتَك سَرِيًّا	٣ : ١٦٤
٢٦	فَإِمَّا تَرين منَ الْبَشَر أَحَدًا	١ : ٢٣٠
٥٢	وَقَرَّبنَاهُ نَجيًّا	١ : ٢٢٥
٦٩	أَيُّهُم أَشَد عَلى الرَّحمَن عتِيًا	٢ : ١٨٩
٧٤	هُمْ أَحْسَن أَثَاثًا ورِئيا	٥ : ١٧٧
٧٥	إِمَّا العَذَابَ وَإِمَّا السَّاعة	
٩٧	وَتُنذِرَ بِه قومًا لدًّا	١: ٣٦/ ٣: ٤٤، ١٢٣

٢٠ - سورة طه

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٧	يعلمُ السرَّ وَأَخفْى	٢ :
٤٤	فقُولا لهُ قولاً لينًا لعلهُ يَتذكرُ أَوْ يَخشىَ	٣ : ٢٠٣
٤٤	لعَلَهُ يتَذَكرُ أَوْ يَخشى	١ : ١٥٨
٧١	وَلأُصَلِّبَنَّكُم فِى جُذُوعِ النَّخلِ	٣ : ٧٣
٨٤	وَعَجلْتُ إِليكَ ربِّ لِتَرضْى	٣ : ١٦٢
٨٧	فَغَشيهُمْ منَ اليَمِّ مَا غَشيَهُمْ	١ : ٤٠
١١٩	وأَنَكَ لا تَظْمأ فيهَا ولاَ تَضحَى	٣ : ١٦٩

٢١- سورة الأنبياء

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١٨	بَلْ نقْذفُ بالْحقِّ عَلَى الْبَاطِلَ فَيَدْمَغُهُ فإِذَا هُوَ زَاهقٌ	١: ٣٠٦/ ٢: ١٨٠
٣٠	وَجَعَلْنَا منَ المَاء كُلَّ شَيء حَيٍّ	٢ : ٨٦
٥٦	وأَنا عَلَى ذلِكُم منَ الشاهِدينَ	١ : ٣٤، ٣٧

٢٢- سورة الحج

٢٣ - سورة المؤمنون

٢٤- سورة النور

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٤٣	يَكادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأبصارِ	١: ١٥٧، ١٧٨/ ٣: ١٠٢، ١٢٨/ ٤: ٦٢
٤٥	وَالله خَلَقَ كُلَّ دَابَّة مِنْ مَاء	٢: ٢٠٤
٦٣	قَد يَعْلَمُ الله الذِينَ يَتسللونَ مِنْكُم لِوَاذًا	٢: ٢٠٦

٢٥- سورة الفرقان

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢١	وَعَتَوْا عتُوًّا كَبيرًا	٢: ١٨٩
٦٦	إنها ساءَت مُستقرًّا ومُقَامًا	١: ١٦٢
٦٨، ٦٩	وَمَن يَفعلَ ذلكَ يلقَ أثَامًا يُضاعف له العَذَابُ يوْمَ القيامة ويَخلُدْ فيه مُهَانًا	٣: ٢٤
٧١	فإنَّهُ يَتوبُ إلى الله متابًا	٢: ١٨٠
٧٢	وَالذينَ لا يشهدُونَ الزُّور وَإذا مَرُّوا باللغو مَروا كرَامًا	٣: ١٨١

٢٦- سورة الشعراء

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٤	فظلت أعناقُهم لها خَاضعينَ	٢: ١٠٥
٨٤	وَاجعَلْ لى لِسَانَ صدقٍ فى الآخرينَ	١: ٢٩٦
١٢٨	أتَبْنونَ بكُل رِيع آيةً تَعبثونَ	١: ١٢٩
١٧١	إلاَّ عَجُوزًا فى الغَابرينَ	٣: ١٨١
٢٢٧	وسيعلم الذين ظلموا أىَّ منقلبٍ ينقلبون	٤: ٩٨

٢٧- سورة النمل

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٨	نُودى أن بُوركَ مَن فى النَّار وَمَن حَولها	٢: ١٤٧
٢٥	الذِّى يُخرجُ الخبءَ فى السَّموات وَالأرضِ	١: ٢٠٢/ ٢: ١٧٠
٣٤	إنَّ المُلُوكَ إذا دَخلُوا قَرَيَةَ أفسدوها	١: ٢٦٤

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
	٣١- سورة لقمان	
١٥	وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فلا تُطعهمَا	٣: ٢٠٣
٢٧	وَلَوْ أنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالبحر يَمُدُّهُ من بعده سَبْعَةُ أَبْحُرٍ	١: ٢٥٩
٣٢	لا يَجزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ والِده شَيْئًا	٣: ٢٠٨
	٣٣- سورة الأحزاب	
٦	النَّبِي أَوْلَى بالمؤمنينَ مِنَ أَنفُسِهِم	٣: ٢٠٤
٢١	لقَدَ كَانَ لكُم فِي رَسُول الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ	٢: ١٤١
٣١	وَمَنَ يَقنتُ مِنْكُنَّ لله وَرَسُولِه وتَعمَلْ صَالِحًا	١: ٢٩٢
٤٠	ما كان محمد أبا أحد من رِجَالِكُم	٤: ٩٧
٤٩	يأَيُّهَا الذين آمَنُوا إذا نَكحتُمُ المؤمنات ثُمَّ طَلَّقتُمُوهُنَّ مِنْ قبلَ أَنْ تَمسُّوهُنَّ. . . .	٢: ٩٧
٥٣	إلى طعامٍ غيرَ نَاظرِينَ إِنَاهُ	٢: ١٠٩
٦٣	لعلَّ السَّاعَةَ تكونُ قريبًا	١: ١٥٨
	٣٤- سورة سبأ	
١٤	فلمَّا قضَّينا عَليه الموتَ	١: ٣٢
١٦	فَأَرْسلنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ	٣: ٢٠٧
٣١	لولا أَنتُم لكُنَّا مُؤمنينَ	٣: ٢٤٧
٣٣	بلْ مكرُ الليْلِ والنَّهارِ	١: ١١٣/٣: ٢٩٠

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٤٨	بالَحقِّ عَلاَّمُ الغيوبِ	١ : ٢٥٥
٥٢	وَأَنَّى لَهُمُ التَّناوُشُ مِنْ مَكَانَ بَعيدٍ	٣ : ٢٩٢
	٣٥- سورة فاطر	
٢٨	إنَّما يَخشى الله من عِباده العُلماءُ	١ : ٢٦٩
٤٥	ما تَرَكَ عَلى ظهرِها مِنْ دَابَّةٍ	٢ :
	٣٦- سورة يس	
٤٠	ولا الليل سابِقُ النَّهَار وكلٌّ فِي فلكٍ يسبحون	١ : ٢٠١
	٣٧- سورة الصافات	
٤٩	كأنَّهنَّ بَيضٌ مكنُونٌ	١ : ٢٣٥/٣ : ٤١
٥٥	فرآهُ فى سَواء الجحيم	٤ : ٨
٦٥	طَلعها كأنَّهُ رُءوسُ الشَّياطينَ	٣ : ٧٠
١٠٨، ١٠٩	وتَرْكنَا عليهِ فِي الآخِرين	١ : ٢٩٦
١٠٩	سلامٌ على إبراهيم	١ : ٢٩٦
١٣٠	سَلامٌ على إلياسين	١ : ١٢٠/٣ : ٢٢٠
	٣٨- سورة ص	
٢١	إذ عُرِضَ عليه بالعشى الصّافنَاتُ الجيادُ	٣ : ١٠٣
٢٢	ولا تُشطط	١ : ٧٠
٢٣	إنَّ هذا أخِى له تسعٌ وتسعون نعْجَة	١ : ٢٢٥/٢ : ١٧٨
٢٣	وعزّنى فى الخطاب	٣ : ٥٤/٤ : ٣٤
٣٢	إنّى أحببْتُ حُبَّ الخَيرْ عنْ ذكر ربّى حتى توارتْ بالحجابْ	٢ : ٢٠٩
٣٨	مُقرّنين فى الأصفاد	٣ : ١٥

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
	٤٤- سورة الدخان	
٢٤	واترُكَ الْبَحرَ رَهْوًا	٢: ١٥٠
	٤٥- سورة الجاثية	
٥	واختلافُ الليْلِ وَالنَّهـارِ وَمَا أَنْزَلَ الله مِنَ السَّماءِ مِنْ رِزْق فَأَحيًا بِهِ الأَرْضِ بَعدَ مَوتْهَا	١: ٢٢٩/ ٣: ٧٤
	٤٦- سورة الأحقاف	
٢	أذهبتُم طَيِّبَاتكُم فِى حَيَاتِكُم الدُّنيا	١: ١٢٧
٢١	إذ أَنْذَرَ قَوَمَهُ بالأَحقاف	١: ١٢٥
٣٥	لَمْ يلبَثُوا إلاَّ ساعةً من نَهَارٍ بَلاَغ	٢: ٤٤
	٤٧- سورة محمد	
٤	فإذا لَقيتُم الذينَ كَفَروا فَضَربَ الرِّقَابِ	١: ١٥٠
١١	وأَنَّ الكافرينَ لا مَوْلَى لَهُمْ	٤: ٣٩
١٤	واَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم	١: ٢٦٢
١٥	فِيها أَنهْارٌ مِنْ مَاءٍ غيرِ آسِنِ	٣: ٥٢
١٦	طَبَعَ الله عَلَى قُلوبهم	٤: ٣٣
٢١	طاعةٌ وَقُولُ مَعروفٌ	٢: ٤٥
٢٤	أَمْ عَلَى قُلوبِ أقفالها	٢: ١١٥
٣٧	فيُحفِكُم تَبخلوا وَيُخرِجْ أَضغَانَكُم	٣: ١٥٠
	٤٨- سورة الفتح	
١	لَقَـدَ رَضِى اللهُ عَـنْ الْمُؤمنينَ إذ يُبَـايعـونَكَ تَحتَ الشَّجرَةَ	٣: ٢٠٤
٢٩	سيماهم فى وجوههم من أثر السجود	١: ٢١

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
	٦٧- سورة الملك	
٤	يَنْقَلِبْ إِلَيكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهوَ حَسِيرٌ	١: ١١٢ ٢١٢:٢
٣٠	قُل أَرَأَيتُم إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غورًا	١: ٢٩١:٣/١٠٢
	٦٨- سورة القلم	
٩	وَدُّوا لَوْ تُدهنُ فَيُدهنُونَ	٣: ٢٤٩
١٣	عُتُلٍّ بَعْدَ ذلكَ زَنيم	٣: ١٦٤
٢٠	فَأَصبحَتْ كالصَّرِيم	١: ١٨٨
٢٥	وَغَدَوا عَلى حَرد قادرينَ	٢: ٦٦
٤٩	لَنُبِذَ بِالعَرَاءِ وَهُوَ مَذمُومٌ	١: ٢١٩
	٦٩- سورة الحاقة	
١٩	كتابية	٣: ٥٢
٢٠	حسابية	٣: ٥٢
٣٩	وَلاَ طَعَامٌ إِلاَ مِنْ غِسلينِ	٢: ٨٢
	٧٠- سورة المعارج	
١١	مِنْ عَذَاب يَومَئذ	١: ١٥٠
١٨	وَجَمَعَ فَأَوْعَى	١: ٩٣
١٩	إِنَّ الإنسان خُلِقَ هَلوعًا	٣: ١٣٠
٢٠	إذا مسَّه الشر جزوعًا	٣: ١٣٠
٢١	وإذا مسه الخيرُ منوعًا	٣: ١٣٠
	٧١- سورة نوح	
٢٥	ممَّا خطيئاتهمْ أُغرقُوا	١: ٥١:٢/٢٦٩
٢٦	قَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأرْض مِنَ الكَافِرِينَ دَيَارًا	٣: ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢٧	إِنَّك إن تذرهم يضلوا عبادَك	٣: ٢٠٧، ٢٠٩
	٧٢- سورة الجن	
٣	وأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ ربِّنا	٣: ١٠٠
	٧٣- سورة المزمل	
١, ٢	يأيُّها المُزَمل قُم الليْلَ إلاَّ قَليلاً	٣: ٦٨
٢٠	عَلِمَ أَنْ سيَكونُ مِنكُم مَرْضى	١: ٧٢
	٧٤- سورة المدثر	
٦	وَلاَ تَمْنُنْ تَستَكْثِرُ	١: ٢٢٨
٣٠	عليها تسعة عشرَ	١: ١٥٠
	٧٥- سورة القيامة	
٢٩	والتَفَّت السَّاقُ بالسَّاقِ	٣: ١٦٥
	٧٦- سورة الإنسان	
١	هَلَ أتى عَلى الإنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهرِ لَمْ يَكُنَ شَـيئًا مَذْكورًا	٣: ١١
٢	منْ نُطفَة أَمْشاجٍ نَبتليه	٣: ٨٤
٣	إمَّا شَاكرًا وَإمَا كَفُورًا	١: ٢٢٩
٢٨	نَحْنُ خَلَقناهُم وَشَدَدْنَا أسْرَهُمْ	٣: ٥٠
	٧٧- سورة المرسلات	
١١	وَإذَا الرُّسلُ أُقِّتَتْ	١: ٥٢، ٢٠٤

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
	١٠٠ - سورة العاديات	
٨	وإنه لِحُبِّ الْخَيْرِ لشَدِيدٌ	١ : ٢٨٢
	١٠٢- سورة التكاثر	
٦	لترَوُنَّ الْجَحيمَ	١ : ٥٣
	١٠٣ - سورة العصر	
٢	إنَّ الإنْسانَ لفى خُسْر	٢ : ١٨٢
٣	إلا الَّذين آمَنُوا وَعملُوا الصَّالحات	٢ : ١٨٢
	١٠٦- سورة قريش	
١	لإِيَلافِ قُرِيْشٍ إِيَلافِهْم	٢ : ٢٢٥
	١١١- سورة المسد	
٣	سَيَصَلى نَارا ذاتَ لَهب	٣ : ٣٠
٤	وَامرأتُه حَمَّالةَ الْحَطب	١ : ٩٦/٣: ٣٠
٥	فِى جيدها حَبلٌ منْ مَسَد	١ : ٩٦
	١١٢- سورة الإخلاص	
١	قُلْ هو اللهُ أحَدٌ	١ : ٢٠١
٢	اللهُ الصَّمدُ	١ : ٢٠١
٤	ولَمْ يكُنْ لَهُ كُفُوًا أحدٌ	١ : ٥٦/٢: ٥٢

٢- فهرس الأحاديث النبوية

(ء)

الحديث	الجزء والصفحة
أولم ولو بشاة	٣: ٢٥٤
إيتيا بنى قُريظة، فإن كانوا على العهد فأعلْنا بذلك.	٣: ٢٢٩
أيأمننى الله عز وجل على أهل الأرض ولا تأمنوننى	٣: ١٤١

***

(ت)

تعزوا عنَ مصائبكم بى	٤: ٧٦
تكون فتنةٌ يموتُ فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يُمسى مؤمنًا ويُصبح كافرًا	٣: ١٥٧

***

(ث)

الثمر لمن أبَّر، إلا أن يشْترطه المشترى	١: ١٩٣

***

(خ)

خُلقت من خير حَيَّيْن: من هاشم وزُهرة	١: ٢٠٠

***

(د)

دع الكذب....	٢: ١٥٦
دعوه فإن يرد الله به خيرا فيلحقه بكم (من كلامه عليه السلام عن أحد الثلاثة الذين خلفوا)	٣: ١٦٩

***

(ر)

رُدوا علىَّ أبى، أمَا لَئنْ فعلتْ به قريشٌ ما فعلت ثقيفٌ بعروةَ بنِ مسعودٍ لأضْرِمَنَّها عليهم نارًا (من كلام له عن العباس)	٢: ٨٠

***

الحديث	الجزء والصفحة
(س)	
سيـماهم التَّـحليقُ، يقرءونُ القـرآن لا يُجاوزُ تَراقـيَهُمْ، عَلامَتَهُمْ رَجُلٌ مخدج اليد	٣ : ١٦٢
***	
(ص)	
صاحِـبكُم هَذَا قَدْ غَـسَلَتْهُ الملائكةُ (لحنظلة بن أبى عـامر الأنصارى)	٤ : ٨٦
صُهيب سابِق الرُّومِ، وسَلْمَـانُ سابق الفرس وبلال سابق الحَبَشَة	٢ : ١٦٧
***	
(ف)	
فَضْلُ الإزار فِى النارِ.	١ : ٢٨٦/٢ : ٢١٣
***	
(ك)	
كـان رسولُ الله ﷺ فـوق الرَّبعـة وإذا مَـشَى مع الطوال طَالَهُم	٢ : ٢١٨
كان هجيرى أبى بكر الصِّديق رحمه الله بلا إلّه إلاَّ الله	٢ : ١٣٦
كفَى بالسَّلامة داء	١ : ١٧٦/٣ : ٩٥
كلُّ الصَّيد فى بَطن الفرا	١ : ٢٥٢، ٢٥٣
كُلُّ كـذب يُكتَبُ كَذبًا إلاَّ ثَـلاثة: الكذبُ فى الصُّلح بين الرجلين، وكذبُ الرجل لامرأته. . .	٣ : ٢٢٨
***	
(ل)	
لا تَّرفعونى فوْقَ قدْرى، فتقولوا فىَّ ما قالت النَّصارى فى المسيح، فإن الله	١ : ١٩٠

***

الحديث	الجزء والصفحة
(م)	
ما اسْتَرْحمَتْ قريشٌ فرحمتْ وَسُئلتْ فَأَعْطتْ وحدَثَتْ فَصدقتْ، ووَعدت فَأَنجزَتْ. . . .	٤ : ٤، ٥
مرحبًا بخالى (لقبيصة بن المخارق)	٢ : ٣١
المُسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم وَهُمْ يدٌ على مَنْ سواهُم، والمرءُ كثيرٌ بأخيه	١ : ٥٦
من باعَ دارًا أو عقارًا فلم يردُدْ ثمنهُ فى مثله فذلك مالٌ قمن ألا يُبارك فيه. . . .	٢ : ٢٣١
مِنْ حلف بالله فليصْدق، ومَن حُلف له بالله فليْرضَ	٣ : ٢٠٤
مِنْ سرَّهُ أن يكون أعزَّ الناس فليتَّق الله ، ومنْ سرَّهُ أن يكون أغنى النَّاس فليكن. . . .	١ : ١٦٨
من سعادة المرء خفة عارضيه	٢ : ٩٦
مِنْ كانَ آمنا فى سربْه، مُعافى فى بدنه، عنده قوتُ يومه، كان كمنْ حيزتَ له الدنيا بحذافيرها	١ : ١٣٠
***	
(ن)	
نُصِرتُ بالصَّبا، وأُهلكَتْ عادٌ بالدَّبورِ	٣ : ٥٢
***	
(هـ)	
هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها	١ : ٢٧٩
هممت أن أنهى أمتى عن الغيلة؛ حتى علمت أن فارس والروم تعمل ذلك بأولادها.	١ : ١١٤
***	
(و)	
وَإِيَّاكَ وَالْمخيلة. . .	٢ : ٢١٣
ويحك ! فمن يعدل إذا لم أعدل. !	٣ : ١٤٠
***	

الحديث	الجزء والصفحة
(ى)	
يَا أَبا عبد الله، إِنَّما يحِلّ لك من هذا ما يَحِلُّ لنا (لسلمان الفارسى).	٤ : ١٢
يأبى اللهُ ذلك وابنا قيْلة	٤ : ٢٧
يا عبد الله كيف بك إذا بقيت فى حُثالة من الناس مرجتْ عُهودهم وأماناتهم وصار الناس هكذا.	٢ : ١١
يَطلُعُ عليكُم منْ هذا الفجّ خَيْرٌ ذى يَمن عليه مَسْحَة مَلك	١ : ١٥٤
يقولُ ابن آدم: مالى مالى؟ ومالك من مالكَ إلا ما أكلت فأَفنَيتُ، أو لبست.	١ : ٢٩٥



٣- فهرس الخطب والعهود

الجزء والصفحة

٤- فهرس الرسائل

الجزء والصفحة

٥- فهرس الأمثال

٦- فهرس اللغة (*)

(*) للكلمات التى شرحها المؤلف.

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

(الشين)

	الجزء والصفحة
شبا - الشباء، الشباة	١:٧٨/٣:٢٩٢
شج - الشجاج	١:
شجر - الشجر	١:
شجا- ويل للشجى من الخلى	٢:
شحج - شحاج	١: ٢٢٦
الشاحجات	١:
شحط - الشوحط	٢:
شحى - شحى فاه	٣: ٩٤
شخت - شخب	٣: ٢٧
شد - شديد	١: ٢٨٢
شدق - الأشدق	١: ٢٨٢
شدن - شادن	٢: ٢٢٤
شذب - المشذب	١: ١٣٤
شذب النخل	١: ١٩٣
شرأب - اشرأب	٢: ٢٢٥
شرب - الشرب	٢: ٢٠٩
شرب - شر نبثة	٢: ٦١
شرخ - الشرخ	٣: ٨٤
شرسف - الشراسيف	٤: ٦٠
شرط - أشراطي	٣: ٢٨
شرف - المشرفية	٣: ٢٣٥
شرق - شرقت الشمس وأشرقت	٢: ٢٠٦
شرى - الشرى	١: ٨٢
يشرينا	١: ٩٦

	الجزء والصفحة
الشريان	١: ٢٧١
شسع - شسع نعل كليب	٤: ٦٠
شص - شصائص	١: ٥٩
شطر - أشطره	١: ١٥٥
شطرها	٢: ٢١٢
شط - شطت النوى	١: ٧٠
شطن - الشيطان	٣: ٧٢
شظم - الشيظمى	٣: ٦٥
شغب - هو ذو شغب	١: ١٧٢
شعث - الأشعث الشعثاء	٢: ١٧١
شعر - دية المشعرة	١: ١٢٠
شعن - مشعان الرأس	٢: ٨٣
شقب - شوقب	٣: ٢٧
شقذ - شقذة	٢: ١٢٦
شق- المشاقة	١: ٢١٥
شكر - الشكر	٣: ٥٤
شاك - الشكك	٣: ٢٠٦
شل - الشل	٣: ٢٧٣
شلى - أشلى - الكلب على الصيد	١: ٢٥٨
استشلاء	٣: ١٨٧
شمخ- الشوامخ، شمخ بأنفه	٤:
شمعل - اشمعل	٢:
شمل- الشمال	٢:٤٢/٣:٤٤،٥
الشمول	٢:

الجزء والصفحة

(الفـــاء)

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

٧- فهرس الأشعار

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
		(الهمزة)		
ليس لشىء	للفناء	سريع	خفاف بن ندبه	١ :
إذا أنا	وراء	طويل	عدى بن مالك	١ : ٥٤
أبلغ	فناء	طويل	المكعبر الضبى	١ : ٦٩
وإنى	رجاء	طويل	المكعبر الضبى	١ : ٦٩
أخبر	أساءوا	طويل	المكعبر الضبى	١ : ٦٩
كانت قناتى	والإمساء	طويل	عمرو بن قميئة أو عبد الرحمن بن سويد	١ : ١٧٦
هو الصبر	لاأشاؤها	طويل	ابن أبى عيينة	٢ : ٢٣
تلجلج	داء	طويل	زهير	١ : ١٦٠
يجرون	والغناء	طويل	زهير	١ :
كأن سبيئة	وماء	طويل	حسان بن ثابت	١ : ١٠٦
وإنك	السناء	طويل	حسان بن ثابت	١ : ١٧٨
كأن	هواء	طويل	زهير	١ : ٢٦٢
يفضله	والذكاء	طويل	زهير	١ : ٣٠٣
هم الآسون	والإساء	طويل	الحطيئة	٢ : ١٤١
وإنى	الثراء	طويل	الحطيئة	٢ : ١٤٢
وهم قوم	السناء	طويل	الحطيئة	٣ : ١٠٢
نحن	والحكماء	خفيف	ابن قيس الرقيات	٣ : ١٥٠
أيها المشتهى	والفناء	خفيف	ابن قيس الرقيات	٣ : ١٥٢
إنما مصعب	الظلماء	خفيف	ابن قيس الرقيات	٢ : ١١٩
وترى	إهباء	خفيف	ابن قيس الرقيات	٣ : ١٦٧
والذى	ظماء	خفيف	ابن قيس الرقيات	٣ : ١٩٣
ولاأراها	وتنكؤها	منسرح	ابن هرمة	٢ : ١٨١ / ٣ : ٢٧٣

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
تأبى	أكفاء	بسيط	أبو الربيع الغنوى	٢ : ١٥٢
مر إسماعيل	الأسراء	مجزوءالكامل	ابن أبى عيينة	٢ : ٢٣
إذا بلغتنى	الحساء	وافر	الشّماخ	١ : ١٠٨
نبئت	نائى	خفيف	عبدالله بن رواحة	٣ : ٥٨
وابن عمران	للأكفاء	خفيف	دعبل	٣ : ١١٨
وفى كل عام	عزائكا	طويل	الأعشى	١ : ٢٢٠
تجالف	لسوائكا	طويل	الأعشى	٤ : ٨

البـــاء

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
جمعت	كثب	طويل		١ :
يفرح	عضب	رمل	الأعشى	١ : ٦٠
من يساجلنى	الكرب	رمل	الفضل بن العباس	١ : ١٥٦
كم رأينا	وشرب	رمل	الجعدى	١ :
وأنا الأخضر	العرب	رمل	الفضل بن العباس	١ :
أبلغا	الكواكب	خفيف	الخليل بن أحمد	٢ : ١٢
أباهل	العرب	متقارب	الخليل بن أحمد	٣ : ٩
غادرن	كالمحتطب	متقارب	عنترة	٣ : ٣٦
ياعين	العرب	متقارب	أم كعب بن سور	٤ : ١٨
أرى	مخضبًا	طويل	الأعشى	١ : ٢٤
عليكم	العواقبا	طويل	سعد بن ناشب	١ : ١٦٦
لحاالله	ذبًا	طويل	صخر بن حبناء أو يزيد بن حبناء	١ : ١٧١
وأخدع	عقربًا	طويل	يزيد بن حبناء	١ : ٢١٦
تجول	ولاقلبا	طويل	خالد بن يزيد	١ : ٢٧٤
تجهز	المهلبا	طويل	عبدالله بن الزبيرالأسدى	١ : ٣٠٠
إذا هبّ	كوكبا	طويل	أبو نواس	٣ : ١٠٦
بعثت	المهلبا	طويل	أبو نواس	٣ : ٢٥٦

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أقول	متشعبا	طويل	ابن الزبير الأسدى	٣: ٢٦,١
حياة	وجربا	طويل	ابن الزبير الأسدى	٤: ١٠٣
إنى وجدك	الطلبا	بسيط	إياس بن الوليد	١: ٤٥
ربيته	زغبا	بسيط	أم ثواب الهزانية	١: ١٩٢
الله يعلم	اليعاسبا	بسيط	الفرزدق	١: ٢١٠
أبكى	أجنابا	بسيط	الخنساء	٣: ١٣
ياللرجال	طربا	بسيط	عبدالله بن مسلم	٣:
تؤمل	صابا	وافر	بشر بن خازم	١: ٦٠
ألم تعلم	ولااجتلابا	وافر	جرير	١: ١٦٢
فغض	ولا كلابا	مجزوء الوافر	جرير	١: ٢٦٧
سماؤك	لهبا	وافر	إبراهيم السواق	٢: ٢٥
أبت	واكتئابا	وافر	ابن أبى عيينة	٢: ٢٩
نمير	التهابا	وافر	النميرى	٢: ١٧٣
ترى	شابا	وافر	جرير	٣: ٣٥
ألا أبلغ	غضابا	وافر	جرير	٣: ٢٧١
أبنى حنيفة	أغضبا	كامل	جرير	٣: ٢٠
فجعت	مصيبة	متقارب	يعقوب بن الربيع	٤: ٨١
رغا	وسليب	طويل	علقمة الفحل	١: ٨
يقولون	غارب	طويل	ابن ميادة	١: ٤٤
بزينب	القلب	طويل	نصيب	١: ١٤٧
أقول	قارب	طويل	نصيب	١: ١٤٨
رأيت	عتب	طويل	أبورباط	١: ١٥٢
وفى كل	ذنوب	طويل	علقمة الفحل	١: ١٥٧
سقاك	جنوب	طويل	علقمة الفحل	١: ٢٥٢
ومن يك	لغريب	طويل	ضابئى البرجمى	١: ٢٥٣
على ذاك	وأجلبوا	طويل	الكميت بن زيد	١: ٢٦٠

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أهاب	وقلوب	طويل	الكميت بن زيد	١ : ٢٧١
كذبتم	ونحلب	طويل	الكميت بن زيد	١ : ،
فلله	جانب	طويل	الكميت بن زيد	٢ : ٧
فمالى	مشعب	طويل	الكميت بن زيد	٢ : ٧٠
إذا خلة	قلب	طويل	عباد بن عباد	٢ : ١٠١
لكل أخى	وهب	طويل	عباد بن عباد	٢ : ١٠٨
بزينب	القلب	طويل	نصيب	٢ : ١١٧
كأنى	وطاب	طويل	عبيد بن أيوب	٢ : ١٤٩
يكذبنى	أكذب	طويل	السليك	٢ : ١٥١
أبادلف	أكذب	طويل	بكر بن النطاح	٢ : ١٥٤
إنى امتدحتك	الكاذب	كامل	بكر بن النطاح	٢ : ١٥٤
حلفت	رقيب	طويل	قيس بن ذريح	٢ : ١٧٩
بزينب	القلب	طويل	نصيب	٢ : ١٨٩
إن عيالى	وزبيب	طويل	جرير	٢ : ٢٠٢
وما غائب	غائب	طويل	أبوحية النميرى	٢ : ٢٢٠
لكل أخى	ثواب	طويل	أبو حية النميرى	٣ : ٦
فلا تحرمنى	عريب	طويل	علقمة الفحل	٣ : ١٣
فإنك	كوكب	طويل	النابغة	٣ : ٢٦
إذا وردت	وصبيب	طويل	علقمة الفحل	٣ : ٢٧
وما حسن	جنوب	طويل	علقمة الفحل	٣ :
وهل ريبة	نجيب	طويل	علقمة الفحل	٣ : ٩٢
أهاب	وقلوب	طويل	علقمة الفحل	٣ : ٢٥٤
صلبنا	يصلب	طويل	الأعور الكلبى	٤ : ١٠
وإنى	قريب	طويل	إبراهيم بن المهدى	٤ : ١٥
عجبت	غائب	طويل	أبوتمام	٤ : ١٥
نأي	وغروب	طويل	إبراهيم بن المهدى	٤ : ٢٠

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أيا جارتا	تصيب	طويل	صخر بن عمرو	٤ : ٥١
وما مثله	يقاربه	طويل	الفرزدق	١ : ٢٨
وإنى	صاحبه	طويل	أبو الطمحان القينى	١ : ٤٤
فلو كان	شاربه	طويل	أبوالطمحان القينى	١ : ١٧١
ويعرف	عواقبه	طويل	أبو الطمحان القينى	٢ : ٧
فلو كان	شاربه	طويل	الفرزدق	٢ : ١٧٢
بنى هاشم	مناهبه	طويل	الوليد بن عقبة	٣ : ٢١
وما أصبح	مذاهبه	طويل	الوليد بن عقبة	٣ : ٤٦
أضاءت	ثاقبه	طويل	أبوالطمحان القينى	٣/ ٩٦
وهون	صاحبه	طويل	أبو الطمحان القينى	٤ : ٢٦
فلو عاب	ما يعيبها	طويل	أبو الطمحان القينى	٢ : ٧
تميم	جوابها	طويل	الفرزدق	٢ : ٦٧
أقول	نصابها	طويل	يزيد بن الطثرية	٢ : ١٣١
ألم تعلمى	جنابها	طويل	يزيد بن الطثرية	٢ : ٢٠٧
وما هجرتك	نصيبها	طويل	يزيد بن الطثرية	١ : ٢٣١
وجداء	ربيبها	طويل	يزيد بن الطثرية	٣ :
ألم تعلمى	جنابها	طويل	يزيد بن الطثرية	٣ : ٢٧٠
وقد توجس	كذب	بسيط	ذو الرمة	١ : ٩٣
وكل	لا يثوب	مخلع البسيط	عبيد بن الأبرص	٢ : ٤٠
وقد رأينا	والشنب	بسيط	الكميت	٢ : ١١٩
لمياء	شنب	بسيط	ذو الرمة	١ :
إذا استهلت	الخشب	بسيط	ذو الرمة	٢ : ٢٢٠
إن يسمعوا	كذبوا	بسيط	طريح بن إسماعيل الثقفى	٢ : ٢٣٢
شخت الجرازة		بسيط	ذو الرمة	٣ : ٢٧
ديار مية	خشب	بسيط	ذو الرمة	٣ : ٣١

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
ما بال	ولا عرب	بسيط	ذو الرمة	٣:
كأنه كوكب	سرب	بسيط	ذو الرمة	٣: ٨٠
كأن الجار	منقضب	وافر	ذوالرمة	١: ٦٧
مشيح	قريب	مجزوء الوافر	أبو العيال الهذلى	١: ٧٧
فإن تفركك	كلب	وافر	الفرزدق	١:١٢٨
عسى الكرب	والصناب	وافر	هدبه	١: ١٥٨
أتيتك	قريب	وافر	عبدالله بن أبى عيينة	٢: ٢١
بأخوالى	والحجاب	وافر	عبدالله بن أبى عيينة	٢: ٣٢
صبغت	تهاب	وافر	يزيد بن المهلبى	٢: ١٢٨
ألاهزئت	المريب	وافر	ابن قيس الرقيات	٢: ١٩٠
ذكرتك	موكبها	وافر	ابن قيس الرقيات	٢: ٢٢٣
فإن تذهب	لا أخيب	وافر	أخو ربيعة بن مكدم	٤: ٧٥
لدن	قريب	كامل	ساعدة بن جؤية	١: ٢٨٩
يامن	الثعلب	كامل	أبو العتاهية	٢: ٩
أذكر	تعيب	كامل	أبو العتاهية	٤: ١٠٣
فصدقتهم	القلب	مجزوء الكامل	الأعشى	٢: ١٥٦
أمن زينب	كذابه	هزج	عمر بن أبى ربيعة	٣: ٨٧
إن جئت	ماتخبو	سريع	أبو نواس	٣: ١٠٩
ما حطك	داب	سريع	أبونواس	٣: ١٠٨
عاد	مغتاب	منسرح	ابن قيس الرقيات	٢: ٢٠٠
لا بارك الله	تنسكب	منسرح	ابن قيس الرقيات	٤: ٣٨
بابنة	مطلب	خفيف	ابن قيس الرقيات	٢: ١٩١
بنى	مايؤوب	طويل	ابن قيس الرقيات	١: ٤٥
ولا عيب	جبوب	طويل	النابغة	١: ٤٦
سألت	الكتائب	طويل	كثير	١: ١٢٠
سماوته	لهب	طويل	طفيل	١: ١٢٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
إنى وإن	مشرعب	طويل	عامر بن الطفيل	١ : ١٣٣
من النفر	المهذب	طويل	نصيب	١ : ١٤٧
وركب	غالب	طويل	الفرزدق	١ : ١٤٨
يمرون	بالعصائب	طويل	الفرزدق	١ : ١٤٨
عسى الله	الحقائب	طويل	سماعة بن أشول	١ : ١٥٨
أغثنى	سكوب	طويل	سماعة بن أشول	١ : ١٥٨
وقيل	كاربى	طويل	طفيل الغنوى	١ : ٢١٩
شكوت	هبى	طويل	طفيل الغنوى	١ : ٢٢٧
ولم أر	حبى	طويل	المجنون	١ : ٢٣٣
هل الجود	المحصب	طويل	الفضل بن المهلب	١ : ٢٤٦
لعمرى	قضيب	طويل	الفضل بن المهلب	١ : ٢٤٩
ولاعيب	مركب	طويل	النابغة	١ : ٢٧٢
أعاذل	الكتائب	طويل	النمر بن تولب	١ : ٢٩٢
ألا قل	وقريبى	طويل	ابن أبى عيينة	٢ : ٢٢
جحدت	الهلب	طويل	ابن أبى عيينة	٢ : ٧٢
فلو كان	العواقب	طويل	ابن أبى عيينة	٢ : ١٠٠
نمش	مصعب	طويل	امرؤ القيس	٢ : ١١٠
ألاحى	مضهب	طويل	نصيب	٢ : ١١٨
وقد تعتريه	بقريب	طويل	نصيب	٢ : ١٦٥
ديار	قريب	طويل	قيس بن الخطيم	٢ : ١٩٢
ليس بسعد	الركائب	طويل	الأحوص	٢ : ١٩٥
تخيرن	مصعب	طويل	النابغة	٢ : ٢٠٣
لعمرى	التجارب	طويل	إسحاق بن إبراهيم	
	العذب		الموصلى	٢ : ٢٠٩
لا أكتم	قلبى	طويل	إسحاق بن إبراهيم الموصلى	٢ : ٢٣١
عرضت	بكوكب	طويل	بكر بن النطاح	٣ : ٣

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
كأن عيون	مثقب	طويل	امرؤ القيس	٣: ٢٥
بكت	غالب	طويل	إسماعيل بن عمار بن عيينة	٣: ٦٢
ألم تر	تطيب	طويل	امرؤ القيس	٣: ٨٦
حديث	المتقارب	طويل	امرؤ القيس	٣:
لسانك	الكرب	طويل	أبو الوازع	٣: ٢٠٢
مواقفنا	حوشب	طويل	أبو الوازع	٣: ٢٤٥
ولست بمفراح	المتقلب	طويل	هدبة	٤: ٧٢
ماوجدت	أم كلاب	طويل	هدبة	٤: ٧٢
كنا	الظنابيب	بسيط	سلامة بن جندل	١: ٧
بل	الهرب	بسيط	يحيى بن نوفل	١: ٣١
أمرتك	نشب	بسيط	إياس بن عامر أو أعشى طرود	١: ٣١
ولا تلاقى	بشؤبوب	بسيط	النابغة	٢: ٣٤
أما رأيت	وكتاب	بسيط	النابغة	٢: ٧٩
يامالك	والحسب	بسيط	جرير	٢: ٤٦
سألت	تصب	بسيط	حسان بن ثابت	٢: ٧٦
إن النموم	الكذب	بسيط	أبو العباس المبرد	٢: ٢٣٠
فاليوم	عجب	بسيط	أبو العباس المبرد	٣: ٣٠
فأى حى	الذئب	بسيط	أبو العباس المبرد	٣: ٥٠
يومان	تأويب	بسيط	سلامة بن جندل	٣: ٥١
يقول	محلوب	بسيط	سلامة بن جندل	٣: ٥٥
إنى	الحرب	بسيط	عمران بن حطان	٣: ١٧٤
يبكيك	للعجب	بسيط	عمران بن حطان	٣: ١٩٩
قل للمحلين	والهرب	بسيط	الصلت	٣:
إذا مولاك	العجيب	وافر	الصلت	١: ٤٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أنا ابن الأكرمين	كلاب	وافر	القتال الكلابى	١: ٩٨
تكلفنى	والصناب	وافر	جرير	١: ١٢٨
وقالوا	الحبيب	وافر	جميل	٢: ٣٩
جلبنا	الذئاب	وافر	زيد الخيل	٢: ٧٥/ ٣: ٦٧
وقد نقبت	بالإياب	وافر	امرؤ القيس	٢: ١٠٦
وأمنع	صحبى	وافر	امرؤ القيس	٢: ٢٣١
وخيبة	الركاب	وافر	امرؤ القيس	٣: ١١
برئت	باب	وافر	امرؤ القيس	٣: ١٤٢
وأجرأ	العيوب	وافر	امرؤ القيس	٣: ١٧٦
من ذا	الكاذب	كامل	امرؤ القيس	١: ٣٢
قوم	الأبواب	كامل	جرير	١: ١٤٧
رفعت	ثيابى	كامل	أبو خراش الهذلى	١: ٢٢٠
إن السيوف	الأعضب	كامل	الأخطل	٣: ١٥
هبت	وعتابى	كامل	الأخطل	٣: ٨٧
ومدججا	كالكلب	مجزوءالكامل	الأخطل	٣: ٢٠٥
فارقت	الكذاب	كامل	ابن عاصم الليثى	٣: ٢١٢
ضربوا	والحرب	كامل	عمران بن عصام	٣: ٢٦٩
بأبى	شبابه	كامل	العتبى	٤: ١٦
ذهب	الأجرب	كامل	لبيد	٤: ٢٨
لايبعدن	بذنوب	كامل	حسان بن ثابت	٤: ٧٤، ٩٣
له بين	القسب	كامل	عقبة بن سابق	٣: ٨٤
والقمر	لحب	منسرح	عقبة بن سابق	١: ٢١٨
لم تتلفع	بالعلب	منسرح	عقبة بن سابق	١: ٢٤٩
قل لعلى	منتسب	منسرح	عقبة بن سابق	٢: ١٩١
من رسولى	والكتاب	خفيف	عمر بن أبى ربيعة	٢: ١٧٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
وتراهن	النقاب	خفيف	ابن الأيهم التغلبى	٢ : ١٧٨
قال لى	الرباب	خفيف	عمر بن أبى ربيعة	٢ : ١٧٨
ليت شعرى	واجتنابى	خفيف	يعقوب بن الربيع	٤ : ٨٠
أبى	أرتب	متقارب	النابغة الجعدى	١ : ٧٥
أبى لى	أرتب	متقارب	النابغة الجعدى	١ : ١٦٦
سبقت	تضرب	متقارب	النابغة الجعدى	١ : ٢٠٥
وشاهدنا	بقصابها	متقارب	الأعشى	٢ : ٨٢
ولوحا	المنكب	متقارب	الجعدى	٣ : ٢٠
ويصهل	للمعرب	متقارب	الجعدى	٣ : ٣٥
		(التـــاء)		
من يأمن	ماتا	مجزوءالكامل	الجعدى	١ : ٢٧٣
يا على	بنتا	خفيف	أبو العتاهية	٢ : ٩
بنو دارم	الحبطات	طويل	الفرزدق	١ : ٥٦
أما كان	الحجرات	طويل	الفرزدق	١ : ٥٦/٢ : ٥٢
تواعد	السبت	طويل	محمد بن نمير	١ : ١٩٦
ولكنهم	البغت	طويل	يزيد بن ضبة أو يزيد بن الصمة	٣ : ١١٢
أرجل	كميت	وافر	يزيد بن ضبة أو يزيد بن الصمة	١ : ١٠٤
إذا ما فاتنى	فاشتويت	وافر	الغسانى	١ : ١٢٧
هبينى	بدأت	وافر	إبراهيم السواق	٢ : ٢٥
وفيت	وفيت	وافر	السموءل	٢ : ١٣٩
رئمت	أباة	طويل	السموءل	١ : ٩١
بنى أسد	اشمعلت	طويل	مرة بن محكان	١ : ١٦٠
سأشكر	جلت	طويل	عبدالله بن الزبير الأسدى	١ :

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
لقد علمت	خروج	طويل	شبيب بن البرصاء	١ : ١٢٢
كأن المتن	مشيج	وافر	الشماخ	٣ : ٨٤
قلت	عالج	سريع	الحارث بن حلزة	١ : ٢٩٥
اطردوا	الدجاج	خفيف	الحارث بن حلزة	٣ :
رعى	ملهج	طويل	الشماخ	١ : ١٢٣
مفج	ملجلج	طويل	الشماخ	٣ : ٨٢
إذا رجع	شجى	طويل	الشماخ	٣ : ٩١
ومرسل	الحاج	بسيط	الراعى	١ : ٢٢٤
يا أيها الناس	دارج	بسيط	الراعى	٢ : ٧٤
أما النهار	الساج	بسيط	الراعى	٣ : ٢٩٠
فأما قولك	وداجى	وافر	عبدالرحمن بن حسان	١ : ٢٠٩
ولقد رمينك	سواح	كامل	جرير	١ : ٢٢٦
إن الغراب	التشحاج	كامل	جرير	١ : ٢٢٦
مارلت	هودج	كامل	عروة بن أذينة. أو جميل	١ : ٢٣٢
مارلت	الحجاج	كامل	عروة بن أذينة أو جميل	٢ : ٢٢١
عوجى	نحرجى	سريع	العرجى	٢ : ١٩٣
		(الحاء)		
ألقى	المتاح	مجزوءالكامل	إسحاق بن خلف	٢ : ١٩
وكائن	جارحا	طويل	إسحاق بن خلف	٣ : ٢٣١
لام فيها	وصباحا	مديد	إسحاق بن الموصلى	٣ : ٤٠
ياليت	ورمحا	مجزوءالكامل	عبد الله بن الزبعرى	١ : ٢٦٤، ٢ : ٢٠٤
فلا تفش	نصيحا	متقارب	على بن أبى طالب	٢ : ٢٢٨

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
مرته	ريحا	متقارب	أبو ذؤيب	٣ :
لها	أشجح	طويل	ذو الرمة	١ : ٩
بدرت	شيح	طويل	أبوذؤيب	١ :
وإنى لأغلى	تذبح	طويل	أبو ذؤيب	١ : ١٢٣
دعانى	النصائح	طويل	عمارة	١ : ١٣٧
سل المفتى	جناح	طويل	عمارة	١ : ٢٣١
دأبت	يمصح	طويل	الراعى	١ : ٢٩٤
لا تسألن	تجرح	طويل	الراعى	٢ : ٩٨
وأكرم	تروح	طويل	الراعى	٢ : ١٠١
لعمرى	أليح	طويل	الراعى	٢ : ١٩٧
ألا تعلمى	مطرح	طويل	ذو الرمة	٢ : ٢٢٣
ألا يا حمام	تنوح	طويل	عوف بن محلم. أو أبو كبير الهذلى	٣ : ٩٢
آلا حبذا	ورائح	طويل	عوف بن محلم . أو أبو كبير الهذلى	٣ : ٨٦
يقولون	جنوح	طويل	النابغة	٣ : ٩٦
لعينك	مروح	طويل	أبو حية النميرى	٣ : ٩٩
وما الدهر	أكدح	طويل	تميم بن أبى بن مقبل	٣ : ١٣٢
وعلمى	طلائح	طويل	تميم بن أبى بن مقبل	٤ : ٣٦
وكم سقت	المتنصح	بسيط	تميم بن أبى بن مقبل	٤ : ١٠٣
تفاقد	ذبحوا	بسيط	أيمن بن خريم	٣ : ٢٣
إنى أرقت	مذبوح	وافر	أبو ذؤيب	٤ : ٥٧
ألم تسل	مشبح	وافر	نضلة السلمى	١ : ٧٦
كأن القلب	أو يراح	وافر	مجنون بنى عامر أو توبة	٣ : ٢٩
فإن تك	الصفائح	طويل	عبدالله بن الحر	٢ : ٩١

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
راحت	ولا السددا	بسيط	أبو وجزة السعدى	١ : ١٥١
راحت	أحدا	بسيط	أبو وجزة السعدى	١ : ١٥٢
أوفى	وردا	بسيط	أبو داؤاد الأيادى	١ :
إذا تجاوب	الجلد	بسيط	عبد مناف بن ربع الهذلى	٢ : ١٢٠
قل للسرى	صددا	بسيط	أبو الهندى	٣ : ٣٤
اللؤم	وماولدا	بسيط	أبو الهندى	٣ : ٥٨
قوم	قودا	بسيط	أبو الهندى	٤ : ٣٨
ماذا يغير	رقدا	بسيط	عبد مناف بن ربع	٤ : ٤٦
يعود	الشدادا	وافر	جرير	١ : ١٨٦
لعمرك	بعدا	وافر	جرير	١ :
إذا هبت	الوليدا	وافر	جرير	٣ : ٤٨
أبى حبى	جديدا	وافر	جرير	٣ : ١٠١
سائل	مسعودا	كامل	جرير	١ : ١١٨
أثوى	موعدا	كامل	الأعشى	٢ : ٤٣
غلب	وسادها	كامل	ابن الرقاع	٣ : ١٠٤
تزجى	مدادها	كامل	ابن الرقاع	٣ : ١٠٤
كم من أخ	لحدا	كامل	عمرو بن معدى كرب	٤ : ١٤
ألا ياسمية	يزيدا	متقارب	عمروبن معدى كرب	١ : ٢٠٤
كأن يديها	زرودا	متقارب	عمرو بن معدى كرب	٣ : ٨٠
أعينى	الندى	متقارب	الخنساء	٤ : ٤١
لا يبعد	خالدة	متقارب	الحارث بن عمرو	١ :
فإما هلكت	حسادها	متقارب	حسان بن ثابت	١ : ١٧١
بنى دارم	مخلد	طويل	عمارة بن عقيل	١ : ٢٩
إن الكريم	أقود	طويل	حاتم بن عبدالله الطائى	١ : ٤٧

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
لا تشتمنى	العوائد	طويل	حاتم بن عبدالله الطائى	٢ : ٤٥
ألا قل	يزيد	طويل	يزيد بن الصقيل العقيلى	١ : ٨٨
فجاءت	السهد	طويل	يزيد بن الصقيل العقيلى	١ : ١١١
خليلى	الرواعد	طويل	يزيد بن الصقيل العقيلى	١ : ٢٠٣
عليك	صدود	طويل	يزيد بن الصقيل العقيلى	١ : ٢٧٣
لأدماء	عديدها	طويل	الحطيئة	١ : ١٣٦
أردت	شهود	طويل	قيس بن سعد بن عبادة	٢ : ٨٦
وقد مات	يخلد	طويل	قيس بن سعد بن عبادة	٢ : ١٠٦ ٣ : ١٦٠
وإن التى	كما صدوا	طويل	الحطيئة	٢ : ١٣٨
مفدمة	الرعد	طويل	أبو الهندى	٣ : ٣٣
تعز	ويولد	طويل	أبو الهندى	٤ : ٣٤
خليلى	الروعد	طويل	هفان بن همام	٤ : ٣٤
لقد فرح	وجيدها	طويل	هفان بن همام	٢ : ٥٥
فبات	خمودها	طويل	هفان بن همام	٢ : ١٨١
وكنت	بعيدها	طويل	هفان بن همام	٢ : ١٨٧
بسلى	خدودها	طويل	هفان بن همام	٣ : ٢٣٤
الواهب	اللبد	بسيط	النابغة	١ : ١١
نظارة	تحديد	بسيط	النابغة	٢ : ٢٢٤
كأن بيض	ويد	بسيط	الراعى	٣ : ٤١

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
لاحزن	مفتقد	بسيط	يزيد المهلبى	٤ : ٨١
ولست	الورود	وافر	عقيل بن علفة	١ : ٨٩
وخير الشعر	العبيد	وافر	الفرزدق	١ : ١٤٩
أمير	العهاد	وافر	الفرزدق	٣:٢٨
فإذا بلغتم	وخلود	كامل	الفرزدق	١ : ٢٩٦
فأثنوا علينا	لخلد	كامل	الفرزدق	١ : ٢٩٦
يا خاضب	يعود	كامل	محمود الوراق	٢ : ١٢٩
وإذا	وعبيد	كامل	محمود الوراق	٣ : ٢٧٦
نعم ضجيع	الصرد	منسرح	محمود الوراق	١ : ١٩٢
كل	أحد	منسرح	أو عبدالرحمن العتبى	٤ : ٢١
تيس	نقد	منسرح	صخر الغنى	٣:
إن شرخ	زهيد	خفيف	صخر الغنى	٣ : ٨٥
ألا هل	غامد	متقارب	ربيعة بن مكدم	١ : ٢٣
أسود	الأساود	طويل	الأشهد بن رميلة	١ : ٤٨
كقنطرة	بقرمد	طويل	طرفة بن العبد	١ : ٨٥
إذا القوم	أتبلد	طويل	طرفة بن العبد	١ : ٩٧/ ٤ : ٦٧
أهيم	بعدى	طويل	نصيب	١ : ١٤٨
خليلى	المقيد	طويل	نصيب	١ : ١٦١
تجمعتم	واحد	طويل	ابنة ابن الرفاع	١ : ٢١٠
أرى	المتشدد	طويل	طرفة	١ : ٢٨٢
كميش	أنجد	طويل	دريد بن الصمة	١ : ٣٠١
وإنى	يهتدى	طويل	الحطيئة	١ : ٣٠٢
يرى	غد	طويل	الحطيئة	٢ : ٧
وإن آنست	الغد	طويل	الحطيئة	٢ : ١٨
يسموننا	المزاود	طويل	الحطيئة	٢ : ٤٧

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أعربان	إياد	طويل	ابن نوفل	٢ : ٤٩
لاتحمدن	لوالد	طويل	ابن نوفل	٢ : ٧٢
إن تنصفونا	ببعاد	طويل	مالك بن الريب	٢ : ٧٨
ألاهل	المهند	طويل	مالك بن الريب	٢ : ١١١
وفى السر	المحاتد	طويل	مالك بن الريب	٢ : ١١٤
أهيم	بعدى	طويل	نصيب	٢ : ١١٧
أسائل	الرفد	طويل	أبو تمام	٢ : ١٢٥
أيا ابنة	الورد	طويل	قيس بن عاصم	٢ : ١٣٣
إذا كنت	سعد	طويل	النمر بن تولب	٢ : ١٣٤
وإن ادع	فاجهد	طويل	طرفة	٢ : ١٤٠
أأن	الرند	طويل	ابن الدمينة	٢ : ١٧٨
فإن تسل	لا بالتجلد	طويل	كثير	٢ : ١٨٨
كتمت	خدى	طويل	كثير	٢ : ٢٣٠
أقول	خدى	طويل	الحسين بن الضحاك	٣ : ٣
ألا قل	بلاد	طويل	الحسين بن الضحاك	٣ : ٧
ديونك	سعيد	طويل	مسلم بن الوليد	٣ : ٧
وأبلغ	مصمد	طويل	طرفة	٣ :
ألاقطع	بخالد	طويل	الفرزدق	٣ : ٦٥
وإن نظرت	أبعد	طويل	الحطيئة	٣ : ٨١
بأرض	قردد	طويل	الحطيئة	٣ : ٨١
وكادت	هدهد	طويل	الحطيئة	٣ :
وكنا	رعاد	طويل	أبو نواس	٣ : ١٠٠
ترى	وجراد	طويل	أبو نواس	٣ : ١٠٣
سأرحل	بحادى	طويل	أبو نواس	٣ : ١٠٦
أبا خالد	لقاعد	طويل	قطرى بن الفجاءة	٣ : ١٢٤
لها مرفقان	متشدد	طويل	طرفه	٣ : ١٦٤

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
وما سبق	خالد	طويل	الفرزدق	٣: ٢١٦
بسلى	ورد	طويل	بيهس بن صيب	٣: ٢٣٤
وكل	أوغد	طويل	كثير	٣: ٢٥٧
إن كان عبيد	وغادى	طويل	عبيدالله بن زياد	٤: ٣٨
فإن تقتلوا	بخالد	طويل	أبو الأسدى	٣:
وتقصير	الممدد	طويل	طرفة	٤: ٦٣
فإن تقتلونى	لم يقيد	طويل	هدبة	٤: ٧٣
ما أذوق	التماد	مديد	هدبة	١: ٣٦
مالعينى	وسادى	مديد	هدبة	١: ٣٧
خلت	فالنضد	بسيط	النابغة	١:
نبئت	الجيد	بسيط	السماخ	١: ١٣
ياطيئ السهل	الأسد	بسيط	للطرماح	١: ١٩
رفعت	بالعمد	بسيط	ذو الرمة	١: ٤٦
لم تر	الوادى	بسيط	القطامى	١: ٥٣
لاتحسبنى	والشيد	بسيط	الشماخ	١: ٨٥
الخير	زاد	بسيط	عبيد بن الأبرص	١: ٩٣
يحج	كالمغاريد	بسيط	غدار بن دارة الطائى	١: ٩٤/٢: ٦٠
ودارم	بالخدد	بسيط	الطرماح	١: ١٣٩
قد ثكلت	الأسد	بسيط	حسان بن ثابت	١: ١٦١
لو كنت	الصيد	بسيط	حسان بن ثابت	١: ١٩٩
نفسى	وعوادى	بسيط	جرير	١: ٢٠٩
إنى وإن	الهادى	بسيط	القطامى	١: ٢٦٢
قربن	الحادى	بسيط	القطامى	١: ٢٦٢
فهن ينبذن	الصادى	بسيط	القطامى	١: ٢٩٤
فظل	أود	بسيط	النابغة	١: ٣٠٣
حنت	والرشد	بسيط	ذو الرمة	٢: ٤٣

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
إما ترى	وأفوادى	بسيط	ذو الرمة	٢ : ٨٩
ماسرنى	والجود	بسيط	إسحاق بن خلف	٢ : ٩٦
يقتلننا	بادى	بسيط	القطامى	٢ : ١٧٩
ضنت	الغادى	بسيط	الأحوص	٢ : ١٩٤
أبو أحيحة	وذا عدد	بسيط	الأحوص	١ : ٢٧٣
ردت	الثأد	بسيط	النابغة	٣ : ١٦
وضعته	البلد	بسيط	مسلم بن الوليد	٣ : ٣٨
يأيها	يدى	بسيط	عمارة	٣ : ٥٦
وظل يعجم	أود	بسيط	النابغة	٣ :
يظل	والنجد	بسيط	النابغة	٣ :
مقذوفة	بالمسد	بسيط	النابغة	٣ : ٨٩
ألا ترين	والجود	بسيط	النابغة	٣ : ١١٧
طال	مردى	بسيط	الشماخ	٣ : ١٢٨
أبا سعيد	أحد	بسيط	حبيب بن عوف	٣ : ٢٩١
لهاشم	والأسد	بسيط	حبيب بن عوف	٤ : ٦
إنى لأكنى	لواديها	بسيط	الحطيئة	١ : ٥٤
إنا بنى منقر	وناديها	بسيط	عمر بن الأهتم	١ : ٩٦
أمرتك	تجد	وافر	ابن ميادة	١ : ٤١
إذا ما مات	يزاد	وافر	أبو المهوش الفقعى أو أبوالمهوش الأسدى أو يزيد بن عمرو بن الصعق	١ : ١٣٩
أبعد الأشتر	واد	وافر	أخت الأشتر	٢ : ٥١
جماد	جماد	وافر	المتلمس	٢ : ٥٤
نكهت	ورد	وافر	ابن عبدل	٣ : ٣٩
أريد	مراد	وافر	عمرو بن معدى كرب	٣ : ١٤٦

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
كفانا	الحديد	وافر	عمرو بن معدى كرب	٣: ٢٥٤
تمنانى	سعيد	وافر	عمرو بن معدى كرب	٣: ٢٥٤
ولو علم	الشداد	وافر	عمرو بن معدى كرب	٣: ٢٧٧
جدير	النجاد	وافر	عمرو بن معدى كرب	٤: ٤٢
الواطئين	والأبراد	كامل	الاعشى	١: ٥١
وإذا طعنت	مقرمد	كامل	النابغة	١:
وإذا أتيت	تقعد	كامل	وهب بن عبدمناف	١: ١٤٣
هلا سألت	واد	كامل	وهب بن عبد مناف	١: ٢٠٠
علم القبائل	عطارد	كامل	وهب بن عبد مناف	١: ٢٤٤
يا ناظرا	مشاهد	كامل	محمود الوراق	٢: ٥
من مبلغ	الإنشاد	كامل	ابن أبى عيينة	٢: ٢٦
أفنى	يزيد	كامل	ابن أبى عيينة	٢: ٢٨
إن الرزية	ومحمد	كامل	الفرزدق	٢: ٨٠
هيهات	سعيد	كامل	أبو الشمقمق	٣: ٧
يدعى	الأجرد	كامل	عطية بن عمرو	٣: ٢٢٥
وما فارس	الأجرد	كامل	عطية بن عمرو	٣: ٢٢٥
نجى	يزيد	كامل	عطية بن عمرو	٣: ٢٤٥
ياويح	الملحد	كامل	حسان بن ثابت	٤: ٩
ولقد طعنت	موسد	كامل	أهبان بن غادية	٤: ٧٥
فات	بالمطرد	كامل	أخو ربيعة بن مكدم	٤: ٧٥
أطع	جهدك	مجزوءالكامل	أبو العتاهية	٢: ٤
يصيخ	للمنشد	سريع	المثقب العبدى	١: ٩٣
قالت	ولم يوجد	سريع	المثقب العبدى	٣: ١٠٧
تقول	العدد	منسرح	حسان بن ثابت	١: ٢٠٩
انظر	أحد	منسرح	حسان بن ثابت	٢: ٢١
أخشى	والأسد	منسرح	لبيد	٤: ٢٨

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
طال	السواد	خفيف	أبو تمام	٢: ١٢٨
أيها المادح	العباد	خفيف	عمران بن حطان	٢: ١٥٤
حين تمت	جديد	خفيف	ابن مناذر	٤: ٥٢
كل حي	خالود	خفيف	ابن مناذر	٤: ٥٣
سيكفيك	بالمربد	متقارب	حارثة بن بدر	١: ١١٧/ ٣: ٢٠٦
قرنبي	قعدد	متقارب	الفرزدق	٢: ٥٧
ومستنة	بالمرود	متقارب	الفرزدق	٢: ١٠١
ومنكوحة	فادها	متقارب	الأعشى	٢: ٩٧
وقومك	أنضادها	متقارب	الأعشى	
أجدك	رفادها	متقارب	الأعشى	٣: ١٠١

(الذال)

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
ألا حبذا	الأذى	متقارب	ابن ربيعة	٤: ٥٩
تمادى	ملاذ	وافر	ابن ربيعة	٢: ٣١

(الراء)

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
غلام	البصر	طويل	ابن عنقاء	١: ٢٢
نزلنا	والخفر	طويل	عمران بن حطان	٣: ١٢٧
لسعد	حمر	طويل	امرؤ القيس	٣:
أتانا	بالحجر	طويل	امرؤ القيس	٣: ٢٣٤
أرعد	بضائره	مجزوءالكامل	الكميت	٣: ٢٢٢
لا ترج	باعتدار	مجزوء الكامل	العتابي	٤: ١٠٤
إن تنوله	بالظهر	رمل	طرفه	٢.: ٢٠٣
أسد غيل	وطمر	رمل	طرفه	٢: ٢١٨
نحن	ينتقر	رمل	طرفه	٣: ٤٦

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
ثم لا يخنز	الدخر	رمل	طرفة	٣: ٧٦
أصحوت	مستعر	رمل	طرفة	٤: ٨
أبليانى	لشر	رمل	هدبة	٤: ٧٣
هل ينسئن	حذر	سريع	ابن أحمر	٢: ١٦٩
بل لو	حمار	سريع	ابن أحمر	٣: ٩٨
جددت	أبر	متقارب	مالك بن العجلان	١: ١٩٣
كليب	الحظر	متقارب	مالك بن العجلان	٢: ٧٩
أتونى	نكر	متقارب	مالك بن العجلان	٣: ٢٤، ١٢١
إذا ما خشينا	فسكرا	طويل	مالك بن العجلان	١: ١٨٥
ورويت	أعمرا	طويل	أبو الشجرة السلمى	١: ٣٠٤
وإن جاء	واصبرا	طويل	ساق البربرى	٢: ٣٣
على كل	بربرا	طويل	امروء القيس	٢: ٦١
تركتم	أوعرا	طويل	جرير	٢: ٦٢
وإنى لأرى	أعبرا	طويل	أبو الطمحان القينى	٢: ٧١
تفاقد	بهرا	طويل	ابن ميادة	٢: ١٨٢
إذا نحن	سرا	طويل	الرقاشى	٢: ٢٣١
فقربت	المؤطرا	طويل	الشماخ	٣: ٣٢
فدعها	وهجرا	طويل	امروء القيس	٣: ٦٧
كأن ذراعيها	فعدرا	طويل	الشماخ	٣: ٧٧
كان بذفاها	الصوبرا	طويل	الشماخ	٣: ٧٧
كأن الحصى	أعسرا	طويل	امروء القيس	٣: ٧٩
له همم	الدهر	طويل	بكر بن النصاح	٣: ٩٥
ولا يعرفون	تدابرا	طويل	جرير	٣: ١٢١
أخو الحرب	شمرا	طويل	جرير	٣:
أقول	نورا	طويل	جرير	٣:
سأحمى	أخضرا	طويل	معبد بن أحضر	٣: ١٨٨

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
وأطفأت	تسعرا	جرير	جرير	٣: ٢٣٨
رأى سرى	الحذرا	بسيط	أشجع السلمى	٢: ٧
ما راح	اعترا	بسيط	ابن أبى عيينة	٢: ١٢
مالى رأيتك	حضرا	بسيط	ابن أبى عيينة	٢: ٢٣
نعى	واعتمرا	بسيط	جرير	٢: ٢٠٣
بل أيها	الخبرا	بسيط	عمرة بن عقيل	٣:
بضرب	تبورها	طويل	مالك بن زغبة	٣:
إذا العرش	فقير	طويل	هدبة	٤: ٧٣
فصادف	العرارا	وافر	الراعى	١: ٣٥
ولا ينسينى	الإزار	وافر	الراعى	١: ٣٩
أحولى	عمارا	وافر	عنترة	١: ٨٦
رددت	احمرارا	وافر	عقيل بن علفة	٢: ٣٨
ولا ينسينى	الإزارا	وافر	قيس بن الخطيم	٢: ٢١٤
سقى	انتحار	وافر	قيس بن الخطيم	٣: ٢٣٧
وكأن تحت	سحرا	مجزوءالكامل	بشار بن برد	٣: ١٠٩
فاقتل	زرارة	مجزوءالكامل	عمرو بن ملقط	١: ١٣٨
وتكون	زرارة	مجزوءالكامل	الأعشى	١: ١٣٨
بيضاء	كالعرارة	مجزوءالكامل	الأعشى	٣: ٨٧
رأيت	عبارا	سريع	الأعشى	٢: ٣٨
أيها الرائح	الأوطارا	خفيف	ابن أبى ربيعة	٢: ١٧١
وزندك	عفارا	متقارب	الأعشى	١: ١٧١
أكل	نارا	متقارب	عدى بن زيد	١: ٢٢٩
إذا كان	الأميرا	متقارب	الأعشى	١: ٢٦١
أياذا	صدورا	متقارب	ابن أبى عيينة	٢: ٢٦
فكيف أنا	عارا	متقارب	الأعشى	٢: ٣٠
كأن الغطامط	غفارا	متقارب	ذو الرمة	٢: ١١٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
لها زجل	دبورا	متقارب	الأعشى	٣: ٤٥، ٤٦
أكل	نارا	متقارب	عدى بن زيد	٣: ٧٥
لها حافر	مغارا	متقارب	ابن الخرع	٣: ٨٣
ومن لا تضيع	ضمارا	متقارب	الأعشى	٣: ٢٣٠
وقد علم	وفر	طويل	حاتم الطائى	
وقربن	الخطر	طويل	ذو الرمة	١: ٣٩
ليسوا	المقابر	طويل	ذوالرمة	١: ٤٥
رأت	فيحضر	طويل	ابن أبى ربيعة	١: ٦١، ٢٣٣
لهم	نجار	طويل	مسعود بن بشر المازنى	١: ٧٩
شربنا	والبحر	طويل	مسعود بن بشر المازنى	١: ١٠٥
إذا ابن	جازر	طويل	ذو الرمة	٣: ٢١٧
ألا يا أسلمى	القطر	طويل	ذو الرمة	١: ١٢١
إذا ضربته	النسر	طويل	ذو الرمة	١:
رأيناكما	كبير	طويل	عمار بن عقيل	١: ١٣٢
فتى	الفقر	طويل	سلمة بن يزيد الجعفى أو الأبيرد الرياحى	١: ١٧٣
وهن	العصر	طويل	الفرزدق	١: ١٨٣
عجوز	الظهر	طويل	الفرزدق	١: ٢٤٧
وما غرنى	الصفر	طويل	الفرزدق	١: ٢٤٨
ألم تر	ولا ظهر	طويل	الفرزدق	١: ٢٤٨
وقد يهلك	يحذر	طويل	أبو العتاهية	١: ٢٥٥
وأنت امرؤ	والمثغور	طويل	أبو العتاهية	١: ٢٦٣
غداة	والخمر	طويل	الفرزدق	١: ٢٩٠
أماوى	ولا خمر	طويل	حاتم الطائى	١: ٢٩٥
وأمكم	كبير	طويل	ضابئ البرجمى	١: ٣٠٣
ومازال	ومفخر	طويل	حسان بن ثابت	٢: ١٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
لست بسعدى	التمر	طويل	حسان بن ثابت	٢ : ٦٢
ألاليته	والجزر	طويل	حسان بن ثابت	٢ : ١١١
أدور	أدور	طويل	الأحوص	٢ : ١١٦
كساك	وناصر	طويل	أبو الأسود الدؤلى	٢ : ١٢٦
قضى	وفخور	طويل	يزيد بن الطثرية	٢ : ١٣١
وفيت	الأكابر	طويل	المكعبرى الضبى	٢ : ١٣٩
فلما فقدت	وأنؤر	طويل	عمر بن أبى ربيعة	٢ : ١٨٣
لهن الوجا	وحسير	طويل	جميل	٢ : ٢١٢
إذا قلت	الفجر	طويل	أبو صخر الهذلى	٣ : ٤٤
لعمرى	قسر	طويل	الفرزدق	٣ : ٦٥
فألقت	محافر	طويل	الفرزدق	٣ : ٧٦
إليك	قبور	طويل	أبو نواس	٣ : ١٠٥
أمن جذبة	ولا صخر	طويل	شمعل	٣ : ١١٧
بهاليل	المتحير	طويل	حسان بن ثابت	٣ : ١٣٧
أمن آل	فمهجر	طويل	عمربن أبى ربيعة	٣ : ١٦٨
لقد أدرك	الأخاضر	طويل	الفرزدق	٣ : ١٨٨
كفعل	حاضر	طويل	الفرزدق	٣ : ١٨٨
جزانى	الأصاغر	طويل	الفرزدق	٣ : ٢٨٣
عليك	عمر	طويل	أبو تمام	٣ : ٢٩٢
إذا سار	سائر	طويل	أبو تمام	٤ : ٢٣
وأفردت	كاسر	طويل	أبو تمام	٤ : ٢٣
لئن أبغض	الدهر	طويل	أبو تمام	٤ : ٢٥
أخذن	الصفر	طويل	الفرزدق	٤ : ٤٧
أليت	الدوائر	طويل	ليلى الأخيلية	٤ : ٧٥
فلو كنت	مشافره	طويل	الفرزدق	١ :
قتلنا	مقابرة	طويل	عمير بن سلمى	١ : ٢٨٢

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
فقلت	ناصره	طويل	النابغة الجعدى	٣: ٥
تبحثتم	ضميرها	طويل	عمارة بن عقيل	١: ٢٨
عجوز	ولاأضيرها	طويل	الفرزدق	٢: ٦٧
مسحسحة	انتشارها	طويل	الفرزدق	٢: ١٠١
تقدت	ونهارها	طويل	عبدالله بن قيس الرقيات	٢: ١٩٩
فما روضة	وعرارها	طويل	كثير	٣: ٨٦
وكائن	مصيرها	طويل	كثير	٣: ٢٣٠
أخو رغائب	الزفر	بسيط	أعشى باهله	١: ٥١
ماذا تقول	ولاشجر	بسيط	الحطيئة	١: ٥٤
اشروا	تذكير	بسيط	الحطيئة	١: ٩٦
وما لتغلب	ولا قمر	بسيط	جرير	١: ١١٩
إن العسير	محسور	بسيط	جرير	١: ١٥٥/٢: ٢١٢
قد كان	مضر	بسيط	أبو الشغب	١: ١٨٠
ترتع	وإدبار	بسيط	الخنساء	١:
صل الإله	المور	بسيط	حارثة بن بدر	١: ٢٥١
تكفيه	الغمر	بسيط	أعشى باهلة	١: ٢٨٠
أما كليب	ولا صدر	بسيط	الأخطل	١: ٢٩٠
أصبر	القدر	بسيط	الأخطل	٢: ٣٣
نبثت	انتظر	بسيط	الفلاح بن حزن	٢: ٥٦
الناس	وزر	بسيط	كعب بن مالك الأنصارى	٢: ٦٩
أحب	غار	بسيط	كعب بن مالك الأنصارى	٢: ١٣٦
ماذا تقول	ولا شجر	بسيط	الحطيئة	٢: ١٤٣
إن العداوة	ينتشر	بسيط	الأخطل	٢:
وإن صخرا	نار	بسيط	الخنساء	٣: ٣٦

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
كأن هرا	وخنزير	بسيط	أوس بن حجر	٣: ٧٩
الأرض	النار	بسيط	بشار	٣: ١٤٢
إن الكرام	مختار	بسيط	أبو زبيد الطائى	٣: ١٤٩
ياقرط	حذر	بسيط	أبو زبيد الطائى	٣: ١٥٩
ياتيم	عمر	بسيط	جرير	٣: ١٦٠
ويوم	ولاتذر	بسيط	جرير	٣:
ياحفص	السهر	بسيط	كعب بن معدان	٣: ٢٨٥
يا صخر	عار	بسيط	الخنساء	٤: ٤٠
إنى	ولاسخر	بسيط	أعشى باهلة	٤: ٥٥
أصبت	الظفر	بسيط	أعشى باهلة	٤: ٦٠
إلى إمام	الظفر	بسيط	الأخطل	٤: ٦١
إن الحفافيث	الذكر	بسيط	جرير	٤: ٨٩
عرضت	مر	وافر	مخيس بن أرطاة	١: ٤٠
ندمت	نوار	وافر	الفرزدق	١: ١٠٣
ليت لنا	تخور	وافر	طرفة	١: ١٢٣
لقد كذبتك	صبر	وافر	دريد بن الصمة	١: ٢٣٠
وجدنا	المعار	وافر	بشر بن خازم	٢: ٤٢
كأن فؤاده	الحذار	وافر	بشار	٣: ٣٦
كأن قوائم	محار	وافر	السليك	٣: ٥٣
وليس بمنقذ	أو الفرار	وافر	بشر بن خازم	٣: ١٩٧
والشيب	نهار	كامل	الفرزدق	١:
كانت منازلنا	دوار	كامل	جحدر	١: ١٣٠
أعلى	نور	كامل	ابن أبى عيينة	٢:
لم ألق	متزر	كامل	حميد بن ثور	٢: ٢١٧
ذهبت	لو تنشر	كامل	حميد بن ثور	٢: ٢١٧
فهممت	المحجر	كامل	حميد بن ثور	٢: ٢١٧

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
وإذا جددت	ضائر	كامل	يزيد محمد المهلبى	٣: ٤
بشر	ميسور	كامل	جرير	٣: ١١٤/٤: ٦١
صحت	لاتنكر	كامل	عبد الله بن معاوية	٣: ١٤٤
يابا حسين	إصدار	كامل	حبيب بن جدرة	٤: ١٠
لولا الحياء	يزار	كامل	جرير	٤: ٢٤
أما القبور	قبور	كامل	كثير أو قطرب أو رجل من خزاعة	٤: ٢٥
يا عجبا	أبصروا	سريع	أبو العتاهية	٢: ١٠
أصلحك	إكثروا	منسرح	أبو العتاهية	١: ١٥٣
شاده	وكور	خفيف	عدى بن زيد	١: ٨٥
اغتنم	جسر	خفيف	محمود خوراق	٢: ١٢٨
إن أكن	الأشعار	خفيف	يزيد بن محمد المهلبى	٣: ٤
كدمى العاج	مستنبر	خفيف	عدى بن زيد	٣: ٤١
تعتبت	ولاتقدر	متقارب	العباس بن الأحنف	٣: ١٧٧
ويوم	العسكر	متقارب	العباس بن الأحنف	٣: ٢٤٦
لعمرى	البكر	طويل	الأخطل	١: ٨
فبات	معصر	طويل	لبيد	١: ٩٠
لحا الله	مجزر	طويل	عروة بن الورد	١: ١١١
مابال	كسرى	طويل	الحارث بن وعلة	١: ٢١٨
فتاة	بكثير	طويل	خالد بن يزيد	١: ٢٧٣
فظل	وكر	طويل	الأخطل	١: ٣٠٦
ألا كل	الغمر	طويل	الحطيئة	١: ٣٠٧
إليك	فأدرى	طويل	أبونواس	٢: ٧
أبومالك	وصغار	طويل	خالد بن صفوان	٢: ٣٤
سقى الله	يسار	طويل	ابن مفرغ الحميرى	٢: ٣٥
وكيف	ابن معمر	طويل	ابن مفرغ الحميرى	٢: ٣٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
وتركب	الحمر	طويل	خداش بن زهير	٢ : ٤٨
بقبر	قسر	طويل	خداش بن زهير	٢ : ٦٨
فقال لى	بالمصر	طويل	خداش بن زهير	٢ : ٧٠
ولو علمت	بإذخر	طويل	أبو الطمحان القينى	٢ : ٧١
بلى سوف	الخواطر	طويل	الجحاف	٢ : ٧٤
ألا أبلغ	وعامر	طويل	الأخطل	٢ : ٧٤
ألا ليت	والذكر	طويل	الأخطل	٢ : ١١١
بأى اعتذار	لاأدرى	طويل	محمود الوراق	٢ : ١٢٣
إذا حط	تمرى	طويل	محمود الوراق	٢ : ١٤٠
وإذا احتبى	الزائر	طويل	محمد بن يزيد	٢ : ١٤٠
أبلغ	أباجير	طويل	أبو جبر الفزارى	٢ : ١٤٤
بنى عامر	الدواير	طويل	زيد الخيل	٢ : ١٤٨
فإن تكن	عامر	طويل	ليلى الأخيلية	٢ : ١٧٢
فإن كلابا	العشر	طويل	ليلى الأخيلية	٢ : ١٨٥
فكان	ومعصر	طويل	ابن أبى ربيعة	٢ : ١٨٦
لعمرى	تجرى	طويل	الفرزدق	٢ : ٢٠٣
أتيناك	جارها	طويل	عبدالله بن قيس	٢ : ١٩٩
رزينا	البور	طويل	ابن المعذل	٣ : ٨
ألا إن	مصر	طويل	الوليد بن عقبة	٣ : ٢٢
كأن فتى	المتغور	طويل	ليلى الأخيلية	٣ : ٤٤
وقد سرنى	بدر	طويل	الأخطل	٣ :
شفى	ولا جسر	طويل	الأخطل	٣ : ٥٨
كأن ذراعيها	عصر	طويل	ابن المعذل أو سعيد ابن سلم	٣ :
له همم	الدهر	طويل	بكير بن النطاح	٣ :
زوامل	الأباعر	طويل	مروان بن سليمان	٣ : ٩٨

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
تعاطيكها	مدارى	طويل	أبو نواس	٣: ١٠٥
وإن كنت	ومايلىرى	طويل	الأعشى الأخطل	٣:
لعمرك	منقر	طويل	الأعشى الأخطل	٣: ١٣٢
سقى الله	الدهر	طويل	يزيد المهلبى	٣: ١٣٧
أزادا	المسافر	طويل	جرير	٣: ٢٤٩
فلما	ظهرى	طويل	أبو حرملة العبدى	٣: ٢٦٦
علا	تجرى	طويل	عبيدة بن هلال	٣: ٢٩١
أبا عمر	الصبر	طويل	عبيدة بن هلال	٤: ١٥
تجل	الدهر	طويل	عبيدة بن هلال	٤: ١٧
بموتك	الكسر	طويل	عبدالعزيز عبدالرحيم	٤: ١٨
أسكان	الظهر	طويل	عبدالعزيز عبدالرحيم	٤: ٣٠
أعينى	المتفجر	طويل	ليلى الأخيلية	٤: ٣٥
نظرت	ناظل	طويل	ليلى الأخيلية	٤: ٣٦
ولما أصابو	الوتر	طويل	ليلى الأخيلية	٤: ٣٧
لتبك	السمر	طويل	الفرزدق	٤: ٧٠
فلما رأيت	وتر	طويل	هدبة	٤: ٧١
ولما دخلت	سمر	طويل	هدبة	٤: ٧١
وما اهتز	عمرو	طويل	حسان بن ثابت	٤: ٨٦
لا أذود	تمره	مديد	أبو نواس	٢: ١٤
أنا ابن	بالعار	بسيط	القتال الكلابى	١: ٤٩
هينون	أيسار	بسيط	عبد بن العرندس	١: ٦٨
أعوذ بالله	النار	بسيط	ابن حبناء التميمى	١: ٨٨
نازعتهم	السارى	بسيط	الأخطل	١: ٩٠
إنى هزئت	عار	بسيط	صخر	١: ٩٠
المنعمون	أنصارى	بسيط	الأخطل	١: ١٧٩
مازلت	إتآرى	بسيط	الكميت بن يزيد	١: ١٩٧

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
قوم	بأطهار	بسيط	الأخطل	١ : ٢١٨
إن الذين	أنصارى	بسيط	جرير	٢ : ١٥
إن المذرع	المحاضير	بسيط	جرير	٢ : ٩٤
باتت	ولا دعر	بسيط	ابن مقبل	٢ : ١١٤
ما كنت	تفتير	بسيط	جرير	٢ : ٢٢٦
مستقبلين	منثور	بسيط	الفرزدق	٣ : ٤٥
إنى	الجرر	بسيط	الفرزدق	٣ :
قوم	والدار	بسيط	عبد الله بن عبدالرحمن	٣ : ١١٦
ويجعل	للشعر	بسيط	عبد الله بن عبدالرحمن	٣ : ١٤٣
يالعنة الله	جار	بسيط	عبد الله بن عبدالرحمن	٣ : ١٩٨
الله	السحر	بسيط	أم عمران	٣ : ٢١٤
قوم	الناو	بسيط	الأخطل	٢ : ٣٦
لأعلاج	يسبر	وافر	يحيى بن نوفل	١ : ٣٠
تركت	نسر	وافر	يحيى بن نوفل	١ : ٩٦
قتيل	ضرير	وافر	مهلهل بن ربيعة	١ : ١٣٤
شقيت	شور	وافر	مهلهل بن ربيعة	١ : ١٤٣
سرى	فتر	وافر	عروة بن أذينة	١ : ١٥٦
كأن رماحهم	جرور	وافر	مهلهل	١ : ٢٩٥
دعوتك	السرار	وافر	أبو عيينة	٢ : ٢٦
وقائلة	القتير	وافر	العتبى	٢ : ١٢٨
فلو نشر	زير	وافر	مهلهل بن ربيعة	٢ : ١٥٢
سرى	فتر	وافر	عروة بن أذينة	٢ : ١٨٨
طليق	كثير	وافر	محمود الوراق	٣ : ٢٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
ولما أن	جليس	وافر	أبو نواس	١ : ١٤٠
وكنت	جليس	وافر	أبو نواس	١ : ١٤٣
أمين الله	لياس	وافر	أبو العتاهية	٣ : ١١٠
يقول	المراس	وافر	أبو تمام	٣ : ٢٨٢
ذهب	المجلس	كامل	مهلهل	١ : ٢٥١
تطاول	البسابس	كامل	معاوية بن أبى سفيان	١ : ٢٥٧
ملوا	وأضراس	بسيط	الحطيئة	٢ : ١٤٠
لما تذكرت	بالنواقيس	بسيط	جرير	١ : ٩٠/ ٤ : ٨٩
قد ناضلوك	أنكاس	بسيط	الحطيئة	١ : ٢٠٠
لقد مريتكم	وإبساسى	بسيط	الحطيئة	٢ : ١٤٠
والله	بأكياس	بسيط	الحطيئة	٣ : ١٣
يا عين	كمرداس	بسيط	عمران بن حطان	٣ : ١٢٤، ١٨٧
فلولا	نفسى	وافر	الخنساء	١ : ١٦
يذكرنى	شمس	وافر	الخنساء	٣ : ١١٣
أعلاقة	المخلس	كامل	المرار	١ : ٢٦٩
ومدجج	خلس	كامل	المرار	١ : ٢٨٨
وقد رأيتك	المجلس	كامل	الحطيئة	٢ : ١٤٣
لله آنسة	الدنس	كامل	يعقوب بن الربيع	٤ : ٧٩
حتى إذا	النرجس	كامل	يعقوب بن الربيع	٤ : ٨١
رب مغروس	مفترسه	منسرح	يعقوب بن الربيع	٤ : ٧٩
إما تقارن	والمرس	منسرح	أبو زبيد	٣ : ٦٧
أبكِيك	والفرس	منسرح	لبانة بنت موسى الهادى	٤ : ٨٠
أصبح	العباس	خفيف	شبل بن عبدالله	٤ : ٧
		(الشين)		
أبا مطر	قريش	وافر	حرب بن أمية	٤ : ٦

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
فإن يك	مقنعا	طويل	هدبة بن خشرم	٢ : ٣٠
لئن جزع	وأوجعا	طويل	الفرزدق	٢ : ٨١
فلما	تتقنعا	طويل	ابن أبى ربيعة	٢ : ١٥٠/٣:٧٨
غدت	فترفعا	طويل	ابن الطثرية	٣ : ٧٤
هم صلبوا	بأجدعا	طويل	سويد بن أبى كاهل	٣ : ٧٣
لقد كفن	أروعا	طويل	متمم بن نويرة	٣ : / ٤ : ٦٢
وضيف	تكنعا	طويل	متمم بن نويرة	٣:١١٣
وكائن	مقنعا	طويل	متمم بن نويرة	٣ : ٢٣١
رحيب	ذرعا	طويل	متمم بن نويرة	٣ : ٢٨٨
فإن يك	منقعا	طويل	متمم بن نويرة	٤:١٦
يقول	لتدمعا	طويل	الفرزدق	٤ : ٢٤
وكنا	يتصدعا	طويل	متمم بن نويرة	٤ : ٢٦
قتلت	وأجزعا	طويل	دريد بن الصمة	٤ : ٣٨
فلو كان	جوعا	طويل	دريد بن الصمة	٤ : ٤٤
أقول	تريعا	طويل	متمم بن نويرة	٤ : ٦١
فإن يك	بأجدعا	طويل	هدبة	٤ : ٧٢
ولها	جمعا	مديد	يزيد بن معاوية	١ : ٣٠١
قد عشت	والفظعا	بسيط	يزيد بن معاوية	١ : ١٥٥
أبا المنازل	فجعا	بسيط	إبراهيم بن عبدالله	١ : ٢٠٦
من ير	أو وضعا	بسيط	الأعشى	٢ : ٢٠/٣:
وقلدوا	مضطلعا	بسيط	لقيط الأيادى	٢:١١٣/٣: ٢٨٧
ما نظرت	سجعا	بسيط	لقيط الأيادى	٣ : ١٩
ولا تمليت	الطلعة	بسيط	لقيط الأيادى	١:١٦٩
وكنا كالحريق	ساعا	وافر	القطامى	١ : ٢٢٤
أبى العباس	وليعة	وافر	على بن عبدالله	١ : ٢٠٧
ودعاك	وضاعا	كامل	يزيد بن الحكم	٣ : ٢٤٢

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
زعمت	مضيغ	رمل	ابن المعذل	٢ : ٧
أو وجد	فاندفعوا	منسرح	مالك بن عمرو	٢ : ٦٥
فظلت	أربع	متقارب	مالك بن عمرو	٤ : ٥٦
وذاك	بشفيع	طويل	الحطيئة	١ : ٢٧
مليء	الأصابع	طويل	الحطيئة	١ : ٣٠
جزى	مجمع	طويل	ابن دارة	١ : ٦٧
فرغتم	مربع	طويل	يزيد بن عمرو	١ : ١٧٥
فمن مبلغ	الودائع	طويل	قيس بن عاصم	١ : ٣٠٨
				٢ : ١٣٥
لقد حببت	والنفع	طويل	قيس بن عاصم	٢ : ١١٤
رضيع	المدامع	طويل	أبو الهندى	٣ : ٣٤
لا نسب	الراقع	مديد	أبو الهندى	٣ : ٥٧
أضياف	ممنوع	بسيط	دعبل	٣ : ١١٨
إن التى	زنباع	بسيط	عمران بن حطان	٣ : ١٢٧
تعن	ربع	وافر	الشماخ	١ : ١٢٩
إذا ما استافهن	القدوع	وافر	الشماخ	١ : ١٣١
أآلفة	اجتماع	وافر	أبو تمام	١ : ١٦٣
أطوف	لكاع	وافر	الحطيئة	١ : ٢٠٨
ولا فرح	لاع	وافر	الحطيئة	١ : ٢٣٨
ويحرم	القصاع	وافر	الحطيئة	١ :
هم صنعوا	الضياع	وافر	الحطيئة	٣ : ٢٧
مروح	القطيع	وافر	الشماخ	٣ : ٨١
ولى قلب	الهلاع	وافر	الشماخ	٣ : ١٣٠
تكنفنى	المطاع	وافر	قيس بن ذريح	٣ : ١٩٨
أجول	لكاع	وافر	الحطيئة	٣ : ٢١٨
إن الصنيعة	المصنع	كامل	الحطيئة	١ : ١١٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
وإذا استجرت	مجمع	كامل	الحطيئة	١: ٢٨١
ورثت	الأذرع	كامل	هدبة	٢: ٩٤
لاتجزعى	فاجزعى	كامل	النمر بن تولب	٣: ٢١٧
قد حصت	تهجاع	سريع	أبو قيس بن الأسلت	١: ١٤٦
يا سائلى	والبدع	منسرح	محمد بن بشير	٢: ١٣
غسلت	صريع	خفيف	الأحوص بن محمد	٤: ٨٦
حميد الذى	الأضلع	متقارب	حميد الأمجى	١: ٢٠١
		(الفاء)		
نطيع	رءوفا	وافر	كعب بن مالك الأنصارى	٢: ١٠٥
قد قلت	ومعترفا	كامل	أبو نواس	٢: ٨
وكأن	يكفا	كامل	أبو نواس	٣: ١٠٥
تقول	أطوف	طويل	عروة بن الورد	١: ١٦٣
ومازال	زعانف	طويل	أوس بن حجر	٢: ٤٧
فقالت حنان	عارف	طويل	أوس بن حجر	٢: ١٤٧
عزلنا	تخالف	طويل	أوس بن حجر	٣: ١١
كأن كحيلا	واكف	طويل	أوس بن حجر	٣: ٧٨
والأزد	وانتتفوا	بسيط	جرير	١: ١٧٨
ما استوصف	ماوصفوا	بسيط	جرير	٣: ٤١
الحزم	فاختلفوا	بسيط	جرير	٣: ٤٣
آل المهلب	ولا طرف	بسيط	جرير	٣: ١٠٠
يامن أحس	الصدف	بسيط	أم بن عبدالله بن عباس	٤: ٢٢
عمرو	عجاف	كامل	ابن الزبعرى	١: ٢٠١
تمشى	قصف	منسرح	أبو قيس بن الأسلت أو قيس بن الحطيم	٢: ٢٠٦
فلم تر عينى	واقف	طويل	عمر بن أبى ربيعة أو هدبة بن خشرم	١: ١٣٠/ ٢: ١٦٩ ٣: ٩٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
تكلفنى	السوق	وافر	الأعجم	١ : ٢٦٣
وتنقل	الزئبق	كامل	أبو تمام	٣ : ٣٩
إذا رأى	رقاق	سريع	أبو تمام	٢ : ١٨
كنا	خلقوا	منسرح	ابن أبى عيينة	٢ : ٢١
يستقدم	الملق	منسرح	ابن أبى عيينة	٢ : ٢٢
أحرم	عشقوا	منسرح	عباس بن الأحنف	٣ : ١١٠
ما رغبة	لاحقها	منسرح	عباس بن الأحنف	١ : ٦٢
فإن كنت	أمزق	طويل	الممزق العبدى	١ : ١٨
وردت	محلق	طويل	ذو الرمة	٣ : ٢٦
تبيت	الطلق	طويل	شأس بن نهار العبدى	٣ : ٩٧
وشدوا	المفلق	طويل	الفزر بن مهزم العبدى	٣ : ٢٤١
ألا	العقائق	طويل	الصلتان العبدى	٣ : ٢٧٠
وإنا	النمارق	طويل	الفرزدق	٤ : ٩
وقفت	مفارق	طويل	الفرزدق	٤ : ٤٥
أفنى	منطلق	بسيط	أبو الأسود الدؤلى	٢ : ١٢٧
قد كنت	يقق	بسيط	أبو الأسود الدؤلى	٢ : ١٢٧
أبعد عثمان	ساق	بسيط	ليلى الأخيلية	٣ : ٢٢
أريقى	تطيقى	وافر	الخنساء	٤ : ٤٤
أعارك	حقه	وافر	محمود الوراق	٢ : ١٠٢
نصل	تلحق	كامل	كعب بن مالك	١ :
أسرى	الطارق	كامل	جرير	٢ : ١٩٣
من سره	المحرق	كامل	كعب بن مالك	٢ : ٢١٧
إن تحت	معلاق	خفيف	مهلهل	١ : ٣٦
شمت	ابن الأزرق	كامل	مهلهل	٣ : ٢١٦
طلب	الأنوق	خفيف	مهلهل	٢ : ٢٠١
وإذا ما أصبته	الطريق	خفيف	مهلهل	٤ : ٦

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
		(الكاف)		
إن تك	مالكا	طويل	خفاف بن ندبة	٣: ١٦٧/٤: ٤٨
أبعد	المهالكا	طويل	أبو بلال	٣: ١٨٣
اصبر	أصفاكا	بسيط	ابن همام السلولى	٤:
ياخاتم	هداكا	كامل	عباس بن مرواس	٣: ١٦
اشدد	لاقيكا	هزج	على بن أبى طالب	٣: ١٤٨
ثم استمروا	أوركك	بسيط	زهير	٢: ١٢٠
ضحوا	معترك	بسيط	زهير	٣: ٢٣
مكلل	حبك	بسيط	زهير	٣: ٤٧
يا بن الزبير	الشكك	بسيط	زهير	٣: ٢٠٥
لئن حللت	فدك	بسيط	زهير	١: ٢٥٩
وبللوا	والدكاء	طويل	متمم بن نويرة	١:
حسبى	هالك	طويل	متمم بن نويرة	٢: ٨٠
إذا ما رمينا	المواشك	طويل	ذو الرمة	٣: ٦٥، ٢٢٨
كأن	اللوائك	طويل	ذو الرمة	٣: ٨٩
أفى السلم	العوارك	طويل	ذو الرمة	٣: ١٢٩
		(اللام)		
مدمن	أقل	رمل	لبيد	١: ٤٦
وأرى	ذو جلل	رمل	لبيد	١:
عسلان	فضل	رمل	لبيد	١: ٢٨٩
من رآنا	زوال	رمل	عدى بن زيد	٢: ٧٠
فمتى	وزجل	رمل	لبيد	٢: ١١٥
إن تقوى	وعجل	رمل	لبيد	٣: ٢٨٨
ليت	الأسل	رمل	ابن الزبعرى	٤: ١١
وللكرد	الجمل	متقارب	إسحاق بن خلف	٢: ١٦
ألا من	المحل	متقارب	إسحاق بن خلف	٣: ١٩٤

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أكان	الأجل	متقارب	معاوية بن أبى سفيان	٣: ٢٩٢
من تقرع	ويجهلا	طويل	معاوية بن أبى سفيان	١ :
فجاءت	الأناملا	طويل	معاوية بن أبى سفيان	١ : ١١٤
وما العجز	فتفعلا	طويل	معاوية بن أبى سفيان	١ : ١٦٧
إذا كر	أجدلا	طويل	ابن أبى عيينة	٢ : ٢٨
ألا يا عباد	بعلا	طويل	ابن أبى عيينة	٢ : ٥٧
كأن الفتى	نمولا	طويل	جابر بن ثعلبة الطائى	٢ : ٨٩
كل امرئ	فضلا	طويل	جابر بن ثعلبة الطائى	٢ : ٩٥
أخذن	ذيلا	طويل	جابر بن ثعلبة الطائى	٢ : ٩٧
ومنا فتى	معقلا	طويل	جرير	٣ : ١٩٢
كل جار	جبله	مديد	جرير	١ : ٢٢٣
أبى يكون	وجلا	بسيط	عبد الله بن معاوية أو عبدالله بن الزبير الأسدى	١ :
اشرب	محلالا	بسيط	أمية بن أبى الصلت	٢ : ٢٠
ماذا منيت	مثلا	بسيط	بشار	٣ : ١٤٢
قطعت	وضالا	وافر	ذو الرمة	١ :
تسد	هزالا	وافر	الأخطل	١ : ٢١٥
كأنى	الجبالا	وافر	الأخطل	١ : ٢٩٣
سمعت	بلالا	وافر	ذو الرمة	٢ : ٤١
ومية	قذالا	وافر	ذو الرمة	٣ : ٤٢
الامن	الثكلى	مجزوء الوافر	أم ابنى عبيدالله بن عباس	٤ : ٢٢
ألا يا صخر	طويلا	وافر	الخنساء	٤ : ٥٠
أخذوا	مغلولا	كامل	الراعى	١ : ١٦٠
ورجا	لينالا	كامل	جرير	١ : ٢٥٤

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
حب المدامة	فضلا	منسرح	أبو نواس	٣: ١٦١
قلت	رملا	خفيف	عمر بن أبى ربيعة	١: ٢٥٤
ليس مثلى	القتالا	خفيف	مهلهل	٢: ٩٩
انبضوا	الفحولا	خفيف	مهلهل	٣: ٢٢٣
صاحب	سلك	مجزوء الخفيف	أبو العتاهية	٢: ٩
أبلغا	لا محاله	خفيف	ابن قيس الرقيات	٣: ١١٥
فلو كنت	بلالا	متقارب	يحيى بن نوفل الحميرى	٢: ٤٢
تحنن	مقالا	متقارب	الحطيئة	٢: ١٤٨
لعمر أبيك	قليلا	متقارب	ابن الغريرة الضى	٣: ٢٢
سل الله	وائله	متقارب	ابن الغريرة الضبى	٣: ٩
فلا مزنة	أبقالها	متقارب	عامر بن جوين	٣: ٦٨
أبعد	أثقالها	متقارب	الخنساء	٤: ٤٣
فلأيا	لا تواكل	طويل	الحطيئة	١: ٢٣
على مكثريهم	البذل	طويل	زهير	١: ٢٧
إذا نصبوا	الفعل	طويل	عبدالله بن همام	١: ٥٠
تدارك	وأغفل	طويل	النمر بن تولب	١: ١٧٥
إذا أنت	مقال	طويل	هشام بن عبد الملك	٢: ٦
فأقسم	التواهل	طويل	أبو خراش الهذلى	٢: ٣٩
تأبد	فيذبل	طويل	النمر بن تولب	٢: ٥٤
فلو كنت	دليل	طويل	العديل بن الفرخ	٢: ٧٥
إنى	طويل	طويل	العديل بن الفرخ	٢: ٩٥
وشعر	دخيل	طويل	العديل بن الفرخ	٢: ١٢٠
إذا أنت	يعقل	طويل	معن بن أوس	٢: ١٥٧
لعمرك	أول	طويل	معن بن أوس	٢: ١٥٧/٢٢٧
إذا نصبوا	الفعل	طويل	ابن همام السلولى	٢: ٢٠٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
ألا الرواحل	الفعل	طويل	ابن همام السلولى	٢: ٢٠٦
صحا	أو يتذلل	طويل	كثير	٢: ٢٢١
تركتم	خليل	طويل	كثير	٣: ٢٤٣
لكل اجتماع	قليل	طويل	أبو خراش الهذلى	٤: ٢٦
ألم تعلمى	وعقيل	طويل	أبو خراش الهذلى	٤: ٦٤
ولا تحكما	مجاهله	طويل	الأعوج المعنى	٣:
غلام	عواذله	طويل	الأعواج المعنى	١: ١٦٧
فإنى	أزايله	طويل	عبيد بن أيوب	١: ٢٦٨
هممت	حلائله	طويل	ضابئ البرجمى	١: ٢٩٩
وقائلة	ونواصله	طويل	ضابئ البرجمى	١: ٣٠٤
نعونى	مقاتله	طويل	دعبل الخزاعى	٢: ٨
فأخلف	آكله	طويل	عبدالله بن همام السلولى	٢: ١٠٢
أبت	قائله	طويل	الحطيئة	٢: ٤٤
فلا تقربن	عواذله	طويل	الحطيئة	٣: ٥٦
إذا أنت	تقاوله	طويل	الحطيئة	٣: ٥٦
أبى الضيم	معاقله	طويل	زهير	٣: ٨٩
فإن أهجه	وكاهله	طويل	الأخطل	٣: ١٣١
عليم	باطله	طويل	الأخطل	٣: ١٤٣
ولما التقى	نهالها	طويل	الأخطل	١: ٧٩
جمعنا	نكالها	طويل	الأخطل	١: ٨١
وحقة	شمولها	طويل	الأخطل	٢: ٢١٦
فدونكها	قيلها	طويل	الفرزدق	٣: ٣٥
لما التقى	نهالها	طويل	الفرزدق	٢: ١٠٥
فقلت	الشمل	بسيط	الأعشى	٢:
لا يعلم	الفال	بسيط	الأعشى	١: ٢٥٥
قد نقر	الرسل	بسيط	الأعشى	٢: ١٣

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
ألا يالقومى	باطلى	طويل	الأحوص	١ : ٧٠
وتعطو	إسحل	طويل	امرؤ القيس	١ : ٧١
لعل	البلابل	طويل	ذو الرمة	١ :
لقد علمت	خذول	طويل	الأجدع	١ : ٩٨
إذا صدمتنى	ولا يخلى	طويل	الأجدع	١ : ١٠٦
يسود	نوفل	طويل	الأجدع	١ : ١٠٧
فأتت به	الهوجل	طويل	أبو كبير الهذلى	١ : ١١٠
فعن	المذبل	طويل	امرؤ القيس	١ : ١٣٠
وحتى	لوائل	طويل	أبو خراش الهذلى	١ :
فقلت	الآل	طويل	الشماخ	١ : ١٦٤
قفا	وحومل	طويل	امرؤ القيس	١ : ١٩٩
تقول	فأنزل	طويل	امرؤ القيس	١ : ٢١٩
ولم أر	للرذل	طويل	امرؤ القيس	١ : ٢٤٩
فجال	ذيال	طويل	امرؤ القيس	١ : ٢٨٦
أعياش	فاصطل	طويل	جرير	١ : ٢٩١
أفاطم	آجل	طويل	ابن أبى عيينة	٢ : ٢٥
لضن	السلاسل	طويل	نصر بن حجاج	٢ : ١٣٠
إذا نظر	العصل	طويل	الفرزدق	٢ : ١٤١
فتى	خليل	طويل	زياد الأعجم	٢ : ١٦٨
سوى	الجوازل	طويل	ذو الرمة	٢ : ١٦٩
وقد رابنى	جمل	طويل	ذو الرمة	٢ : ٢٢٣
ترى	ولا ذيل	طويل	جرير	٢ : ٢٢٥
ولست	بسئول	طويل	كعب بن سعد الغنوى	٢ : ٢٢٩
كأن فقاح	وائل	طويل	كعب بن سعد الغنوى	٣ :
كأن قلوب	البالى	طويل	امرؤ القيس	٣ : ٢٥
إذا ماالثريا	المفصل	طويل	امرؤ القيس	٣ : ٢٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
فتوضح	وشمال	طويل	امرؤ القيس	٣: ٤٥
لعمرى	بالأصائل	طويل	أبو ذؤيب	٣: ٥٤
كأن الثريا	جندل	طويل	امرؤ القيس	٣: ٦٧
فيالك	بيذبل	طويل	امرؤ القيس	٣: ٦٨
كأن أبانا	مزمل	طويل	امرؤ القيس	٣:
أتوعدنى	أغوال	طويل	امرؤ القيس	٣: ٧٢
أريد	سبيل	طويل	كثير	٣: ٧٣
غدت	مجهل	طويل	مزاحم العقيلى	٣: ٧٤
وقد أغتدى	هيكل	طويل	امرؤ القيس	٣: ٨١
كأن فجاعج	حابل	طويل	امرؤ القيس	٣: ٩٨
أرى	الحبائل	طويل	ذو الرمة	٣: ٩٩
فلما تنازعنا	ميال	طويل	امرؤ القيس	٣: ٢١٤
ألست	عقيل	طويل	العلاء بن مطرف	٣: ٢٥٥
مازالت	وصول	طويل	عبيدة بن هلال	٣: ٢٩١
لعمرى	ثقيل	طويل	عقيل بن علفه	٤: ٢٦
فلو كان	بقتيل	طويل	الخنوت	٤: ٥٩
جميل	الرحل	طويل	متمتم	٤: ٦٧
إذا الأمر	بمعزل	طويل	متمتم	٤: ١٠٤
أملى	أملى	مديد	العباس بن الفرج	٢: ١٢
قالوا	أشبالى	بسيط	جرير	١: ١٧٨
لطلحة	هطال	بسيط	أبو محلم السعدى	١: ٢٨٥
إنى	الحبل	بسيط	أبو محلم السعدى	١: ٢٩٣
وتاجر	أحمالى	بسيط	قيس بن عاصم	٢: ١٣٤
كأنه عاشق	مرتحل	بسيط	الأخطل	٣: ٣٨
تركت	الجمل	بسيط	الأخطل	٣: ٢٦٥
ومحتضر	طوال	وافر	الأخطل	١: ٥٨

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
ألا لله	والخيول	وافر	عمارة	١: ١٣٥
وقد علمت	نزال	وافر	زيد الخيل	١: ١٦٩/٢: ٥٣
هواء	كالخيال	وافر	الأعلم الهذلى	١: ٢٦٢
فمالك	بالرحال	وافر	مسكين الدرامى	١: ٢٦٣
رأيت	الموالى	وافر	جرير	٢: ٥٧
ألا عتبت	الطوال	وافر	السليك بن السلكة	٢: ٧٩
وأسلم	السبال	وافر	زيد الخيل	٢: ٩٤
رأت	الهلال	وافر	جرير	٢: ١٠٥
فإن تصلى	لا أبالى	وافر	الأحوص	٢: ١١٦
أهمام	الرجال	وافر	ابنه همام بن مرة	٣: ٥
لقد تبلت	التولى	الوافر	ابنه همام بن مرة	٣: ١٢٠
لقد زاد	بلال	الوافر	عمران بن حطان	٣: ١٢٤
حياتك	والمعالى	الوافر	مسلم	٤: ١٠٣
قتل	تحلل	كامل	جرير	١: ١٠٧
ممن حملن	محلل	كامل	أبو كبير الهذلى	١: ١١٣
وإذا افتقرت	الأعمال	كامل	خليل بن أحمد أو الأخطل	٢: ٣٤
وأن امرؤ	بالنصل	كامل	عنترة	٢: ٩١
لعن الإله	بلال	كامل	أبو خراش	٢: ١٣٥
إذا لا أبادر	الأول	كامل	عنترة	٢: ١٥٠
لو أن	المنزل	كامل	عنترة	٣: ٧
قوم	مجهل	كامل	عنترة	٣: ١١
ولا يبادر	جعال	كامل	عنترة	٣: ٥٧
أنا ذو عرفت	العدال	كامل	أبو تمام	٣: ١٦١
أخلاج	كالتمثال	كامل	ابن المنجب	٣: ٢٧٥
ليت الحرائر	الأحبال	كامل	المعنق	٣: ٢٨٠
أنى أرقت	على	كامل	جرير	٤: ٥٧

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
سأكتمه	كريم	طويل	الأعشى	٢: ٢٢٩
سلام	سلام	طويل	معدان الإيادى	٣: ١٢٢
آليت	المثلم	طويل	أبو الأسود الدؤلى	٣: ٢٠٠
حكيت	معدم	طويل	النابغة الجعدى	٤: ٤
وما نحن	وتقدموا	طويل	النابغة الجعدى	٤: ٧٩
ومن يتخذ	خيمها	طويل	النابغة الجعدى	١: ١٨
وداهية	أزومها	طويل	النابغة الجعدى	١: ٩٢
مروح	زمامها	طويل	النابغة الجعدى	٣: ٨١
صحبتك	ذيمها	طويل	الحارث بن خالد المخزومى	٣: ١٠٨
حابسى	أرمه	مديد	طرفة	٢: ١٢٠
وإن أتاه	ولا حرم	بسيط	زهير	١: ١١٢
أمرت	مظلوم	بسيط	زهير	١: ٢٨٠
عهدى	واللجم	بسيط	زهير	٢: ١٩
يغضى	يبتسم	بسيط	زهير	٢: ٤٥
فراحت	ولا هيم	بسيط	ذو الرمة	٢: ١١٤
القائد	الزعم	بسيط	زهير	٢: ١٨٠
ماعد	والحكم	بسيط	جرير	٢: ٢٠١
صعل	مهجوم	بسيط	علقمة بن عبدة	٣: ٢٧
قرحاء	البراعيم	بسيط	الحطيئة	٣: ٢٨
كأن إبريقهم	ملثوم	بسيط	علقمة بن عبدة	٣: ٣٢
لافى شظاها	تقليم	بسيط	علقمة بن عبدة	٣: ٨٣
سلاءة	معجوم	بسيط	علقمة بن عبدة	٣: ٨٣
إنى	رحم	بسيط	المغيرة بن حبناء الحنظلى	٣: ٢٩٣
أمست	مرتكم	بسيط	إسحاق بن خلف	٤: ١٦

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
تمرون	حرام	وافر	جرير	١ : ٣٣
عوى	انتقام	وافر	جرير	١ : ٩٤
ولست	طعام	وافر	النابغة أو أوس	١ : ١٣٠
ونرفع	أليم	وافر	ذو الرمة	١ : ١٦٢
فبات	الظلام	وافر	ذو الرمة	١ : ١٨٨
فأصبح	هشام	وافر	ذو الرمة	٢ : ١٠٦
اتنسى	البشام	وافر	جرير	٢ : ١٩٣
ألبان	حرام	كامل	جرير	١ : ٥٣
وقفوا	ماهم	كامل	ابن أذينة	١ : ٢٣٥
أضحت	كلوم	كامل	العتبى	٢ : ٣٣
كالبيض	نعيم	كامل	العتبى	٣ : ٤١
لحقت	المعتم	كامل	العتبى	٢ : ٥٤
وعلى عدوك	والإظلام	كامل	أشجع السلمى	٢ : ٧٥
سبط	قيام	كامل	أبو نواس	٣ : ١٠٢
إن الذين	المحرم	كامل	أبو نواس	٢ : ٢٠٥
أبنى عقيل	أكرم	كامل	أبو نواس	٣ : ١٥٩
إن العراق	فسلموا	كامل	أبو نواس	٣ : ٢٢٥
سبط	قيام	كامل	أبو نواس	٤ : ٤٢
يأتيك	يوم	منسرح	أبو نواس	٣ : ١١٢
واضح	عميم	خفيف	ابن الرقيات	١ : ٢٣٥
صدروا	وسيم	خفيف	ابن الرقيات	٢ : ١٢٧
كنت	معلوم	خفيف	يحيى بن نوفل	٢ : ١٣٣
بلد	الظلوم	خفيف	ابن الرقيات	٣ : ١٩٤
فهل	دارم	طويل	جرير	١ : ٢٨
هو القين	الأداهم	طويل	جرير	١ : ٤٧
وإن دما	سالم	طويل	أبو حية	١ : ٦٢

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
سقتها	الملاغم	طويل	الفرزدق	١ : ٦٤
ودار	معصم	طويل	زهير	١ : ٧٢
تعالوا	الأكارم	طويل	جرير	١ : ٧٩
بكرن	الفم	طويل	زهير	١ : ٨٩/٣: ٦٧
ألم ترنى	ومقام	طويل	الفرزدق	١ : ١٠٢
لقد لمتنا	بنائم	طويل	جرير	١: ١١٣، ١٧٧
ومنا الذى	الجماجم	طويل	الفرزدق	١ : ١١٨
وأخزاكم	البراجم	طويل	جرير	١ : ١٣٩
على الراحتين	قيامى	طويل	عمرو بن قميئة	١ :
بفى الشامتين	الضراغم	طويل	الفرزدق	١ : ١٨٠
تخضض	الأراقم	طويل	جرير	١ : ١٨٣/٢/ ٦٠
فلما تصافنا	الجراصم	طويل	الفرزدق	١ : ١٨٨
أمرتك	هاشم	طويل	عمرو بن العاص	١ : ٢١٢
معاوى	نائم	طويل	عبدالله بن هاشم	١ : ٢١٢
جزى الله	المتضاجم	طويل	الأخطل	١ : ٢٢٣
أحب	معجم	طويل	ذو الرمة	١ : ٢٣٤/٢ : ٢١٥
ولا خير	بالمآثم	طويل	جرير	٢ : ٣
لعمرى	الأكارم	طويل	جرير	٢ : ٥٦
ما تركت	لأم	طويل	إبراهيم بن النعمان	٢ : ٥٦
أنانى	قائم	طويل	الفرزدق	٢ : ٥٩
أباهل	بالمظالم	طويل	جرير	٢ : ٦٠
وتشرق	الدم	طويل	الأعشى	٢ : ١٠٥
مشين	النواسم	طويل	ذو الرمة	٢ : ١٠٥
تغطى	العمائم	طويل	ذو الرمة	٢ : ١٣١
لشتان	حلتم	طويل	ربيعة الرقى	٢ : ١٦٤
ألاتنتهى	بالدم	طويل	جابر بن حتى	٢ : ١٧٢

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
تواصت	الكلوم	وافر	جرير	١ : ٢٤
إذا	الطعام	وافر	جرير	١ :
تقول	المنيم	وافر	جرير	١ : ٧١
ألم يك	العظام	وافر	الفرزدق	١ : ١٠٠
نهانى	الكرام	وافر	ابن هرمة	١ : ١٩٤
سفيه	الحليم	وافر	أبو تمام	٢ : ١٩
إذا قالت	حذام	وافر	أبو تمام	٢ : ٥٤
فإنك	الغرام	وافر	ابن غلفان الهجيمى	٢ : ٦٠
ولكنا	كوم	وافر	ابن غلفان الهجيمى	٢ : ٩٦
وأنت	كريم	وافر	جرير	٢ : ١٠٣
ذرينى	هشام	وافر	جرير	٢ : ١٠٦
إذا جئت	الرحيم	وافر	أبو دلامة	٢ : ١٣٤
جزى	الأثام	وافر	أبو دلامة	٣ : ٢٤
مررت	والنظيم	وافر	جرير	٣ : ١٢٠
وتنزل	الصميم	وافر	جرير	٣ : ١٣٠
إذا ما كنت	تميم	وافر	جرير	٣ : ١٣٠
دعى القوم	الصميم	وافر	نهار بن توسعة اليشكرى	٣ : ١٣٣
فدى	حميم	وافر	الخنساء	٤ : ٤٩
جادت	كالدرهم	كامل	عنترة	١ : ٩
يخبرك	المغنم	كامل	عنترة	١ : ٢٧
بطل	بتوءم	كامل	عنترة	١ : ٧٩
لولا الحياء	القاسم	كامل	ابن الرقاع العاملى	١ : ١٢٢
إن تشتما	قشعم	كامل	عنترة العبسى	١ : ١٣٧
قتل	الأقوام	كامل	مهلهل بن ربيعة	١ : ٢١٨
لو غيركم	العوام	كامل	جرير	١ : ٢٢٢

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أبنى تميم	الأعمام	كامل	جرير	١ : ٢٣٨
ذم المنازل	الأيام	كامل	جرير	١ : ٢٦٧
إنى شكرت	علمى	كامل	محمود الوراق	٢ : ٤
يوماى	الديلم	كامل	القاسم بن عيسى أبو دلف	٢ : ١٨
شطت	مخرم	كامل	عنترة بن شداد	٢ : ٤٤
أنى يكون	الأعمام	كامل	مروان بن أبى حفصة	٢ : ٧٢
لو كان	خصام	كامل	طاهر بن على	٢ : ٧٢
تبرى	طمطم	كامل	عنترة	٢ : ١٦٧
شطت	مخرم	كامل	عنترة	٣ : ١٧
بركت	مهضم	كامل	عنترة	٣ : ٩١
بطل	يتوءم	كامل	عنترة	٢ : ٤٢
بركت	مهضم	كامل	عنترة	٤ : ٤٧
سحا	لم يتصرف	كامل	عنترة	٤ : ٦٣
حب بالزور	لمام	رمل	الطرماح	٢ : ٢٠٩
وأزجر	أضم	منسرح	النابغة الجعدى	٢ : ١٢١
أكنى	مكتم	منسرح	النابغة الجعدى	٢ : ٢١٢
أنكحها	أدم	منسرح	المهلهل	٣ : ٦٨
كل هنيئا	كريم	خفيف	المهلهل	١ : ١٠٦
قد مررنا	ينمى	خفيف	أبوالشمقمق	٣ : ٦
كم يتيم	عدم	خفيف	ابن المعذل	٣ : ٦
قد رأينا	الظلام	خفيف	أبوعبدالرحمن العطوى	٣ : ٤٣
والوصى	لانهدام	خفيف	الكميت	٣ : ١٥٠
فإن شمرت	ولا تسأم	متقارب	الكميت	٣ : ١٦٦

(النون)

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
حمزة	غين	رمل	موسى شهوات	٢ : ١٩٩
ياخاضب	كفن	خفيف	محمود الوراق	٢ : ١٢٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أمن	من	متقارب	عبد الصمد بن المعذل	٢: ٧
وأمتعت	أزن	متقارب	الأعشى	٢: ٩٧
إنا بنى نهشل	يشرينا	بسيط	بشامة بن حزم	١: ٩٥
كأن حاديها	جوبا	بسيط	جرير	١:
إن العيون	قتلانا	بسيط	جرير	١: ٢٢٦
وحبذا	أحيانا	بسيط	جرير	٣: ٤٤
هبت	حورانا	بسيط	جرير	٣: ٥٠
ياضربة	رضوانا	بسيط	عمران بن حطان	٣: ١٢٥
إنى	المحلينا	بسيط	السيد الحميرى	٣: ١٧٤
مهلا	مدفونا	بسيط	الفضل بن العناس	٤: ٣٩
لو كان	يعنونا	بسيط	الفضل بن العناس	٤: ٦٧
وضعن	جنينا	وافر	عمرو بن أحمر	١: ٣٥
متى تلق	الداعينا	وافر	عمرو بن أحمر	١: ٥٠
فمن تكن	يرانا	وافر	القطامى	١: ٥٥
إذا ضيقت	هانا	وافر	القطامى	١: ٢٦٨
وما إن	آخرينا	وافر	فروة بن مسيك	١:
ولا تصلى	مسنكينا	وافر	ابن أحمر	٢: ٨٩
تنحى	العالمينا	وافر	الحطيئة	٢: ١١١
ألاهبى	الأندرينا	وافر	عمرو بن كلثوم	٢: ١٨٥
بجو	الحنينا	وافر	ابن أحمر	٣: ٤٦
فأما الأزد	المزونا	وافر	الكميت	٣: ٢٣٨
وكنا	فينا	وافر	أم العريان	٣: ١٧٨
فلما أصبحوا	مسومينا	وافر	عيسى بن فاتك	٣:
ألا يامن	المزونا	وافر	عيسى بن فاتك	٣: ٢٣٨
خرجت	ياسمينا	وافر	عيسى بن فاتك	٣: ٢٤٦
قتلنا	المؤمنينا	وافر	دعبل	٤: ٣٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
يامن لشيخ	ألوانا	كامل	دعبل	١: ١٦٤
ماللمنازل	فبلينا	كامل	جرير	٢: ٤٤
إن الذين	معينا	كامل	جرير	٢: ١٩٤
وترى	عصينا	كامل	جرير	٣: ١٧
إن الذى	فينا	كامل	جرير	٣: ١١٩
لكن	عنى	كامل	الأسعر الجعفى	٣: ٢٨٤
إن أولاد	فينا	مجزوءالرمل	الأسعر الجعفى	٢: ٩٤
يا خير	وغضبانا	منسرح	أبو عبدالرحمن العتبى	٣:
فإذا	العيونا	خفيف	أبو نواس	٣: ٣٧
إن شرخ	جنوبا	خفيف	حسان بن ثابت	٣: ٨٥
ليت	فيرانا	خفيف	معن بن المغيرة	٣: ٢٨٣
فذاك	المسلمينا	متقارب	معن بن المغيرة	١: ٢٥
أرى الشام	كارهينا	متقارب	كعب بن جعيل	١: ٢٥٨
دعأ	ماتحذرونا	طويل	النجاشى	١: ٢٦١
فلا	ظنين	طويل	عبد الرحمن بن حسان	١: ١٦
خليل	معين	طويل	بشارين برد	٢: ٣
إذا جاوز	قمين	طويل	جميل بن عبالله	٢: ٢٣١
ألا إنما	تلين	طويل	كثير	٣: ٨٥
مضى	عثمان	طويل	كثير	٣: ٢٢٢
سمين	سمين	طويل	كثير	٤: ٦
ألا إنما	قطينها	طويل	جرير	١: ٢١٦
واعلم	تدان	بسيط	يزيد بن الصعق الكلابى	١: ٢٥٩
لما رأوا	عدن	بسيط	أبو المشمرج اليشكرى	٢: ٦٤
لله بكر	حضن	بسيط	النعمان بن المنذر	٢: ٦٤
من كان	قمن	بسيط	الحارث بن خالد المخزومى	٢: ٢٣١

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
وما حسن	البيان	وافر	المخزومى	٢: ٩٥
طوت	مهين	وافر	الشماخ	٣: ٨٤
لما رأيتك	قرين	كامل	عبدالله بن أبى عيينة	٢: ٦
وتفرقوا	الحيران	كامل	مالك بن الصمصامة	٣: ٩١
فإذا	طينها	رمل	عدى بى زيد	٣: ٥٥
فمن يك	غرضان	طويل	عدى بى زيد	١: ٣١
وكأس	أبان	طويل	عبدالرحمن بن الحكم	١: ١٠٥
دعتنى	بلبان	طويل	عبدالرحمن بن الحكم	١:
فبتنا	مختلطان	طويل	أم ضيغم البلوية	١: ١٠٥
ألا تسأل	رمضان	طويل	أم ضيغم البلوية	١: ٢٢٨
وأبصرت	اليمن	طويل	أم ضيغم البلوية	١: ٢٣٦
سأعمل	الحدثان	طويل	أم ضيغم البلوية	١: ٢٥٠
ألاجعل	حيان	طويل	أم ضيغم البلوية	١: ٢٦٦
وأطلس	فأتانى	طويل	الفرزدق	١:
هاك	مكان	طويل	محمد بن نمير الثقفى	٢: ٧٨
لها درهم	يبتدران	طويل	محمد بن نمير الثقفى	٢: ٩٥
على ربز	والدالان	طويل	امرؤ القيس	٢: ١٤٧
سددن	وحبين	طويل	امرؤ القيس	٢: ١٩
لعمرك	بثمان	طويل	ابن أبى ربيعة	٢: ١٨٢/٣/١٣٢
وقد أرسلت	وما تكنى	طويل	محمد نمير الثقفى	٢: ٢١٥
إذا المرء	مخزان	طويل	امرؤ القيس	٢: ٢٢٨
كأن قطاة	الخفقان	طويل	عروة بن حزام	٣: ٣٤
علا	يمان	طويل	عروة بن حزام	٣: ١١٧
عجبت	أبوان	طويل	عروة بن حزام	٣: ١٣١
لعمرك	بثمان	طويل	ابن أبى ربيعة	٣: ١٣٢
أرى	ومكانى	طويل	صخر بن عمرو	٤: ٥١

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
سأبكى	قنان	طويل	الخنوت	٤ : ٥٩
كل امرئ	حين	بسيط	ذو الأصبع	١ : ١٨
إذ أنت	رسنى	بسيط	ذو الأصبع	١ : ٣٩
أنى جزوا	الحسن	بسيط	أفنون التغلبى	١ : ٩٢
لو كان	قنيان	بسيط	أبو المثلم الهذلى	١ : ١٨٢
كيف الهجاء	تأتينى	بسيط	الحطيئة	١ : ١٨٧
أعطيتنى	ترنى	بسيط	على بن جبلة	١ : ٢٤٥
ياعمرو	اسقونى	بسيط	ذو الأصبع	١ : ٢٩٣
باب الأمير	ذقن	بسيط	إسحاق بن خلف	٢ : ١٩
اشرب	لليمين	بسيط	أبو زيد	٢ : ٢٠
إنى لباك	يبكينى	بسيط	الفرزدق	٢ : ٨١
ماكان	عيلان	بسيط	النعمان بن المنذر	٢ : ٦٤
إنى أبى	أبين	بسيط	ذو الأصبع العدوانى	٢ : ٨١
قد غيب	الموازين	بسيط	ذو الأصبع العدوانى	٢ : ٢٠٥
إن السلام	يكفينى	بسيط	أبو العتاهية	٣ : ٤
ياروح	وغسان	بسيط	عمران بن حطان	٣ : ١٢٦
قيس	أقرانى	بسيط	الحريش بن هلال	٣ : ٢٣٨
إن ينتحل	والعطن	وافر	أبو تمام	٣ : ٢٩٢
وقد كنا	بيان	وافر	حسان بن ثابت	١ : ٨٠
شربت	المدان	وافر	لقيط بن زرارة	١ : ١٠٤
رأيت	القرين	وافر	الشماخ	١ : ١٠٨
وقدما	تجاوبان	وافر	جحدر العكلى	١ : ١٢١
وأخرج	الجنين	وافر	الطرماح	١ : ١٧٥
فما أوهى	زمانى	وافر	عنترة بن شداد	١ : ١٧٧
أنا ابن جلا	تعرفونى	وافر	صحيم بن وثيل	١ : ١٨١
تقول	ودينى	وافر	المثقف العبدى	١ : ٢٦٠

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
ولست	يأكلوني	وافر	أبو فرعون العدوى	١ : ٢٧٩
كأنك	بشن	وافر	النابغة الذبيانى	١ : ٣٠٢
فدى لك	أتاني	وافر	النابغة الذبيانى	٢:٤٤/٣:١٧
فمن يفخر	ثاني	وافر	النابغة الذبيانى	٢ : ٥٦
وماذا يدرى	الأربعين	وافر	صحيم بن وثيل	٢ : ٦٢
أبا الموت	تخوفيني	وافر	صحيم بن وثيل	٢ : ١٠٦
				٣ : ١٦٠
رأيت	القرين	وافر	الشماخ بن ضرار	٢ : ١٩٧
إذا ما قمت	الحزين	وافر	المثقف	٣ : ٣٢
فلو أني	المدان	وافر	دعبل	٣ : ٥٩
كأني	غين	وافر	دعبل	٣ : ٦٣
وبيضاء	الحنان	وافر	بشار بن برد	٣ : ٨٥
عشية	أرجو ان	وافر	بشار بن برد	٣ : ١٠٣
نزلنا	عوبثان	وافر	عمران بن حطان	٣ : ١٢٥
أحبك	الجبان	وافر	القاسم بن عيسى	٣ : ٢٩٢
وكل أخ	الفرقدان	وافر	عمرو بن معدى كرب	٤ : ٦٥
ولم أر	الفرقدين	وافر	أبو العتاهية	٤ : ٦٥
إن الأراقم	الأسنان	كامل	الفرزدق	١ : ١٨٢
لا تحزنيني	شئوني	كامل	أوس بن حجر	١ : ٢٦٠
النحو	يلحن	كامل	إسحاق بن خلف	٢ : ١٩
يأبى	الأذقان	كامل	ابن الخياط المدينى	٢ : ٢١٠
يشتفن	الأشطان	كامل	جرير	٣ : ٣٥
حالت	الريحان	كامل	جرير	٣ : ٤٩
ولقد أمر	لا يعنيى	كامل	جرير	٣ : ٦١
مافى مقام	ودنان	كامل	جرير	٣ : ٧٠
إن المكارم	قحطان	كامل	أعشى همدان	٣ : ٢٤٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
منهم	الردفان	كامل	جرير	٤ : ٦٨
أنى أحاجيك	بالغبن	منسرح	عمرو بن زعبل	٢ : ٢٤
لا تعدم	السمن	منسرح	ابن أبى عيينة	٢ : ٢٤
قد قيل	الزمن	منسرح	إبراهيم السواق	٢ : ٢٥
حيثما	الأزمان	منسرح	إبراهيم السواق	١ : ٢٣١
صاح	جيرون	منسرح	عبد الرحمن بن حسان	١ : ٢٣٦
أيها المنكح	يلتقيان	منسرح	ابن أبى ربيعة	٢ : ١٧٤
لم يطيقوا	الأسنان	منسرح	دعبل	٣ : ١١٨
عللانى	تسقيان	منسرح	الحسن بن وهب الحارثى	٣ : ١٦١
		(الهاء)		
إذا ورد	فشفاها	طويل	ليلى الأخيلية	١ : ٢٤٢
حتى أنخت	وحافيها	بسيط	ليلى الأخيلية	١ : ٢٧١
أما ابن	حاديها	بسيط	ليلى الأخيلية	٢ : ١٣٩
نفسى	يكفيها	بسيط	أبو العتاهية	٢ : ٢٢٢
هجانى	مناحيها	بسيط	جرير	٢ : ١٩
إلى أوس	قضاها	وافر	بشير بن أبى خازم	١ : ١٨٧
إذا رضيت	رضاها	وافر	الححيفى العقيلى	٢ : ١٤١
				٣ : ٧٤
حمدتك	كراها	وافر	أبو تمام	٣ : ٩٤
يرى	لمحاها	وافر	أبو تمام	٣ : ٢١٦
مامن يد	مولاها	كامل	أبو نواس	٢ : ٥
ويل	مثواه	سريع	محمد بن بشير	٢ : ١٣
إنا بنى	وناديها	منسرح	عمرو بن الأهتم	١ : ٣٠٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
		(الواو)		
وكم موطن	منهوى	طويل	يزيد بن الحكم الثقفى	٣: ٢٤٧
		(الياء)		
لا تسألن	إليه	كامل	أبو العتاهية	٢: ١٢٥
أليس	يديه	متقارب	محمود الوراق	٢: ١٢٨
وإن الألى	التآسيا	طويل	سليمان بن قتة	١: ١٦
وأوقف	ماضيا	طويل	سلمة بن عياش	١:٧٥، ١٠٦
ألم تر	ماليا	طويل	الفرزدق	١: ٧٥
قلائص	غواليا	طويل	الراعى	١: ١٣٦
أروح	تقاضيا	طويل	الراعى	١: ١٤٠
وعاذلة	مابيا	طويل	صخر بن عمرو	١:١٥٤/ ٤:٤٨
وأوقف	ماضيا	طويل	صخر بن عمرو	١: ١٦٦
رأيت	بداليا	طويل	عبدالله بن معاوية	١: ١٧٢
ألا حى	اللياليا	طويل	أبو حية النميرى	١: ١٧٦
فأصبحت	عانيا	طويل	المجنون	١: ٢٣٣
وأخرج	خاليا	طويل	المجنون	١: ٢٣٤
حلفت	العواليا	طويل	عنترة بن شداد	١: ٢٤٦
تقول	وغاديا	طويل	ذو الرمة	٢: ٤٢
فما وجدونا	مواليا	طويل	عنترة	٢: ٤٧
لم أر	كاسيا	طويل	القلاخ بن حزن	٢: ٥٦
تجاوزت	عنانيا	طويل	يحيى بن أبى حفصة	٢: ٥٦
أقاتلى	فؤاديا	طويل	سوار بن المضرب	٢:٧٧/٣:٢٦١
إذاعرضوا	ماهيا	طويل	جرير	٢: ٩٢
وإنى لأستحيى	ليا	طويل	جرير	٢:١٠٢، ١٤٩
عميرة	ناهيا	طويل	عبد بنى الحساس	٢: ١٦٧
وراهن	المكاويا	طويل	عبد بنى الحساس	٣: ٩٤

«الألف المقصورة»

٨- فهرس الأرجاز

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة



٩- فهرس أنصاف الأبيات

الألف

الباء

التاء

الراء

الزاى

السين

العين

الفاء

فإنما هى إقبال وإدبار	الخنساء	٣: ٢٩١
فأتلف ذاك متلاف كسوب	الخنساء	٤: ٣٣
قبح الإلّه وجوه قوم رضع	الخنساء	٢: ١٣٦
كل شىء ما خلا الله جلل	الخنساء	١: ٥٩

الكاف

كأنه علم فى رأسه نار	الخنساء	١: ١٨٢
كما يبهر البدر النجوم السواربا	ذو الرمة	٢: ١٨٢
كأنه تحت طى البرد إسوار	الخنساء	٢: ٢٢٦
كأن فى سرجه بدرا وضرغاما	مسلم بن الوليد	٣: ١٠٩
كأنما ساعداه ساعدا ذيب	مسلم بن الوليد	٣: ١١٤
كأنه من كلى مفرية سرب	ذو الرمة	٤: ١٨

اللام

كما صرصر العصفور فى الرطب الثعد	ذو الرمة	١: ١٧٩
له صريف صريف القعو بالمسد	ذو الرمة	٢: ٢٣
لو ترسل الريح لجئنا قبلها	ذو الرمة	٣: ٨١

الميم

من هاجه الليلة برق ألاح	ذو الرمة	٢: ٢٠٦
مطاعيم أسار إذا الهير هبت	ذو الرمة	٣: ٤٦
ولا يهاج إذا ما أنفه ورما	ذو الرمة	١: ١٣

الواو

ويمنعها من أن تطير زمامها	ذو الرمة	٢: ٢١٨
والضرب يمضى بيننا خرادلا	ذو الرمة	١: ٢٧١
ولا خارجا من فىّ زور كلام	ذو الرمة	١: ٢٨٣
ورد وأشقر ما يؤنيه طابخه	ذو الرمة	٢: ١٠٩
وإنى مع ذا الشيب حلو مزير	الموصلى	٢: ١٥٨
وكل كميت كالهراوة صارم	الموصلى	٣: ٨٣



١٠ - فهرس الأعلام

(خ)

(س)

(ق)

(ل)

١١- فهرس الأمم والأرهاط والفرق والقبائل


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٢- فهرست أسماء البلاد والأماكن

(أ)

(ت)

(ح)

(خ)

(د)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

١٣- فهرس الأيام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٤- فهرس الكتب فى الكتاب وزياداته









